

درت میں اکبر سہ سواویہ

بفصیل اشواق العساق



دراستہ و تحقیق و تعلیق
القدس للدراسات والبحوث
أیمن عبدالجابر البحریری

تألیف
العلامة الأديب داؤد بن عمر الأنطاکی
الترقی سنہ ۱۰۰۸ھ

دارالکتب العلمیة
بکیروت - لبنان

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

**پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ**



بَيِّنَاتُ الْأَشْوَاقِ بِتَفْصِيلِ أَشْوَاقِ الْعُشَّاقِ

تأليف

العلامة الأديب داود بن عمر الأنطاكي

المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ



دراسة وتحقيق وتعليق

القدس

للدراسات والبحوث

أيمن عبد الجابر البحيري

٢ / ١

دار البيان العربي

القاهرة

129667

جميع الحقوق محفوظة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين نحمده حمد الشاكرين ، ونصلى ونسلم على إمام
المتقين ، سيدنا وإمامنا ، محمد ، سيد البشر أجمعين ﷺ .

وبعد ؛ فالكتابة في الأدب أو عن الأدب يحتاج إلى ذوق رفيع ، وحس
مرهف، وإلمام بالتراث الأدبي ، وأشياء أخرى كثيرة ، وقد برع المسلمون في
هذا الميدان ، ونما الانتاج الأدبي عندهم من القرن الأول الهجري ، وتزايد الإنتاج
الأدبي ابتداء من القرن الثاني الهجري بشكل لم يسبق له مثيل ، وواكب هذا
النمو إزدياد في التقسيم والتخصص .

ويمكن بالنظر إلى الخريطة التراثية أن نستخلص الصورة العامة للأدب
الإسلامي .

فهناك أدب هادف ، جاد ، يسترشف لبناته وأساسياته من الكتاب العزيز ،
والسنة النبوية المشرفة ، وهذا الأدب يعلمنا أساسيات اللغة ونواحي جمالها ، وهو
في نفس الوقت يحافظ على القيم الثقافية الموزونة . وهناك أيضا نوع من الأدب؛
طابعه التسلية والترويح عن النفس ، بقصد تنشيط النفس لمكابدة الحياة .

هذان النوعان هما الأساس ، وينفرع عنهما أنواع أخرى كثيرة .

ولقد أدى إتقان اللغة وتناولها بطريقة علمية ، بعد ضبطها بالقواعد المستنبطة
من لغة العرب ، والقرآن والسنة، إلى تأكيد تفوق اللغة العربية و تبوئها الصدارة
والمكانة الأولى بين اللغات التي تتكلمها الشعوب الإسلامية .

وكانت للعلوم التي أحاطت باللغة بالرعاية والحفاظ عليها وتجويدها الأثر

الكبير ، فعلم النحو وتصنيف المعاجم مديناً بصفة خاصة لعبقرية اللغة العربية^(١) .
فلقد وصل تجويد نظرية النحو ذروتها في كتاب سيويه ، وساعد على ذلك
الحاجة العلمية الملحة ، فظهر انتاجاً غزيراً في النحو بقى مميزاً للدراسات
النحوية، ولما كان هذا العلم يعتمد على الأسلوب الوصفي ، فإن هذا العلم بقى
علماً صعباً ، ومع ذلك كان ميداناً عظيماً الأثر لتدريب أهل الأدب والعلم .

كذلك فقد تطور علم المعاجم بسرعة ، وأدرجت الدراسات المعجمية
الصغيرة التي تناولت موضوعات خاصة في مجموعات من عدة مجلدات مكونة
معاجم مرتبة حسب الموضوعات . ونمت المعاجم التي قامت على قاعدة أصل
الكلمات ، وفق ترتيب ألف بائي حر ، حتى أصبحت تضم مصنفات ضخمة
إلتزمت الترتيب الألف بائي إلتزاماً تاماً ، إما على أساس أول حرف في أصل
الكلمة أو آخر حرف فيها .

أما المعاني المختلفة الواسعة المدى التي تندرج تحت نفس الأصل فلم تكن
ترتب وفقاً لنظام واضح ، وكثيراً ما كانت تعريفات المعاني تعتمد على شواهد
مقتبسة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وبطبيعة الحال الشعر .

وذلك أدى إلى اكتساب هذه المؤلفات مذاقاً أدبياً واضحاً .

أما إسهام علم فقه اللغة في الأدب ، فيتمثل في وضع عدد كبير من القصص،
والنوادير الى تتسم بالظرف ، وهي تدور حول النحويين واللغويين ، والأسرار
الخاصة بعلمهم ، أضف إلى ذلك جمع الأمثال والحكم من النثر والشعر ، ثم
التعقيب بالشرح عليها وإلى جانب ذلك الرسائل والمختارات الأدبية .

(١) انظر في ذلك عروبة العلماء المنسويين إلى البلدان الأعجمية في المشرق الإسلامي ، د. ناجي معروف

فكل ذلك كان له مغزى عميق حول كل موضوع يمكن تصوره ، وهو أنه يتعين على الأديب الإمام به ، فإن هذه الرسائل والمختارات أولت اهتمامًا كبيرًا، صريحًا وضمنيًا للغة واستعمالها الفريد .

أما إذا تلکمنا عن الشعر ، فهو ديوان اللغة عند العرب، إذ إن أوزانه التي تتضمن عددًا معينًا من البحور الشعرية ، وأبياته التي يتألف الواحد منها من شطرين متساويين في الوزن ، وإتزامه قبل كل شيء بالقافية على شكل حرف أو مقطع في نهاية كل بيت ، مع المحافظة على هذه القافية طوال أبيات القصيدة، وينطبق هذا أيضًا على المحتوى الرئيسي للشعر ، وقد عبر هذا الشعر عن أحاسيس الشاعر الشخصية ، وتطلعاته وخبرته في الحب والحياة ، بالإضافة إلى علاقاته في الحرب والسلام، أما اللغة التي اختيرت لتناسب التعبير الشعري، فهي الفصحى بمقوماتها النحوية التي احتفظت بها منذ أقدم العصور ، وكانت ألفاظ الشعر غنية ، وتحلى بمفردات متنوعة .

وقد أدى التحول من البنية العربية البدوية إلى حياة المدن الإسلامية الحضرية إلى زيادة اهتمام الشعراء بالأحوال والتقاليد الخاصة بحياة أهل المدن، وكذلك الاهتمام بالتجارب المتنوعة لحياة أغنى وأكثر رخاء .

ولقد بلغ ذلك مجده في العصر العباسي الذهبي

وهذه المقدمة الموجزة ، ذكرناها لإلقاء الضوء على حركة الأدب الإسلامي ، والعوامل التي أثرت

أما موضوع كتابنا [تزين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق] . للعلامة الأديب داود الأنطاكي المتوفى سنة (١٠٠٨هـ) هو ضرب من فنون الأدب الإسلامي المتخصص ، ومجال تخصصه (العشق وأهله) . والكتاب بحق موسوعة أدبية فريدة

واضحة المنهاج جمع فيه مؤلفه أخبار العشق وأهله .

والكتاب مرّ بمراحل حتى يصل إلى داود الأنطاكي .

فبداية ألف القاضي عزيزى بن عبد الملك بن منصور ، أو المعالى المتوفى سنة

(٤٩٤هـ) كتابة [مصارع العشاق فى شارع الأشواق] .

ثم جاء من بعده جعفر بن أحمد الحسين ، الفاري السراج ، المتوفى سنة

(٥٠٠هـ) وألف كتابه [مصارع العشاق] وكان لسابقه مسترشفاً

ثم جاء من بعده محمد البارزى ، صدر الدين ، المتوفى سنة (٧٨٥هـ) وألف

كتابه [الفائق فى المواعظ والرقائق] . وكان للكتاب السابق عليه مهذباً ومنسقاً

ثم جاء إبراهيم بن عمر بن الحسن الرباط البقاعى ، المتوفى سنة (٨٨٥هـ)

وألف كتابه [أسواق العشاق من مصارع العشاق] فكان لسابقه محسناً

ومجوداً، ومؤثقاً.

ثم ختمت هذه السلسلة بصاحبنا العلامة داود بن عمر الأنطاكي ، الذى

أجاد وأبدع، فوضح المنهج ، وبرع فى تبويبه، وأضاف على من سبقوه ،

وحذف الأسانيد والمكرر ، حتى ظهر الكتاب غرة بيضاء .

تحقيق المخطوط :

ولعلنا نعلم أن هذا الكتاب طبع عدة طبعات ، بداية من سنة (١٢٩١هـ)

طبعة بلاق ، لكن للأسف كل هذه الطبعات شابها التصحيف والتحرير فضلاً

عن عدم خدمة النص والتحقيق الرصين .

لذلك بعلمنا أن هذا الكتاب من الأهمية بمكان ؛ لذلك ألزمنا أنفسنا بخدمة

هذا السفر الجليل .

علمنا فى هذا الكتاب :

١. ضبط النص وتقويم العبارة بالرجوع إلى المخطوطات والنسخ المطبوعة.
٢. شرح الغريب من الألفاظ والأشعار .
٣. تخريج الأحاديث والآثار .
٤. غزو الشعر وأقوال العلماء .
٥. تراجم الشعراء والعلماء .
٦. الفهارس اللازمة للكتاب .

وختاماً ، نسال الله أن نكون قد وفقنا فى هذا العمل ، ولا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساعدنا بالوقت والجهد على إتمامه ، وإخراجه بهذا الثوب القشيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو محمد

أيمن عبد الجابر البحيرى

القاهرة

ترجمة المؤلف

اسمه:

داود بن عمر الأنطاكي، الضرير.

مولده ونشأته:

ولد داود الأنطاكي في إحدى قرى أنطاكية، وكان ضريراً مقعداً، كان أبوه قد خصص له من يحملة كل يوم ويذهب به إلى صحن الرباط ليتناول العلم. وبعد مرور الأيام وصل إلى صحن الرباط عالم جليل يدعى الشيخ محمد شريف الذي كان على علم كبير بالطب وبعض جوانب من علم الكلام. استطاع الشيخ محمد شريف أن يعالج داود الأنطاكي وجعله يسير على قدميه. كان داود النطاكي شديد الاهتمام بالاستماع إلى الشيخ محمد شريف، وقد نهل من علمه الكثير والكثير.

شيوخه:

أخذ داود الأنطاكي المنطق والرياضيات والطبيعات من الشيخ محمد شريف، فضلاً عن علم الطب.

بعد أن رحل إلى جبل عامل بلبنان أخذ من هناك العلم عن مشايخه، وتأثر كثيراً بالمذهب الشيعي.

وفي دمشق أخذ عن الغزي والعمادي.

تلاميذه:

برز لداود الأنطاكي عدد كبير من التلاميذ في مختلف العلوم، من أشهرهم شهاب الدين الخفاجي.

مكانته العلمية:

كان داود الأنطاكي يتمتع بمكانة علمية واسعة حيث أنه كان رأس أطباء زمانه وشيخ العلوم الحكمية، اشتهر أيضاً بالعلوم الشرعية وبنظم الشعر. وفي الحجاز سمع له الشريف حسن أمير مكة، وشجعه على الدرس والحكمة لما له من خبرة عالية في هذا المجال.

استطاع داود الأنطاكي أن يطلع على كثير من المؤلفات المتعلقة بالعلوم الفلسفية والطبية في العصر العباسي والأندلسي والفاطمي.

وفاته :

توفي داود الأنطاكي في مكة سنة (١٠٠٨هـ) ودفن بها.

مؤلفاته:

كان لهذا العالم الجليل الكثير من المؤلفات التي تدل على نبوغه العلمي ومكانته العالية، نذكر منها على سبيل المثال.

١- استقصاء الملل وشافى الأمراض والعلل.

٢- ألفية في الطب.

٣- التحفة البكرية.

٤- الدرّة المنتخبة.

٦- رسالة في الهيئة.

- ٧- رسالة فيما يتعلق بالشعر من المسائل الطبية .
- ٨- زينة الطروس فى أحكام العقول والنفوس .
- ٩- شرح أبيات السهروردي .
- ١٠ شرح القانون لابن سينا .
- ١١- طبقات الحكماء .
- ١٢- غاية المرام فى علم الكلام .
- ١٣- الكحل النفيس .
- ١٤- نزهة الأذهان .
- ١٥- النزهة المبهجة .

مصادر الترجمة :

- ١- الأعلام (٢/٣٣٣) .
- ٢- البدر الطالع (١/٢٤٦) .
- ٣- خلاصة الأثر (٢/١٤٠) .
- ٤- شذرات الذهب (٨/٤١٥) .
- ٥- كشف الظنون (ص ٧٩، ٨٠) .
- ٦- معجم المؤلفين (١/٧٠١) .
- ٧- هدية العارفين (١/٣٦٢) .

هذا كتاب المسمى بأسواق الأسواق

وبه ليستحيب

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي طلع في بروج اعتدال الفؤاد وشموس الحاسن والجمال؛ واستنار
 السعود ببدد اللطائف والكمال؛ وزيّن أعصان القدود؛ برقان التمودة؛ وودنا
 الوجوه بزجر اللجان؛ وورد الحدود؛ والقربان ما تقلم في الثغور؛ وفلايد
 وجعل شريح البصار؛ لذوى البصائر؛ ولطافة الأضواء؛ من اجاباب الاقنات؛ براسل
 الحساء؛ فترام ران؛ اختلفت اغراضهم منزلة الاغراض؛ لوشق قسما الراجيب؛ بهم
 فكنح على تعدل امزجة فرعها منة الشامل؛ في حسن البشيل؛ ونصيفة نفس الانس
 والتبصرة؛ في الفرق بين الجهد والعقل؛ وفصلي ونسلم على من بعث بهي النفس عن
 والارشاد الى طريق العذر والاسنوي؛ والامر باغلا العقل عن النفس؛ وفيه شروا
 وتقييد مدارك الحسنة؛ وحث على تهذيب النفس؛ لا يتهيه عن الزواجر الدنية؛ سيند فاشهد
 الوصحة المتخلفين باكرم الاخلاق والاكشاف؛ وابتلال اللطافة والعفاف؛ وما نزلت
 ونظرت الحدف؛ وقانون المقلوب؛ وقالوا لفاق في بعث كل فلما دل تنويج اسئل الاجاب
 ونفريه عنو الركون والغناء مع فذل الموجد على جعل الموبوءة؛ من اسئل فاحد على نام
 النفوس من ملازمة الشيء الواحد في كل حال؛ واستراحنا في اختلاف الامار والانتروا
 وكان اعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التي هي سبيل سادف الدبقيته؛ وشيخنا الباني
 وجبا سغافنا بالمفاكيات لانفقه؛ ولاشعاد اللطيفة الرشفة؛ لنتعلم من عمال
 ونسريه؛ لغردا الى المطلوب؛ منها خيفر من كل الوهب النسب؛ وذلك من العباد

الصفحة الأولى من المخطوط

بالتأليف والاختيار والطائفة المحيوانات والاشجار ولما من الله على بقدره من العلوم العظيمة
 وتمتد بها النفس الدنياوية المكتنية وبالجملة الدنياوية المصرية فتمثلت لها بين الامثال وخدمته
 من سائرها من ارباب الفاضل من سبحة وقال كجاري عن يد السنية بتخصيلها افكار
 من العامة الشرعية بيدني رعت في خلا لا الاشغال بالاشوش الفكر وغير البالي ^{بالمبال} ومع
 شغل من يوم وحاجته واحتراي ؛ كعدت منى القولى لنفسيت
 وهي في كل ساعة في اوقار ^{في} غبت منه عن مدرك الحسنة
 فاننا وهي في الانلاز موصونا ؛ كالحبولى والصون البنسنة
 لا احد من يفتح الكروب اذا شكوت اليه ؛ ولا من اعول اذا ضاقت لامر عليه كان الرنا
 كما قيل في معنى المساوى ؛ بل المساوى ؛ فلا معين ولا معين ؛ فغير ذلك اذ راي الثاقبة
 فصرق عن بائع المارب ؛ فاعلمت الجيلة فيما به اربح النفع وانقى اللبس ؛ فانفدح في
 في الفكر بعد طول التنب ؛ ان منطى قارب لاجب فمادت من الاصحاب من مولد ^{لعبته} كما
 قال اليه ومعنى الفاترة فشرحت في جمع شئ من محاسن الخلفه ؛ وضمتها بحيث تكون في البنس
 وارا خلت بالنيع مؤلفه ؛ فكان اول ماسطرته واحكت قواعد ؛ وعروت طبعات ^{كرو}
 فيها اخبار الكيا ؛ ولما انزل اطباء ؛ ثم بعد بمجاميع مختلفه ؛ الى ان وقع اختيارى ^{خصوصا} على

الصفحة الثانية من المخطوط

وكان الفراغ من كتابته هذه الشجرة المباركة يوم الاحد ثالث عشر

شوال المكر سنة سبعين وثمانين بعد الألف من الهجرة

النبوية صلى الله عليه وآله على يد الفقير الخليل

الكبير الفقير ابن ابوالقاسم المكي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بَيْتُ الْإِسْرَاقِ
بِفَصْلِ إِشْرَاقِ الْعُشَاقِ

تأليف

العلامة الأديب داود بن عمر الأنطاكي

الترقي سنة ١٠٠٨ هـ

129667

مُتَلَمَّةٌ

الحمد لله الذى أطلع فى بروج اعتدال القدود شمس المحاسن والجمال،
وأهل^(١) فى منازل السعود^(٢) بدور اللطائف والكمال، وزين أغصان القدود^(٣)
برمان النهود، ورياض الوجوه بمرجس اللحاظ^(٤) وورد الخدود، وألف بين ما
نظم فى الثغور وقلائد النحور، وجعل تسريح الأبصار لذوى البصائر، ولطافة
الأفكار من أسباب الافتتان بتأمل الحسان، فنزلم وإن اختلفت أغراضهم منزلة
الأغراض لرشق قسى الحواجب بسهام الألحاظ.

نحمده على تعديل أمزجة فرعها صحة التأمل فى حسن التجميل، وتصفية
نفس لازمها الاستبصار والتبصر فى الفرق بين الجهل والتعقل.

ونصلى ونسلم على من بعث ينهى النفس عن الهوى، والإرشاد إلى طريق
العدل والاستواء، والأمر بإعلاء العقل على النفس، وقهر شهوات الجسم، وتقييد
مدارك الحس، فحث على تهذيب النفس الأبية عن الرذائل الدنية، سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه المتخلقين بأكرم الأخلاق والأوصاف وأجمل اللطافة والعفاف
ما نضرت الحدائق، ونظرت الحدق، وتأنق المفلق^(٥)، وتألقت الفلق^(٦).

وبعد فلما دل تنويع أصل الإيجاد، وتفريع عالم السكون والفساد - مع قدرة
الموجد على جعل ما أوجد من أصل واحد، على سأم النفس من ملازمة الشيء
الواحد فى كل حال، واستراحتها فى اختلاف الأطوار بالنظر والانتقال، وكان

(١) أهل: ظهر وطلع، كما يهل الهلال. انظر: القاموس المحيط، مادة [هلل].

(٢) منازل السعود: مجموعة كواكب عشرة، وهى من البروج. انظر: القاموس المحيط، مادة [سعد].

(٣) القدود: جمع قد: وهى القامة أى قامة الإنسان. انظر: القاموس المحيط، مادة [قدد].

(٤) اللحاظ: النظر بموخر العين عن يمين ويسار، أى نظر إليه بجانب عينه. انظر: القاموس المحيط،
مادة [لحظ].

(٥) المفلق: الشاعر الحميد، ياتى بالعجائب، انظر: لسان العرب مادة [فلق].

(٦) الفلق: الصبح، انظر: لسان العرب، مادة [فلق].

أعظم مطلوب منها تحصيل العلوم التي هي سبب السعادة الدينية، وتشديد المباني الشرعية - وجب إسعافها بالمفاكهات^(١) الأنيقة والأخبار اللطيفة الرشيقة، لتنشط من عقال^(٢) التعب وتستريح، فتعود إلى المطلوب منها خفيفة من كل الوصب^(٣) والنصب^(٤)، وذلك هو العلوم الأدبية، كالتواريخ والأخبار، ولطائف الحكايات، والأشعار.

ولما منَّ الله تعالى علىَّ بعد تحرير العلوم العقلية، وتهذيب النفس بالدقائق الحكيمة بالهجرة إلى الديار المصرية، فمثلت بها بين يدي الأمثال، وخدمت من سَمَّا فيها من أرباب الفضائل، من أيضاً شبحانه وتعالى، كجاري عوائده السنية^(٥)، بتحصيل ما أمكن من العلوم الشرعية، بيد أني رُميت في خلال الاشتغال بما شوّش الفكر، وغير البال، وهيج أليم البلبال^(٦) :

مِنْ هُمُومٍ وَحَاجَةٍ وَاغْتِرَابٍ كَدَّرَتْ مِنْى الْقُوى النَّفْسِيَّةِ
فَهىَ فى كُلِّ سَاعَةٍ فى اِزْدِيَادٍ غَبَّتْ مِنْهُ عَن مَدْرَكِ الحِسِّيَّةِ
فَأنا وهىَ فى التَّلَازُمِ صِرْنَا كَالهَيُولَى وَالصُّورَةِ الجِنْسِيَّةِ

لا أجد من يفرج الكرب إذا شكوت إليه، ولا من أعول^(٧)، إذا ضاق الأمر عليه كأن الزمان .

كما قيل:

ففى المَسَاوى بَدَا التَّسَاوى فَلَا مَعِينَ وَلَا مَعِينَ^(٨)

(١) المفاكهات مفردتها مفاكهة : المزاح والمرح. انظر: القاموس المحيط، مادة [فكه].

(٢) عَقَال: حبل عُقْد يشد به البعير فى وَسَط ذراعِهِ ويطلق على ما يجبس الإنسان. انظر: القاموس المحيط، مادة [عقل].

(٣) الوصب : المرض والتعب . انظر: القاموس المحيط، مادة [وصب].

(٤) النصب: العناء والبلاء. انظر: القاموس المحيط، مادة [نصب].

(٥) السنية: الرفيعة، العالية الشأن. انظر: القاموس المحيط، مادة [سنى].

(٦) البلبال: شدة الهم. انظر: القاموس المحيط، مادة [بلل].

(٧) أعول : أى من أستعين به واعتمد عليه. انظر: القاموس المحيط، مادة [عول].

(٨) المَعِين : المساعد . انظر : القاموس المحيط ، مادة [عون] .

فغير ذلك إدراكى الثاقب ، فقصرت عن بلوغ المآرب^(١) ، فأعملت الحيلة فيما به أريح النفس ، وأنفى اللبس فانقده فى الفكر ، بعد طول التعب وأن أمتطى غارب^(٢) الأدب فمارست من الأصحاب من هو له كالعناصر فمال إليه ذهنى الفاتر، فشرعت فى جمع شىء من محاسنه المختلفة، وضمها بحيث تكون فى الجنس و إن اختلفت بالنوع مؤتلفة .

فكان أول ما سطرته ، وأحكمت قواعده، وحررته طبقات ، ذكرت فيها أخبار الحكماء ولطائف الأطباء، ثم لم أزل أجيل النظر فى مجاميع مختلفة ، إلى أن وقع اختيارى على اختصار [أسواق الأشواق] ، المأخوذ من [مصارع العشاق] المنسوب إلى أبى بكر محمد بن جعفر البغدادى السراج^(٣)، رحمه الله، فإنه وإن كان قد جمع فيه بين جد القول وهزله، وظرائف نكت العشق وأهله، ورقيق اللفظ وجزله ؛ إذ هو صنعة وحيد زمانه، ورئيس أقرانه، وواحد عصره، ونادرة دهره، مولانا أبى الحسن إبراهيم بن حسن بن عمر الرباط الشهير بالبقاعى^(٤) ، تغمده الله برضوانه، وأسكنه فسيح جناته، إلا أنه كتاب طال فى غير طائل ، وجمع ما لا حاجة بهذه الصناعة إليه من المسائل ؛ كذكر الأسانيد، وتكرارها؛ الذى هو شأن الأحاديث النبوية لتوثيق الأحكام الدينية ؛ وكالإخلال بمحاسن الأخبار ، ولطائف الأشعار ؛ التى هى بهذا الفن أعلق من الجوى بأهل الهوى ؛ وعدم الترتيب المستلزم لاختلال التهذيب ؛ وكالإعراض عن ذكر غالب أسباب

(١) المآرب مفرد ما رب : الغاية والحاجة ، انظر : لسان العرب ، مادة [أرب]

(٢) غارب كل شىء : أعلاه . انظر : لسان العرب ، مادة [غرب] .

(٣) أبو بكر محمد بن جعفر ، هو: ابن أحمد بن الحسين السراج، القارى، البغدادى، أبو بكر من الأدباء توفى ببغداد سنة (٥٠٠هـ) . انظر: معجم المؤلفين (١٩٢/٣).

(٤) أبو الحسن هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، الخرباوى، البقاعى، الشافعى : عالم، أديب، مفسر، محدث، مؤرخ ، ولد بقرية (خربة روحا) فى البقاع، ونشأ بها، ثم تحول إلى دمشق، ثم دخل بيت المقدس، ثم القاهرة . تصانيفه: نظم الدرر فى تناسب الآى والسور، الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات. توفى سنة (٨٨٥هـ) بدمشق . انظر : الضوء اللامع (١٠١/١) ، معجم المؤلفين (٤٩/١) .

وقوع بعض العشاق في شَرَكِ الحب إلى غير ذلك، مما يظهر لتأمل كتابنا مع أصله إذا طَرَحَ الهوى وانتظم في سلك الإنصاف وأهله .

فألفت هذا الكتاب الذي هو في قلادة هذا الفن درة بيضاء ، وفي جبهة جواده غرة غراء ، أكملت فيه فوائده ، ورددت شوارده وأضفت ما نبذه ظهرياً^(١) ولم آت شيئاً فرجياً ، فزاد على أصله بأمور اثني عشر :

أحدها : وهو الأعظم ؛ تبديل ما في الباب العاشر ، الذي سماه : بالشارع الجامع لما في المصارع بما هو خليق بهذا الاسم وجدير بهذا الرسم ، ضمنته ما حل مما تقدمه محل الأصول من الفروع ، كجعلك الغيرة أصلاً لنحو حكاية ديك الجن^(٢) ، وكتّم الأسرار ، لنحو صاحب الجارية في عرفة ، وتأمّل الخيال ، لنحو من عشق في نومه ، إلى غير ذلك ، وجمعت فيه ديوان الصبابة وغيره ، وهو نمط ما بسط قبل .

وثانيها : حسن التقسيم في الأبواب .

وثالثها : لطف الترتيب وضم الأنواع المتماثلة .

ورابعها : حذف الأسانيد والتكرار ، مع ذكر ما اختلف بإشارات ؛ كان ، وقيل .

وخامسها : ذكر السبب الموقع لصاحب الحكاية فيها .

وسادسها : تمييز من جهل شيئاً من أحواله ممن علم بسائر أقواله وأفعاله .

وسابعها : تفصيل من علق الأحرار من أهل الرق ، والمسلمين من أهل الشرك ، وأمثال ذلك من قديم ومحدث .

وثامنها : ذكر ما في الأصل من الألفاظ اللغوية ، مفسراً ذلك بإزائه مبدلاً ذلك بأوضح منه .

وتاسعها : شرح ما في الأشعار من الغريب .

(١) ظهرياً: جعله وراء ظهره . انظر: القاموس المحيط، مادة [ظهر].

(٢) ديك الجن ، هو : عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي ، شاعر جيد ،

اتسم شعره بالجنون ، وهو من شعراء العصر العباسي ، سمى بديك الجن ، لأن عينيه

كانتا خضراوتين ، ولد وتوفي بجمص سنة (٢٣٥هـ) . انظر : وفيات الأعيان (١/٢٩٣) ،

الأعلام (٥/٤) .

وعاشرها : تعليل الأسباب المتعلقة بهذا الفن بالعلل الحكيمية ، مأخوذاً من الأصول والأدلة الفلسفية والقواعد الطبية .

وحادى عشرها : ذكر تعلق هذا الفن بأنواع المواليد الثلاثة ، وكيفية دخوله فيها .

وثانى عشرها : الزيادات فى الأبواب، وربما كانت أنواعاً مستقلة ، وتكميلاً لما وجد بعضه فى الجملة ، وربما زاد عليه بأشياء غير المذكورة فى مطاوى^(١) معانيه؛ فتر عن استحضارها الذهن هنا .

كل ذلك مما استخرجه فكرى القاصر ، وذهنى الفاتر، أو ظفرت به فى كتب، ربما أسمى بعضها فيه .

هذا كله ، مع إنى والله لم أخل فى يوم من أيام عمله من مشوش طارئ على ما عندى مما سبقت الإشارة إلى ذكره .

ولما كمل واتسق وانتظم فى أكمل نسق ، سميته [بتزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق] ورتبته على مقدمة ، وخمسة أبواب ، وخاتمة .

والله المسئول أن ينفع به فيما قصد بترتيبه ، وأن يوفقنا إلى أصح القول وتهذيبه ، إنه أكرم من أعطى المراد ، وسئل فجاد .

فالمقدمة : فيما جاء فيه من الأخبار والآثار ، ويلى ذلك أربعة فصول :

الأول : فى الترغيب فيه .

والثانى : فى رسمه .

والثالث : فى مراتبه .

والرابع : فى علاماته .

والباب الأول : فى مصارع محبى الله تعالى ، وفيه فصل ميزنا فيه من قتله التذكر بنحو سماع آية .

والباب الثانى : فى عشاق الجوارى ، وهو ستة أقسام :

الأول : فىمن اشتهر .

(١) المطاوى : الشيء المخفى . انظر : القاموس المحيط ، مادة [طوى] .

الثانى: فيمن جهل.

الثالث: فى عشاق الإمام .

الرابع : فيمن حظى بالتلاق بعد تجرع كأس من الفراق .

الخامس: فيمن وسعوا بالفساق من العشاق .

السادس : فيمن نكث الصحبة وحل عقد المحبة .

وفى كل قسم أصناف وأنواع ؛ بحسب ما احتمله المقام من صحة الانقسام.

والباب الثالث: فى عشاق الغلمان وهو أربعة أقسام :

الأول : فيمن استلب الهوى نفسه.

الثانى : فيمن جهل حاله.

الثالث: فيمن ظفر بمطلوبه.

الرابع: فيمن منعه الزهد والعبادة أن يقضى مراده .

وألحقت ذلك بخاتمة تشتمل على ذكر الدواء للسلو^(١) عن الهوى.

والباب الرابع: فى ذكر دخول العشق فيما سوى البشر، وهو نوعان:

الأول: فى الجن .

والثانى: فى الحيوان، والنبات، والمعدن، والعناصر، والأفلاك.

والباب الخامس: قد اشتمل على فصول؛ كل فصل منها قد احتوى على

النكت والعجائب واللطائف والغرائب من أصول هذه الصناعة، وقد ألزمت

نفسى أن أفتح كل فصل منه بكلام أستاذ الحقيقة ، ورئيس أهل الطريقة ،

مُسكت كل لفظ ، ومبين مافى الطريق من القواطع والعوارض، سيدى :

عمر بن الفارض^(٢) غمنا الله تعالى ببركاته، وطيبنا بنفحاته، متبعاً ذلك بما تيسر

(١) السلو: النسيان. انظر: القاموس المحيط، مادة [سلا].

(٢) عمر بن الفارض؛ هو: عمر بن على بن المرشد بن على، الحموى الأصل، المصرى، شرف

الدين، أبو حفص ، سلطان العاشقين ، شاعر ، صوفى . أصله من حماة، وولد بالقاهرة سنة

(٥٧٦هـ) اشتغل بفقهِ الشافعية، وأخذ الحديث من ابن عساكر، ثم حجب إليه سلوك طريق

الصوفية، فتزهد وانعزل عن الناس. انظر: سير النبلاء (٢١٢/١٣)، وفيات الأعيان

(٤٨٣/١)، معجم المؤلفين (٥٦٨/٢) .

من حل ألفاظه حسب ما سنح^(١) في الذهن، ثم أقول بعد انتهاء متعلق الطريقة،
رجع إلى كلام المترسمين^(٢) من أهل الظاهر.

وأختم الفصل بما سمحت به القريحة^(٣) الفاترة، والفكرة القاصرة؛ من لطائف
النظم المناسب، لما ذكر عن أهل الصناعة هنالك، وأتبعت الفصول بتتمة في
لطائف الغزل الخاص والعام، وتقسيم ذلك.

وأما الخاتمة: ففي لطائف ونكت متفرقة، لا لتزم تعلقها بالعشق، وبها يتم
الكتاب.

(١) سنح: عرض. انظر: القاموس المحيط، مادة [سنح].

(٢) المترسم: المختص. انظر: القاموس المحيط، مادة [رسم].

(٣) القريحة: الملكة الخاصة بالشاعر التي يستعين بها على الإجابة. انظر: القاموس المحيط،
مادة [قرح].



في ما جاء في العشق من الأحاديث
والآثار وفي حده ومراقبه

فيما جاء في العشق من الأحاديث والآثار وفي حده ومراتبه

اعلم أن واهب الصور لما صدر عنه العقل كان أعظم صادر لقربه من الكمال الذاتي فالعود إليه، وطلب القرب منه واجب على كل ذي نفس قدسية، ومن ثم تطابقت الأدوار شاهدة بذلك ويدل له عموم: ((فقال له: أقبل))^(١) الحديث .
وعنه النفس الكلية ثم تسما الأجسام الفلكية والعنصرية كما هو في محله، إلى أن كان أشرف النفوس وأرفعها على الإطلاق النفس الإنسانية، ولشبه الشيء بأصوله - كما هو واضح مقرر في محله بالبراهين - انقسمت هذه النفس باعتبار أصولها إلى ثلاثة أقسام :

أحدها : النفوس المعدنية؛ وهي الجامدة، التي لا تعقل ما يراد منها، ولا تعرف إلا ما تقوم به بنيتها، ويصدر عنها، وذلك إما بالخاصية، أو بأمر أو دَعَا صَانِعُهَا فيها لمصالح يعلمها؛ ويشهد لذلك ما يشاهد من صور في الجبال والطين ونحوهما.
وثانيها: النباتية؛ وهي أرفع من الأولى، باعتبار الذبول، والتحلل الظاهر.
وثالثها: الحيوانية؛ وتفضل السابقة بالحركة الإرادية والحسَّاسية، ونحوهما من العوارض .

ثم كل واحدة من هذه الثلاث تنقسم باعتبار ما تشابهه من النوع، كأنقسامه في نفسه، وذلك كأنقسام :

(١) جزء من حديث: ((لما خلق الله العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، قال له: أدبر، فأدبر...)) ذكره صاحب كنز العلوم (٧٠٥٨) وعزاه للطبراني عن أبي إمامة، وقال الزركشي: كذب موضوع، ومن قبله ابن تيمية، قال الشيخ الألباني في تعليقه على هذا الحديث وغيره من أحاديث مدح العقل: وكل ما ورد في العقل من الأحاديث فلا تصح منه شيء، بل أطلق ابن تيمية عليها كلها بالوضع .

قال ابن الجوزي: المنقول عن رسول الله ﷺ كثير، إلا أنه بعيد الثبوت، وقال أبو حاتم ابن حبان الحافظ: لست أحفظ عن النبي ﷺ خبراً صحيحاً في العقل. قلت: وهذا كله لا يمنع من شرف العقل وفضله حيث إنه مناط التكليف، وكفى. انظر: كشف الخفا (١٤٨/٢)، ذم الهوى ص ١٥، المشكاة (٥٠٦٦).

الأولى: إلى ما يكون صافى الجوهر جيده ، كالياقوت والذهب .

والثانية: إلى ما هو كثير النفع طيب الطعم والرائحة ، كالعنبر ، والعود .

والثالثة: إلى ما هو صالح للنفع والزينة كالخيل، وإلى شجاع كالأسد، وخبيث

كالنمر، وحافظ للعهد كالكلب، وقوام على حفظ ما يستحفظ كالقرد، ونظائر ذلك .

ولما كانت النفس الإنسانية زبدة^(١) الكائنات ، وخاتمة طرفى سلسلة العلل

والمعلولات ، لا جرم كانت مقتدرة على أن تتبع شهوات الجسم وعوارض

الكثيف ، فتكون حيوانية بحتة، أو تعمل فى خلاص النفس من ظلمة الطبيعة

وقفص الجسم ، فتحلق بعالمها الأسمى ؛ وهى النفس الملكية المقررة بالمبدأ والمعاد،

المخلصة من محض الكثافة ، المنتظمة فى سلك محض اللطافة، أو تجمع بين الأمرين

وتؤلف بين الطريقتين ، وهذه هى الإنسان المطلق .

والأولى: الحيوانى .

والثانية: الملكى .

فقد بان لك أن الإنسان منقسم كأصله ومميز بفعله، ثم لا شبهة فى انقسام

كل كالممتسب إليه ، ويكون كماله منزلاً عليه .

فالحكيم محتاج فى إصلاح :

الأولى: إلى ما يكون بمجرد حسن اللفظ والسياسة كالطيور ، أو بالضرب

والإهانة كالدب والحمار، وبإطعام الطعام كالخيل والكلاب ، أو بالإرسال

والجذب والتحفظ من غدرها كالأسود والجمال .

والثانية: وإن تفاوتت مراتبها ، غنية عن الإصلاح إلا من قبل مبدعها .

والثالثة: هى المحتاجة إلى العلاج وملاطفة المزاج ، والعشق الحقيقى لها غالباً ،

لأنه تابع للأمزجة، ولأن عشق الملكى والحيوانى بسيط .

إذ الأول : يكون لمحض ذات واجب الوجود ومبدع الفيض والوجود .

والثانى: لمحض قضاء شهوات الجسم الفاسدة الناشئة عن الفكر الجامدة .

إذا تقرر هذا فاعلم أن العشق بعد أن سمعت ما سمعت ؛ يختلف باختلاف

المزاج على أنحاء أربعة :

(١) زبدة: زبدة الشىء ، أفضله وأحسنه . انظر : القاموس المحيط، مادة [زبد].

سريع التعلق والزوال : كما في الصفراوين^(١) .
وعكسه : كما في السوداوين^(٢) .
وسريع التعلق بطيء الزوال : كما في الدمويين^(٣) .
وعكسه : كما في البلغميين^(٤)، ومثل هذه مراتب الحفظ والنسيان .
وأما المعتدل : فيكون العشق فيه كذلك، فعلى هذا يكون قولهم : لكل أحد صبوة إلا من جفت خلقتة ، أو نقصت بنيته ، أو خرجت عن الاعتدال أمزجته ؛ محمولاً على الاعتدال النسبي ، الذي إذا حصل لشخص كان به على ما ينبغي أن يكون عليه، لا الحقيقي لعزة وجوده ولزوم ندور العشق حينئذ ، والواقع خلافه ، ثم هو متى وقع على ما وصفناه أمكن حصول المزايا المذكورة فيه .
فقد قال الأستاذان: أقل مزاياه ؛ تعليم الكرم ، والشجاعة ، والنظافة ، وحسن الأخلاق ، وذلك أن غاية مراد العاشق رضا معشوقه، ورضا المعشوق يكون بإنصاف العاشق بما يوجب المدح ، ويحسن المرتبة في القلب .
فعلى ثبوت هاتين المقدمتين ينتج ما قلناه، واللازم واقع، فكذا الملزوم ، وبيان الملازمة ظاهر .

و إيضاحه : أن العاشق وإن بخل جداً ، فلا يمكن بخله على المعشوق، ومنه يتطرق الحال إلى من يعلم أنه متى بخل عليه أوصل الأمر إلى معشوقه، وهكذا فيؤدي الحال إلى مطلق الكرم، وكذا باقى السجايا المذكورة، ولذلك جاء

(١) الصفراويون : نوع من أنواع الأمزجة النفسية قديماً ، وهو الذى غلبت عليه الحرارة واليبس، ويكون صاحب هذا المزاج الحار الملمس من الشعر ، ضحوكاً ، طيب النفس . انظر : كنز العلوم ، لابن تومرت ، ص ٩٩ .

(٢) السوداويون : وهو الذى غلب عليه البرد مع اليبس، ويكون صاحب هذا المزاج صلب البدن، قليل اللحم، بطيء الحركات . انظر : كنز العلوم ، لابن تومرت ، ص ١٠٠ .

(٣) الدمويون : وهو الذى غلبت عليه الحرارة والرطوبة، ويكون صاحب هذا المزاج ذكى الفهم، شجاعاً، حار الملمس ، خفيف الحركات . انظر : كنز العلوم ، لابن تومرت ، ص ١٠٦ .

(٤) البلغميون : وهو الذى غلب عليه البرد والرطوبة، ويكون صاحب هذا المزاج ثقيل البدن، كثير اللحم، بارد الملمس ، بليد الفهم . انظر : كنز العلوم ، لابن تومرت ، ص ٨٤ .

الناموس^(١) الشرعى بمطابقة القانون الحكيمى ، كما هو شأن الشارع فى غير هذا أيضا ليكون التطابق بين الحكمة والشرع فى كل شىء ، ولا عبرة بكلام بعض الأغبياء.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : «من عشق فعف فمات فدخل الجنة» ، زاد الخطيب عنه : «فظفر» ، ثم أبدل قوله : «دخل الجنة» ، بقوله : «مات شهيداً» ، وفى أخرى : «وكتم» .

والحديث^(٢) : بسائر ما ذكر ، صححه مغلطاي ، وأحمله^(٣) البيهقى والجرجاني والحاكم فى التاريخ بضعف سويد وتفرد به ، ورواه ابن الجوزى مرفوعاً ، وأبو محمد بن الحسين موقوفاً .

وأخرج الخطيب عن عائشة ، رفعه أيضاً .

وحاصل الأمر : ما صحته أو حسنه ، والجواب عن تفرد سويد : المنع بوروده عن غيره ، وحكايته تحديثاً وكونه قبل عماء ؛ فلا تدليس ، وإذ قد ثبت فهو شاهد بما قلناه ، لأن غاية الغايات : دخول الجنة ، وهو مستلزم لرضا الله الذى لا مطلب أعلى منه .

وقد جعلت مقدمة هذا المطلب العالى ؛ العفة ، وهى مذهب الحكماء ، بل أساس الحكمة ، وهى كما صرح به المعلم^(٤) ثمرة الإصل الطاهر ؛ لأن أعلى الخلق الرضا والمزاج المعتدل ، ومنها الكتم وهى ثمرة المروءة والشهامة ، وكلاهما : مستلزم علو النفس وصحة المزاج ، فقد اتضح ما قلناه .

(١) الناموس : الوحى ، أو الشريعة والقانون الشرعى . انظر : القاموس المحيط ، مادة [نمس] .

(٢) الحديث : هذا الحديث فيه كلام كثير ، نذكر بعض ما قاله العجلونى فى كشف الخفاء ، قال :

رواه الخطيب فى ترجمة محمد بن داود الأصبهاني عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ : «فهو شهيد»

ورواه جعفر السراج فى مصارع العشاق عن سويد ، ورواه ابن المرزبان عن أبى بكر الأزرق

عن سويد موقوفاً ، وقال : إن شيخه كان حدثه مرفوعاً ، فعاتبه فيه ، فاسقط الرفع ، ثم صار

بعده يرويه موقوفاً ، وهو مما أنكر يحيى بن معين وغيره على سويد ، الزبير بن بكار عن مجاهد

مرفوعاً بسند صحيح ، وذكره ابن خحزم كشف الخفاء (٣٤٦/٢) ، كنز العمال (١١١٧٩)

الاسرار المرفوعة لعلى القارى العلل المتناهية (٢٨٦/٢) .

(٣) أحمله ، بمعنى : الاضطراب والضعف .

(٤) المعلم ، هو : سقراط بن سُفْرُنِسْقوس ، الفيلسوف اليونانى من أهل أثينه هكذا يطلق عليه

عند أصحاب الفن . انظر : قصة الفلسفة اليونانية ، ص ١٠٥ .

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ : ((إِنَّ اللَّهَ لِيَعْجَبُ مِنْ شَابٍ لَا صَبَوَةَ لَهُ))^(١).

ووجه الإعجاب ؛ القدرة على حكم زمام النفس وزجرها ، مع تركيب الشهية ، وتوفير الدواعي ، وما تكلفه في الأصل من أن المراد بالإعجاب أثره واضح لا يحتاج إليه ؛ لأنه وما شاكلة من الرحمة ، التي هي رقة القلب لا تكون إلا لذي المزاج ، ولما علم بالضرورة تنزهه تعالى عن الأجسام والأعراض ، علم برؤيه من لوازمها ، فما وقع مما يوهم شيئاً فالمراد لازمه ، ولصحة هذا الحديث واشتهاره بين الأكابر جاء تضمينه في أشعارهم كثيراً ، فمن ألطف ما قيل في ذلك .

قول ابن الصائغ^(٢) :

سَأْتِكُمْ مَا أَلْقَاهُ يَا نَوْرَ نَاطِرِي	مِنَ الْأَجْرِ كَيْلًا يَذْهَبَ الْأَجْرُ بَاطِلًا
فَقَدْ جَاءَنَا عَنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ أَحْمَدٍ	وَمَنْ كَانَ بَرًّا بِالْعِبَادِ وَوَأَصِلًا
بِأَنَّ الَّذِي فِي الْحُبِّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ	يَمُوتُ شَهِيدًا فِي الْفَرَادِيسِ نَازِلًا
رَوَاهُ سُؤَيْدٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُسَهَّرٍ	فَمَا فِيهِ مِنْ شَكٍّ لِمَنْ كَانَ عَاقِلًا
وَمَاذَا كَثِيرٌ لِلَّذِي مَاتَ مُغْرَمًا	سَقِيمًا عَلِيًّا بِأَهْوَى مُتَشَاغِلًا

وألطف من ذلك : ما حكاه التاج السبكي^(٣) في الطبقات الكبرى^(٤) .

- (١) الحديث : أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥١/٤) وابن عاصم في السنة (٢٥٠/١) .
- (٢) ابن الصائغ ، هو : محمد بن الحسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي ، المصري الأصل ، الدمشقي ، أديب ، ناظم ، ناثر ، عروضي ، بياني ، لغوي ، نحوي . ولد بدمشق ، وتوفي بها سنة (٧٢٠هـ) انظر : طبقات النحاة واللغويين ص ٣٣ ، معجم المؤلفين (٢٢٠/٣) .
- (٣) التاج السبكي ، هو : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري ، الشافعي ، أبو نصر ، فقيه ، أصولي ، مؤرخ ، أديب ، ولد بالقاهرة ، وقدم دمشق مع والده ، ولزم النهبي ، وولى قضاء وخطابة الجامع الأموي ، وتوفي بها سنة (٧٧١هـ) . انظر : الدرر الكامنة لابن حجر (٤٢٥/٢) ، شذرات الذهب (٢٢١/٦) ، معجم المؤلفين (٣٤٣/٢) .
- (٤) انظر : الطبقات الكبرى (١٢٤/٥) .

عن أبي نواس^(١) قال: مضيت إلى باب أزهر^(٢) ، والمحدثون ينتظرون خروجه ،
فما كان إلا أن خرج ، وجعل يعظهم واحداً بعد واحد ، حتى التفت إلى .
فقال : ما حاجتك؟

فقلت :

ولقد كتتم رويتهم عن سعيد عن قتادة
عن سعيد بن المسيب أن سعيد بن عبادة
قال من مات مُجِياً فلله أجر الشهادة

فقال أزهر : نعم، وذكر الحديث .
ولأبي نواس أيضاً:

حدثنا الحفاف عن وائل وخالد الخذاء عن جابر
وُسْعَرٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ يَرْفَعُهُ الشَّيْخُ إِلَى عَامِرِ
وَابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ سَعِيدٍ وَعَنْ قَتَادَةَ الْمَاضِي وَعَنْ غَابِرِ
قَالُوا جَمِيعًا أَيُّمَا طِفْلَةٍ عَلِقَهَا ذُو خُلُقٍ طَاهِرِ
فَوَاصَلْتَهُ ثُمَّ دَامَتْ لَهُ عَلَى وَصَالِ الْخَافِظِ الدَّاكِرِ
كَانَتْ لَهَا الْجَنَّةُ مَبْدُولَةً تَمْهَرُحُ فِي مَرْتَعِهَا الزَّاهِرِ
وَأَيُّ مَعْشُوقٍ جَفَا عَاشِقًا بَعْدَ وَصَالِ نَاعِمٍ نَاضِرِ
فَفِي عَذَابِ اللَّهِ مَشْوَى لَهُ بُغْدًا لَهُ مِنْ ظَالِمٍ غَادِرِ

(١) أبو نواس ، هو : الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح ، الحكمي بالولاء ، المعروف بأبي نواس ، أبو علي . أديب ، شاعر ، ولد بالأهواز من بلاد خوزستان ، ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد ، فاتصل بالخلفاء من بني عباس ، ومدح بعضهم ، وخرج إلى دمشق ومنها إلى مصر ، ثم عاد إلى بغداد وتوفي بها سنة (١٩٦هـ) . انظر: الواقفي للصفدي (٤٥/١١) ، العمدة لابن رشيقي (٦٣/١) ، معجم المؤلفين (٥٩٦/١) .

(٢) أزهر ، هو : أزهر بن سعد الباهلي بالولاء ، أبو بكر ، السمان ، محدث ، عالم ، زاهد ، من أهل البصرة ، كان يتردد على المنصور العباسي ، وله معه أخبار توفي سنة (٢٠٣هـ) . انظر: وفيات الأعيان (٦٢/١) ، تهذيب التهذيب (٢٠٢/١) ، الأعلام (٢٩١/١) .

وفي رستاق الاتفاق في ملح شعراء الآفاق لابن المبارك الإمام:

حدثنا سُفْيَانُ عَنْ جَابِرٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ سَهْلِ السَّاعِدِيِّ

يُرْفَعُهُ مَنْ مَاتَ عَشِقًا فَقَدْ اسْتَوْجِبَ الْأَجْرَ مِنَ الْمَاجِدِ

وأما الآثار : فكثيره لا تكاد تحصى ، ولكن نورد ألفتها كما هو شأننا .

فمن ذلك : ما روى عن المهدي قال: أشتهى أن أصلى على جنازة عاشقٍ

مات في الحب.

وكان شريح^(١) يكثر الجلوس في الطرقات، ويقول : لعلى أرى صورة حسنة.

وكان الليث^(٢) قاضى مصر يكتب فى فتيا فسمع جارياً يقول:

ترى فى الحكومة يا سيدى على من تغشيق أن تُقتلا؟

فرمى القلم من يده وهو يقول: لا.

وعن ابن عباس: الهوى إله معبود .

فقليل له: أتقول ذلك ؟

فقال: نعم أليس الله تعالى يقول ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقال العباس بن الأحنف^(٣):

وَبِحَ الْمَجِيْنِ مَا أَشَقَى جَدودَهُمْ إِنْ كَانَ مِثْلُ الَّذِي بى للمحينا

يَشَقُونَ فى هذه الدنيا بعشيقِهِمْ لا يُدِرُّكَونَ بها دينا ولا دينا

يَرِقُّ قلبى لأهل العشقِ إلهم إذا رأونى وما ألقى يرقونا

(١) شريح ، هو : الفقيه أبو أمية ، ابن الحارث بن قيس بن الجهم الكندى ، قاضى الكوفة ،

حدث عن عمر وعلى وعبد الرحمن بن أبى بكر ، توفى سنة (١٠٨هـ) . انظر : طبقات ابن

سعد (١٣١/٦) تاريخ ابن عساكر (١٩/٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠٠/٤) .

(٢) الليث ، هو: ابن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث، الفهمى ، المصرى ، الفقيه ، روى عن يزيد

بن أبى حبيب ، ومحمد بن مسلم ، وعن نافع مولى ابن عمر ، توفى سنة (١٦٥هـ) . انظر:

حلية الأولياء (٣١٨/٧) ، تاريخ بغداد (٣/١٣) ، تاريخ دمشق (٣٤١/٥٠) .

(٣) العباس بن الأحنف ، هو : ابن الأسود بن طلحة الحنفى، اليمامى، أبو الفضل. شاعر ، نشأ ببغداد ،

وله أخبار كثيرة مع هارون الرشيد وغيره، وتوفى ببغداد سنة (١٩٢هـ) ، والبيتان فى ديوانه

ص-٢٨٦ . انظر: تاريخ بغداد (١٢٧/١٢) ، وفيات الأعيان (٣٠٧/١) ، معجم المؤلفين (٣١/٢) .

وله أيضاً^(١) :

أيها النادبُ قومًا هلكتُموا صارت الأرضُ عليهم طبَّقا
أنذبُ العُشاقَ لا غيرهم إنما الهالكُ من قد عَشَّقا

وأخرج ابن الحسين الجاذري : عن معن بن عيسى^(٢) قال: دخل سحنون
على مالك فقال : يا إمام اجعلني في حل من أبيات قتلها فيك .

فقال : -وقد ظن أنه هجاه- أنت في حل من ذلك .

فأنشد الأبيات بين يديه وهي:

سَلُوا مالكَ المفتى عن اللهو والغنا وحبُّ الحسانِ المعجباتِ الفوارِكِ^(٣)
يُنَبِّئُكُمْ أنى مصابُ وإنما أسلَى همومَ النفسِ عنى بذلكِ
فهل في مُحبِّ يكتُمُ الحبُّ والهوى ألامٌ وهل في ضُمَّةِ التَّهَالِكِ

فضحك وقال: لا إن شاء الله.

وأظرف من ذلك ما أخرجه أبو نعيم في الحلية^(٤) : عن الربيع بن
سليمان، قال: دخل شاب على الشافعي برقعة فوقع فيها بعد ما نظر وناوله
إياها، فتبعته على أنها فتياً أكتبها فإذا هي:

سَلِ العالِمَ المَكِّيَّ هل في تزاورٍ وضُمَّمٌ لمشتاقِ الفؤادِ جُنَاحُ
فكتب تحته:

أقولُ معاذَ اللهِ أن يُذهِبَ التَّقَى تلاصُقُ أكبادِ بهنِّ جِراحُ

(١) انظر : ديوانه ، ص ٢١٨ .

(٢) معن بن عيسى ، هو : ابن يحيى بن دينار ، الإمام الحافظ ، الثبت ، أبو يحيى المدني ، القزاز ،
مولى أشجع ، حدث عن مالك ، ابن أبي الذئب ومعاوية بن صالح وغيرهم . أثبت أصحاب
مالك وأوثقهم . توفي بالمدينة سنة (١٩٨هـ) . انظر: طبقات ابن سعد (٤٣٧/٥) ، شذرات
الذهب (٣٥٥/١) ، سير أعلام النبلاء (٣٠٤/٩) .

(٣) الفوارك ، جمع فارك : وهي المرأة التي تتدلل على زوجها ، انظر : القاموس المحيط ، مادة
[فَرِك] .

(٤) الخبر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥٨/٧) .

فأنكرت كتابته لمثل هذا الشاب وذكرته له .
 فقال : إنه هاشمي وقد دخل بعرسه في هذا الشهر ، يعني ؛ رمضان فسأل عن
 الضم والتقبيل هل يفسدان الصوم ، فقلت : لا .
 قال الربيع : فعاودته فإذا الأمر كذلك فعجبت من فراسته .
 وحكى في الأصل عن ابن حجر قال : أخرج أبو نعيم^(١) أيضاً عن ابن
 سيرين^(٢) : أنهم كانوا يعشقون بلا رية .

وفي الطبقات الكبرى^(٣) لابن السبكي ، وحكاها في الأصل متردداً :
 قال : كتب جلال الدولة إلى أبي الطيب الطبري^(٤) سؤالاً صورته :
 يا أيها العالم ماذا ترى في عاشقٍ ذابَ من الوجدِ
 من حُبِّ ظبيٍّ أهيفٍ أغيدٍ سهلِ المَحْيَا حَسَنِ القَدِّ^(٥)
 فهل ترى تقيله جائزاً في النَّخْرِ والعَيْنينِ والخَدِّ
 من غيرِ ما فُحشٍ ولا رِيَّةٍ بَلْ بِعِناقِ جَائِزِ الخَدِّ^(٦)
 إن أنت لم تُفْتِ فباني إذا أصيحُ من وَجْدِي وأُسْتَعْدِي

(١) الخبير أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥٩/٨) .

(٢) ابن سيرين ، هو : محمد بن سيرين ، الأنسي ، البصري ، أبو بكر الأنصاري ، الإمام ، شيخ
 الإسلام سمع من أبا هريرة ، وعمران بن حصين ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ،
 وغيرهم . وروى عنه قتادة ، وأيوب ، ابن عون ، وغيرهم . توفي سنة (١١٠هـ) . انظر :
 الحلية (٢٦٣/٢) ، تاريخ ابن عساكر (٢١٠/١٥) ، سير النبلاء (٦٠٦/٤) .

(٣) انظر : الطبقات الكبرى (١٢٠/٤) .

(٤) أبو الطيب الطبري ، هو : طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر ، البغدادي . فقيه ، أصولي ،
 جدلي ، ولد بأمل طبرستان وسمع الحديث بجرجان ونيسابور وبغداد ، تولى القضاء ، وتوفي
 ببغداد سنة (٥٤٠هـ) من تصانيفه : شرح مختصر المزني في فروع الفقه الشافعي ، كتاب في
 طبقات الشافعية . انظر : البداية والنهاية (٧٩/١٢) ، طبقات الشافعية (١٧٦/٣) ، معجم
 المؤلفين (١٢/٢) .

(٥) أهيف : الرشيق ، دقيق الخصر . انظر : القاموس المحيط ، مادة [هيف] ، أغيد : المرأة اللينة الناعمة .
 انظر : القاموس المحيط ، مادة [غيد] .

(٦) الفحش : القبيح من الفعل والقول . انظر : القاموس المحيط ، مادة [فحش]

فأجابه :

يا أيها السائل إنى أرى تقبيلك العين مع الخد
 يفضى إلى ما بعده فاجتنب قبلته بالجد والجهد
 فإن من يرتع فى روضة لابد أن يجنى من الورد
 وإن من تحسبه ناسكاً لابد أن يغلب بالوجد
 فاستشعر العفة واغص الهوى نسلم لك الدين مع الود
 تغنيك عنه كاعب ناهد تضمها بالملك والعقد
 تملك منها كلما تشتهى من غير ما فخش ولا رد
 هذا جوابى لقتيل الهوى فلا تكن بالحق تسعدى

وأخرج الخطيب البغدادي^(١) : عن الغزى قال: رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا
 من أول الليل إلى الغداة ، ثم قاما إلى الصلاة^(٢) .

وفى معناه : أنشد العلامة محمود^(٣) لنفسه وهو من لزوم ما لا يلزم :

لله وقفة عاشقين تلاقيا من بعد طول نوى وبعد مزار^(٤)
 يتعاطيان من الغرام مدامة زادتهما بعداً من الأوزار^(٥)
 صدقا الغرام فلم يمل طرف إلى فخش ولا كف لحل إزار
 فتلاقيا وتفرقا وكلاهما لم يخش مطعن عائب أزارى

ومنه ما حكى عن بعضهم قال: حكى لى امرأة عن شخص هويها وهويته ،
 أنه قال لها يوماً: هل لك أن نحقق ما قيل فينا.

(١) الخبر : أرجه الخطيب فى تاريخه (١٢٠/٩) .

(٢) قلت : وهذا يخالف ما جاء به الشارع كما فى الحديث .

(٣) العلامة محمود ، هو: محمود بن سلمان بن فهد الحلبي، الدمشقي، الحنبلي، أبو الثناء، شهاب

الدين. أديب، لغوى، ناظم، شاعر. ولد بحلب، وسمع الحديث، وأخذ الفقه. توفى سنة

(٧٢٥هـ) من تصانيفه: مقامة العشاق ، منازل الأحباب ومنازة الألباب. انظر: الدرر الكامنة

(٣٢٤/٤) شذرات الذهب (٦٩/٦) معجم المؤلفين (٨٠٩/٣).

(٤) النوى : البعد. انظر: القاموس المحيط ، مادة [نوى].

(٥) المدام : الخمر . انظر : القاموس المحيط ، مادة [دام] .

فَقَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ وَأَنَا أَقْرَأُ ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] .

وقيل لأعرابي ليلة تزويج محبوبته: أيسرك أن تظفر بها .

قال : نعم .

قيل: فما كنت تصنع بها ؟

قال: أطيع الحب في لثمها^(١) وأعصى الشيطان في إثمها .

وعن الأصمعي^(٢) : قيل لأعرابي: ما تصنع إن ظفرت بمحبوتك ؟

قال : أمتع عيني من وجهها، وسمعي من حديثها ، وأستر منها ما يحرم كشفه

إلا عند حله .

و أنشد أبو القاسم^(٣) في المعنى : وإن كان فيه بُعد ؛ لأنك تعتبر الحياء من

الإيمان اللازم للعفة وخوف الله تعالى:

كَمْ قَدْ خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَى فِيمَنْعُنِي مِنْهُ الْحَيَاءُ وَقَدْ أَوْدَى بِمَعْقُولِي^(٤)

يَأْبَى الْحَيَاءُ وَشَيْبِي أَنْ أَلَمَ بِهِ وَخَشْيَةُ اللَّوْمِ مِنْ قَالَ وَمَنْ قِيلَ

وأصرح منه في المقصود ما أنشده إبراهيم بن عرفة :

كَمْ قَدْ ظَفَرْتُ بِمَنْ أَهْوَى فِيمَنْعُنِي مِنْهُ الْحَيَاءُ وَخَوْفُ اللَّهِ وَالْحَذَرُ

(١) اللثم : التقبيل ، انظر : لسان العرب ، مادة [لثم] .

(٢) الأصمعي ، هو : عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، أبو سعيد ، صاحب اللغة ، والغريب ، والملح ، من أهل البصرة ، وقدم بغداد في عهد هارون الرشيد . من تصانيفه : خلق الإنسان ، المترادف ، شرح ديوان ذي الرمة توفى بالبصرة سنة (٢١٦هـ) . انظر: تاريخ بغداد (٤١٠/١٠) ، الأعلام (٤/١٦٢) .

(٣) أبو القاسم ، هو : عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي ، النهاوندي ، الزجاجي ، نحوي ، لغوي ، أصله من نهاوند ، وسكن بغداد ونشأ بها ، من تصانيفه : المخترع في القوافي ، الإيضاح في علل النحو ، المجموع في معرفة أنواع الشعر . وتوفى بدمشق سنة (٣٣٧هـ) . انظر: تاريخ دمشق (٩/٤٣٢) ، سير أعلام النبلاء (١/١١٨) ، معجم المؤلفين (٢/٧٨) .

(٤) أودى : هلك . انظر : القاموس المحيط ، مادة [ودى] .

وكم خلوتُ بمن أهوى فيقنعني منه الفكاهةُ والتَّخْدِيثُ والنَّظْرُ
 أهوى الحِسَانَ وأهوى أن أجالِسَهُم وليس لي في حرامٍ مِنْهُم وَطَرُ
 كذلك الحُبُّ لا إِيَّانَ معصيةٍ لا خيرَ في لذةٍ من بَعْدَها سَقَرُ

وأخرج صاحب الأصل : عن سعيد بن عقبة الهمداني . قال لأعرابي حضر
 مجلسه : ممن الرجل؟

قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا .

فقال : عُذْرِيُ وربُّ الكعبة ، ثم سأله علة ذلك؟

فقال : لأن في نساتنا صباحة^(١) وفي فتياتنا عفة ، وأخرجه في (الخلعيات)

أيضاً .

وفي معناه أنشد حرب :

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلا عصاني الحياء والكُرمِ
 فلا إلى مُحَرَّمٍ مَدَدْتُ يَدِي ولا مَشَتُّ بِسِي لِزُلَّةٍ قَدَمُ

هذا ما جاء في الآثار من العشق مع العفة ، وأما ما يدل على كثرة وقوعه
 واختصاص قوم بمزيد منه فكثير .

فمن ذلك ما أخرجه التنوخي عن عروة بن الزبير^(٢) قال : قلت لعُذْرِيُ :

إنكم أرق الناس قلوباً ؛ يريد أصباهم إلى الحب .

فقال : نعم لقد تركت ثلاثين شاباً خامرهم^(٣) السل ، ما بهم داء إلا الحب .

وقيل لشخص منهم مثله ؟

(١) صباحة : جمال الوجه وإشراقه . انظر : القاموس المحيط ، مادة [صبح] .

(٢) عروة بن الزبير ، هو : حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية ، بنت خويلد بن أسد بن عبد

العزى بن قصي بن كلاب . الإمام ، عالم المدينة ، أبو عبد الله القرشي ، الأسدي ، المدني ،

الفقيه ، أحد الفقهاء السبعة . حدث عن أبيه ، وأمه أسماء بنت أبي بكر ، وعن خالته عائشة ،

وعن علي بن أبي طالب . انظر : طبقات ابن سعد (١٧٨/٥) ، ابن عساکر (٢٢٨/١١) ،

سير أعلام النبلاء (٤٢١/٤) .

(٣) خامرهم : دخل عليهم المرض . انظر : القاموس المحيط ، مادة [خَمِر] .

فقال: كقولہ، وزاد: لكن غلبتنا بنو عامر^(۱) بمجنونہا.

وفي منازل الأحياب للشهاب محمود: ليس حتى أصدق في الحب من بنى
عذرة^(۲)، ولا نضرب الأمثال فيه إلا بهم

وقال: قلت يوماً: أتعدون موتكم في الحب مزية وهو من ضعف البنية ووهن
العقدة^(۳) وضيق الرئة؟

فقال: أما والله لو رأيتم المحاجر^(۴) البلج^(۵) ترشق بالعيون الدعج^(۶) من تحت
الحواجب الزج^(۷) والشفاه السمر تبسم عن الثنايا^(۸) الغر^(۹) كأنها شذر
الدر؛ لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الإسلام وراء ظهوركم.

وعن أبي عمرو بن العلاء^(۱۰) قال: استنطقت أعرابياً عند الكعبة واستنسبته
لماذا هو فصيح عذري فسألته هل علقه الحب؟
فأنبأ عن شدة ولوع.

-
- (۱) بنو عامر: بطن من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، من
العرب العدنانية. انظر: قبائل العرب (۳۰۷/۲).
- (۲) بنو عذرة: بطن عظيم من قضاة، من القحطانية. وهم: بنو عذرة ابن سعد بن هزيم بن زيد
بن ليث بن قضاة. انظر: قبائل العرب (۷۶۸/۲).
- (۳) وهن العقدة: ضعف المفاصل. انظر: القاموس المحيط. مادة [عقد].
- (۴) المحاجر: جمع حجر وهو تجويف العين. انظر: القاموس المحيط، مادة [حجر].
- (۵) البلج: تباعد ونقاوة ما بين الحاجبين. انظر: القاموس المحيط، مادة [بلج].
- (۶) الدعج: سواد العين مع سعتها. انظر: القاموس المحيط، مادة [دعج].
- (۷) الزج: الرقيقة مع الطول. انظر: القاموس المحيط، مادة [زجج].
- (۸) الثنايا: أسنان مقدم الفم. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثنى].
- (۹) الغر: الأبيض والحسن. انظر: القاموس المحيط، مادة [غر].
- (۱۰) أبو عمر، بن العلاء، هو: زيان ابن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث
بن جلهمة بن حجر، التميمي، المازني، البصري، أحد القراء السبعة، كان أعلم الناس
بالقرآت العربية والقرآن والشعر، توفي سنة (۱۵۰هـ). انظر: معجم الأدباء (۳/۳۴۵)،
سير أعلام النبلاء (۴۰۷/۶).

فسأله ما قال في ذلك ؟

فأنشد:

تَبَعْنَ مَرْمَى الْوَحْشِ حَتَّى رَمَيْنَا مِنْ أُنْبُلٍ لَا بِالطَائِشَاتِ الْمُخَاطِفِ
ضَعَائِفُ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِسِلَاحِمْ فِيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ
وَلِلْعَيْنِ مَلْهَى فِي الْبِلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَأَقْيَادِ الظَّرَائِفِ

وقال بعض حكماء الهند: ما علق العشق بأحد عندنا إلا وعزينا أهله فيه.

وحكى الحافظ مغلطاي^(١): أن العشق يختلف باختلاف أصحابه فإن الغرام

أشد ما يكون مع الفراغ وتكرار التردد إلى المعشوق والعجز عن الوصول إليه، فعلى هذا يكون أخف الناس عشقا الملوك، ثم من دونهم لاشتغالهم بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم، ولكن قد يتدللون للمحبوب لما في ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم بن هشام^(٢):

ظَلُّ مِنْ فَرَطٍ حُبِّهِ مَمْلُوكَا وَ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَاكَ مَلِيكَا
تَرَكَهُ جَاذِرُ الْقَصْرِ صَبَا مُسْتَهَامَا عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكَا
يَجْعَلُ الْحَدَّ وَاضِعًا تَحْتَ تُرْبِ لِلذَى يَجْعَلُ الْحَرِيرَ أَرِيكَا
هَكَذَا يَخْسُنُ التَّدَلُّلُ بِالْحَرِّ إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكَا

وقول الرشيد^(٣) أيضا :

(١) مغلطاي ، هو : ابن قليج بن عبد الله البكري ، المصري ، الحنفي ، أبو عبد الله ، علاء الدين ، مؤرخ ، من حفاظ الحديث ، عارف بالأنساب ، مستعرب ، من آثاره : شرح البخاري ، توفي سنة (٧٦٢هـ) . انظر : الدرر الكامنة (٤/٣٥٤) ، الأعلام (٧/٢٧٥) .

(٢) الحكم بن هشام ، هو: ابن عبد الرحمن الداخل، الأموي، أبو العاص، من أفحل ملوك بني أمية بالأندلس، وأول من جعل للملك فيها أبهة، وهو الذي مهد الملك لمن بعده في البلاد، كان يباشر الأمور بنفسه وقضى على الفتن التي قامت في عهده، كان كثير العناية بالأدب والعلم والشعر . توفي بقرطبة سنة (٢٠٦هـ) ، انظر : تاريخ ابن خلدون (٤/١٢٥) ، الأعلام (٢/٢٦٧) .

(٣) الرشيد ، هو: هارون بن محمد بن المنصور، العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية، وأشهرهم ، ولد بالرئ سنة (١٤٩هـ) ، ولي الخلافة بعد وفاة أخيه الهادي، فازدهرت الدولة في أيامه، كان عالما بالأدب وأخبار العرب، والحديث ، والفقہ . كان جوادا، حلِيمًا، متواضعا، شجاعا، حازما. انظر: ابن الأثير (٧/١٠) ، تاريخ بغداد (٤/١٥) ، الأعلام (٨/٦٢) .

مَلِكُ السَّلَاةِ الْإِنْسَانِ عَنِّي وَخَلَلَنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا لِي تُطَاوَعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعُهُنَّ وَهَسْنَ فِي عِصْيَائِي

وما أحسن ما قاله بعض الملوك في هذا المعنى :

نَحْنُ قَوْمٌ تَأْيِبْنَا الْأَعْيُنُ النَّجْمُ لَوْلَا عَلَيَّ أَنْتَا نَلِينُ الْحَدِيدَا
تَقْسِي بَأْسَنَا الْأَسْوَدُ وَتَحْشَى سَطْوَةَ الْخَنْفِ حِينَ تُبْدِي الصُّدُودَا
وَتَوَانَا فِي حَالَةِ الْحَرْبِ أَمْرَا رَا وَفِي السُّلْمِ لِلْفَوَانِي عَيْدَا

وقال ابن الأحمر سلطان الأندلس^(١):

أَيَا رَبَّةَ الْخَنْزِرِ الَّتِي أَذْهَبَتْ نُسُكِي عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْتِ لَا بُدَّ لِي مِنْكَ^(٢)
فَأَمَا بَدَلٌ وَهُوَ أَلْيَقُ بِأَهْوَى وَإَمَا بَعِزٌّ وَهُوَ أَلْيَقُ بِالْمَلِكِ

وقال ابن طاهر^(٣) صاحب خراسان:

فَبَايَ وَإِنْ حَنَّتْ إِلَيْكَ ضَمَائِرِي فَمَا قَدَرْتُ حُبِّي أَنْ يُدَلَّ لِي قَدْرِي

ودونهم أفرغ لقللة الاشتغال حتى يكون المتفرغ له بالذات أهل البادية لعدم اشتغالهم بعوائق ومن ثم هم أكثر الناس موتا به.

ثم اعلم أن العشق متى استولى لم يبق سواه ؛ ولذلك يذهب الأخلاق العسرة^(٤) وقوة النفس .

وفي معنى ذلك أنشد بعضهم حيث قال في رسالة أرسلها إلى محبوبته:
هَكَوْتُ فَقَالَتْ كُلُّ هَذَا تَبَرُّمٌ بِجِي أَرَا حَ اللَّهُ قَلْبِكَ مِنْ حَبِي

(١) ابن الأحمر ، هو: يوسف بن يوسف بن محمد بن يوسف ، النصرى ، أبو الحجاج ، الملقب بالناصر. من ملوك الأندلس ، من سكان غرناطة ، تولى العهد بعد وفاة أخيه سنة (٨١١هـ) ، كان شاعراً. توفى سنة (٨٢٠هـ) ، من آثاره : ديوان شعر . انظر : الأعلام (٨/ ٢٥٩) .

(٢) الخدر: ستر يُمد للجارية في ناحية الدار لتتوارى به. انظر: القاموس المحيط، مادة [خدر].

(٣) ابن طاهر، هو: عبد الله ابن مصعب ابن زريق، الخزاعي بالولاء، أبو العباس، أمير خراسان، أصله من خراسان، ولي إمارة الشام، ومصر، ثم خراسان ، كان ذا علم ومعرفة وتجربة وشعر. توفى سنة (٢٣٠هـ) . انظر: تاريخ الطبري (١١/ ١٣) ، تاريخ بغداد (٩/ ٤٨٣) ، الأعلام (٩٣/٤) .

(٤) العسرة: الحادة، الشديدة. انظر: القاموس المحيط، مادة [عسر].

فلما كتمتُ الحب قالت لشد ما
وأذنو فتقصيني فأبعُد طالبا
فشكواى يؤذيها وصبرى يسوؤها
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها
صبرت وما هذا بفعل شجى القلب
رضاها فبعُد البعد من ذبى
و تجزغ من بغدى وتنفّر من قربى
أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

ومنهم: من تحمله الأنفة^(١) على أن يفارق بعد إظهار شدة شوق وقوة ميل، وكذا شدة الإقبال من المحبوب، فيتوهم حيث تشبع نفسه أن الشوق لا يعاوده فيفارق ويعود ذلك عليه بتلف نفسه، والحق أن ذلك كله مع عدم التمكن وهو الموسوم بالإشراك وإلا فالصادق منه لا يرى وجوداً لسوى المحبوب، ومن ثم طعن على من يرى الدنيا مثلاً لمحوبه أو يظن وجوده ودونوا ما صدر عن بدأ بالسلوان^(٢) ثم ندم .

فمن أطف ما قيل فى ذلك قول الهدلى:

وَمَنْعَيْي مِنْ بَعْضِ إِظْهَارِ ظُلْمِهَا
مَخَافَةَ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ لَنْ بَدَا
وَإِنِّي لِأَدْرِي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ
إِذَا ظَلَمْتُ يَوْمًا وَإِنْ كَانَ لِي عُذْرٌ
لِي الْهَجْرُ مِنْهَا مَا عَلَى هَجْرِهَا صَبْرٌ
عَلَى هَجْرِهَا مَا يُبْلَغُنَّ بِي الْهَجْرُ

وقال ابن الجهم^(٣):

نُوبُ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ وَأَشَدُّهَا
يَا قَلْبُ لَمْ عَرَضْتَ نَفْسُكَ لِلْهَوَى
شَمْلٌ تَحْكُمُ فِيهِ يَوْمٌ فِرَاقٍ^(٤)
أَوْ مَا رَأَيْتَ مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ

(١) الأنفة: عزة النفس. انظر: القاموس المحيط، مادة [أنف].

(٢) السلوان: النسيان. انظر: القاموس المحيط، مادة [سلا].

(٣) انظر: ديوان على بن جهم ص ١٥٦. وابن الجهم، هو: على ابن بدر، أبو الحسن، ابن بنى سامة، من لوى بن غالب، شاعر رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد، كان معاصراً لأبى تمام، وخص بالمتوكل العباس. توفى سنة (٢٤٩هـ). انظر: تاريخ الطبرى (١١/٨٦)، تاريخ بغداد (٣٦٧/١١)، الأعلام (٤/٢٦٩).

(٤) نوب، جمع نائبة: المصيبة، النازلة. انظر: القاموس المحيط، مادة [نوب].

فصل

في الترغيب في العشق والحث عليه

قيل: إن بهرام جور^(١) لم يرزق سوى ولد فأخذ في ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة إلى أن اتفق المعلمون من الحكماء وغيرهم على أن لا نافع له غير العشق فسلط عليه الجوارى يعبثن به إلى أن علق بواحدة منهن، فأمرها الملك بالتجنى عليه^(٢) وأنها لا تطلب إلا رفيع الهمة ذا رغبة في العلم والملك، فكان بسبب ذلك من أجل ملوك الفرس وأعلمها .

وفي المعنى قال ابن الأحنف^(٣):

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ولا خيرَ فيمن لا يحبُ ويعشَقُ

وقال بعضهم :

وما سرنى أنى خَلِيُّ من الهوى ولو أنْ لى ما بين شرق إلى غرب

وقال ابن أبي كثير لابن أبي الزرقاء^(٤): هل عشقت حتى تكاتب وتراسل؟ فقال: لا.

قال : لن تفلح والله أبداً .

(١) بهرام جور ، هو: ابن يزدجرد الخشن بن بهرام كرمان شاه بن سابور. تولى الملك بعد وفاة أبيه وهو ابن عشرين سنة، فأهمل شئون الرعية، ومال إلى الهدوء والدعة واللهو. انظر: تاريخ الطبرى (٤٠٨/١).

(٢) تجنى عليه: رماه بذنب لم يفعله. انظر: القاموس المحيط، مادة [جنى] .

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ابن أبي الزرقاء ، هو : زيد ، أبو محمد ، الموصلى ، إمام ، عالم ، قدوة ، حدث عن جعفر بن برقان وسفيان الثورى ، وغيرهما ، كان من العابدين ، الزهاد ، يقال إنه غزا ومات فى السر سنة (١٩٧هـ)، انظر : تهذيب التهذيب (٢٥٢/١) ، التاريخ الكبير (٣٩٥/٣) ، سير أعلام النبلاء (٣١٦/٩) .

وأنشد الشعبي^(١):

إذا أنت لم تعشق ولم تدّر ما الهوى فأتت وغيّر في الفلاة سواء^(٢)

وعجزه غيره فقال:

فكن حجراً من يابس الصخر جليداً

وأنشد ابن معاذ:

ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزُرْ خليلاً ولم ينظر إليك حبيبٌ

وقالت امرأة فيه أيضاً^(٣):

رأيتُ الهوى حلواً إذا اجتمعَ الشملُ ومراً على الهجرانِ لا بل هو القتلُ
ومن لم يذق للهجر طعماً فإنه إذا ذاق طعم الحب لم يدّر ما الوصلُ
وقد ذقتُ طعميه على القرب والنوى فأبعده قتلٌ وأقربه خبلُ

(١) الشعبي ، هو: عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار الحميري ، أبو عمرو ، راوية ، شاعر ، محدث ، فقيه ، ولد بالكوفة ونشأ بها ، واتصل بعبد الملك بن مروان ، وتوفى بالكوفة سنة (١٠٣هـ) . انظر: تاريخ دمشق (٣٤٢/١) معجم المؤلفين (٢٧/٢) .

(٢) العَيْر: الحمار الأهلئ أو الوحشى . انظر: مادة [عير] .

(٣) انظر: مصارع العشاق (١٦٤/١) .

فصل

فى رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء

وغيرهم فى ذلك

قال بعضهم : العشق مجهول لا يعرف، ومعروف لا يجهل، هزله جدّ، وجدّه هزل، وهذا فى الحقيقة تعريف بالعوارض غير اللازمة، وإشارات إلى اختلاف الحالات الكائنة عنه، فإن الجهل يعتري العشاق عند تزايد الحب فيوجب الحيرة فى الأمر، وعكسه عند انفصاله عن المخيلة، والهزل مباديه والجد تمكنه، ونحوه ما أجاب ابن أكرم^(١) به وقد سأله المأمون^(٢) ما العشق؟

فقال: سوانح^(٣) للمرء تؤثرها النفس ويهيم بها القلب.

فقال له ثمامة^(٤): إنما شأنك أن تفتى فى مسألة طلاق أو محرم .

فقال المأمون: قل يا ثمامة .

فقال: العشق جليس ممتع، وأليف مؤنس، وصاحب مالك، وملك قاهر، مسالكة لطيفة، ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائزة، ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواظرها، والعقول وآراءها، وأعطى عَنانَ

(١) ابن أكرم، هو: يحيى ابن محمد بن قطن، التميمى، الأسدى المروزى، أبو محمد، فقيه، أصولى، مجتهد، من القضاة، ولد بعمرو، واتصل بالمأمون، فولاه قضاء البصرة ثم بغداد، توفى سنة (٢٤٢هـ). انظر: تاريخ دمشق (١٣/٨)، سير أعلام النبلاء (١٤٨/٨)، معجم المؤلفين (٨٨/٤).

(٢) المأمون، هو: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن أبى جعفر المنصور أبو العباس. سابع الخلفاء من بنى العباس، وأحد أعظم الملوك فى سيرته، وعلمه، وسعة ملكه، كان واسع العلم، توفى سنة (٢١٨هـ) انظر: تاريخ الطبرى (٢٩٣/١٠)، الأعلام (١٤٢/٤).

(٣) سوانح: من سنح، أى شىء عُرض للمرء والمقصود هنا الفرص المحببة. انظر: القاموس المحيط، مادة [سنح].

(٤) ثمامة، هو: ابو معن النميرى البصرى، المتكلم، من رؤوس المعتزلة، كان نديماً بظريفاً صاحب ملح، اتصل بالرشيد ثم، بالمأمون، كاتب بليغ، من آثاره: الحجة، الخصوص والعموم، المعارف. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٠)، الفهرست ص ٢٩٠.

طاعتها، وقياد ملكها، وقوى تصرفها، توارى على الأبصار مدخله، وغمض فى القلوب ملكه .

فقال له المأمون: أحسنت يا ثمامة، وأمر له بألف دينار.

وفى رواية أنه قال له: إذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة^(١) نتجت لمح نور ساطع تستضيء به بواصر العقل، ويُتصور من تلك اللوامح نور خاص بالنفس متصل بجواهرها يسعى عشقاً.

أقول: وهذا تعريف له بحقائقه ومواده الذاتية، والأول تعريف بالعوارض والغايات، وهذا بالحكمة أليق، وإيضاحه نور البصر يوصل ما يدركه إلى المشترك، وهو إلى الواهمة حتى يرتسم فى القوة العاقلة المعروفة بالنفس الناطقة، فقله: بوصل المشاكلة؛ يريدان النظر الواقع عن تأمل عارف بتأمل المحاسن، ودقائق لطيف الشمائل يوجب ارتسام أنوار فى النفس تشبه الجواهر المجردة تزوج بالنفس لاتحاد بينهما فى اللطف والصفاء، وهذا دليل على أن العشق لا يتصور من جاهل غليظ الطبع، ووصفه بعض البلغاء بأنه فضيلة تنتج الحيلة، وتشجع الجبان، وتسخر كف البخيل، وتصفى ذهن الغبي، وتطلق بالشعر لسان الأعجم، وتبعث حزم العاجز الضعيف، وهو عزيز يذل له عز الملوك، وتضرع له صولة الشجاع، وهو داعية للأدب وأول باب تفتق به الأذهان والفظن، ويستخرج به دقائق المكاييد والحيل، وإليه تستريح الهمم، وتسكن به فواتر الأخلاق والشيم، يمتع جلسه، ويؤنس أليفه، وله سرور يجول فى النفوس، وفرح يسكن فى القلوب .

وقال سعيد بن سالم^(٢) وقد قيل له إن ابنك شرع فى الرقيق من الشعر .

فقال: دعوه ينظف ويلطف ويظرف؛ يعنى أنه يطلع من رقيق الشعر على أسرار البلغاء، وليس أرق من الغزل ولا أدق لما فيه من تعلق العشق ومدح

(١) المشاكلة: التماثل والتشابه . انظر: القاموس المحيط، مادة [شكل] .

(٢) سعيد بن سالم، هو: صاحب الأوزاعي، وحكى عنه عمرو بن أبى سلمة. انظر: تاريخ دمشق (٩٥/٢١).

المحبوب وذلك يؤدي إلى ما ذكر، فإن العاشق إذا علم ما يقربه إلى محبوبه بذل فيه إمكانه، والظرافة واللطافة والنظافة أعظم مقرب، فكأنه قال دعوه لعله يتصف بالعشق ولولا الحمل على ذلك لم يصلح سوق هذا هنا لأنه على ظاهره ترغيب في مطلق الشعر فليتأمل:

ونقل ابن خلكان^(١) في ترجمة (العلاف) ما ملخصه: إن العشق جرعة من حياض الموت، وبقعة من رياض التكلم^(٢)، لكنه لا يكون إلا عن أريحية في الطبع، ولطافة في الشمائل، وجود لا يتفق معه منع، وميل لا ينفع فيه عدل^(٣).

وفي معنى شدة العشق أنشد المؤمل^(٤):

شَقُّ الْمُؤْمَلِ يَوْمَ الْحَيْرَةِ النَّظْرُ لَيْتَ الْمُؤْمَلِ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ
يَكْفِي الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا عَذَابُهُمْ وَاللَّهِ لَا عَذَابَتُهُمْ بَعْدَهَا سَقَرُ

وعرفه أرسطو^(٥): بأنه جهل عارض صادف قلباً فارغاً، دق عن الأفهام مسلكه، وخفى عن الأبصار موضعه، وحرث العقول في كيفية تمكنه غير ابتداء حركته، وعظم سلطانه من القلب، ثم يتغشى^(٦) على سائر الأعضاء، فيبدى الرعدة في الأطراف، والصفرة في الأبدان، واللجلجة^(٧) في الكلام، والضعف في الرأي، والزلل والعتار حتى ينسب صاحبه إلى الجنون.

(١) ابن خلكان، هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، البرمكي، الإربلي، أبو العباس. المؤرخ الحجة، والأديب الماهر ولد في إربل في الموصل، ثم انتقل إلى مصر وتولى قضاءها، وسافر إلى دمشق وولى قضاء الشام، وتوفي بدمشق سنة (٦٧٤هـ)، من تصانيفه: وفيات الأعيان، أنباء أبناء الزمان. انظر: النجوم الزاهرة (٣٥٣/٧)، الأعلام (٢٢٠/١).

(٢) الثكل: فقد الأولاد. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثكل].

(٣) العدل: اللوم والعتاب. انظر: القاموس المحيط، مادة [عدل].

(٤) المؤمل، هو: ابن جميل بن يحيى بن أبي حفصة، شاعر غزل ظريف، من أهل المدينة، يعرف بقتيل الهوى. كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة، ثم رحل إلى العراق وانقطع مع المهدي. توفي سنة (١٧٠هـ) انظر: تاريخ بغداد (١٨٠/١٣) الأعلام (٣٣٤/٧).

(٥) أرسطو، هو: فيلسوف يوناني من كبار مفكري البشرية، مربى الإسكندر. من تصانيفه: الجدل، الخطابة، السياسة، النفس.

(٦) يتغشى: يغطي. انظر: القاموس المحيط، مادة [غشى].

(٧) اللجلجة: الثقل في اللسان، والتزدد في الكلام. انظر: القاموس المحيط، مادة [لج].

زادت أعرابية : يذهب العقل ، وينحل الجسم ، ويهمل الذم ، يجدده ، مرور الأيام ولا تفسده بل لا تغيره إساءة المحبوب على الدوام ، ومن ثم .

قال الأصمعي وقد سأله الرشيد: ما حقيقة العشق؟

فقال: إنه شيء يستغرق القلب في محاسن المحبوب، ويذهله عن مساويه فيجد رائحة البصل من المحبوب أعظم من المسك والعنبر. وتعاتب امرأتان من أهل المدينة في الهوى .

فقالت إحداهما تعذل الأخرى: ذكروا في الحكمة لا تلم من أساء بك الظن إذا جعلت نفسك غرضاً للتهمة، ومن لم يكن عوناً على نفسه من خصمه لم يكن عنده شيء من عقدة الرأي ، ومن قدم على الهوى وهو يعلم ما فيه من المعيبة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم .

فقالت المعذولة: ليس الهوى إلى الرأي فيملكه، ولا إلى العقل فيدركه، أما

سمعت قول الشاعر:

ليس خطبَ الهوى بخطبَ يسيرٍ لا يبيك عنه مثلُ خيرٍ
ليس أمرُ الهوى يُدبرُ بالرأى ي ولا بالقياسِ والتفكيرِ
إنما الأمرُ في الهوى خطراتٌ مُخَدِّياتُ الأمورِ بعدَ الأمورِ

وقيل: هي لعلية بنت المهدي^(١) حكاة الصولي^(٢)، ووجد على صخرة العشق ملك غشوم مسلط ظلوم، دانت له القلوب، وانقادت له الأبواب، وخضعت له النفوس، فالعقل أسيره، والنظر رسوله، واللحظ حامله، والتفكير جاسوسه، والشغف حاجبه، والهيمان نائبه، بحر مستقره غامض، ويم تياره طافح وفائض، وهو دقيق المسلك عسير المخرج . .

(١) لعلية بنت المهدي ، هي : ابنة المنصور، من بنى العباس ، أخت هارون الرشيد ، أدبية شاعرة، من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة. تزوجت موسى بن عيسى العباسي. توفيت سنة (٢١٠هـ) انظر: وفيات الأعيان (٩٩/٢) الأعلام (٣٥/٤).

(٢) الصولي ، هو : محمد بن يحيى بن عبد الله، أبو بكر ، الشطرنجي. نديم، من أكابر علماء الأدب، نادم ثلاثة من خلفاء بنى العباسي الراضي والمكتفي والمقتدر ، توفي سنة (٣٣٥هـ) ، من تصانيفه : أخبار آل العباس وأشعارهم . انظر: وفيات الأعيان (٥٠٨/١) ، تاريخ بغداد (٤٢٧/٣) ، الأعلام (١٣٦/٧) .

وضرب بعض الحكماء مثلاً للشهوة والعشق فقال: هما كالنحل يستميل القلوب بحلاوة عسله، وربما قتل بسمه، وذلك لأن الإنسان إما ذو عقل ملكي يتعقل الأشياء فينزجر، أو نفس شهوانية ترى اللذات فتتهمك، ومن ثم إذا وقع عن صدق جعل المتحايين كنفس واحدة.

حكى الغنوي^(١) قال: دعيت إلى عيادة مريض أحبه آخر، فدخلنا عليهما والمحب الصحيح يذب عنه، فكان إذا شك المريض شيئاً شك الآخر مثله، فقدر أن قضى ونحن عنده فحال مفارقة نفسه فارق الصحيح نفسه .

ومثله ما حكاه في ذيل الأماشي: عن التميمي^(٢)، أن أخوين من امرأة يقال لهما: فضل وفضيل ، قضى أحدهما فلما دفن طأطأ الآخر ينظره فلما سوى عليه اللبن .

أنشد :

سَأْبِكِ لَا مُسْتَقْصِيًا فَيْضَ عَجْرَةٍ وَأَنَا مَبْتَعٌ بِالصُّبْرِ عَاقِبَةُ الصُّبْرِ

ثم عاد فلزم المنزل حتى قضى من الغد.

(١) الغنوي ، هو: طفيل بن عوف بن كعب ، من قيس غيلدان ، شاعر جاهلي شجاع، عاصر النابغة وزهير بن أبي شمس سلمى . من تصانيفه : ديوان شعر . انظر: معجم المؤلفين (١٥/٢).

(٢) التميمي ، هو: سعيد الدارمي ، من بني سويد بن زيد ، شاعر غزل من المغنين الظرفاء ، توفي سنة (١٥٥هـ) . انظر: الأعلام (٩٤/٣).

فصل

فى بيان مراتبه وما ورد فى كيفية ترقيه حتى يستولى على الحواس
النفسية ويستغرق القوى الحسية ويملك العقل والبدن ويورث الذل
والمحن ويسهل الوقوع فى المهالك ويغرى على سلوك أوعر المسالك

اعلم أنه أطف موجود نشأ فى الوجود كما حققناه وحيث هو كذلك
فمتعلق لا بد وأن يشاكله لاحتياج كل اثنين تألفا إلى نسبة تأليفية ولا شبهة أن
الروح أطف مافى البدن فلذلك كان العشق أول ما يتشبت بها فهذا دليل على
أنه يقابل الأمراض كلها، ومن ثم قال المعلم: العشق نصف الأمراض، وشطر
الأعراض، وقسيم الأسقام، وجل الآلام، وهذا واضح لأن الروح هى الجزء
اللطيف والبدن الجزء الكثيف ولا شك أن سريان اللطيف فى اللطيف أسرع
ملاكا وأعظم استملاكا، ويليه اللطيف فى الكثيف كالحمى فى البدن ثم الكثيف
فى الكثيف كالفالج^(١) فيه فعلى هذا يتجه كلام المعلم بل أقول: إن العشق غالب
الأمراض وليست بالنسبة إليه إلا كالعشر إلى الكل والقطرة إلى البحر وبرهانه أن
الأمراض غالبا تخص البدن وإنما اشتغال الروح حينئذ بالتدبير وإلا فهى فى نفسها
صحيحة، وأما العشق فعاقبته إفساد البدن وتعطيل الفكر وإحراق العقلاء بأهل
الجنون.

ثم مرتبته الثانية : تتولد عن تكرار نظر أو سماع خطاب يُتعقل له فى الذهن
معنى يكون لحديد القلوب مغناطيسيا جاذبا ولأنظارها السفسطية^(٢) برهانا غالبا
ويسمى حينئذ العشق الحسى .

وقال فيثاغورس: لا يسمى حسيا إلا إذا تولد عن مباشرة الحس وهذا عندى
ليس بشرط وإن اشترط فى حق البلداء من الناس ومن فى حواسهم الباطنة
ضعف وإلا فأحد الحاستين الأصليتين كافٍ فى إيصاله إلى الحس المشترك .

(١) الفالج: مرض يبطل حس الأعضاء ويصير الإنسان كالميت . انظر : كتاب التنوير ص ١٨ .

(٢) السفسطية: أى التى تطلق قياسات وهمية لإقناع الخصم وإسكاته. انظر: القاموس المحيط،

مادة [سفسط].

ثم مرتبته الثالثة: الخيالية؛ وهي عبارة عن استيعابه التخيل حتى لم يبق للعاشق تخيل إلا صورة المعشوق وإن شارك الناس في الأمور الظاهرة. كانت تلك المشاركة غير تامة وعلاماتها غلبة السهو ونقص الأفعال والاحتياج إلى محرك باعث.

ثم مرتبته الرابعة: مرتبة الحفظ وهي الاستيلاء على الحفظ فتصرف القوة عن تحصيل كل كمال والنظر إلى كل جمال وهذا هو العشق الذي يرى صاحبه الميل إلى سوى المحبوب إشراكاً، والفكر في غيره ضياعاً، وأشغال الزمان بما سواه فساداً وخروجاً.

وإليه أشار الفارضى بقوله:

ولو خَطَرْتُ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةً عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

فتعبيره بالسهو إشارة إلى تقصى المراتب واستيفاء الشروط وكأنه يقول من المعلوم أن السهو لا يحدث إلا من كثرة الواردات ولم يبق على قلبى وارداً سواك فكيف أسهو ومن ثم بعد ذلك إلى طرح المراد وإماطة^(١) العلائق^(٢) واتحاد الطالب مع المطلوب وعدم الاثنية بقوله:

وَكُلُّ الَّذِي تَرْضَاهُ وَالْمَوْتُ دَثُونَهُ بِه أَنَا رَاضٍ وَالصَّبَابَةُ أَرْضَتِ^(٣)

بعد أن كان قبل الوصول إلى هذه المرتبة قد أثبت لنفسه مراداً حيث قال:
وَعَيْدُكَ لِي وَعِدَّةٌ وَإِنْجَازُهُ مُنَى وَلِي بَغَيْرِ الْبُعْدِ إِنْ يُرْمَى يَثْبِتِ

ثم الخامسة: مرتبة الاستغراق وهي استيلاء الاشتغال بالمحبوب على النفس الناطقة بأسرها وارتسام صورة المحبوب في مرآة العاقلة وحدها مع نحو ما سواها وإلى ذلك أشار العارف المذكور بقوله:

وَلَا غَرَوْا أَن صَلَى الْأَنَامَ إِلَى أَن تَوَتُّ بِفَوَادِي فَهِيَ قَبْلَةُ قَلْبِي^(٤)

(١) إماطة، من أماط: نحى وابتعد. انظر: لسان العرب، مادة [ميط].

(٢) العلائق، جمع العلاقة: ماتعلق به الرجل من صناعة وغيرها، والمقصود ما تعلق بالإنسان ويشغله عن المحبوب. انظر: القاموس المحيط، مادة [علق].

(٣) الصبابة: شدة الشوق. انظر: القاموس المحيط، مادة [صب].

(٤) توت، من توى: أقام بمكان ولزمه. انظر: القاموس المحيط، مادة [توى].

وقوله :

وَوَجَدِي بِهَا مَا جِيَّ وَالْفَقْدُ مُثْبِتِي

يعنى أن وجدى الصحيح بالمحبة محانى أى صورتى التى كانت مع العالم الدنيوى فكأن فقدى لها هو الذى أثبتنى وهذه المرتبة على الأصح من كلام كثير هى أول المراتب التى يقع ببلوغها اليأس من الانتفاع بالعلاج الذى ذكرته الأطباء كالنظر فى الحساب والمحاورات وتذكر مساوىء المحبوب والنظر إلى أمثاله وما يقاربه إلى غير ذلك مما هو مقرر فى مواضعه.

السادسة: مرتبة الانقلاب وهى مرتبة ينقلب فيها إدراك العاشق فى سائر آلاته فيصير إذا لمس الحجر أو ذاق الصبر أو سمع الإيذاء أو رأى شيئاً كالجيفة أو شم رائحتها فضلاً عن أصدقاء ذلك يعتقد المحبوب وربما تجرد عن صورته فشاهدها المحبوب وإليه أشار بقوله:

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا ولم تفن مالم تجتلى فىك صورتى

وهذه المرتبة مع العناية والإخلاص تنقلب قدسية إذا كانت النفس الناطقة قبل ذلك قد تخلصت بالكمالات عن البهيمية وإلا ألحقت صاحبها بالحيوانات وعنها عبرت الأطباء بالمانيا والسرسام^(١) والسهر السباتى^(٢) والماليخوليا^(٣).

والسابعة : مرتبة العدم الكلى والمفارقة الأبدية وهى التى إذا بلغت النفس لم تستقر فى البدن وربما كانت مفارقتها بتذكر أو سماع ذكر أو تنفس سعداء أو أمر من المحبوب وحاصلها أن يصير الموت أعظم أمنية للنفس كما أشار إليه بقوله:

فموتى بها وجداً حياة هينة وإن لم أمت بالحب عشتُ بغيصتى^(٤)

وقد صرتُ أرجو ما يُخافُ فأسعدى به روح ميتٍ للحياة استعدت

(١) السرسام: حمى دائمة مع صداع وثقل فى الرأس والعين وحمرة شديدة فيها وكراهية الضوء.

انظر: مفتاح العلوم، للخوارزمى (ص ٩٦).

(٢) السهر السباتى: مرض يكون فيه الشخص لا يتحرك ولا يفتح عينيه ويكون كالنائم. انظر:

مفتاح العلوم، للخوارزمى (ص ٩٦).

(٣) الماليخوليا: ضرب من الجنون، وهو أن تحدث للإنسان أفكار رديئة ويغلبه الحزن والخوف.

انظر: مفتاح العلوم، للخوارزمى (ص ٩٦).

(٤) الغصة: هى ما يعترض فى الحلق فيمتنع معه التنفس. انظر: القاموس المحيط، مادة [غص].

إلى غير ذلك مما لو منح الله تعالى شخصاً مدداً يستغرق المدد وحياة تستفرغ الأبد وفراغاً يذر الشواغل سدى ونفحات قدسية تصقل^(١) مرآة عقله لقبوله الفيض أبداً ، وأفرغ ذلك كله في تحرير ما أودعه عارف الزمان وسلطان الآفاق وفرد دائرة الأكوان وجامع فضائل العشاق سيدى عمر بن الفارض أعاد الله علينا وعلى المسلمين من فواضل بركاته وفضائل نفحاته من مراتب العشق وأدواره وتنقلاته وأطواره لغنى الزمان ولم يدرك معشاره وبادت الأكوان ولم يعرف قراره ولولا ضيق هذا المختصر لأوضحت لك من بعض عجائب تدقيقاته فى أقل أبياته وكلماته ما يدعك فى حيرة الفكر وبحار التعجب غارقاً ويسكتك وإن كنت مصقاعاً^(٢) ناطقاً ، ومن ثم قيل المحبوب خير من الحياة والمكروه بالطبع شر من الموت لتمنى كلُّ عند حصول ذلك ، أما ما نقل عنه فى بيان مراتبه خصوصاً ما ذكره هنا فليس بالجيد إذ البعض دال على الأسماء والبعض على الماهية والبعض على السبب فلم يحققه غيرنا أحد فاحفظ مقادير ما ظفرت به وها أنا أبين لك عدم انطباق ما ذكره على المطلوب.

قال ابن صاعد^(٣) فى طبقات الأمم : عن فيثاغورس^(٤) صاحب سليمان نبي الله ﷺ: العشق طمع يتولد فى القلب ؛ يُغنى عن النظر، ثم ينمو ويحدث اللجاج^(٥) والاحتراق، حتى أن الدم يهرب عند ذكر المحبوب، وقد يموت من شهقة أو برؤية المحبوب بغتة، وربما اختنقت الروح من نحو ذلك فدفن ولم يموت.

(١) تصقل: تجليها وتكشفها، كناية عن الصفاء . انظر: القاموس المحيط مادة [صقل].

(٢) مصقاعاً: بليغاً لا يرتج عليه فى كلامه. انظر: القاموس المحيط، مادة [صقع].

(٣) ابن صاعد ، هو: صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن، الأندلسى، أبو القاسم، مؤرخ، باحث، مشارك فى بعض العلوم، من مؤلفاته طبقات الأمم، تاريخ الإسلام. انظر: الأعلام (١٨٦/٣) معجم المؤلفين (٨٢٦/١).

(٤) فيثاغورس: فيلسوف ورياضى يونانى، إليه يعزى تقويم الحساب المعروف (بجدول فيثاغورس فى الضرب) تفرغ لدراسة الحكمة وعاش مع أتباعه حياة زهد مشتركة، اعتقد بتناسخ الأرواح.

(٥) اللجاج: الخفقان. انظر: القاموس المحيط، مادة [لج].

وفي سيرة الإسكندر : أن هذا لأبقراط^(١).

زاد التميمي في كتاب امتزاج النفوس عن جالينوس: أن العشق من فعل النفس وذلك كامن في الأعضاء الرئيسية فمتى تمكن أفسدها وهذا كله إشارة إلى المراتب إجمالاً .

وفي كتاب المتيمين: نظر رجل إلى معشوقته فغشى عليه .

فقال حكيم: إنه من انفراج قلبه اضطرب جسمه .

ف قيل له: ما بالناس لا نكون كذلك عند النظر إلى أهلنا ؟

فقال: محبة الأهل قلبية وهذه روحانية فهي أدق وألطف وأعظم سريانا وفعلاً .

وقال أفلاطون^(٢): العشق غريزة تتولد عن الطمع .

زاد المعلم: وهو يحدث عمى القلب عن عيوب المعشوق وبه جاءت السنة

حيث قال صلى الله عليه وسلم «حبك للشئ يعمى ويصم» رواه أبو داود وأحمد.

وأنشد فيه :

فَلَسْتُ بِرَاءِ عَيْبِ ذِي الْوُدِّ كُلِّهِ وَلَا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتُ رَائِيَا

فَعَيْنُ الرُّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا^(٣)

ورأيت في نسخة، ولا بعض ما فيه إذا كنت راضياً، وهي أليق بتحسين

الكلام لما فيها من المقابلة.

وفي أخرى : ولا بعض ما فيه وإن كنت رائياً، وهذا أليق بالمقام والطف

وأحسن دلالة على المقصود فيه من دفع التوهم من كونه ضعيف النظر فإنه يقول:

لا أرى له عيباً مع أني صحيح النظر .

(١) أبقراط ، هو: طبيب يوناني، أكبر الأطباء الأقدمين وأشهرهم. يتعهد الأطباء في قسمهم

بالتقيد بنهجه الأخلاقي المعروف بقسم أبقراط.

(٢) أفلاطون: من مشاهير فلاسفة اليونان، تلميذ سقراط، ومعلم أرسطو، أساس فلسفته (نظرية

الأفكار) مثالها الأسمى (فكرة الخير) من مؤلفاته (الجمهورية) (السايسي) (المحاورات).

(٣) كليله: ضعيفة، لا تتحقق من المنظور إليه. انظر: القاموس المحيط، مادة [كل].

فهذا على حد قوله:

فوالله ما أفرى وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان
وقال السكري^(١) وابن أبي طاهر^(٢) في [المنثور والمنظوم] وأبو عبيد البكري^(٣)
في كتابه [اللاآلى فى شرح الأمالى]: أن البيتين لجرير بن الخطفى^(٤) وقال
السمعانى^(٥) هما لعلى والأول أصح.

قال الحاتمى^(٦): وقد سرق ابن عبد الأعلى هذا المعنى حيث قال:

وَعَيْنُ السُّخْطِ تُبْصِرُ كُلَّ غَيْبٍ وَعَيْنُ أَخِي الرُّضَى عَنْ ذَاكَ تَعْمَى

وأما الشيخ: فقد حده بأنه مرض يشبه المالىخوليا تولده الفكرة من استحسان
الصور والشمائل ولا يشترط اقترانه بشهوة جماع.

(١) السكري ، هو: على بن عمر بن محمد الصيرفى، الحربى، محدث، من آثاره: الأمالى، توفى سنة
(٣٧٦هـ) انظر: مخطوطات الحديث بالظاهرية (٢٦٣) معجم المؤلفين (٤٨٢/٢).

(٢) ابن أبى طاهر ، هو: أحمد بن محمد بن أحمد الإسفرايينى، أبو حامد، فقيه، شافعى، توفى
ببغداد سنة (٤٠٦هـ) من آثاره: شرح المزنى ، البستان. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣/١١)
معجم المؤلفين (٢٤٠/١).

(٣) أبو عبيد البكرى ، هو: عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو، لغوى، مؤرخ،
نسابة، جغرافى، توفى سنة (٤٨٧هـ) من مصنفاته (أعيان النبات) (اللاآلى فى شرح الأمالى).
انظر: سير أعلام النبلاء (٨/١٢) معجم المؤلفين (٢٥٣/٢).

(٤) جرير بن الخطفى ، هو: ابن عطية بن بدر بن سلمة بن عوف، التميمى، أبو حرزة، شاعر،
كان هجاءه مرأ، كانت بينه وبين الفرزدق والأخطل، مهاجاة ونقائض، توفى سنة
(١١٠هـ) من آثاره: ديوان شعر. انظر: طبقات الشعراء (٨٦) معجم المؤلفين (٤٨٤/١).

(٥) السمعانى ، هو: أبو سعد عبد الكرىم بن معين الدين أبى بكر، ابى المظفر منصور، التميمى،
علامة، حافظ، من العلماء برجال الحديث، توفى سنة (٦١٥هـ). انظر: الأعلام (١٨٠/٤)
معجم المؤلفين (٢١٢/٢).

(٦) الحاتمى ، هو: محمد بن الحسن بن المظفر، البغدادى، أبو على، كاتب، شاعر، لغوى، توفى
سنة (٣٨٨هـ) من آثاره: مختصر العربية، عيون الكاتب. انظر: معجم الأدباء (١٥٤/١٨)
معجم المؤلفين (٢٣٨/٣).

وقالت أعرابية : العشق جَلَّ أن يُرى وخَفِيَ عن الورى فهو كامن فى
الصدر كالنار فى الحجر إن قُدِحَ أَوْرَى وإن تُرِكَ توارَى .
وهذا حَد له بحقيقته فى النفس، ويؤيد عدم اشتراط الشهوة فيه والحسن.
قول بعضهم:

وما الحب مِن حُسْنٍ ولا مِن سِماحَةٍ ولكنهُ شىءٌ به الرُّوحُ تَكَلَّفُ

وعلامه ما يكون منه عن شهوة فقط زواله إذا زالت لأنه عرض، وأما الكائن
عن مشاكلة فى النفس وارتسام فى الذهن فحد لا يزول ومتى صح ارتسام عند
كل من المتحابين ما عند الآخر لصفاء جوهر النفس وخلوها للمحجوب وقد
تكون العوارض المذكورة سبباً لانقلابه إلى الحد الأصلي كما ستجده وأما نحو
الرئيس والحب وغيرهما فأسماء اقترحتها الشعراء للتغزل والتشبيب لا تنطبق فى
الحقيقة على ما ذكرنا لكن وربما كان لبعض منها مسيس مناسبة؛ فالرئيس من
الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحجوب فى النفس. وزعموا أنه أول المراتب ولا
ينطبق على المعنى اللغوى ويليه الحب وهو فى الحقيقة أول الألفة واشتق من حبة
القلب أو من حباب الماء أو من حَبِّ البعير إذا برك أو من حَبِّ الأسنان وهو
بياضها وحُدَّتِ المحبة بالميل الدائم بالقلب الهائم أو قيام للمحجوب بما يحب وعدم
مشاركة شىء معه .

وفيه أنشد المتنبي :

يُراد من القلبِ نسيانكم وتَأبى الطباغُ على الناقلِ

وأنشد بعضهم:

ومن عجب أنى أحسنُ إليهمُ وأسالُ عنهمُ من لقيتُ وهمُ معى

وتطلبُهم عيني وهم فى سوادها ويشتاقُهم قلبى وهم بين أضلعي

والطف منه قوله:

خيالك فى عيني وذِكْرُك فى فمي ومثواك فى قلبى فأين تغيبُ

والحب أخص من العشق لأنه عن أول نظرة وأقصاه امتزاج الأرواح، والرافة
أشد لأنها مبالغة فى الرحمة.

قال الجوهري: هي أرق من الرحمة والرحمة أعم لوقوعها على غير ذي صلة، بخلاف الرأفة ويقرب من الحب الود وهو خالصه، فيكون من الحب كالرأفة من الرحمة وفي معناه المقة^(١)، والتتيم حالة يملك بها المعشوق العاشق فإذا زاد فهو الوله أعنى الخروج عن حد الترتيب .

وأشد في المعنى :

الحب أوله ميل يهيم به قلبُ المحبُ فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت أو مزحة أشعلت في القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قذحة فإذا تضرمت أحرقت مستجمع الحطب^(٢)

وأشد أيضاً:

ثلاثة أحباب فحب علافة كذا حب تلاقٍ وحب هو القتل

والشجنو: هو الحزن ، والطرب أيضاً ضده، ويطلق على القهر والغلبة، وهو هنا عشق يقترن بالهم، كما في [ديوان الصبابة].

والخلة: هي تمام المحبة ؛ سواء كانت بلا علة ، وهي الصداقة، أو بها؛ وهي فرط العشق الذي لا يخالطه غيره، أخذت من الخلو، أو التخلي؛ فكان القلب لما تخلى للمحبيب دون غيره اتصف بها.

والعلاقة: وهي في الصحيح اسم لمبادئ المحبة ؛ أخذت من علق - بالتحريك - أى حب ، وكسحاب الهوى وبهاء ويجوز أن يراد بها شدة اختلاط القلب بالحب ، ويقرب منها الغرام وهو أشد لأنه ولع واشتغال بالحب.

والهوى : مطلق الميل والإرادة ويطلق على ذهاب العقل في العشق وعلى نفس المحبوبة، وأما العشق فأعم منها وقيل أخص وهو إعجاب بالحب أو إفراط فيه وأخذ من العاشقة وهي شجرة تعلق وتلتصق بما يليها وهي اللبلاب ومن ثم تسميه العامة عاشق الشجر.

والغمرة : سكر القلب بتذاكر الحب واشتغاله به، والشغف: شدته ، مأخوذ من شغاف القلب أى غلافه أو سويدائه^(٣) - وبالمهملة - رأس القلب مما يلي

(١) المقة: المحبة. انظر: لسان العرب، مادة [ومق].

(٢) تضرمت: اشتعلت. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضرم].

(٣) سويداء القلب: حبه. انظر: القاموس المحيط، مادة [سود].

نياطه^(١) ويؤنث كأن النوع من الحب المجعول هذا الاسم علماً عليه قد بلغ هذا المحل ، والمراد من القلب هنا أمر معنوي في الإنسان لا الشكل المعلوم وعنه ينتج الوله ثم الهيام ، وأما الاستكانة فالخضوع أو شوق ينزع النفس من البدن إلى لقاء الحب ومن ثم قد يقتل عند الرؤية، والشوق أرفع وهل يزيد الوصل أو ينقصه فيه خلاف.

واستدل للأول بقول الشاعر:

وأعظم ما يكون الشوق يوماً إذا أدنت الخيام من الخيام

وللثاني بقوله:

فألت عصاه واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر^(٢)

والأصح: أنه إن كان مجرد شهوة ينقص بقضائها بل ربما عدم، وإلا كان كلفاً لا تكلفاً وطبعاً لا تطبعاً وميلاً نفسانياً أنشأته المشاكلة فلا يزيد الوصل إلا رسوخاً على أنه لا دليل في الثاني على الدعوى لعدم ذكر الشوق في الشعر لأنه ذكر استقرار النوى وهو البعد الذي هو أعم فيجوز تفسيره بفردي غير الشوق على أن المحققين أجمعوا على أن الشوق حال الغيبة يغير الشوق حال الحضور :

كما أنشد ابن الرومي^(٣) في ذلك:

أغانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدانى
وألثم فاهاً كى تزول صباتي فيشتد ما ألقى من الهيماني
كأن فؤادي ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروح حين يمتزجان

وأما الصبوة : فلا تطلق حقيقة. إلا على الميل والافتتان الواقعين زمن الصبا لكن تطلق تجوزاً على مطلق الميل للمشابهة .

(١) نياط : المعرق الذي القلب متعلق به ، مادة [ينط] .

(٢) النوى : البعد . انظر: القاموس المحيط، مادة [نوى].

(٣) انظر : ديوان ابن الرومي (١٢٥/١) وابن الرومي ، هو : علي بن العباس بن جريح، أبو الحسن، شاعر مشهور ولد ببغداد ونشأ وتوفي بها سنة (٢٨٣هـ) من آثاره: ديوان شعر.

انظر: سير أعلام النبلاء (١١٧/٩) معجم المؤلفين (٤٥٣/٢).

والنزوع والاشتياق: كالصباية أو هي رقة وحرارة في الشوق .
والوجد: شدتها .
والكَلْفُ: الاستغراق والاشتغال، وبالكسر : العاشق نفسه .
والشجن: الهم .
والكرب: تحمُّل النفس كل مشقة لتعلقها بالحُب .
والكآبة: شدة الحزن كالتفجع أو هو توجع وبكاء على الفقد .
والبَرْحُ والغُلُّ: شدة العشق، أو الغُلُّ: من الغلل يعنى العطش .
والجامع: ميل النفس .
والحنين: شوق ممزوج برقة وكلف وتذكر يهيج الباعثة .
والبلبال: شدة الشوق .
والجوى: ضيق الصدر و كتم الهوى، والأرق .
والسُّهْد: شدة السهر وتواتر أحوال المحبوب على القلب، وفي معناه التحرق
واللَّذع والولع وكذا اللوعة واللاعج.
وأما الوصب والنصب: فلوعة مع مرض وغم، وكذا الكمد .
والدنف: شدته قيل مع صفرة؛ أو الكمد تغير إلى سواد، والدنف إلى صفرة
وهو مولد .
والنَّبل والنَّجِيلُ: الجنون وهذا فى الأصح آخر المراتب .
والجزع: عدم الصبر على الفرقة .
والهلع: أشده .
والدَّلة: بالمهملة احتراق القلب بنار الحب .
والخَلابة: سلب العقل .
والهيام: مجرد الحب أو هو السياحة فيه .
والبلَّة: حُمق أو غفلة فيكون هنا استغراقاً فى الحب .
فهذه حقيقة أسمائه التى جعلها مراتبه وليست إلا باعتبار صفة، أو أوَّل، أو
تسمية جزء وسبب أو مسبب وعكس ذلك ، وإنما المراتب ما قررناه وفى ترتيب
هذه الأسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها ونحن قد أوضحنا نفس المعانى
ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمله .

فصل

فيما ذكر له من العلامات

وهي أحوال يتصف بها البدن : كتغير الألوان والعينين، وتواتر النبض والخفقان، وربما ازدادت هذه عند رؤية المحبوب أو سماع ذكره ؛ حتى إنها قد تقضى بالهلاك، وكذا اعتقال اللسان.

وأحوال يتصف بها الفكر: كفساد الذهن، والتعقل، وقد مر.

ثم هذه قد يستدل عليها بالتطور والتنقل.

قيل: أتى بشاب إلى طبيب فلما تأمله لم يجد به ألماً، فقال وهو قابض على نبضه لغلامه: قد أخذني البرد فأتني بالفرجية^(١)، فتغير نبض الشاب تحت يده.

فقال لأمه: إن هذا عاشق امرأة اسمها: فرجية.

فقال وهو كذلك وأنشد:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أشواق الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلي غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري

وفي معناه محبة كل ما ينسب إلى المحبوب حتى الجدار .

وفيه قيل :

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدارَ وذا الجدارا

وما حبُّ الديار شغفَنَ قلبي ولكن حبُّ مَنْ سَكَنَ الديارا

وأبلغ من ذلك هجر ما كان عليه زمن البوصل زمن الفرقة من نحو ملبس ومأكل والاستلذاذ بتقبيل النعل .

قال ابن أبي حجلة^(٢): وقد رأيت من فعل ذلك وعنفته فادعى في ذلك لذة عظيمة فقلت له بعدها وقد رأيتك بمكة، كيف على ما أعلم فيك .

(١) الفرجية: قميص الولد الصغير. انظر: القاموس المحيط، مادة [فرج].

(٢) ابن أبي حجلة، هو: أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد، التلمساني، شهاب الدين، أبو العباس، أديب، وناظم، ناثر، توفي سنة (٧٧٦هـ) من آثاره: أدب الغصن، منطلق الطير، ديوان الصباية. انظر: شذرات الذهب (٦/٢٤٠) معجم المؤلفين (١/٣٢٢).

فأنشد يقول:

ولله منى جانب لا أضيعة وللهمى والخلاعة جانب

أقول: وفيه تطرف عظيم حيث جعل حصة الله منه نصفاً وعدد المقابل وهو دليل مزيد الاشتغال بالله حيث لم يجعل المقاسم واحداً خصوصاً واللهو فى شعره أعم من أن يكون بالمحجوب وغيره .

وأما التشبه بالمحجوب فى سائر الأفعال والأقوال والميل إلى ما يحبه والاستلذاذ باستعمال ما كان من أثره فأمر معلوم لا يجهل ومطلوب بين العشاق حتى قيل إن شخصاً وجد فى تركته اثنا عشر جِملًا وفردة من السراويل لكونه رأى ميل محبوه إليها. وآخر ألف هاون لسماع صوت هاون محبوته، وأما اتحاد الأجساد والمرض حيث يمرض الآخر فكثير.

قيل: مرض أبو نواس ولم يعلم سبب مرضه حتى عاده شخص فأخبره بمرض عنان جارية الناطفى وأنها نشطت.

فكتب إليها:

إنى حِممتُ ولم أشعرُ بِحُمِّك
فقلتُ ما كانتِ الحُمى لتطرقنى
وخصلة كنتُ فيها غيرَ مُتَّهم
حتى قد اتَّفقتُ نفسى ونفسك فى
حتى تحدثَ غواذى بِشكوكِ
من غيرِ ما سببِ إلا لحماكِ
عافانى الله منها حين عافاكِ
هذا وذاك وفى هذا وفى ذاكِ

وفى معناه أنشد:

وقفَ الهوى بى حيث أنتِ فليس لى
أجدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذة
متأخرٌ عنه ولا مُتَقَدِّمُ
جباً لذكركِ فليلمنى اللومُ

ويقرب من هذا قول الشافعى:

مَرِضَ الحبيبُ فعُدْتُه
وأتى الحبيبُ يعوذنى
فمَرِضْتُ مِنْ حَذْرِي عليه
فَبَرِئْتُ مِنْ نَظْرِي إليه

إذا تقرر هذا فليكن الأخف منه كالغيرة وبذل النفس وترك ما سوى المحجوب

بالطريق الأولى، وكذا نظائرها، كاستحلاء ما يتعلق به من نحو حديث، وملبوس، ورؤية ما ينسب إليه ويقوله حسناً صحيحاً، وإن كان بالخلاف ولم ينسب نحو هذا إلى المبالغة عند العشاق للإتيان بأعظم منه كما سمعت .

قال الزراع: ودع هندی جارية كان يهواها فذرفت إحدى عينيه فغمض الأخرى عن الملاذ عقوبة لها أربعاً وستين سنة حتى مات.

وأما حصول العشق برؤية في النوم أو بالأثر أو بالسمع أو بالكلام أو الوصف أو اللمس أو بأول نظرة أو بالمطاوله والمعاشره وزيادته بالبعد لقوم والقرب لآخرين فبحسب الأمزجة، وقد أسلفت في طالع الكتاب تفصيل ذلك، وقبول المزاج سرعة الانتقاش والفرق بين لطافة المزاج وكثافته ونحو ذلك مما ينبئك على تعليل هذا فليراجع وقد ظهر لي في ذلك أن الناس إما ناظرون بلا حجب أو بها إما من العاشق والمعشوق معاً أو من أحدهما فقط، وتختلف الحجب لطفاً وصفاء وعكسهما فهذه أسباب الاختلاف وإن كانت لأهل الحقيقة بالذات.



فيمعن استشهد من المحبين شوقاً
إلى حضرة رب العالمين

فيمن استشهد من المحبين شوقاً

إلى حضرة رب العالمين

لما كان غاية المحبة إما وصولاً إلى المطلوبات الدنيوية ، أو الأخروية ؛ ومبدؤها من الحواس الظاهرة غالباً والباطنة، ومطالبها العالية ومقاصدها الذاتية، وإما اشتغال عن الحق بخيالات وهمية تنتقش في العقل من الخلق، أو ميل نفسى إلى المبدع باستيحاش ممن سواه ، لا جرم قسمت المحبة قسمين: أشرفها متعلقٌ بالثواب : وهو الحب فى الله لأنه لا يُفنى متعلقه ولا تُكيف غايته ولا يفضلهُ شىء فى الحقيقة، إذ ما سواه أوهام تضحل وتزول، وأعراض تفنى وتحول، ولا شبهة فى أن ادخار ما لا يتطرق إليه تغير ولا فناء أولى فى الحكمة عند العقلاء، فلذلك صدرت به الأبواب.

ومدار ما يذكر هنا فى الأصل على ذكر من أفنى نفسه فى طاعة ربه وأكثر اغترافه من الحلية لأبى نعيم^(١).

إذا تقرر هذا فحد المحبة كما قال الحصرى^(٢): وصول إلى مقام الأُنس والنعمة باطنياً، والوحشة والبلاء ظاهراً، بشرط الإشراف على الغيوب، وفناء الكل فى بقاء المحبوب وهذا تعريف لها بحسب الغاية الخاصة، وكان عليه أن يورد التعريف التام العام أولاً ثم يفصل .

(١) أبو نعيم ، هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، أبو نعيم، المهراني، الأصبهاني، الإمام الحافظ، الثقة، العلامة، شيخ الإسلام، الصوفى، وصاحب (الحلية) تفرد فى الدنيا بشىء كثير من العوالى، توفى سنة (١٣٤هـ) من آثاره: تاريخ أصبهان، صفة الجنة، انظر: سير أعلام النبلاء (٤٥٣/١٧) ، البداية والنهاية (٤٥/١٢).

(٢) انظر: زهر الآداب (٣٥/١) الحصرى ، هو: الأديب الشاعر، أبو إسحاق، إبراهيم بن على بن تميم القيروانى، ابن خالة الشاعر الشهير أبى الحسن الحصرى، مدح الكبراء، وشعره سائر مدون، توفى سنة (٥٣هـ) من آثاره (زهر الآداب) ، (المصون فى الهوى) انظر: معجم الأدباء (٩٤/٢) سير أعلام النبلاء (١٣٩/١٨).

وقال الأستاذ أبو يزيد البسطامي^(١): هي استهلاك النفسانية مع بقاء الروحانية وهذا عندي قريب من الأول غير أن بعض شراح النصوص قال: إن فيه تعريفاً بالمادة وأظنه أخذ ذلك من قوله استهلاك، وفيه تكلف.

ونقل الحدين ، البحراني ، في شرح التائية على قول الأستاذ فقال: هوى غيرى قصدت، وأقرهما.

وأحسن منهما ما نقل عن شيخ الطريقة الجنيد^(٢) رحمته الله وقد سئل ما المحبة. فقال: هي الصفاء في الباطن مع حقائق الحق والوفاء في الظاهر، مع استعمال دقائق الشرع.

فهذا والله هو الحد التام وإن كان إلى الخاص أميل. فإن قوله: الصفاء في الباطن؛ يريد به الخلوة الحقيقية التي هي قفل أبواب الحواس عن ممارسة الخلق، ونشر القلب بالاستكانة والخضوع على أعتاب الحق، ونفى الكدورات^(٣) الحسية عن الحواس النفسية لإحاقها بالحضرة القدسية وذلك غير تام قبل نفي العوائق وقطع العلائق^(٤)، والخروج من شوائب الخلائق ليتحقق الصفاء والتخلق بتلك الحقائق:

هناك وجدت الكائنات تحالفت على أنها والعون منى مُعيني

حيث انتفت معاندات الأغيار، وتحققت مآزجات الأخيار، حتى انتقشت المطلوبات الحقية في مرآت الصورة الخلقية، وانبسطت أشعة الأحوال البسطية حيث انتفت الكدورات الوحشية.

(١) أبو يزيد البسطامي ، هو: طيفور بن عيسى بن شروسان، البسطامي، سلطان العارفين، أحد الزهاد، شديد الحب لله، كان دائماً يقول: اللهم لا تقطعني بك عنك، وكان منشغلاً بعبادة الله تقرباً إليه، توفي سنة (٢٦١هـ) انظر: الحلية (٢٣/١٠) سير أعلام النبلاء (٨٦/١٣).

(٢) الجنيد ، هو: ابن محمد النهاوندي، ثم البغدادي القواريري، شيخ الصوفية، تفقه على أبي ثور، أتقن العلم، ونطق بالحكمة، قال عنه ابن المنادي: سمع الكثير، وشاهد الصالحين، وأهل المعرفة، ورزق الذكاء وصواب الجواب، لم يُر في زمانه مثله في عفته وعزوفه عن الدنيا. انظر: حلية الأولياء (٢٥٥/١٠) طبقات الصوفية (١٥٥) سير أعلام النبلاء (٦٦/١٤).

(٣) الكدورات ، جمع كدرة: الغمة. انظر: القاموس المحيط، مادة [كدر].

(٤) العلائق ، جمع العلاقة : سبق تخريجهما .

فلم تهونى ما لم تكن فى فانيا ولم تفن ما لم تجتلى فىك صورتى

وقوله: والوفاء فى الظاهر، يعنى: لكل معاهد بعهدده، وموعدود بوعدده، وضال برده، ومُتَغَفَل بتنبهه وتقوية وجدّه؛ لأن العارف المتصف بما ذكر خليفة الله على خلقه ينفذ فىهم أوامره ويقوم شرائعه، فإن فعل ذلك ظاهراً وباطناً فهو النبى وخلفاؤه، ومن فعله على الأول فهم السلاطين، أو على الثانى فهم الأفراد الأقطاب جوامع الأسرار ومعادن الحقائق والاستبصار، علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل وورثة الأنبياء:

فعالنا منهم نبى ومن دعا إلى الحق مناقم بالرُسُلِية

وأما قوله: استعمال دقائق الشرع بإشارة إلى معنى لا يدركه إلا الخواص وإن غاص عليه من غاص، فإن فيه إشارة إلى حفظ الكليات التى عليها مدار النظام، واستقصاء الجزئيات التى قصر عنها الكلام، واجتهاد النفس فى جمع ما تفرقت فيه الآراء، وتشغبت إليه الأهواء، بيد أن ذلك قبائء لم يُخَطَّ على كل ذى قد وأشكال أقيسة فكر لم يستخلصها كل ذى جدّ، اللهم حققنا بحقائق معارفك، وارفعنا من حضيض زوايا الخمول إلى أوج استقامة لطائفك، وانقل أنفسنا من مراكز عكس الصعود إلى أشرف منازل السعود.

وأما قول بعضهم، وينسب إلى ذى النون المصرى^(١): المحبة أرق بلا رقاد، وجسم بلا فؤاد، وتهتك فى العباد، وتشتت عن البلاد، فتعريف بصورة الحالة الراهنة من المحبة بعد قطع الطرق؛ فإن الأرق الذى هو السهر من الفكر فى الأمور الطارئة على النفس لا يكون إلا بعد تمكن تلك الأمور فى الذهن، وأن الجسم لا يكون بلا فؤاد إلا إذا فنى، فهى كناية عن عدم الالتفات إلى ما من

(١) ذى النون المصرى، هو: ثوبان بن إبراهيم، الزاهد، شيخ الديار المصرية، أبو الفيض، من موالى قريش، كان عالماً، فصيحاً، حكيمًا، هو أول من تكلم ببلدته فى ترتيب الأحوال، ومقامات الأنبياء، فأنكر عليه علماء مصر ذلك وهجره، واتهموه أنه يتكلم فى علم لم يتكلم فيه السلف، ورموه بالزندقة، توفى سنة (٢٤٥هـ) انظر: الحلية (٣٣١/٩) تاريخ بغداد (٣٩٣/٨) سير أعلام النبلاء (٥٣٢/١١).

شأنه أن يدرك بالقلب مما سوى الموجود المطلق بقرينة المقام، وفيه تكلف وخلط لحالة المجانين بأحوال المحبين، وباقي الكلام ظاهر.

وعندى أن المحبة ميل نفسانى إلى المراد، يعضده الجزم بالاعتقاد . ورؤية ما سوى المطلوب من الفساد، وفى الدين ارتداد، وإليه أشار عارف الوقت والحقيقة وسلطان عشاق الخليفة بقوله :

ولو خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى سهواً قضيتُ برِدَّتِي

فقولنا ميل : كالجنس ، ونفسانى : كالفصل ، وإلى المراد فصل قريب، ولذلك آخره. وهذا هو فعل المادة والصورة ، والجزم فى الاعتقاد بالفاعلية، وغاية ذلك الثبات على الحب، حيث ثبت أن ما سواه فساد، فقد جمع هذا الحد -مطرذاً ومنعكساً- أحوال المحبة على وجه العموم، فمن أراد تخصيصه بالفصول اللائقة، ثم لهذه المحبة أوصاف وشروط، منها: أن لا يبالى المحب بما يرد من المحبوب، وأن يؤثر رضاه على نفسه، فيتلذذ فيه بالبلاء كالعطاء وبالغيبة كالحضور، والهجر كالوصل، والفناء كالبقاء، إذا كان ذلك رضا المحبوب.

قال العارف :

فكل الذى ترضاه والموت دونه . به أنا راضٍ والصَّبَابَةُ أَرْضَتِ

فانظر إلى هذا الأستاذ كيف أوضح طرق السلوك للسالك، ودل على المطالب والمسالك، وأوضح مرقاة الوصول للدارج، ونكب^(١) عن المعارج إلى أسنى^(٢) المعارج حيث قال:

نعم بالصبا قلبى صبا لأحبتى

لأن الزمان المذكور محل الميل إلى مرادات النفس وشهواتها، ففى البيت مع الجناس التام واستيفاء مادة الكلام، تحرير أحوال الغرام بأقصى المرام، ثم أكد ما أسس، وأبدع ما جنس، وقوى جزءى الميل حتى صار كلياً بما وشح^(٣) من بديع

(١) نكب: عدل عن الشيء . انظر: القاموس المحيط، مادة [نكب].

(٢) أسنى: أيسر وأسهل. انظر: القاموس المحيط، مادة [سنى].

(٣) وشح: فى الوشاح: نظم اللؤلؤ والجواهر. انظر: القاموس المحيط، مادة [وشح].

نظامه، وأنق^(١) من لطيف كلامه بقوله :

مُحَجَّبَةٌ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالظُّبَا
إِلَيْهَا انْتَهَتْ الْبَابُ إِذْ تَثَّتْ^(٢)
مُنْمَعَةٌ خَلَعَ الْعِدَارَ نِقَابَهَا
مُسْرَبَلَةٌ بُرْدَيْنَ قَلْبِي وَمَهْجَتِي

فجدوا أيها المقصرون ، وانتبهوا أيها الغافلون ، وبادروا أيها المشمرون ، فإن المطلوب خطير، والوصول عسير، وليس هذا قطعاً عن الطريق وتخليلاً للهمم كما زعمه بعض الشراح المتلبسين بهذه الصناعة، الظانين أن الوصول إلى هذا النفس بالظاهر من البلاغة والبراعة، كلا بل هو تبيين وتحقيق لتلا يقدم على هذا الأمر إلا من أراد علو همته، وغلو قيمته، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، ولا يتلبس بالعلم غير أهله، ولا ييسق^(٣) الفرع على غير أصله :

فَللحِبِّ أَقْوَامٌ كِرَامٌ نَفُوسُهُمْ
مَنْزَهَةٌ عَمَّا سِوَى الْحَبِّ يَا خَلِي

إلى غير ذلك مما دلت عليه أبياته الفائقة، وعباراته الرائقة، وألفاظه الشائقة، التي هي لسرادق^(٤) الهمم إلى مقام الوصول سائقة، ولولا ما في ذلك من التطويل الذي يستغرق المدد مع المدد، ويستنفذ الأبد، فضلاً عن طول الأمد، لأوضحت لك ما في كلامه من الأسرار الحقيقية الدالة على أن أبيات القصيدة وضعت كدرج المرقاة^(٥) في الإبرام^(٦) والنقض لا يجوز تقدم بعضها على بعض.

ومن لطيف ما اتفق لي : أني خلوت بنفسي ليلة وكانت ليلة الجمعة سادس رجب الفرد من شهور إحدى وسبعين وتسعمائة، فأخذت أتفكر في كلامه متصفحاً في دقائقه إلى أن قام في فكري معارضة بين ما اتفق له من قوله:
وعيدك لي وعد... البيت.

(١) أنق: عمله بإتقان وحكمه. انظر: القاموس المحيط، مادة [أنق].

(٢) تثنت: تمايلت في مشيتها. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثنى].

(٣) ييسق: ترتفع أغصانه. انظر: القاموس المحيط، مادة [يسق].

(٤) السرادق: الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت. انظر: القاموس المحيط، مادة [سرد].

(٥) المرقاة: المصعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [رقى].

(٦) الإبرام: الأحكام. انظر: القاموس المحيط، مادة [برم].

وقوله: عذب بما شئت غير البعد...

وقوله: وأصعب شيء دون إعراضكم سهل...

وبين قوله: وكل الذي ترضاه... البيت.

فإنه في جميع الآيات أشار إلى أنه راض بكل أفعال المحبوب خلا البعد والهجر، ثم أشار في هذا البيت إلى الرضا بسائر الحالات ومنها البعد والهجر ثم قام عندي جواب أن ذلك عام خصص ثم غشيني النوم، فرأيت كأني بالمدرسة الأشرفية وقد زينت بأنواع الزينة، وليس فيها غيري، وإذا برجل طويل غليظ، شديد البياض، في يده عكاز أخضر، متوشح بثوبين أبيضين، وعلى رأسه كالإزار، فقام عندي أنه الشيخ فإذا هو هو، فسلم علي، ووضع يده على كتفي، ووقفنا متقابلين، وهو يقول لي هذا جواب الفقهاء ولم أقصده.

فقلت: يا سيدي وما الذي قصدت.

قال: أما تعلم أن المسافر أثقل ما يكون في مبادئ سفره، ثم لم يزل يخف إذا طالت طريق حتى لم يبق إلا هو وربما فنى.

قلت: نعم.

قال: وكذلك السالك لم يزل يلقي مرادات نفسه حتى إذا وصل انطوى في دائرة المحبوب فلم يبق له مطلوب، كما في الحديث القدسي: «فبى يسمع وبى يبصر».

فعلت أن هذا الشأن لا يدرك بالعلوم الظاهرة إن لم تداركها نفحات من الحضرة الطاهرة، فرجعت عما كنت عزمت عليه من الكتابة على القصيدة إلا أن تداركني الألفاظ الباهرة.

وقال بعض العارفين: شرط المحبة أن تكون ميلاً بلا نيل، وشرطاً بلا جزاء، لئلا تزول عند زوال العوض ويتأكد ذلك في أحباء الله عز وجل.

روى عن علي عليه السلام أنه كان يقول في مناجاته: إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكنني وجدتك أهلاً للعبادة.

ومن ثم قيل: أفضل الحمد ما وقع دالاً على استحقاق الله له بلا شرط، نحو: نحمدك يا من جلت صفاته عن الإحصاء، بخلاف ما وقع في مقابله شيء كالحمد لله على ما أنعم.

وأخبر السراج، عن أبي بكر الأزدستاني بسنده إلى ابن كثير، قال: لما تاب داود عليه السلام كان له يوم نوح تجتمع إليه فيه الناس، حتى الوحوش والطيور، فينوح ويعظ مذكراً بالجنة، ثم النار، ثم الأهوال، ثم الخوف من الله، وفي كل واحدة يموت من كل طائفة خلق، وولده قائم على رأسه، فيقول: حسبك يا أبت قد مات الناس، ثم يقول له العباد: لا تعجل بطلب الجزاء، فيخر ساجداً مغشياً عليه، فتأخذ كل طائفة من مات منها وتذهب، ثم يدخل بيت عبادته، وهو يقول: يا إله داود غضبان أنت عليه أم راض. إلى أن يخر مغشياً عليه.

وأخرج عبد العزيز بن علي الطحان: عن ابن عطاء في معنى قوله عز وجل ﴿ أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. أن أيوب لم يزل يأكله الدود حتى لم يبقى غير قلبه ولسانه، فأكل بعضه بعضاً حتى بقيت واحدة فدبت إلى قلبه. فقال: ذلك لأنه قال: أي رب لم أخف من بلاء ما دام قلبي عارفاً بحلاوة ذكرك.

فأوحى الله إليه: بم تنظر إلى غداً؟

قال: بهاتين العينين .

قال: لا، ولكني أخلق لك عينين تسميان البقاء؛ لتنظر إلى البقاء بالبقاء .

وقيل: خرج عيسى عليه السلام في سياحته ليلة برد وريح ومطر، فعاج^(١) إلى كهف ليستظل، فخرج إليه أسد .

فقال: أنت أحق بمكانك، وعاد وهو يقول: رب لكل ذي روح ملجأ إلا

عيسى .

فأوحى إليه: كأنك استبطأتني، فوعزتي وجلالي لأزوجنك بجواري، ولأولينك عليك أربعة آلاف سنة.

وحكى المنذرى: عن ابن سعد يرفعه: أن انصارياً بكى من خشية الله خوفاً من النار حتى حبسه البكاء في بيته، فحكى ذلك لرسول الله ﷺ، فأتاه فلما اعتنقه خرّ ميتاً. فقال: جهزوا صاحبكم فإن الفرق، بتحريك الراء: يعنى الخوف، فلذ، بالمعجمة: يعنى قطع كبده.

(١) عاج: مال وعطف. انظر: القاموس المحيط، مادة [عوج].

وحكى أبو نعيم فى الحلية: فى ترجمة عبد الواحد بن زين عن الفضيل بن عياض أن ابن زيد^(١) سأل ربه ثلاث ليال أن يريه رفيقه فى الجنة ، فإذا بقائل يقول له: هى ميمونة السوداء . قال: فقلت: وأين هى؟ .

قال: بالكوفة، فخرجت فى طلبها، فلما سألت عنها. قالوا: هى مجنونة وإنها بموضع كذا ترعى غنيمات لنا، فحجتها فرأيتها قد غرست عكازاً وعليها جبة صوف مكتوب عليها لاتباع ولا تشرى، والغنم ترعى مع الذئب بلا ضرر وهى تصلى، فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها، ثم قالت: يا ابن زيد ليس هذا موضع الموعد^(٢)؟ .

فقلت: ومن أين عرفتنى. فقالت: «الأرواح جنود مجنونة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» .

وفى رواية أخرى ، قالت: جالت روحى وروحك فى عالم الملكوت، فتعارفنا .

فقلت لها: عطينى .

فقالت: واعجبا من واعظ يوعظ .

ثم قالت: يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط على جوارحك لخبرتك بمكنون ما فيها، يا ابن زيد ما من عبد أعطاه الله شيئاً من الدنيا فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حب الخلوة معه، وبدله بعد القرب البعد، وبعد الأنس الوحشة. وأنشدت :

يا واعظاً قام لاختساب
يزجر قوماً عن الذنوب
تهى وأنت السقيم حقاً
هذا من المنكر العجيب

(١) ابن زيد ، هو: عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة البصرى، زاهد، قدوة، شيخ العباد، كان واعظاً جليلاً، يخشى الله ويرجو لقاء وجهه الكريم، وكان كثيراً ما يدعو بذلك توفى سنة (١٥٠هـ) انظر: الحلية (١٥٥/٦) سير أعلام النبلاء (١٧٨/٧).

(٢) أخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب (٣٩/٤) عن سهل بن سعد وقال : رواه الحاكم والبيهقى من طريقه وغيره وقال الحاكم صحيح الإسناد . ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين والأصبهانى من حديث حذيفة .

لو كنت أصلحت قبل هذا غيِّك أو ثبت من قريب
 كان لما قلت يا حبيبي موقِعُ صدقٍ من القلوبِ
 تنهى عن الفئى والتمادى وأنت فى النهى كالمرِيبِ

قال: ثم سألتها: ما بال الذئاب التى مع الغنم لا تضرها؟

فقلت: أصلحت ما بينى وبينه فأصلح ما بين الذئاب والغنم.

وفى الكتاب المذكور عن ابن المبارك^(١) قال: بينما أطوف فى الجبال إذا أنا

شخص، فلما دنا منى إذا هو امرأة عليها ثياب من صوف، فلما دنت سلمت.

ثم قالت: من أين؟

قلت: غريب.

قالت: وهل تجرد مع سيدك وحشة الغربة وهو مؤنس الضعفاء ومحدث

الفقراء، فبكيت.

فقلت: ما بكأوك، ما أسرع ما وجدت طعم الدواء.

قلت: هكذا العليل.

ثم قلت: عظيمى يرحمك الله.

فأنشدت:

ديناك غرارة فذرهما فإنها مركبٌ جموح^(٢)
 دون بلوغ الجهول منها مُنتَهه نفسُهُ تطوح^(٣)
 لا تركب الشر فاجتنبه فإنسه فاحشٌ قبيحُ
 والخير فاقدم عليه جهراً فإنسه واسعٌ فسويحُ

٨٨٨

فقلت: زيدىنى.

(١) ابن المبارك، هو: عبد الله بن واضح الحنظلى، مولاهم، الخوارزمى، أبو عبد الرحمن، عالم،

فقيه، محدث، مفسر، مؤرخ، نحوى، لغوى، صوفى، توفى سنة (١٨١هـ) من آثاره: كتاب

الجهاد، كتاب الزهد، التاريخ. انظر: الحلية (١٦٢/٨) سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨).

(٢) جموح؛ من جمع الفرس: تغلب على راكبه وذهب به. انظر: القاموس المحيط، مادة [جمع].

(٣) تطوح: تتوه وتشرف على الهلاك. انظر: القاموس المحيط، مادة [طاح].

قالت: سبحان الله، أو ما فى هذا الموقف من الفوائد ما أغنى عن الزائد.
قلت: لا غنى لى عنه.

فقلت: أحب ربك شوقاً إلى لقاءه، فإن له يوماً يتجلى فيه لأولياته .

وفيه : عن أبى الفيض ذى النون المصرى رحمته الله قال: بينما أنا فى السياحة ، إذا
لقيتنى امرأة .

فقلت: من أين؟

قلت: غريب .

فقلت: كما قيل لابن المبارك، إلا أنها زادت حيث نهت -أى الأخرى فى
الحكاية السابقة- عن البكاء بأن قالت: البكاء راحة القلب، فما كُتمَ شيء أحق
من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت^(١) الدمعة استرحت .

وهذا ضعف عند العقلاء، فتعجبت من ذلك .

وقال: وصف لى رجل فقصدته، فأقمت على بابه أربعين يوماً فلما رآنى
بعدها هرب منى .

فقلت له: سألتك بالله إلا ما وقفت .

فقال: ما تريد .

فقلت: تُعرفنى بما عرفته.

فقال: إن لى حبيباً إذا قربت منه قربنى وأدنانى، وإذا بعدت صوب^(٢) بى
ونادانى، وإذا قمت باليسير رغبنى ومنانى ، وإذا عملت بالطاعة زادنى وأعطانى
وإذا عملت بالمعصية صبر على وتأنانى^(٣) ، فهل رأيت مثله، انصرف عنى ولا
تشغلنى.

(١) أسبل الدمع : أرسله . انظر: القاموس المحيط، مادة [سبل] .

(٢) صوب بى : صوبه : قال له أصبت ، لسان العرب مادة [صوب] ، والمقصود هنا أعادنى
وأقامنى على الصواب .

(٣) تأنانى : تأنيت الرجل : أى انتظرته وتأخرت فى أمره ولم أعجل ، لسان العرب ، مادة
[أتى] .

ثم ولي يقول :

حَسْبُ الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا بَأَنَّ لَهُمْ
قَوْمٌ جَسَدُهُمْ فِي الأَرْضِ سَائِرَةٌ
مَنْ رُبَّهُمْ سَبَبًا يُدْنِي إِلَى سَبَبِ
وَإِنْ أَرْوَاحُهُمْ تَحْتَالُ فِي الحُجُبِ^(١)
هَفَنِي عَلَى خَلْوَةٍ مِنْهُ تُسَدُّدُنِي
إِذَا تَضَرَّعْتُ بِالإِشْفَاقِ وَالرَّغْبِ^(٢)
يَا رَبِّ يَا رَبَّ أَنْتَ اللهُ مُعْتَمَدِي
مَتَى أَرَاكَ جَهَارًا غَيْرَ مُخْتَجِبِ

وعن أبي الفتح بن سحنون قال: كان سعدون صاحب محبة لله لهجًا بالقول، صام ستين سنة حتى خف دماغه، فسماه الناس مجنونًا لتردد قوله في المحبة، فغاب عنا زمانًا وكنت مشتاقًا إلى لقائه، فبينما أنا بفسطاط مصر على حلقة ذى النون، وإذا به وعليه جبة من صوف.

فنادى: يا ذا النون، متى يكون القلب أميرًا بعدما كان أسيرًا؟ فقال: إذا اطلع الخبير على الضمير فلم ير فيه إلا هو.

قال: فخر مغشياً عليه .

ثم أفاق وهو يقول :

ولا خير في شكوى إلى غير مُشْتَكِي
ولا بد من شكوى إذا لم يكن صَبْرٌ

ثم قال: يا أبا الفيض، إن من القلوب قلوبًا تستغفر الله قبل أن تذنّب.

قال: نعم تلك قلوب تثاب قبل أن تطيع.

قال: يا أبا الفيض، اشرح لي ذلك؟

قال: يا سعدون أولئك أقوام أشرفت قلوبهم بضياء روح اليقين، فهم قد فطموا النفوس عن روح الشهوات، فهم رهبان من الراهبين، وملوك العباد، وأمراء في الزاد للغيث الذي أمطر في قلوبهم الموهبة^(٣) بالقدوم إلى الله تعالى شوقًا، فليس فيهم من أنس بمخلوق، ولا مسترزق من مرزوق، فهو في الملأ حقير وعند الله خطير ثم ولي .

(١) تختال: تتبختر وتتكبر. انظر: القاموس المحيط، مادة [خال].

(٢) الرغب: الشيء المرغوب فيه. انظر: القاموس المحيط، مادة [رغب].

(٣) الموهبة، من الوله: يكون من الحزن والسرور مثل الطرب، لسان العرب، مادة [وله].

وعن أبي سليمان قال: مررت ليلة، فسمعت في جبل اللكام^(١) رجلاً يقول في دعائه: سيدى وأملى، ومن به تم عملى، أعوذ بك من بدن لا ينتصب^(٢) بين يديك، وقلب لا يشتاق إليك ودعاء لا يصل إليك، وعين لا تبكى عليك .
فعلمت أنه عارف، ثم صُعبَ ، فتركته وانصرفت، وإذا أنا برجل نائم فركضت.

وقلت: قم فإن الموت لم يمت، فرفع رأسه وقال: ما بعد الموت أشد منه .
وعن عبد الله بن المبارك قال: مررت فى سياحتى بالشام بطبيب يصف لكل ما يجب فقلت له: يا طبيب أعندك دواء للذنوب؟
فقال: نعم، فلما تفرق الناس .

قال لى: يا هذا عليك بورق الفقر، وعروق الصبر، وإهليلج^(٣) الصفا، وبليج الرضا، وغاريقون الكتمان ، وسقمونيا^(٤) الأحزان ، فامرسهم^(٥) بماء الأجفان^(٦)، ودعهم فى طاجن القلق، وأوقد تحتهم نار الفرق^(٧)، وصفهم بمنخل الأرق واشربهم على الحرق، فإنه شفاؤك.
وأنشد :

يا طبيباً بذكره يُتداوى وَصَفْعُوهُ لِكُلِّ دَاءٍ غَرِيبٍ
ليس حزنى عليك شيئاً عجيباً إنما الصبر عنك شىء عجيب

- (١) جبل اللكام : جبل مشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس، يبتدى من بحر القلزم إلى نواحي الشام. انظر: معجم البلدان (٢٥/٥).
- (٢) ينتصب: يقوم ويرتفع. انظر: القاموس المحيط، مادة [نصب] ، والمقصود هنا قيام الليل .
- (٣) الإهليلج: شجر ينبت فى الهند وكابل والصين، ثمرة على هيئة حب الصنوبر الكبار.
- (٤) سقمونيا: نبات يستخرج من تجاويفه رطوبة وبقة وتجفف وتدعى باسم نباتها أيضاً مضادتها للمعدة والأحشاء أكثر من جميع المسهلات. انظر: القاموس المحيط، مادة [سقم].
- (٥) فامرسهم : المرسى : الدلك ، لسان العرب ، مادة [مرسى] .
- (٦) ماء الأجفان : لعل المقصود به الدموع .
- (٧) الفرق: الفرع. انظر: القاموس المحيط، مادة [فرق].

وسئل أبو بكر الشبلي^(١) ما علامات العارف؟

قال: صدره مشروح، وقلبه مجروح، وجسمه مطروح.

قيل: من العالم؟

قال: من عرف الله، وعمل بما علمه الله، وأعرض عما نهاه الله.

قيل: فما الصوفى؟

قال: من صفا قلبه، ورمى الدنيا وجفا الهوى واتبع المصطفى.

قيل: فما التصوف؟

قال: التآلف، والإعراض عن التكلف، وأحسن منه تصفية القلوب لعلام

الغيوب وأحسن منه التعظيم لأمر الله والشفقة على عباد الله وأحسن منه من

صفا من الكدر وخلص من العكر وامتلاً من الفكر وتساوى عنده الذهب

والمدر^(٢).

وعن إبراهيم بن أدهم^(٣) قال: كنت يوماً من الأيام ماراً بقبر فترحمت

عليه، وبكيت عليه، فسألني من معي عنه.

فقلت: قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن، غرق في الدنيا، ثم استنقذه الله،

بلغني أنه سرَّ يوماً من الأيام بما هو فيه، ثم نام مع بعض محاضيه^(٤) فرأى رجلاً

واقفاً على رأسه وفي يده كتاب، فناوله إياه ففتحه فإذا هو مكتوب بالذهب، لا

تؤثر فانيا على باق ولا تغتر بملكك وسلطانك وخدمك ولذاتك، فإنّ الذي أنت

(١) أبو بكر الشبلي، هو: دلف بن جحدر، البغدادي، شيخ الطائفة، فقيها، عارفاً بمذهب أبي

مالك، كتب الحديث، وقال الشعر، له حكم كثيرة، كان لهجاً بشعر الغزل والمحبة، توفي سنة

(٣٣٤هـ). انظر: الحلية (٣٦٦/١٠) تاريخ بغداد (٣٨٩/١٤) سير أعلام النبلاء

(٣٦٧/١٥).

(٢) المدر: الطين العلك الذي لا يخالطه رمل. انظر: القاموس المحيط، مادة [مدر].

(٣) إبراهيم بن أدهم، هو: ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة، الإمام العارف، سيد الزهاد،

أبو إسحاق العجلي، ثقة، حسن الحديث، جيد الرواية، حبيب الله حديثه إلى الناس، توفي

سنة (١٦٢هـ) انظر: الحلية (٣٦٧/٧) سير أعلام النبلاء (٣٨٧/٧).

(٤) محاضيه: ذوى المنزلة والمكانة. انظر: القاموس المحيط، مادة [حظا].

فيه جسيم لولا أنه عديم، وملك لولا أن بعده هلاك ، وفرح وسرور لولا أن بعده غرور، فسارع إلى أمر الله، فإنه يقول ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] .

فانتبه مرعوباً وخرج إلى هذا الجبل فما زلت أتعهده حتى مات ودفن ههنا.
وحكى : أن ملكاً أراد الركوب يوماً فدعا بشباب الزينة، فجىء بها فردها، وقال: أريد ثياب كذا، فجىء بها فردها، حتى جىء بأصناف كثيرة، ثم اختار ما أراد، وفعل كذلك بالدواب، فلما ركب نفخ إبليس في أنفه فعلاه من التكبر ما لا يوصف حتى أنه لم يخاطب أحداً فبينما هو في موكبه إذا برجل رث الهيئة قد قبض على لجام دابته، وهو يقول لي إليك حاجة .

قال: حتى أرجع .

قال: لا بل مكانك .

قال: اذكرها، فقال: ادن مني ، فطأطأ .

فقال له: أنا ملك الموت ، فتغير واضطرب ، وسأله أن يعود فيودع أهله، فأبى وقبضه مكانه .

وحكى أنه : عارض في ذلك الوقت رجلاً زاهداً، فقال له كما قال للملك، فقال: حباً وكرامة، فقال له ملك الموت: هل لك حاجة تمضى إليها، فقال: لا حاجة أحب إلى من لقاء الله، فقال: اختر على أي حالة أقبضك، فقال: ألك ذلك، قال: نعم، فتوضأ وصلى فلما سجد قبضه .

وعن عتبة المعروف بالغلام^(١): وسمى بذلك لكثرة خدمته^(٢)، أنه كان مقيماً بالجبانة فبلغ خبره على ابن سلمان أمير العراق، فخرج حتى وقف عليه فسلم، فرفع رأسه فرد عليه.

فقال له الأمير: كيف أصبحت .

(١) عتبة الغلام ، هو: ابن أبان البصرى، زاهد، خاشع ، شديد الخوف من الله، كان من نساك أهل البصرة، يصوم الدهر، ويأوى السواحل والجبانة، كان يشبه في حزنه بالحسن البصرى، استشهد في معركة المسلمين مع الروم انظر: الحلية (٢٢٦/٦)، سير أعلام النبلاء (٦٢/٧).

(٢) لكثرة خدمته : عل المقصود بها العبادة وحلقه الذكر .

قال: متفكرًا في القدوم على الله بخير أم بشر، ثم بكى وأطرق رأسه منكسًا إلى الأرض.

فقال الأمير: قد أمرت لك بألف درهم.

فقال: قبلتها على أن تقضيني معها حاجة.

فقال: وقد سر بذلك، وما هي؟

قال: تقبل مني ما وهبتي.

فقال: قد فعلت، وانصرف.

ولقد كان عتبة هذا لا ينام إلا أول الليل، ثم يستيقظ فزعًا مرعوبًا ينادى: النار النار، قد شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ، ويقف للخدمة، وإن البكاء ليمنعه القراءة.

وكثيرًا ما يقول: اللهم يا عالمًا بحاجتي غير معلم بما أطلب، وما أطلب إلا فكاكي من النار، اللهم إن الجزع قد أرقني من الخوف فلم يؤمنني، وكل هذا من نعمتك السابغة عليّ، وكذلك فعلت بأوليائك وأهل طاعتك، إلهي قد علمت لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين.

وعن سهل ابن عبد الله التستري رحمته الله (١): الناس ثلاثة أصناف: صنف مضروب بسوط المحبة، مقتول بسيف الشوق، مضطجع على بابه ينتظر الكرامة. وصنف مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو، وصنف مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة.

وعن حيان القيسي: العباد مع الله على ثلاث طبقات: قوم ظعن^(٢) بهم عن البلاء لئلا يسترق الجزع سرهم، فيكون هذا حكمة، أو يكون في صدورهم

(١) سهل بن عبد الله التستري، هو: ابن يونس، أبو محمد، الصوفي، الزاهد، له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، وقدم راسخ في الطريق، كان يقول: الجاهل ميت، والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصر هالك. توفي سنة (٧٣هـ) انظر: حلية الأولياء (١٠/١٨٩) سير أعلام النبلاء (٣٣٠/١٣).

(٢) ظعن: سار ورحل. انظر: القاموس المحيط، مادة [ظعن].

حرج من قضائه، وقوم ظعن بهم عن مساكنة أهل المعاصي لئلا تغتم قلوبهم، فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعالم، وقوم صب عليهم العذاب صباً فما ازدادوا بذلك إلا حباً .

أقول: والتقسيم الأول شامل لطبقات العالم السعيد منهم والشقي، إلا أن التقسيم الأول أسعد السعداء، وأما هذا التقسيم فهو تقسيم لأهل الله فقط، على أن لنا أن نتكلف للأول أن يكون مثله، وفي هذا تلميح إلى التسليم البحت في القضاء والقدر، والأول إلى الاختيار .

وعن سمنون بن حمزة الخواص^(١): أن أبا بكر البصرى وكان رجلاً من أكابر الأولياء مات قبل الجنيد بيسير وكان قد سمي نفسه بالكذاب لبيت قاله وهو :
فليس لي في سِوَاكَ حَظٌّ فكيفما شِئتَ فافتحني
فحصر بوله أثر قوله هذا فتضجر، فسمى نفسه الكذاب في المحبة.
غيره :

ولو قيل طأ في النار أعلم أنه رضا لك أو مدن لنا من وصالك
لقد مت رجلى نحوها فوطئتها سرورا لأنى قد خطرت بياك
وله أيضاً :

وكان فزادى خالياً قبل حبكم وكان بذكر الخلق يلهو ويمرحُ
فلما دعا قلبى هواك أجابه فلست أراه عن فِئائك يبرحُ^(٢)
رميت بيّن منك إن كنت كاذباً وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرحُ
وإن كان شيء في البلاد بأسرها إذا غبت عن عيني بعيني يملحُ
فإن شئت واصلنى وإن شئت لا فلست أرى قلبى بغيرك يصلح

(١) سمنون بن حمزة ، هو: سمنون بن حمزة الخواص، أبو الحسن، أو أبو بكر، من كبار مشايخ العراق، كان من العباد الناسكين، سمي نفسه بسحنون الكذاب بسبب أبيات قالها، توفي سنة (٢٩٠هـ) انظر: الحلية (٣٠٩/١٠) الألام (١٤٠/٣) تاريخ بغداد (٢٣٤/٩).

(٢) يبرح: يزول من مكانه ويفارقه. انظر: القاموس المحيط، مادة [برح].

وله أيضًا :

يا من فؤادى عليه موقوف وكلُّ همِّي إليه مصروف
يا حسرتى حسرةً أموت بها إن لم يكن لى إليك معروف

وعن الجنيد رحمته (١) قال: أنفذنى السرى فى حاجة، فلما قضيتها دفع إلى

رقعة، وقال: قد أجزتك (٢) هذه الرقعة، ففتحتها فإذا فيها :

ولما شكوتُ الحبَّ قالت كذبتى ألسْتُ أرى منك العظامَ كواسيا

وما الحب حتى يُلصقُ الجلدُ بالحشا وتخرسَ حتى لا تجيب المناديا

وتضعفَ حتى لا يُبقى لك الهوى سوى مقلبةً تبكى بها وتناجيا (٣)

ودخل أبو بكر الشبلى يوماً المارستان (٤) فوجد غلاماً أسود قد غل (٥) إلى

سارية فلما رآه قال: يا أبا بكر، قل لربك ما كفاه أن تيمنى بحبه حتى قيدنى.

وأنشد يقول :

على بعدك لا يصبرُ من عادته القرب

وعن قربك لا يصبر من تيمه الحب

فإن لم ترك العين فقد أبصرَكَ القلبُ

فصعق الشبلى، وخرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق وجد القيود مطروحة ولم ير

الأسود .

وعن على ابن سعيد العطار ، قال: مررت بعبادان (٦) بمكفوف مجذوم، فإذا

(١) تمت ترجمته.

(٢) أجزتك: أبيع لك أو أمكن لك. انظر: القاموس المحيط، مادة [جاز].

(٣) تناجيا ، من المناجاة : ما سارّه الشخص فى فؤاده من الأسرار والعواطف. انظر: القاموس المحيط، مادة [نجو].

(٤) المارستان: كلمة فارسية تعنى دار المرضى انظر: القاموس المحيط، مادة [مرس].

(٥) غل : الغل : جامعة توضع فى العنق أو اليد والجمع أغلال ، لسان العرب ، مادة [غلل] والمقصود هنا أنه ربط إلى السارية .

(٦) عبّدان : مدينة فى غرب إيران قرب مصب شطر العرب . انظر : معجم البلدان (٤/٨٣) .

الزنبور^(١) يقع عليه فيقطع لحمه.

فقلت: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاه وفتح من عينى ما أغلق من عينيه.

قال: فبينما أنا أردد الحمد إذ صرع، فبينما هو يتخبط نظرت إليه فإذا هو

مقعد.

فقلت: مكفوف يصرع، مقعد مجذوم.

قال: فما استتمت كلامى، حتى صاح بى.

فقال: ما دخولك فيما بينى وبين ربي دعه يفعل بى ما يشاء.

ثم قال: وعزتك وجلالك لو قطعتنى إرباً إرباً، أو صببت على العذاب صباً

ما ازددت لك إلا حباً.

وللشبلى رضي الله عنه:

إن المحبين أحياء ولو دفنوا فى التراب أو غرقوا فى الماء أو حرقوا

أو يقتلوا بسيف وسط معركة أحرقتلّف أنف وإن أضناهم الفرق^(٢)

لو يسمعون منادى الحب صاح بهم يوماً للّباه من بالحب يخرق

وعن أحمد بن عيسى الجزار^(٣) قال: دعتنى امرأة إلى غسل ولدها، فلما

جردته قبض على يدي، فقلت: سبحان الله أحياء بعد موت.

فقال: إن المحبين لله أحياء وإن ماتوا.

وقيل: ودعا عبد الواحد يوماً جماعة من الصوفية فأولمهم، وكان فيهم عتبة

الغلام، فقام لخدمتهم ولم يأكل، فلما انصرفوا، قال له عبد الواحد: لم لا تأكل،

(١) الزنبور: حشرة أليمة اللسع. انظر: القاموس المحيط، مادة [زنب].

(٢) حتف أنف: خرجت روحه من أنفه، لأن العرب قديماً كانوا يعتقدون أن الإنسان إذا مات،

تخرج روحه من مقلتيه، وإذا قتل تخرج روحه من أنفسه. انظر: القاموس المحيط، مادة

[حتف].

(٣) أحمد بن عيسى الجزار، هو: شيخ الصوفية، القدوة، أبو سعيد، البغدادي، أول من تكلم فى

علم الفناء والبقاء، إمام القوم فى كل الفنون، أحسنهم كلاماً، توفى سنة (٧٢هـ) انظر: سير

أعلام النبلاء (٤١٩/١٣) الحلية (٢٤٦/١٠).

قال: ذكرت أهل الجنة واجتماعهم على الموائد وقيام الخدم على رؤوسهم، فاشتقت إلى ذلك، فأبت نفسى الطعام، فبكى عبد الواحد وتفرقا متعاهدين على أن لا يولما، ولا يشبعا من نوم ولا طعام .

وقيل: إن عتبة عاهد الله على أن لا ينام إلا مغلوباً.

وقرأ غلام يوماً بين يدي صالح المزى^(١)، بالمعجمة نسبة إلى قرية بدمشق ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]

فقال: كيف يكون لهم حميم وشفيع مطاع والمطالب لهم رب العالمين، والملائكة تسوقهم بمقام^(٢) الحديد، يسحبون تارة على الوجوه ويمشون أخرى ما بين باك ومناد بالويل، ثم صاح: يا ويلتاه، ويا سوء منظراه، وبكى وبكت الناس.

فقام شاب فيه تأنث^(٣)، فقال: أوكل ذلك فى القيامة يا أبا بشر .

فقال: وأكثر من ذلك، لقد بلغنى أنهم يصرخون إلى أن تنقطع أصواتهم.

فقال الشاب: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكى، وخر ميتاً بعد أن استقبل

ودعا بالتوبة، فرؤى بعد قليل فى النوم.

ف قيل له: ما فعل الله بك؟

فقال: أدخلنى الجنة ببركة مجلس صالح.

قيل: دعا صالح يوماً، فمر به مخنث وهو يقول فى دعائه: اللهم اغفر لأقسانا

قلبا، وأحمدنا عيناً، وأقربنا بالذنوب عهداً، فسمع المخنث فمات، فرؤى فى

المنام، فقال كما قال الشاب .

(١) صالح المزى، هو: محمد بن على بن عثمان العوفى، الإسكندرى، شمس الدين، أبو الفتح،

فقيه، لغوى، محدث، صوفى، شافعى، له علم بالأدب والشعر، توفى سنة (٩٦هـ) انظر:

الأعلام (٥٤/٧) معجم المؤلفين (٦٦٠/٣).

(٢) مقام: جمع مقمعة: حديدة يضرب بها الإنسان ليدل. انظر: القاموس المحيط، مادة [قمع].

(٣) تأنث: لين ورخو. انظر: القاموس المحيط، مادة [أنث].

وقال عبد الوارث^(١): نظرت إلى رياح القيسي^(٢) يقبل غلامًا من أهله.
فقلت: تحبه؟

قال: نعم .

قلت: ما كنت أظن أن في قلبك بقية لأحد، فخر مغشياً عليه، فلما أفاق
مسح وجهه .

وقال: إنما هي رحمة منه ألقاها في قلوب العباد .

وحكى ابن سعيد التيمي قال: نظرت إلى جارية سوداء تسف^(٣) الخوص
وهي تقول:

لك علم بما يجنُّ فؤادى فارحمن ذلُّ ذلتى وانفرادى^(٤)

فقلت لها: ما علامة الحب؟ وكان إلى جانبها رجل يصرع .

فقلت: يا بطل، الحب أن تقول لهذا المجنون: قم، فيقوم، ورمقته فقام،
والجنىُّ يقول ويحك لاعدت إليه أبدًا.

فهذا ملخص ما ناسب ترجمة الباب وقد ذكر في الأصل ما لا علاقة له إذا
أمعن النظر بهذا المحل وربما يأتي بعضه حيث نجد له محلاً .

ع

(١) عبد الوارث ، هو: أبو عبيدة العيزى ، مولاهم البصرى ، الإمام ، الثبت ، الحافظ، المقرئ ،
كان عالمًا مجودًا ، من فصحاء أهل زمانه ، ومن أهل الدين والورع، توفى سنة (١٨٠هـ)
انظر: سير أعلام النبلاء (٣٠٠/٨) ميزان الاعتدال (٦٧٧/٢) .

(٢) رياح القيسى ، هو: ابن عمرو، أبو المهاصر، بصرى، زاهد كبير القدر، كان شديد الخوف
من الله، كثير التعبد، كان يقول: لى نيف وأربعون ذنبًا، قد استغفرت لكل ذنب مئة ألف
مرة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧٤/٨) الخلية (١٩٢/٦) .

(٣) تسف: تنسجه بأصابعها. انظر: القاموس المحيط، مادة [سف].

(٤) يجن: يضم ويكن. انظر: القاموس المحيط، مادة [جن].

فصل

من الباب في ذكر من فارقت روحه من الأحباب

قال عبد الرحمن الصوفي: مررت في أسواق بغداد بسوق النحاسين^(١)،
فرايت جمعاً كبيراً على شاب مطروح .
فقلت: ما باله؟

قالوا: سمع قارئاً يقرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ
اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فسقط مغشياً عليه .

قال: فلما سمع الكلام انتبه وهو يقول:

لم يأن للهجران أن يتصرماً
وللعاشق الصب الذي مات والمحنى
وللفصن غصن البان أن يتبسماً^(٢)
أما آن أن يئكى عليه ويؤجها
كتاباً على نقش الوشاة منمنماً

ثم صاح وخر مغشياً عليه .

وروى عن الحواري مثل ذلك إلا أنه زاد:

وللفصن غصن البان أن يتكلما

وفي البيت الأخير:

كتاباً حكى نقش الوشاة

وقام أبو زهير في مجلس المزى فقال له: اقرأ، فقرأ صالح ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا
عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣] إلى قوله ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] فقال له:
أعدها، فلم يزل يكررها حتى سقط ميتاً .

وفي رواية الحافظ مغلطاي: عن أبي القاسم في الأمالي، وابن أبي الدنيا في
كتاب الخائفين: عن صالح ومحمد بن واسع وحبيب وثابت البنالي ومالك بن
دينار.

(١) النحاس: بائع الدواب والرقيق. انظر: القاموس المحيط، مادة [نحاس].

(٢) يتصرم: يتقصى وينقطع. انظر: القاموس المحيط، مادة [صرم].

أنهم قالوا: أتينا أبا زهير الضرير المذكور، وقت الظهيرة للزيارة، فخرج إلينا وكأنه نشر من قبر، فصلى وجلس كالمهموم، فسلمنا عليه.

فقال لصالح: اقرأ فقرأ الآية المذكورة، فخر ميتاً.

فقلنا: هل له من أحد؟

فقال الحاضرون: نعرف امرأة تأتيه من هنا ببعض حاجاته، فاستحضرناها

بالقصة.

فقلت: لعل فيكم صالحاً.

قلنا: وما يدريك به.

قالت: كثيراً ما كان يقول لي: إن قرأ على صالح قتلنى، فجهزناه رحمه الله

تعالى.

أخبرنا أبو الطيب: وكان صوفياً من أهل سُرَّ مَنْ رَأَى^(١) مدينة بالعراق، قال:

حضرنا يوماً فى مجلس ومعنا رجل صوفى يقال له أبو الفتح، فقرأ قارئاً ﴿أَوْلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧].

فقال الرجل: بلى وخر مغشياً عليه فلم يفق إلى أن ذهب النهار، ثم مضى،

فبلغنى بعد أيام أنه حضر بالكرخ مجلساً فأنشدت فيه تجارية الأبيات المنسوبة إلى عبد الصمد المغربى الإشبلى المعروف بالمعدل:

يا بديع الدَّلِّ والغَنَجِ لك سلطان على المَهَجِ^(٢)

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السُّرْجِ^(٣)

وجهك المعشوق حجتنا يوم تأتى الناس بالحُجَجِ

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبية: كيف قلت؟ فلما بلغت البيت

خرّ ميتاً.

(١) سر من رأى: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة وقد خربت. انظر: معجم

البلدان (١٩٥/٣).

(٢) الدل: الحالة التى يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشمائل. الغنج:

الدلال. انظر القاموس المحيط مادة [دل]، [غنج].

(٣) السرج، جمع السراج: المصباح الزاهر. انظر: القاموس المحيط، مادة [سرج].

وأخرج في الأمالي عن عبد المؤمن القصة إلا أن البيت الأخير :
وجهك المأمول حجتنا

قلت : ولعل الذى مات من سماعه الرجل هو هذا؛ لأن العارفين إذا سمعوا ما يدل على صاحب البقاء كان أكثر أخذاً من نفوسهم ولا شبهة فى أن المأمول أبلغ .

وحكى أبو الفرج الصوفى قال : كنا نجتمع للخدمة ، وكان بالقرب منا رجل اسمه القاسم الشركى ، يرعى عنيزات وكلما دعونا إلى السماع أبى ، فمرّ به صبى يوماً يغنى :

إن هـواك الذى بقلبى صيرنى سامعاً مطيعاً
أخذت قلبى وغمض عيني سلبتنى العقل والهجو^(١)عاً
فدع فؤادى وخذ رقادى فقال لا بل هما جميعاً
فراح منى بحاجتيه وبث تحت الهوى صريعاً

فاعتراه اضطراب شديد وأقبل يقول للصبى : كيف قلت؟ فخاف الصبى منه ومضى ، فجعل يقول له : لا بأس عليك ، كيف قلت؟ فلم يجبه وانصرف ، فرجع هائماً إلى رجل هناك بطبرية^(٢) يقال له حامد الفاخورى ، وكان عارفاً بالأشعار ، فجعل يردد الأبيات عليه ثلاثة أيام وهو يضطرب حتى مات .

وأخرج مغلطاي : عن ابن أبى الدنيا والمنذرى ، آخر الترغيب فى فضل الخوف : عن ابن عمر وصححه الحاكم : أن رجلاً حبشياً أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله فضلتم علينا بالألوان والنبوة ، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت ، أكون معك فى الجنة ، قال : ((نعم)) ثم قال صلى الله عليه وسلم : ((من قال : لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال : سبحان الله ، كتب له بها مائة ألف حسنة)).

(١) الهجوع : النوم ليلاً . انظر : القاموس المحيط ، مادة [هجع] .

(٢) طبرية : بلدة مطلة على بحيرة طبرية ، فى طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها ، وهى من أعمال الأردن ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام . انظر : معجم البلدان (٢٠/٤) .

فقال رجل: يا رسول الله كيف يهلك بعد هذا؟ فقال النبي ﷺ: ((والذي نفسي بيده إن الرجل ليحییء يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله، فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفذ ذلك كله لولا ما يتفضل الله من رحمته))، ثم نزلت ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] إلى قوله ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ .

فقال الحبشى: يا رسول الله وهل ترى عيني في الجنة مثل ما ترى عينك؟ فقال: ((نعم)). فبكى الحبشى حتى فاضت نفسه ﷺ .

قال ابن عمر: رأيت رسول الله ﷺ يدلّيه في حفرة بيده. رواه الطبرانى عن أيوب بن عتبة .

وأخرج مغلطاي: عن ابن أبي الدنيا [كتاب الخوف] بإسناده إلى عاصم البصرى، قال: كنت إماماً بمسجد ابن جراد، وكان يتردد إلى رجل، فسألنى يوماً مصحفاً ينظر فيه، فأعطيته إياه، فخرج وهو يقول: فسيكون لى ولهذا المصحف نبأ عظيم، واختفى، فلم أره بقية اليوم يحضر الصلاة، فلما كان الصباح، دخلت عليه فوجدته ميتاً والمصحف على صدره، فخرجت متفكراً فى أى شىء أكفنه، وإذا أنا بجماعة من العباد منهم حسان وحبیب وابن واسع ومع كل كفن وحنوط فقالوا: أتعرف هنا رجلاً مات؟

فقلت: لا أعرف إلا رجلاً غريباً كان يصلى هنا.

فقالوا: أنت أشقى من أن تعرف ثم دخلوا عليه وجعلوا يتنافسون فى تجهيزه ثم صلوا عليه ودفنوه. ورأيت هذه الحكاية فى أنيس الجليس إلا أنه زاد: ورأيت المصحف مفتوحاً وأول سطر فيه ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية . وفى الحلية: عن ابن السماك ، قال: دخلت البصرة على رجل أعرفه، فسألته أن يدلنى على رجل من العباد فدخّلنا على رجل منكس الرأس، كثير الصمت، لابس الشعر، فلم يكلمنا، وخرجنا، فقال لى: أتدخل على ابن العجوز، فدخّلنا على شخص يشبه الأول، وعنده أم له عجوز.

فقال: لا تذكروا لولدى ناراً ولا جنة فتفجعونى فيه، فلما جلسنا عنده رفع رأسه، فقال: أما للعباد موقف يقفون فيه؟

فقلنا: بين يدي من خلقهم، فشهو شهقة فارق الدنيا .

وفيها قال: دخل جماعة على أبي سعيد القطان، فقرأ رجل منهم سورة الدخان، فلما انتهى إلى قوله ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠] جعل يضطرب ويعلو صدره حتى غشى عليه وأصاب صدره فأدماه، وجاءت النساء، وخرجنا إلى الباب، فلما سكنت الغوغاء^(١) دخلنا عليه، فإذا هو على فراشه يردد الآية حتى قضى عليه .

وحكى مغلطاي: عن ابن أبي الدنيا، قال: كرر ابن خليد، قوله عز وجل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فناداه مناد: كم تكرر هذه الآية؟ فقد قتلت بها أربعة نفر من الجن لا يرفعون رؤوسهم حتى يموتوا.

ورأيت في أنيس الجليس القصة: وزاد فيه أن رجلاً قصد الحج، فعدل عن الطريق تائهاً إثر نوم، فإذا هو في أرض لا يعهد مثلها، وإذا بقوم قد أقبلوا إلى ماء هناك فتوضؤوا ودعوه إلى الصلاة بهم، فصلى وقرأ الآية، فحروا إلى الأرض، وحركوا فوجدوا أمواتاً، وقائل يقول له: يا عبد الله إن هؤلاء قوم من الجن قد اعتزلوا ههنا للعبادة وإن الخوف لم يترك فيهم بقية، وأنت إن أردت الحج فامض أمامك فستظفر بأصحابك، طلوع الفجر، قال الرجل: فكان كذلك.

وعنه عن محمد بن صالح قال: خرجنا ومعنا قارئ يقرأ فسمعت امرأة من أهل البصرة على سطح، فاضطربت حتى غشى عليها، واحتملت إلى بيتها، فلم نبرح حتى قضت نجبها، وكان لها مشهد عظيم .

وعن محمد بن منصور بن عمار، قال: مررنا في جوف الليل فإذا بشاب قائم يصلي، وهو يقول في مناجاته: إلهي ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك^(٢) جاهل، ولكن خطيئة عرضت وأعانني عليها شقائي، وغرني سترك المرخي، وقد عصيتك بجهدي، وخالفتك بجهلي، فالآن من عذابك من يستنقذني، وبجبل من أتصل إن أنت قطعت حبلك مني،

(١) الغوغاء: الصخب والجلبة. انظر: القاموس المحيط، مادة [غاغ].

(٢) النكال: العقوبة، انظر: لسان العرب، مادة [نكل].

وا شباباه وا شباباه فلما فرغ، تلوت آية من كتاب الله وهي ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ الآية.

فسمعت دكدكة^(١)، وانقطع الصوت، فلما أصبحنا رجعنا على الأثر، وإذا
بجنازة وعجوز قد أخذ منها الكبر، فسألناها؟

فقلت: مر قارئ بولدي، فقرأ آية، فتفرطت مرارته ومات .

وعنه من طريق آخر: الحكاية، زاد فيها، بعد قوله: إن قطعت حبلك
عنى، وا سواتاه، إذا قيل للمخفين جوزوا^(٢) وللمثقلين حطوا^(٣)، فيا ليت شعري
أمع المثقلين نخط، أو مع المخفين نجوز؟ ويجي، كلما طال عمري كثرت ذنوبي،
ويجي كلما كبر سني كبرت خطاياي، فيا ويلى كم أتوب وكم أعود ولا
أستحي من ربي .

قال منصور: فلما سمعت كلام الشاب وضعت فمي على باب داره، وقرأت
الآية المذكورة وعلمت الباب، فلما رجعت [الحكاية]، إلا أنه ذكر عن العجوز
أن الشاب كان يصنع الخوص ويبيعه ويقسمه بين القوت والصدقة وشراء
الخوص.

وعن ذى النون المصري، قال: بينما أنا أسير على جانب البحر فى الليل،
وإذا أنا بجارية عليها أطمار^(٤) شعر، وهى ناحلة عذابة، فدنوت منها لسماع ما
تقول، وإذا هى متصلة الأحزان بالأشجان، وقد عصفت الرياح، واضطربت
الأمواج، وظهرت الحيتان، فصرخت وسقطت إلى الأرض، فأفاقت وهى تقول:
سيدى لك تقرب المتقربون فى الخلوات، ولعظمتك سبحت الحيتان فى البحار
الزاحرات^(٥)، ولجلال قدسك تصافقت^(٦) الأمواج المتلاطمات، أنت الذى سجد

(١) دكدكة : تهدم. انظر: القاموس المحيط مادة [دكك].

(٢) جوزوا : مروا . انظر: القاموس المحيط، مادة [جاز].

(٣) حطوا : امكثوا وأقيموا . انظر: القاموس المحيط، مادة [حطط].

(٤) أطمار ، جمع الطمر: الثوب الخلق البالى. انظر: القاموس المحيط، مادة [طمر].

(٥) الزاحرات : الفياضة. انظر: القاموس المحيط، مادة [زخر].

(٦) تصافقت : تلاطمت وتحركت. انظر: القاموس المحيط، مادة [صفق].

لك سواد الليل، وضوء النهار، والفلك الدوار، والبحر الزخار، والقمر النوار،
والنجم الزهار، وكل شيء عندك بمقدار لأنك العلى القهار.
وأنشدت :

أحبك حُبَّ الهوى وحبًا لأنك أهل لذاك
فأما الذى هو حبُّ الهوى فحب شغلتُ به عن سواك
وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحُجُب حتى أراك^(١)
فما الحمدُ فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمدُ فى ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا، فوقفت متعجبًا، وإذا بنسوة على أحسن ما
يكون من الحالات، قد أقبلن فاحتملنها، ثم غبن، وأقبلن بها قد جهزت،
فقدمتنى للصلاة وهن ورائى، فلما فرغت، مضين بها .

قال المختصر عن مغلطاي: رأيت ، غير ما مرة ، شيخًا مغربيًا يحمل على
ظهره الخضر من باب زويلة^(٢) إلى الكتبيين ، ويكثر من إنشاد شعر بلا وزن،
مضمونه: أن الحاكم أخذ ماله المتروك عن والده، وأوراقًا كثيرة منها هذا الشعر،
وأنه استمع ليلة لمحدث فى سيرة البطال ، وقد ذكر أن جماعة قتلوا فى الجهاد.

فقال المغربى للمحدث: وفيم قتل هؤلاء ؟

قال : فى سبيل الله.

قال المغربى: وأنا أيضًا أموت فى سبيل الله.

فقال له المحدث: افعل ، فتمدد إلى جانبهم فحُرِّك فإذا هو ميت .

وعن أبى الحسين أحمد بن أبى الحوارى ، قال: مررت فى الشام بقبة وإذا أنا

بامرأة تدق الحائط، فقلت لها: ما بالك؟

فقالت: امرأة ضالة، دلنى على الطريق.

فقلت: أى الطريق تريدن؟

(١) الحجب ، جمع حجاب : الساتر . انظر : القاموس المحيط، مادة [حجب].

(٢) زويلة : باب عظيم فى القاهرة بناه بدر الجمالى على أيام المستنصر الفاطمى . انظر: معجم

البلدان (١٧٩/٣) .

. قالت: طريق النجاة .

قلت: هيهات إن بيننا و بينه عقبات لا تقطع إلا بسير حثيث، ونصح المعاملة، وقطع العلائق الشاغلة من أمور الدنيا [عن] الآخرة .

فقالت: سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تنقطع، وحفظ عليك فؤادك فلم ينصدع، ثم خرت مغشياً عليها.

فقلت للنساء: حركنها، فإذا هي ميتة ووصيتها إلى جانبها: أن كفنوني في أثوابي وخلوا ما بيني وبينه، فإن كان لي عنده خير فهو أسعد لي، وإلا فبعداً لنفسي .

وفي الأصل قيل : كان بالموصل^(١) رجل نصراني يكنى أبا إسماعيل ، وإنه سمع يوماً قارئاً يقرأ ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، فبكى حتى غشى عليه، ثم أسلم فنجا وصحب الموصل، فحدث عنه: أنه نظر يوماً إلى الدخان يفور من المدينة فبكى، وقال: قد قرب الناس قربانهم فليت شعري ما قرباني، وجعل يبكي حتى فارق الدنيا .

هذا ما قرره من أول الباب إلى هنا، وفي كل نظر، وذلك أنه عقد الباب كله لعشاق الله، ثم ذكر فصلاً لمن مات بذلك، على أنه قد ذكر قبل الفصل من مات، وبعده من لم يموت بآخر، وقال إنه لعشاق الحور العين، وقد أمطنا ما يتوقف فيه النظر حيث لم نذكر إلا ما يظهر فيه ظرف المناسبة، ومن هنا إلى آخر الباب لم يخالف أوله، فلا فائدة في الفصل، فتأمل .

عن منصور بن عمار^(٢) قال: بينا أنا في السياحة إذ مررت بخدم وقصر ملكي لا أتمكن الإحاطة بوصفه، فهممت أن أدخله فانتهروني^(٣)، فلم أبال بهم،

(١) الموصل : مدينة مشهورة، وإحدى قواعد بلاد الإسلام، وهي باب العراق ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان . انظر : معجم البلدان (٢٥٨/٥) .

(٢) منصور بن عمار ، هو: أبو السري السلمي، الخراساني، ابن كثير، واعظ، بليغ، صالح، كان عديم النظير في الموعظة والتذكير، كان ينطوي على زهد وتأله وخشية، توفي سنة (٢٠٠هـ) تقريباً انظر: حلية (٣٢٥/٩) ، سير أعلام النبلاء (٩٣/٩) .

(٣) انتهروني : زجروني بشدة . انظر : القاموس المحيط ، مادة [نهر] .

ودخلت فإذا أنا بشاب في أرفع طبقات الجمال والملابس، وقد استحضر صبية تناسبه، فلما رأني هم بقتلي .

فقلت: أنا طيب وقد رأيت فيك داء.

فقال: وما هو؟

قلت: ميلك إلى الفاني وحبك ما لا يبقى، وغفلتك عما عند الله، ثم وصفت له الجنة والنار وما فيهما، فتجرد من وقته، وكان ملك البصرة، فلما خرجنا وقد زال ما في القصر من البهجة، تعلقت به الصبية، وقالت: على من تتركني؟ ثم تجردت، وخرجنا هائمين، فلما كان بعد عام، وأنا في الطواف، إذا أنا به يتضرع وقد أخلقته العبادة حتى لم أعرفه، إلى أن قال لي: أما تعرفني يا طيب، ثم ذكرني بالحالة.

ثم قال لي: هل لك أن تنظر إلى نسوان؟ يعني الصبية، قلت: نعم، فأخذ يدي حتى أوقفني عليها، فلما رأني قالت: مرحباً أيها الطيب، ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا فقال الرجل: إني على إثرها فلا تبرح، ثم نظر إليها وخر ميتاً .

وعن عبد الواحد بن زيد قال: اشتكيت ألماً في ساقى حتى منعني القيام، فتحاملت حتى عجزت، فجمعت إزارى في المحراب وتوسدته^(١) فغفلت، وإذا أنا بجارية كأنها جوهرة شفاقة وعليها من الملابس ما يهر العين رؤيته، وخلفها جوار كأنهن الأقمار.

فقلت لبعضهن: احتملنه ولا تؤذينه.

ثم قالت: افرشنه ومهدنه، وأقبلت تمس على ألى.

ثم قالت: قم إلى صلاتك بلا أذى، فانتبهت كالذى نشط من عقال^(٢) .

وعنه من رواية أخرى، أنها قالت له: أنا لك فجد في طلبى فإنى فى طلبك. قال: فلم أتم بعدها.

(١) توسد : جعله تحت رأسه. انظر: القاموس المحيط، مادة [وسد].

(٢) العقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها. انظر: القاموس المحيط، مادة [عقل].

وفي أخرى عنه ، قال: فما أخذتني السنة حتى رأيت شاباً ويده ورقة بيضاء
فناولني إياها وإذا فيها :

ينام من شاء على غفلة والنوم كالموت فلا تتكىل

تنقطع الأعمال فيه كما تنقطع الدنيا على المتكىل

وكان كثيراً ما يردد هذه، ويقول: فرق الموت بين المصلين ولذة الصلاة.
ويعدد أفعال الخير، ولعل الوقائع متعددة .

وعن صاحب المصارع: بسنده إلى محمد بن الفرغ، قال: نظرت إلى جارية
تباع، فقلت: بكم هذه؟

قيل: بألف دينار، فرفعت رأسي إلى السماء، وقلت: اللهم إنك تعلم أني لا
قدرة لي على ذلك وأنى لو سألتك إياها لو هبتها لي، ولكني أسألك أنفس منها
عندك، من لا تمرض ولا تسقم، ومهرها عندي، أن لا أنام ليلاً، ولا أطعم نهاراً،
ولا أضحك إلى أحد، وها أنا مجد في المهر. فلم ير بعد ذلك على غير ما قال
حتى مات .

وعن رابعة العدوية^(١) قالت: كان لي ورد في الليل قد اعتدته، فمرضت
مرضاً أعقبني فترة عنه، فبينما أنا راقدة إذ نظرت كأني في روضة كثيرة النبات
والقصور، وجارية تطارد طيراً أخضر تريد أن تأخذه، فالتهيت بحسنها عنه،
وقلت: دعيه لأنى لم أر أحسن منه.

فقالت: ألا أريك أحسن منه، فقلت: بلى، فأخذت بيدي فأدخلتني إلى بيت
يحار فيه البصر من تالأؤ نوره، ثم رفع عن نستان وخرج منه وصائف بأيديهن
مجامر الند^(٢) والعنبر.

فقالت لهم الآخذة بيدي: إلى أين؟

(١) رابعة العدوية ، هي: بنت إسماعيل، صوفية كبيرة وعابدة شهيرة ، تمكنت من معرفة دقائق
التصوف مكاناً عالياً، واستفتاها في دقائق التصوف كبار المتصوفة في عصرها، توفيت سنة
(١٣٥هـ) ودفنت ببيت المقدس انظر: أعلام النساء (١/٤٣٠).

(٢) الند : عود يتبخر به. انظر: القاموس المحيط، مادة [ندد].

فقالوا: إلى فلان قد قتل في البحر.

فقالت: ألا تجهزن هذه المرأة.

فقالوا: قد كان لها حظ في ذلك فتركته، فانتبهت فزعة ولم أتم بعدها.

وبقى من هذا الباب بعض حكايات لا تناسب الترجمة ومع ذلك فائدتها قليلة

فلذلك أضربنا عنها .



في أحوال عشاق الجوارى والتواعب
وذكر ما صدر لهم من العجائب

في أحوال عشاق الجوارى والكواعب

وذكر ما صدر لهم من العجائب وفيه خمسة أقسام

القسم الأول

فيمن اشتهرت سيرته وظهرت في الحب سيرته

قد تقدم في أحوال العشاق أنه من الأحوال القديمة حتى ورد فيه ما سمعت من الأخبار والآثار وغالب ما يكون من قبل النساء، حتى قال بعض العارفين وأظنه الجنيد: كما أن النساء حبائل الشيطان فهن حبائل العرفان: إذ قد يتوصل العاقل من عشقهن إلى معرفة مبدعهن لأن المقدمات الصريحة تنتج الأغراض الصحيحة، وبالحرى من أمعن النظر في مخلوق زائل ترقى عند معرفة غايته إلى دائم فاعل، وهذا مثل قولهم: الرياء قنطرة الإخلاص .

عن ابن عباس قال: لما عتقت بريرة^(١) وكان زوجها حبشيًا وفي رواية أسود، وخيرت فاخترت الفسخ، جعل يطوف في المدينة باكيًا يترضاها، فقال لها رسول الله ﷺ: لو تزوجته، فقالت: إن أمرتنى بذلك، فقال: لا أمرك ولكنى شفيع . وقد أخرج القصة البخاري .

وفي تنمة ذيل الأمالي للقالى عن ابن الأنبارى، قال: دخلت على إبراهيم بن محمد وقد سامته جارية له البيع فأجابها وكان يجبهها

فأنشد :

أبت الغداة بوصلها غراراً فدموع عينك لا تجف غزار
وامتبدلت بك صاحبًا وموانسًا وكذا الغوانى وصلهن مَعَار^(٢)

وكان ابن عباس يومًا جالسًا بفناء الكعبة إذ وضع بين يديه شخص قد حمله إلى الكعبة يستشفون له فكشف عنه.

(١) بريرة، هي: مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق، من ربات العقل والفراسة. عن ابن عباس: أن زوج بريرة كان عبدًا أسود، يسمى: مغيثًا، فقضى النبي فيها أربع قضيات: أن مواليها اشترطت الولاء، فقضى أن الولاء لمن أعتق، وخيرت فاخترت نفسها، فأمر النبي أن تعتق. فكنت أراه يتبعها في سكك المدينة، يعصر عينيه عليها. انظر: الإصابة (٥٠/٨).

(٢) الغوانى، جمع غانية: هي للمرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة. انظر: القاموس المحيط، مادة [غنى].

فأنشد :

بنا من جوى الأحران والحبّ لوعّة تكاد لها نفسُ الشفيقِ تذوبُ^(١)
ولكنما أبقى حُشاشةً ما ترى على ما ترى عود هناك صليبُ
فرأى رسمًا عافياً^(٢) وحسًا خافياً وجسمًا بالياً، فمكث أربعين يوماً لا يسأل
الله بعد صلاته إلا المعافاة من العشق.

وأخرج ابن عساكر في الأمالي : أن هذا المذكور عُذِرِيّ.

وقال السيوطي في شرح الشواهد: أن اسمه عروة بن قيس وأنه ولع بجارية
من العرب فزوجوه بها بشفاعة الحسين بن علي، فأقام معها مدة وكانت أمه
تقسم عليه أن يفارقها وهو يقول لها: أخاف تلاف نفسي، فلم ترض، فلما كان
يوم حر شديد وقفت حافية على الرمل وأقسمت لا تزول أو يفارق عروة
الجارية، ففارقها رفقا بأمه، فجعل يزداد به الوجد حتى امتنع من الطعام
والشراب، وعاود أهلها فأبوا عليه، فأقام أياماً وحُمِل كما ذكر - للكعبة فلم يغن
عنه فلما عادوا به توفى في الطريق .

وحكى أن: الأحوص بن جعفر^(٣) الشاعر المشهور كان يهوى أخت زوجته
ولا يفصح باسمها وفي الأمالي أن اسمها نخلة، فتزوجت برجل من العرب اسمه
مطر، فاشتد بالأحوص الغرام، فباح به.

وأنشد :

إن نادى هديلاً ذاتَ فلج مع الأشواق في فنّ حمام^(٤)
ظلمت كأن دمعك دُرْسِيك هوى نَسَقًا و أسلمه النّظام

(١) الشفيق: الحريص على الخير والإصلاح. انظر: القاموس المحيط، مادة [شفيق].

(٢) عاف: ذو صحة تامة. انظر: القاموس المحيط، مادة [عفى].

(٣) الأحوص بن جعفر، هو: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم، الأنصاري، من بني
ضيعة، شاعر هجاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر، كان معاصراً لجرير
والفرزدق، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه، توفى سنة (١٠٥هـ)، من آثاره: ديوان
شعر. انظر: الأعلام (١١٦/٤)، الأغاني (٤٠/٤).

(٤) الهديل: صوت الحمام. انظر: القاموس المحيط، مادة [هدل].

تموت تشوقاً طرباً وتحيا
 كأنك من تذكر أم حفص
 صريع مدامة غلبت عليه
 وإنى من بلادك أم حفص
 أحل النعف من أحد وأدنى
 سلام الله يا مطر عليها
 فلا غفر إلا له لمنكحها
 كأن المالكين نكاح سلمى
 فإن يكن النكاح أحل شيء
 فلم لم ينكحوا إلا كفاء
 فطلقها فليست لها بكفء
 وأنت جوى بدائك مُستهام
 وجبلٌ وصالها خَلِقَ رمام^(١)
 تموت لها المفاصل والعظام^(٢)
 سقى بلدًا تحلُّ به الغمام
 مساكنها الشبيكة أو سنام^(٣)
 وليس عليك يا مطرُ السلام
 ذنوبهم وإن صلُّوا وصاموا
 غداة يرومها مطرٌ نيام
 فإن نكاحها مطرًا حرام
 لكان كفيئها المَلِكُ الهمام
 وإلا عض مفرقك الحسام^(٤)

وساق في المطرب: الحكاية بعينها إلا أنه زاد بيتاً في الأول وهو:
 ألا يا مخلَّةً من ذات عرقٍ عليك ورحمة الله السلام

وقال في البيت الأخير (وإلا يعل مفرقك) بدل عض .
 وأخرج أبو الفرج الأصفهاني: عن زياد بن غطفان ، قال: كنا بباب الولاية
 وإذا بأعرابي ينادى: من أراد أن يسمع العجائب فليدن منى فدنوت منه، وإذا هو
 الرماح بن مالك القيسى .

فقلت: ما عندك؟

فقال: اعلم أنى علقت امرأة يقال لها: أم جحدر، فاتصلت بها وطال الأمر،
 وأنى عتبتها يوماً.

(١) رمام ، جمع رمة : ما بلى من العظام. انظر: القاموس المحيط، مادة [رَمَم].
 (٢) المدامة : الخمر ، سميت بذلك لإدامتها في الدن زماناً حتى سكنت بعدما فارت. انظر:
 القاموس المحيط، مادة [دام].

(٣) النعف ، المكان المرتفع في اعتراض. انظر: القاموس المحيط، مادة [نعف].

(٤) الحسام : السيف القاطع . انظر: القاموس المحيط، مادة [حسم].

فقلت لها: الوصل عليك مردود.

فقلت: ما قضى الله فهو خير.

وارتحلوا عنا وطال الأمر، وراجعني الشوق فنذرت مراجعتها إن دنت دارها، فلما كان ذلك خرجت أتصفح أحياء العرب حتى وجدت امرأتين أمام البيت في كساء، فسلمت عليهما، فردت إحداهن وسألت عن شأني فأخبرتها، فأشارت لي بدخول بيت، فدخلت، وإذا الساكنة أم جحدر، وقامت لتدخل إليّ وإذا بغراب ينطق، فتغيرت، فأقسمت عليها إلا ما أخبرتني عن تغيرك؟

فقلت: إن الغراب يخبرني أن لا اجتماع، ففارقتها.

وغدوت لما أصبح النهار فأخبرتني امرأة أخيها أن شامياً خطبها إلى أهلها فزوجوه بها، فجئت بالقرب من خبائها متردداً أياماً إلى أن مضى بها.

فكنت أنشد:

أجارتنا إن الخطوب تنوب ^(١)	على وبعض الآمنين تُصيب ^(١)
أجارتنا لست الغداة بيارج	ولكن مقيم ما أقام عسيب ^(٢)
فإن تسأليني هل صبرت فإني	صبور على ريب الزمان صليب
جری بانبتات الجبل من أم جحدر	ظبيء وطير بالفراق نُعوب ^(٣)
نظرت فلم أعيف وعافت ويئت	لها الطير قلى واللييب ليب ^(٤)
فقلت حرام أن نرى بعد يومنا	جميعين إلا أن يلم غريب
أجارتنا صبراً فيا رب هالك	تقطع من وجد عليه قلوب

وما نقله هنا من أن ابن ميادة سرق الأبيات فغير مُسلم في الجميع، وابن ميادة هو الرماح ابن مالك بن أبرد بن ميادة، المشار إليه، والأبيات له ما عدا الأولين ولهما ثالث لم يورده، والثلاثة لامرئ القيس بن حجر الكندي ولهما

(١) الخطوب، جمع خطب: الأمر العظيم المكروه. انظر: القاموس المحيط، مادة [خطب].

(٢) عسيب: جريد النخل. انظر: القاموس المحيط، مادة [عسب].

(٣) نعوب: صوت الغراب. انظر: القاموس المحيط، مادة [نعب].

(٤) عافت الطير: حامت على الشيء. انظر: القاموس المحيط، مادة [عاف].

خكاية عجيبة هي، أنه لما قتل والده مضى إلى قيصر ملك الروم يستنصره فوعده النصر، فأقام بالقسطنطينية أياماً، فرأته ابنة قيصر فعلقته وراسلته فاجتمع بها، وفيها يقول: (ألا عِمَّ صباحًا) القصيدة المشهورة، وأن القصة بلغت قيصر فكره قتله جهاراً للشُّنعة^(١)، فألبسه حلة قد دهن زيقها^(٢) بالسم، وأمره بالمسير فلما بلغ جبلاً يقال له عسيب يعد عن القسطنطينية مسافتين لعب فيه السم فنزل إلى جانب قبر، فلما أحس بالموت، سأل عن القبر .

ف قيل: هو قبر امرأة غريبة .

فقال: ادفنوني إلى جانبها .

أنشد البيتين الأولين وبعدهما:

أَجَارَتْنَا إنا غريبان ههنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسِيبُ

وأما قوله: (فإن تسأليني هل صبرت) إلى آخر الأبيات فللمراح وما ذكر من أن الثالث لجاهلي لم يعلم له ناقل .

وقد ساق القصة ابن هشام في [شرح الدرديّة] وذكرها ابن عساكر في تاريخه الكبير وقوله: (نظرت فلم أعيف) يعنى لم أدرك حال الفرقة، من زجر الطير المعروف عندهم بالعيافة وهو علم نفيس، ولنا فيه رسائل.

وأخبر ابن دريد عن عمه، قال: عشقت حبيبة الحضرية ابن عم لها فدرى قومها فحججوها.

فأنشدت:

هجرتك لما أن هجرتك أصبحتُ بنا شمًا تلك العيون الكواشخُ
فلا يفرح الواشون بالهجر رعبا أطال المحبُّ الهجرَ والحبُّ ناصحُ
و بُعد النوى بين المحبين و الهوى مع القلبِ مطويٍّ عليه الجوارحُ^(٣)

(١) الشُّنعة: الفظاعة، انظر: لسان العرب، مادة [شنع].

(٢) الزيق: زيق القميص: ما أحاط بالعنق، لسان العرب، مادة [زيق].

(٣) النوى: البعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [نوى].

و هذا الذى ذكر من أول الباب إلى هنا كالمقدمة لهذا الباب و قد آن الشروع
في مقاصده وأصدرها بأحد العشاق الأربعة .

قال الفارسي في تنزيه النفس: من لدن أدار الله الأفق على نظام التربيع حيث
جعل دائرة العالم العلوى أربعة، والعناصر والرياح و الطبايع كذلك ، وجعل
المذاهب و طريقة الحقيقة يعنى مسالك الصوفية والعشاق كذلك، وكل من هذه
معروف فى مواضعه، فأما العشاق فجميل بثينة، ومجنون ليلى، وكثير عزة، وقيس
لبنى، وهذا سر إشارة الأستاذ فى التائبة و غيرها إلى ما ذكر .

كقوله:

بها قيس لبنى هام بل كل عاشقٍ كمجنون ليلى أو كثير عزة^(١)

(١) عزة بنت حميل بن حفص بن إياس الحاجبية، الغفارية، الضمرية، من أجمل النساء وأعقلهن
كان يهيم بها كثيراً الشاعر المشهور، تزوجت بغير جميل؛ لأن عادة العرب ألا يزوجن الفتاة
لمن شبيب بها. توفيت سنة (٨٥هـ). انظر: أعلام النساء (٢٦٩/٣)، الأعلام (٢٢٩/٤).

فصل

أخبار جميل بثينة

وأقدم الكلام على جميل لأنه كما يقال أنسب الأربعة.

وأما تقديمه في [نزهة النفوس] المجنون فمراعاة للأولية، وجميل المذكور هو ابن عبد الله بن عامر، يتصل نسبه بقضاعة. كذا قاله مغلطاي عن أبي الفرج الأصفهاني، كان شاعراً فصيحاً، منطيقاً، صادق الصبابة، عفيفاً منزهاً عن الرذائل، عارفاً بالنسب، روى عنه كثير وهو عن هدبة بن الخشرم عن الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى، بضم السين، صاحب المعلقة، نشأ في قومه بني ربيعة بوادي القرى بين المدينة ومكة فعلق بثينة بنت يحيى بن ثعلب، من قومه صغيرين، فلما انتشر أمره خطبها، فردّ؛ لأن العرب كانت تستهجن أن تزوج من جرى بينهما عشق، فكان يأتيها سرّاً يتحادثان، فعلموا به، فأرادوا قتله، وأنها غمزته عن ذلك، فاستخفى.

وفي ذلك يقول:

فلو أن ألفا دون بثنة كلهم غيارى وكل حارب مُزِمَعٌ قتلى
لحاوَلْتَهَا إِمَّا نَهَارًا مَجَاهِرًا وإِمَّا سُرَى لَيْلٍ وَلَوْ قَطَعْتَ رَجْلِي

فلما شاع ذلك، شبب حوَّاش أخو بثينة بأخت جميل، وتفاخرا، فغلبه جميل بشهادة العرب حتى قالوا له: قل ما شئت في نفسك وأبيك وأنت الباسل الجواد، ولحوَّاش: قل وأنت دونه في نفسك، ويقال: إن سبب عشقه بثينة، أنه سرح إبله يوماً بواد البغيض وانسطح^(١)، فأتت مع جوار يملأن الماء فعبثت بفصيل له، فتسابا وهذا أخذ من قوله:

(١) انسطح: امتد على قفاه ولم يتحرك، انظر: لسان العرب، مادة [سطح].

وَأَوَّلُ مَا قَادَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا بَوَادِي بَغِيضٍ يَا بُثَيْنَ سَبَابُ
 وَقَلْتُ لَهَا قَوْلًا فَجَاءَتْ بِمِثْلِهِ لِكُلِّ كَلَامٍ يَا بُثَيْنَ جَوَابُ
 واستعدى أهلها عليه مروان بن هشام الحضرمي ، وكان والياً من قبل
 عبد الملك على تيماء .

وقيل : ربيع بن دجاجة ، فتوعده فمضى مستخفياً إلى الشام.
 وقيل: إلى سيد من بني عذرة، فأحسن مكانه، وزين سبع بنات له رجاء أن
 يعلق واحدة منهن فيزوجه بها، فكن يرفعن الخباء إذا أقبل جميل، ففطن لذلك.
 فأنشد:

حلفتُ لكيما تعلميني صادقاً وللصدق خير في الأمور وأنجح
 لتكليم يوم واحد من بثينة ورؤيتها عندي ألد وأملح
 من الدهر أو أخلو بكن وانما أعاج قلباً طامحاً حيث يطمح^(١)

وفي نزهة النفوس :

لرؤية يوم واحد من بثينة ألد من الدنيا لدى وأملح

وهو أحسن تركيباً وأظهر في أعمال أفعال التفضيل وقوله من الدهر معمول حلفت.

وفي نسخة مدى الدهر : وهو أحسن وأنسب، فقال الشيخ: أرخين الخباء
 فوالله لن يفلح أبداً يعني لا يرجع عن العشق.

ويدل للأول قوله:

أتانى عن مروان بالغيب أنه مقيد دمي أو قاطع لي لسانيا
 ففي العيش حياة وفي الأرض مهرب إذا نحن دافعنا لهن المثانيا

ويحتمل تعدد الواقعة، ولما عزل عاد.

(١) طمح : ذهب وابتعد . انظر: القاموس المحيط، مادة [طمح].

وقيل: مما استدل به على تمكن عشقه لها وأنه لا يمكن سلوه عنها مع حكاية

البنات المذكورة قوله فيما رواه الشهاب محمود في منازل الأحاب عنه:

عَلِقْتُ اهوى منها وليدًا فلم يزل إلى الآن يَنْمَى جُهاً ويزيدُ

وأفيت عُمرى فى انتظار نواها وأفنتُ بذاك الدهرَ وهو جديدُ

وللعشاق من أمثال ذلك كثير.

فمن ذلك قول عروة:

هواها هوى لا يعرفُ القلبُ غيرهَ فليس له قَبْلٌ وليس له بَعْدُ

وقول المجنون:

ولما أبى إلا جماحًا فؤاده ولم يسأل عن ليلى بمالٍ ولا أهلٍ

تَسَلَّى بأخرى غيرها فإذا التى تَسَلَّى بها تُغرى بليلى ولا تُسَلَّى

وأعظم ما قيل فى هذا المعنى وأسجم وألطف وأرق وأصنع وأمنع قول الأستاذ رحمه الله:

حديثى قديمٌ فى هواها ومالهُ كما علمتُ بَعْدُ وليس له قَبْلُ

فإنه قد جمع مع معانى الأبيات المذكورة الصناعات البديعية من المقابلة الضدية والظرفية، ولعمرى إنها لم تجتمع لغيره فيما نعلم، وعن مغلطاي عن أبى الفرج: وشت جارية بجميل وبثينة^(١) إلى أبيها، وأنه الليلة عندها، فأتى وأخوها مشتملين معتمدين سيفيهما لقتله، فسمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها: هل لك فى طفء ما بى بما يفعل المتحابان، فقالت: قد كنت عندى بعيداً من هذا ولو عدت إليه لن ترى وجهى أبداً، فضحك ثم قال: والله ما قلته إلا اختباراً ولو أجبت إليه لضربتك بسيفى هذا إن استطعت وإلا هجرتك أما سمعت قولى:

(١) بثينة بنت حبا العذرية، هى: شاعرة من شواعر بنى عذرة اشتهرت بأخبارها مع جميل بن معمر، فى شعرها رقة ومتانة، كانت صدوقة اللسان، جميلة الوجه، حسنة البيان، توفيت سنة (٨٣هـ)، انظر: أعلام النساء (١١٠/١١)، الأعلام (٤٣/٢).

وانى لأرضى من بثينة بالدى لو أبصره الواشى لقرت بلائله
 بلاه ، وبان لا أستطيع وبأنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحوّل تنقضى أوأخبره لا نلتقى وأوائله

فقالا: لا ينبغي لنا إيذاء من هذه حالته ولا منع التزاور، وانصرفا، وسأل عبد الملك يوماً كثيراً عن حال جميل وبثينة، فقال: يا أمير المؤمنين سايرته يوماً إليها فلما وصلنا بالقرب منهم أقبلت مع نسوة فلما رأينه ولين، ووقفا يتحادثان من أول الليل حتى طلع الفجر، ثم قالت حين أزمع الفراق: ادن منى، فدنا فأسرت إليه فخر مغشياً عليه.

فلما أفاق أنشد:

فما ماء مُزّن في جبالٍ مُنيفةٍ ولا ما أكنّت في معادنها النحل^(١)
 بأشهى من القول الذى قلت بعدما تمكن فى حيزوم ناقتي الرّحل^(٢)

وعن كثير قال: سألتني جميل، أخذ موعد من بثينة، فقلت: هل بينكما موعد، قال: بوادى الدوم، وهى تغسل الثياب فجئت أباه وهو جالس فحادثه قليلاً . ثم أنشدته:

وقلت لها يا عز أرسيل صاحبى على نأى دار والموكل مُرسَلُ
 بأن تجعلى بينى وبينك موعداً وإن تأمرينى بالذى فيه أفعَلُ
 وآخر عهد منك يوم لقيتني بأسفل وادى الدوم والثوب يُفسَلُ

فَضْرَبْتُ سِجَافَ^(٣) البيت، وقالت: اخسأ، فقال: أبوها ما هذا فقالت كلب يأتينا من وراء هذه الرابية إذا نام الناس، فمضيت وأخبرته فأقبل حتى اجتمعا ليلة وسارته كما سلف إلا أنه أنشد البيتين عند إفاقة لم يغير فيهما غير أن قال: إني مكفهر في مجامر جنة، ولا ما أسرت.

(١) منيفة: ماء لتميم على فلج كان فيه يوم من أيامهم وهو بين نجد واليمامة. انظر: معجم البلدان (٢٥٢/٥).

(٢) الحيزوم: وسط الصدر. انظر: القاموس المحيط، مادة [حزم].

(٣) سجاف، جمع سجف: ستر المنزل، انظر لسان العرب، مادة [سجف].

وعن مغلطاي، قال: دخلت بثينة على عبد الملك وقد أحلقها الدهر، فقال لها: ما الذى رأى فىك جميل حتى عشقك، فقالت: ما رأى فىك الناس حتى ولوك الخلافة، فضحك حتى بدت له سنة سوداء كان يسترها، ودخل مصعب بن الزبير يوماً على زوجته عائشة بنت طلحة وكان شغوفاً بها، فوجدها تتمشط فتمثل بهذا البيت:

ما أنس لا أنس منها نظرة عرضت بالحجر يوم جلَّتْها أمٌ منظورٍ

ف قيل له: إن أم منظور، المشار إليها فى هذا البيت، موجودة، فاستحضرها واستحكاها عن سبب قول جميل هذا البيت، فقالت: كنت ماشطة لبثينة وإنى زينتها يوماً، فأقبل على بعير ماراً فرأها بمؤخر عينيه، فأنشد البيت، فأمرها مصعب أن تصنع بعائشة كذلك، وصنع هو كجميل، وله فيها من الأشعار ما لا يحصى ما بين وصف ونسيب، وذكر حكاية إلى غير ذلك، فمن مستجادهما اللامية التى أنشدها لعمر بن أبى ربيعة، وكان من أجل معاصريه فى الشعر لقيه يوماً فتفاخر واستنشده جميل.

فأنشد:

بطن خليات دوارس بلقعا ^(١)	أم تسأل الأطلالَ والمربعا
ورائقة تستجمع الحسن أجمعا	أنا رسول من ثلاث كواعب
وجوة زهاها الحسن أن تتقعا	فلما توقفنا وسلمت أقبلت
وقلن امرؤ باغ أضل وأوضعا	تبا لهن بالعرفان لما عرفتنى
يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا	وقربن أسباب الهوى لتييم
ضررت فهل تستطيع نفعا فتقعا	فقلت لمطريهن بالحسن إنمعا

فأنشده جميل إثر هذه القصيدة قصيدته المشهورة التى أولها:

بثينة أو أبدت لنا جانب البخل	لقد فرح الواشون أن صرقت حلى
لأقسيم مالى عن بثينة من مهل	يقولون مهلاً يا جميل وإنسى
وأخشى قبل اليوم أن أؤعدت بالقتل	أحلماً قبل اليوم كان أوانه

(١) دوارس : جمع دارس : ما زال وانحى . بلقعا : مقفر خال . انظر: القاموس المحيط، مادة [بلق]. انظر: القاموس المحيط، مادة [درس] ، [بلق].

ومنها:

إذا ما تناشدنا الذى كان بيننا
كلانا بكى أو كاد يبكى صباية
فيا ويح نفسى حسب نفسى الذى بها
خيلى فيما عشتما هل رأيتما
جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
إلى إلفه فاستعجلت عبرة قلبى
ويا ويح أهلى ما أصيب به أهلى
قتيلاً بكى من حب قاتله قلبى

ومنها بيتان أنشدهما، وقد مرّ به رجل، فأضافه فريداً فجعل يأكل ويث وهداً
به على ابنة عمه حتى أتى عليه.

وهما:

ويعجبني من جعفر أن جعفرًا
فلو كنت عُذرى العلاقة لم تكن
يلح على قُربى ويبكى على جُملي
بطينا وأنساك الهوى كثرة الأكل^(١)

ولما أنشد جميل هذه القصيدة، قال لعمر: يا أبا الخطاب هل لك فى هذا
الروى شىء.

قال: نعم، وأنشد:

جرى ناصح بالود بينى وبينها
وطارت بوجد من فؤادى ونازعت
فما أنس من الأشياء لا أنس موقفى
فلما توافقنا عرفت الذى بها
فقربنى يوم الخصاب إلى قتلى
قربيتها حبل الصفاء إلى حلى
وموقفها يوماً بقارعة النخل
كمثل الذى بى حدوك النعل بالنعل

ومنها:

فسلمت واستأنست خيفة أن يرى
فقلت لها ما بى لهم من ترقب
معى فتحدث غير ذى رقية أهلى
ولكن سرى ليس يحملة مثلى
عدوى بكائى أو يرى كاشح فعلى

وقيل: إن جميلاً لم ينشده فى هذه المرة شيئاً، بل قال له: امض بنا إلى بثينة،
فقال له: قد حجر علىّ، فقال: دلنى على أبياتها، ففعل ومضى عمر فاجتمع بها
ثم عاد ثانية وتلاقيا.

(١) بطين: سمين ممتلىء. انظر: القاموس المحيط، مادة [بطن].

فأنشد جميل رائيته وهي:

خليلي عوجا اليوم حتى تسألما
فإنكما إن عجمي ساعا
والكما إن لم تعوجا فرائني
وما لي لا أبكي وفي الأيك نائح
أيكي هام الأيك من فقد إله
يقولون مسحور مجنن بذكرها
وأقسم لا أساك ما ذر شارق
وما لاح نجم في السماء معلق
لقد شغفت نفسي بشين بذكركم
ذكرت مقامي ليلة البان قابضا
فكدت ولم أملك إليها صبا
فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة
تجود علينا بالحديث وتارة
فليت إلهي قد قضى ذاك مرة
ولو سألت مني حياتي بدلتها

فلما سمعها عمر أعجب بها ثم قال لجميل: دونك هذه

وأنشد:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أو رائح فمهجر؟

ومنها:

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه
فحييت إذ فاجأتها فتولت
وقالت وعضت بالبنان فضحتني
وروح رعيان ونوم سمر
وكادت بمكتوم التحية تجهر^(٤)
وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

(١) عوجا: عاج بالمكان أي أقام فيه. النشر: الريح الطيبة. انظر: القاموس المحيط، مادة [عاج]، [نشر].

(٢) الكشح: ما بين السرة ووسط الظهر. انظر: القاموس المحيط، مادة [كشح].

(٣) الرضاب: الريق المرشوف. انظر: القاموس المحيط، مادة [رضب].

(٤) تولت: فزعت وخافت. انظر: القاموس المحيط، مادة [وله].

أريتك إذهنا عليك ألم تخف
فوالله ما أدري أتعجيل حاجة
فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى
فيا لك من ملهى هناك ومجلس
يُمج ذكاء المسك منها مفلج
يَرق إذا تفتّر عنه كأنه
وترنو بعينيهما إلى كما رنا
فلما تولى الليل إلا أقله
أشارت بأن القوم قد كان منهم
فما راعنى إلا مُنادٍ برحلة
فلما رأت من قد تنور منهم
فقلت أباديهم فإما أفوتهم
فقلت أتحيق لما قال كاشح
إذا كان ما لا بد منه فغيره
أقص على أختي بدء حديثنا
لعلهما أن ينعنا لك حيلة
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا
يقوم فيمشى بيننا متسراً
فكان مجنى دون من كنت أتقى
فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى
وقلنا أهذا دأبك الدهر سادراً

رقيبا وحولى من عدوك حُضِرُ
أتى بك أم قد نام ما كبت تحلرُ
إليك وما عين من الناس تنظرُ
لنا لم يكتره علينا مكتر
رقيق الحواشى ذو غروب مؤشر
حصا برز أو أقحوان مُنور
إلى زرنب وسط الخميلة جُؤذر^(١)
وكادت توالى نجمه تتغور^(٢)
هُوبٌ ولكن موعده لك عزور
وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
وإقظهم قالت أشر كيف تأمر
وإما ينال السيف تاراً فيشارُ
علينا وتصدق لما كان يؤثر
من الأثر أدنى للخفاء وأستر
ومس لى عما يعلم ما متأخر
وأن يرحبا صدرًا بما كنت أخصرُ
أقلى عليك الخطب فالأمر أيسر
فلا سرنا يفسو ولا هو يظهرُ
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
ألم تثق الأعداء والليل مُقمر
أما تنتهى أو ترعوى أو تفكر^(٣)

(١) زرنب: بقر الوحش. الخميلة: الشجر الكثيف الملتف. جؤزر: ولد البقرة الوحشية.
انظر: القاموس المحيط، مادة [حمل]، [جذر]، [زرن].
(٢) تغور: تنغيبت. انظر: القاموس المحيط مادة [غور].
(٣) سادر: متحير. انظر: لسان العرب، مادة [سدر].

وقد أنشد عمر^(١) هذه القصيدة لعبد الله بن عباس^(٢) بحضرة نافع بن الأزرق واتفق أهل ذلك العصر على أنه ليس أحد أشعر من جميل وابن أبي ربيعة، وكان جميل يثنى على ابن أبي ربيعة كثيراً وكان الناس يقولون هو في عينيته أشعر عن جميل في لاميته والذي يظهر أن جميلاً أشعر مطلقاً عند التأمل، ومن أشعار جميل أيضاً قوله:

ألا لست أيام الصفاء جديدُ ودهراً تولى يا بئسَ يعود
فبقى كما كنا نكون وأنتمُ صديقٌ واذ ما تبدلَ زهيد
وما أنس من الأشياء لا أنس قولها وقد قرّبت بضوى أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى أبتك فاعذرني فدتك جُود
خيلى ما أخفى من الوجْدِ ظاهرٌ ودعى بما أخفى الفؤادُ شهيد
ألا قد أرى والله لا ربَّ عسيرة إذا الدارُ شطت بيننا ستزيد^(٣)
إذا قلتُ ما بى يا بئسَ قاتلى من الحبِّ قالت ثابتٌ ويزيد
وإن قلتُ ردى بعضَ عقلى أعش به مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فما ذكر الخلان إلا ذكرتها ولا البخل إلا قلت سوف تجود
فلا أنا مردودٌ بما جئت طالبا ولا جُها فيما يبىدُ يبيدُ
جزتك الجوازي يا بئسَ سلامة إذا ما خليلٌ بان وهو حميد
وقلت لها بينى وبينك فاعلمى من الله ميثاقٌ له وعهود
وقد كان حبيكم طريفاً وتالداً وما الحبُّ إلا طارفٌ وتليد^(٤)
وأن عروض الوصل بينى وبينها وإن سهلتته بالنى لكؤود

(١) عمر بن أبي ربيعة، هو: عمر بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن مخزوم القرشى، أبو حفص، شاعر، من طبقة الجرير والفرزدق، كان شعره يتسم بالمجون، توفي سنة (٩٣هـ)، من آثاره: ديوان شعر. انظر: الأعلام (٥٢/٥)، معجم المؤلفين (٥٦٤/٢).

(٢) عبد الله بن عباس، هو: الصحابي الجليل، ذو العلم الوفير، ومبين التأويل، ابن عم رسول الله ﷺ، كان كثير العلم، وكان يسمى بالبحر لكثرة علمه، توفي سنة (٦٧هـ). انظر: الإصابة (١٢١/٤)، الحلية (٣١٤/١).

(٣) شطت: بعدت. راد: ذهب وجاء في طلب الشيء. انظر: القاموس المحيط، مادة [شطط]، [راد].

(٤) طارف: حديث، وهي تقابل تالد، تليد: قديم. انظر: القاموس المحيط، مادة [طرف]، [تلد].

وأبليت منها الدهر وهو جديده
يدوق لهم سما طماطم سود
تضاعف أكمالهم وقود
إذا جئت إياهن كنت أريد
وفي الصدر بون بينهن بعيد^(١)
بوادى القرى؟ إنى إذن لسعيد
ها بالثنايا القاويات وئيد^(٢)
وما دت جبل الصفاء جديد
وقد تطلب الحاجات وهى بعيد
يخرق تباريها سواهم قود
إذا حار هلاك الطريق رقود^(٣)
وصدر حكى لون اللجين وجيد^(٤)
مباهية طى الوشاح ميود^(٥)
تعرض منقوص اليدين صودود
ذنوبنا علينا أنه لعنود
ويغفل عنا مرة فنعود^(٦)
فذلك فى عيش الحياة رشيد
ويجيا إذا فارقتها فيعود
وأى جهاد غيرهن أريد
وكل قتيل بينهن شهيد

وأفيت عمري بانتظاري وعدها
فليت وشاة الناس بينى وبينها
وليتهم فى كل ممسى وشارق
ويحسب نسوان من الجهل أنى
فأقسم طرفى بينهن فيستوى
ألا ليت شعرى هل أيتن ليلة
وهل أهبطن أرضا تظل رياحها
وهل ألقين سعدى من الدهر مرة
فقد تلتقى الأهواء من بعد ياسها
وهل ازجرن حرفا علاة شملة
على ظهر سرحوب كأن نسوره
سبتى بعينى جوذر وسط ربرب
تزييف كما زافت إلى سلفاتها
إذا جئتها يوما من الدهر زائرا
يصد ويفضى عن هواى ويجتنى
فأصرمها خوفا كانى بجانب
فمن يعط فى الدنيا قرينا كمثلها
يموت الهوى منى إذا ما لقيتها
يقولون جاهد يا جميل بغزوة
لكل حديث بينهن بشاشة

(١) البون : الفرق والمسافة بين شيئين. انظر: القاموس المحيط، مادة [بون].

(٢) الوئيد : الصوت الشديد. انظر: القاموس المحيط، مادة [وَأد].

(٣) السرحوب : نوع من الكلاب البرية. انظر: القاموس المحيط، مادة [سرح].

(٤) ربرب : قطع من بقر الوحش. انظر: القاموس المحيط، مادة [رَبَب].

(٥) تزييف : تتبختر فى مشيتها . ميود: كثيرة التحرك. انظر: القاموس المحيط، مادة [زاف]، [ميد].

(٦) أصرمها : أهجرها . انظر: القاموس المحيط، مادة [صرم].

إذ فكرت قالت أدركت وده
وما ضرني بخلي فقيم أجود
ومن كان في حبي بثينة يمترى
فبرقاء ذي ضال على شهيد^(١)
لم تعلمي يا أم ذا الودع إنني
أضاحك ذاكركم وأنت صلود

ومما كان يلهج بهذه القصيدة لرصاصتها ولطفها معبد^(٢) وكان من أشهر الناس بالدخول وضرب العود والغناء . والغريض كان أعظم منه.
وحكى عنه في الأغاني أن الجن افتنت به فأخرجوه إلى مكة فأقام بها لا يفتح بابه وأن معبداً أراد الاجتماع به فقصده وأقام يطرق الباب فلم يجب، فهجس^(٣) له أنه لا يخرج إلا الغناء.

فأنشد :

علقـت الهوى منها وليداً

البيت ، فلم يشعر إلا وقد فتح الباب وأذن له فدخل عليه فتحدثا.
وأنشده:

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها

إلى خمسة أبيات، ثم قال: إنما غنيتك ذلك لأني علمت أنك تريد أن أغنيك:

وما أنس م الأشياء لا أنس شادنا بمكة مكحولاً أسيلاً مدامعه

وأن الجن قد نهتنى عنه، قال معبد: فقلت لم تعد ما أريد ثم فارقت حين رأيته يستثقل المجالسة، وطلبت أن يكمل لي السرور بأن أضمر إلى اجتماعي به اجتماعي بمن رأى جميلاً^(٤) لآخذ عنه القصيدة، فنعت لي شيخاً في بني عذرة، فجننته فسألته عن جميل، فحدث أنه كان في إبل له، وإذا رجل غشاه فنزل به، فلما ائتلفا، قال له: هل لك أن تصنع معي من الخير ما لو كانت لك الدنيا ذهباً وأنفقتها عليّ لم تبلغ معشاره؟

(١) يمترى : يجادل . انظر : القاموس المحيط، مادة [مترى].

(٢) معبد، هو: ابن وهب، أبو عباد المدني، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي، مولى بني مخزوم، كان يرعى الغنم، واشتغل بالتجارة، كان أدبياً فصيحاً، عاش طويلاً، توفي سنة (١٢٦هـ) انظر: الأعلام (٢٦٤/٧) تاريخ الإسلام (١٦٥/٥).

(٣) هجس له: خطر بباله. انظر: القاموس المحيط، مادة [هجس].

(٤) جميل بثينة، هو: ابن عبد الله بن معمر العذري، القضاعي، أبو عمرو، شاعر جليل، من عشاق العرب، افتتن بثينة، من فتيات قومه، شعره يذوب بالرقّة، أقل ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر، توفي سنة (٨٢هـ). انظر: الأعلام (١٣٨/٢)، معجم المؤلفين (٥٠٦/١).

قلت: وما هذا.

قال: تمضى إلى وراء السفح، فتتشدُّ لى بكرة صفتها كذا.

قلت: نعم، ومضيت فوجدت العرب مجتمعين على جزور ينحرون، فاستطلعتهم عنها، ثم استأذنتهم فى البيوت، وقلت لهم: إن النساء أدرى بالمارة، فأذنوا، فانصرفت أتصفح الحى إلى أن احتدم النهار ولم أظفر بطلبة، وإذا أنا بثلاث بنات.

فقلت: لا أنصرف إليه وأدع هذا اليسير، فجئتهن فسلمت، فرددن، ثم استنشدتهن^(١) البكرة.

فقلت إحداهن: قد أصبت حاجتك، ثم أدخلتني بيتاً وأتتى بقدر مفضل فيه تمر، وصحفة شامية مفضضة فيها لبن، فتناولت كفايتي.

ثم قالت: إن بكرتك تأتي هذه الشجرة فتطوف بها الليل، فرجعت إليه وحدثته القصة، فابتهج كالذى أصاب بغيته^(٢) وأنا لا أدرى.

فلما جاء الليل، وأنس أن قد نمت، عمد إلى رحله فاستخرج بردين ملوكيين من برود الخلافة، فأترز بأحدهما واتشح بالآخر، ومضى، فتبعته بحيث لم يشعر، حتى تلاقيا فلم يكن بينهما إلا ما يرضى الوشاة^(٣)، إلى أن رأيا الصبح، فلما أزمعا الفراق سبقته ونمت، وجاء فصلى، ثم نبهنى وهو مسرور، فأكل معى وشرب ثم أخبرنى أنه جميل وأنها بثينة، ثم أعطانى برداً واعتذر وودعنى بعد أن قال: هل لك أن تمضى فتتشدّها أبياتاً قلتها بعد منصرفى عنها؟

قلت: نعم.

فأنشدنى: وما أنس م الأشياء (الآيات الخمسة)، فمضيت إليها، فقلت: قد جئت بالأمس طالباً واليوم مسلماً، وذكرت ثنائه ووجده، ثم قلت: هل أنت بارزة إلى؟

قالت: نعم.

فسمعت جارية تقول لها: يا بثينة إن عليه برد جميل، ثم خرجت فى زينة، وقالت: يا أخا تميم، إن بردك لا يشبه ما عليك، واستخرجت ملاءة مصبغة بالعصفر، وأقسمت أن اتشح بها، ففعلت، وأنشدتها ما قال، ورجعت بملاحفة بثينة وبرد جميل.

(١) استنشد: سأل وطلب. انظر: القاموس المحيط، مادة [نشد].

(٢) بغيته: طلبه. انظر: القاموس المحيط، مادة [بغى].

(٣) الوشاة: جمع الوشى. انظر: القاموس المحيط، مادة [وشى].

وحكى الشيخ لمعبد: أن جميلاً لما اجتمع ببثينة قالت له: هل قلت شيئاً؟
فأنشدها:

علقت الهوى منها وليداً ولم يزل إلى اليوم ينمى حبهما ويزيد
وأفبت عمري في انتظاري نواها وأفنت بذاك الدهر وهو جديد

قال معبد: فرجعت جذلان^(١) بما اجتمع إلى مما طلبت، وعن أبي زيد حين
قرئت عليه هذه القصيدة، أن هذين البيتين يليهما قوله: فلا أنا مردود، البيت،
وفي نسخة أن قوله: فما أنس م الأشياء ، بعد قوله: فما أنا مردود.
ومنه برواية مغلطاي:

وكان طارقها على علل الكرى والنجم وهنا قد دنا التعور^(٢)
نشوان ريح مدامة معلولة بدكى مسك أو سحق العنبر
إنى لأحفظ غيبكم ويسرنى لو تعلمين بصالح أن تذكرى
ويكون يوماً لا أرى لك رسلاً أو نلتقى فيه على كاشهر
يا ليتنى أخشى المنية بغتة إن كان يوم لقائكم لم يقدر
لو أستطيع تجلداً عن ذكركم فأفبق بعد صبابتي وتفكرى
لو تعلمين بما أجن من الهوى لعذرت أو لظلمت إن لم تعذرى
فلتبكين الباقيات ولم أبح يوماً بسرك معلناً لم أغدر
ومنه:

منع النوم شدة الاشتياق وادكار الحبيب يوم الفراق^(٣)
ليت شعري إذا بثينة بانث هل لنا بعد بينها من تلاق
ولقد قلت يوم نادى المنادى مستحناً برحلة وانطلاق
ليت لى اليوم يا بثينة منكم مجلساً للوداع قبل الفراق
حيث ما كنتم وكنتم فرانى غير ناس للعهد والميثاق

(١) جذلان : فرحان . انظر: القاموس المحيط، مادة [جذل].

(٢) طارقها: الطيف . الكرى: النوم . التعور: من تعور: تعاطى وتداول. انظر: القاموس المحيط، مادة
[طرق]، [كرى]، [عور].

(٣) اذكار: تذكر. انظر: القاموس المحيط، مادة [دكر].

وعن ابن عياش^(١)، قال: لقيت عجوزاً من بنى عذرة، فقلت لها: هل تروى شيئاً عن جميل ومحبوبته؟

قالت: نعم، كنت يوماً وبثينة قد انفردت تبرُّمٌ غزلاً والعرب قد اعتزلت الطريق خوف المارة إلى الشام، وإذا برجل قد أقبل إلينا فاستثبتناه، فإذا هو جميل، فقلت له: قد عرضتنا ونفسك شراً، فمن أين جئت؟

قال: من هذه الهضبة، ولى بها ثلاثة أنتظر الفرصة لأحدث بكم عهداً، فإني ذاهب إلى مصر، فحدثنا ساعة وهو لا يتماسك، فجثته بقدح فيه تمر وأقَطِ^(٢)، فنال منه يسيراً، ثم ودع ومضى، فلم نلبث أن جاء أهل الحى.

ومنه:

أرى كل معشوقين غيرى وغيرها	يلدان فى الدنيا ويغبتان ^(٣)
وأمشى وتمشى فى البلاد كأننا	أسيران للأعداء مرتهانان
أصلى فأبكى فى الصلاة لذكرها	لى الويل مما يكتب الملكان
ضمنت لها أن لا أهيم بغيرها	وقد وثقت منى بغير ضمان
ألا يا عباد الله قوموا لتسمعوا	خصومة معشوقين يختصمان
وفى كل عام يستجدان مرة	عتاباً وهجراً ثم يصطلحان
يعيشان فى الدنيا غريبين أينما	أقاموا وفى الأعوام يلتقيان

وعن سهل الساعدي^(٤) قال: قال لى رجل: هل تعود جميلاً فإنه مريض، فدخلنا عليه فإذا هو يجود بنفسه، فنظر إلى وقال: ما تقول فى رجل لم يزن قط، ولم يشرب خمراً، ولم يسفك دمًا، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله منذ خمسين سنة؟

(١) ابن عياش، هو: أبو بكر بن سالم الأسدي، مولاهم الكوفى، المقرئ، الفقيه، المحدث، صالح، عالم بالأخبار، توفى سنة (١٩٣هـ). انظر: الحلية (٣٠٣/٨)، سير أعلام النبلاء (٤٩٥/٨).

(٢) أقط: لبن خاص هو من ألبان الإبل، انظر: لسان العرب، مادة [أقط].

(٣) يغبتان: يعيشان فى مسرة وحسن حال. انظر: القاموس المحيط، مادة [غبط].

(٤) سهل الساعدي، هو: ابن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، الأنصارى، من مشاهير الصحابة، روى عن النبي ﷺ، وعن أبي عاصم، وغيرهم، وهو آخر من مات بالمدينة. انظر: الإصابة (١٦٧/٣).

قلت: من هذا؟ فإني أظنه ناج.

قال: أنا.

قلت: عجيب منك تشبب ببشينة هذه المدة وأنت كذلك.

قال: أنا في آخر يوم من الدنيا لا نالتي شفاعة محمد إن كنت وضعت يدي عليها بريئة، وأكثر ما كان مني أن أسند يديها إلى فوادى استريح ساعة، ثم أغمى عليه فلما أفاق أنشد:

صرخ النعى وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول^(١)
قومي ببشينة فالدي بعويل وابكى خليلك دون كُـلِّ خليل

ولما حضرته الوفاة، قال: من ينعاني إلى ببشينة؟

قال رجل: أنا، فأعطاه حلته فراح حتى جاء الحى.
فأنشد:

بكر النعى وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول
بكر النعى بفارس ذى همة بطل إذا حم اللقاء مذيبل^(٢)

فسمعته ببشينة فخرجت مكشوفة تقول:

وإن سلوى عن جميل لساعة من الدهر لا حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن مَعْمَرٍ إذا مِتَ بأساء الحياة ولينها

ثم قالت للناعى: يا هذا إن كنت صادقاً، فقد قتلتنى، وإن كنت كاذباً فقد فضحتنى.

فقلت لها: والله إنى لصادق وأخرجت الحلة، فلما رأتها صرخت، وصكت وجهها، وأقبل النساء ييكن معها حتى خرت مغشياً عليها، ثم أفاقت وأنشدت:
وإن سلوى.....، البيتين . فلم يسمع منها غيرهما حتى قضت.

(١) غير قفول : دون رجعة. انظر: القاموس المحيط، مادة [قفول].

(٢) حمّ: اشتد . انظر: القاموس المحيط، مادة [حم].

فصل

أخبار كثير عزة

هو: أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود، الشهير بأبي جمعة، قد أوصله الكلبي في (جمهرة النسب) إلى ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة، المشهور، أحد أولاد الأزد، ومن أجداده عمرو بن ربيعة الذي دعا العرب عن دين إبراهيم إلى عبادة الأصنام واقترح السوائب والبحيرة، فرآه رسول الله ﷺ ليلة المعراج يجر قصبه في النار، وهو من خزاعة، سموا بذلك لانقطاعهم عن الأزد أيام سيل العرم وجاءوا إلى الشام، وهو صاحب عزة بنت جميل ابن حفص بن إياس بن عبد العزى، يتصل نسبها إلى عبد مناف، علقها جارية قد كعبت نهودها بدليل قوله:

نظرت إليها نظرة وهى عاتق على حين إن شبت وبان نهودها^(١)

نظرت إليها نظرة ما يسرنى بها حمر أنعام البلاد وسودها

وكان سبب دخول الهوى بينهما أن كثيرا مرَّ بغنم له ترد الماء على نسوة من ضمرة بوادى الخبت، فأرسلن له عزة بدريهمات تشتري بها كبشاً لهنَّ منه، فنظرها نظرة متأمل، فداخله منها ما كان، فردَّ الدرأهم وأعطاهما الكبش، وقال: إن رجعت أخذت حقي. فلما عاد سأله ذلك، فقال: لا أقتضى إلا من عزة فقلن له: ليس فيها كفاءة فاختر إحدانا، فأبى وأنشد البيتين، فجعلن يبرزنها له كارهة، ثم داخلها ما داخله. وأنه خرج يوماً ومعه إداوة ماء فجفت من الحر. ورفعت له نار، فأَمَّها^(٢)، وإذا بعجوز فناشدته: من الرجل.

فقال: صاحب عزة.

فقالت له: أنت القائل:

إذا ما أتينا خلة كسى تزيلنا أبين وقلن الحاجبية أول

سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا ونحن لتلك الحاجبية أوصل

(١) العاتق : الجارية أول ما أدركت. انظر: القاموس المحيط، مادة [عتق].

(٢) أمها : اقتدى بها واهتدى إليها. انظر: القاموس المحيط، مادة [أمم].

هلا قلت كما قال جميل :

يا رب عارضة علينا وصلها بالجد تخلطه بقول الهازل
فاجتها بالقول بعد تأمل حبى بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامه فضلاً لفيرك ما أتتك رسائلي

والله لا سقيتك شيئاً، فتركها وانصرف، ولما اشتدت حالته أنشد:

يزهدنى فى حب مية معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبى
فقلت دعوا قلبى وما اختار وارضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان فى موضع الهوى ولا تسمع الآذان إلا من القلب

هكذا رواه ابن إسحاق ، وقال الشهاب محمود بذلك ونقل فى الطبقات الأبيات إلا أنه قال:

يزهدنى فى حب عزة معشر

ثم قال: هذه الأبيات لكثير، وقد توهم قوم أنها لذى الرمة^(١)، بدليل قوله: يزهدنى فى حب مية معشر، وليس كذلك وإنما كان سهواً، ودخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال له وقد كان يتهمه بالتشيع بحق على: هل رأيت أعشق منك؟

فقال: لو أقسمت علىّ بحقك لأخبرتكَ.

فقال: بحقى إلا ما أخبرتني.

فقال: يا أمير المؤمنين خرجت يوماً وإذا أنا بصياد قد نصب شبكته ليصطاد ما يسدّ به رمقه، فقلت له: إن ساعدتك شاركتنى فيما يكون.

قال: نعم ، فجاءت ظبية فوقعت فى الأحبولة، فسبقنى إليها، فحلها ثم مسح وجهها وقبلها وأطلقها.

(١) ذو الرمة ، هو: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة، المصرى، شاعر، كان دميم الشكل، عشق مية المنقرية واشتهر بها، كان من فحول الطبقة الثانية فى عصره، كان أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، امتاز بإجادة التشبيه، توفى سنة (١١٧هـ). من آثاره: ديوان شعر. انظر: الأعلام (١٢٤/٥)، وفيات الأعيان (٤٠٤/١).

وأنشد:

أيا شبه ليلي لا تراعى فإبنى لك اليوم من وحشية لصديق^(١)
أقول وقد أطلقتها من وثائقها فأنت ليلي ما حيت طليق
فعينك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

ودخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز^(٢)، فقالت لها: ما الحق الذى
مطلته كثيراً إذ قال:

قضى كل ذى حق فوفى حقوقه وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت: وعدته قبلة.

فقالت: أنجزتها وعلى إثمها.

وفى رواية أن الحكاية مع سكينه بنت الحسين^(٣).

وفى الذيل من رواية الفارسي: قضى كل ذى دين فوفى ديونه. وفى أخرى،
غريمه.

وللبيت حكاية من عجيب الاتفاق هى أن: كثيراً كان له غلام يتجر على
العرب، فأعطى النساء إلى أجل، فلما اقتضى ما له منهن ماطلته^(٤) عزة، فقال لها
يوماً وقد حضرت فى نساء: أما آن أن تفى بما عندك؟ فقالت: كرامة لم يبق إلا
الوفاء، فقال: صدق مولاي حيث يقول قضى كل ذى دين وأنشد البيت فقلن له
أتدرى من غريمك فقال: لا، فقلن: هى والله عزة، فقال: أشهدكن على أنها

(١) لا تراعى : لا تفزعى . انظر: القاموس المحيط، مادة [راع] .

(٢) أم البنين هى : بنت عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس،
زوجة الوليد بن عبد الملك وابنة عمه، كانت تقول: أفٍ للبخل، لو كان ثوباً ما لبسته، ولو
كان طريقاً ما سلخته . انظر: أعلام النساء (١/١٥٠) .

(٣) سكينه بنت الحسين، هى: بنت الشهيد الحسين بن على بن أبى طالب . كانت بديعة الجمال،
ذات أدب وشعر جيد، تزوجت بابن عمها عبد الله بن الحسن، فقتل قبل الدخول بها، ثم
تزوجت مصعباً . وكانت شهمة مهيبة . توفيت سنة (١١٧هـ) . انظر: الطبقات (٨/٤٧٥)
شذرات الذهب (١/١٥٤)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٢) .

(٤) ماطل : سوف فى الوفاء بالوعد مرة بعد أخرى . انظر: القاموس المحيط، مادة [مطل] .

فى حل مما عندها، ومضى فأخبر مولاة بالحكاية، فقال له: وأنت حر وما عندك لك، ورأيت فى روضة الدولتين لأبى شامة، أن الذى وهبه كثير ألف دينار. وأنشد حين أعتق الغلام :

سيهلك فى الدنيا شفيق عليكم إذا غاله من حادث الدهر غائله^(١)
يودّ بأن يمسى سقيماً لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف فى طلب العلا لتحمد يوماً عند عز شمائله^(٢)

ودخلت عزة على عبد الملك، فقال لها: أتروين قول كثير:
لقد زعمت إنى تغيرت بعدها ومن ذا الذى يا عز لا يتغير
تغير جسمى والخلق كالتى عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت: لا أدرى هذا ولكن أروى قوله:

كأنى أنادى صخرة حين اعرضت من الصم لو يمشى بها العصم زلت^(٣)
صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة فمن سل منها ذلك الوصل ملت^(٤)

فضحك من ذلك، وقيل إنه سأها عن قوله: قضى كل ذى دين، وهذان البيتان من قصيدة طويلة رواها (فى الذيل) ابن دريد عن عمه عن حماد عن كثير وقال: إنها من عجائب شعره.

وهى :

خيلى هذا ربع عزة فاعقلا قلو صيكما ثم أبكيا حيث حلت^(٥)
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا ولا موجعات الحزن حتى تولت

(١) الغائلة: المصيبة والداهية. انظر: القاموس المحيط مادة [غول].

(٢) الشمائل: الطباع، ويطلق على الأخلاق الحميدة. انظر: القاموس المحيط، مادة [شمل].

(٣) العصم: جمع الظبى الأعصم، وهو الذى كان بذراعيه بياض، وسائر جسده أسود، أو أحمر.

زل: وقع وتعثر، انظر: القاموس المحيط، مادة [عصم]، [زلل].

(٤) صفوح: الحجارة العريضة الرقيقة. سل: سَلّ الشئ، إذا انتزعه وأخرجه برفق. انظر:

القاموس المحيط، مادة [صفح]، [سلل].

(٥) قلو ص: الإبل الطويلة القوائم. انظر: القاموس المحيط، مادة [قلص].

وفي رواية :

ولا موجعات القلب

البيت :

فقد حلفت جهدًا بما نحرت له قريش غداة المازمين وصلت
أناديك ما حج الحجيج وكبرت بفيفا غزال رفقة وأهلت
وكانت لقطع الجبل بيني وبينها كناذرة نذرًا فأوفت وحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يومًا لها النفس ذلت
ولم يلق إنسان من الحب ميتة تغم ولا غمء إلا تجلست^(١)
كأنى أنادى

البيتين :

أباح حتى لم يرعه الناس قبلها وحلت تلاعًا لم تكن قبل حلت^(٢)
فليت قلوصى عند عزة قيدت بجبل ضعيف حزمها فضلت
وغودر في الحى المقيمين رحلها وكان لها باغ سواى فدللت
وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنت كذات الظلع لما تحاملت على ظلعها بعد العشار استقلت^(٣)
أريد الثواء عندها وأظنها إذا ما أطلنا عندها المكث ملت
فما انصفت أما النساء فبغضت إلى وأما بالنوال فضنت^(٤)
يكلفها الخنزير شتى وما بها هوانى ولكن للميلك استذلت
هنيئًا مرئيا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت^(٥)
ومن أول القصيدة إلى قوله : (فما أنصفت) لزوم ما لا يلزم ، ولم يخالفه إلا

(١) غمء : من الغم ، وهو الحزن والكرب . انظر: القاموس المحيط، مادة [غمم].

(٢) تلاعًا : هو كل ما علا من الأرض . انظر: القاموس المحيط مادة [تلع].

(٣) الظلع : العرج ، وذات الظلع هو العير الذى فى مشيه عرج . انظر: القاموس المحيط، مادة [ظلع].

(٤) النوال : العطاء والمعروف . انظر: القاموس المحيط، مادة [نول].

(٥) مخامر : من حمرة الداء ، إذا دخل جوفه . انظر: القاموس المحيط، مادة [خمر].

فى البيت المذكور، وللبيتين اللذين بعده حكاية، هى: أن كثيراً سافر مع جماعة إلى مكة، فاتفق أن خرجت عزة وزوجها فى ذلك العير، فلما كان فى أثناء الطريق مرت بجمل له، فسلمت على الجمال، فبلغ كثيراً ذلك، فجاء إلى الجمل فحله وأطلقه من الحمل.

وأنشد:

حيثك عزة بعد الهجر وانصرفت فحى ويحك من حياك يا جمل
ليت التحية كانت لى فأرددها مكان يا جمل حيث يا رجل
زاد أبو على بيتاً بين هذين وهو: لو كنت حيثها مازلت ذامقة
عندى ولا مسك الادلاج والعمل

ثم اتفق أن زوجها أمرها ليلة أن تقتبس ناراً، وقال فى النزهة أن تستعطى سمناً، فلقبها كثير، فأخبرته بحاجتها، فأخرج إدواة سمن، وجعل يسكب فى إناء عزة وهما يتحادثان، فلم يشعر حتى غرقت أرجلهما، فلما رجعت أنكر^(١) زوجها كثرة السمن وأقسم عليها، فأخبرته، فحلف ليضربنها أو لتخرجن فتشتم كثيراً بحيث يسمعها، ففعلت.

فأنشد:

يكلفها الخنزير

البيتين وفى منازل الأحباب أنها وقفت عليه وهو يبرى سهاماً، فجعل يبرى ساعده فدخلت عليه فمسحت الدم بثوبها، وإن زوجها لم ينكر إلا وجود الدم، وقيل له: أنت أشعر أم جميل؟

فقال: كيف يكون أشعر منى وهو القائل:

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الغر من أنيابها بالقوادح^(٢)

وأنا القائل: هنيئاً مريئاً. البيت، وليس فيما ذكر دليل على أنه أشعر منه وإنما يدل ذلك على أن كثيراً أرق قلباً وأشفق على محبوبته وأشد عشقاً، فلو سبق الكلام لديك فكان ألصق بالمعنى وأولى.

(١) أنكر: من أنكر الأمر إذا استغربه، أو جهل سببه. انظر: القاموس المحيط، مادة [نكر].

(٢) القذى: ما يكون فى العين من الرمض والغمص. الغر: الشيء الحسن أو الأبيض من الشيء. القوادح،

مفرداً قادح: وهو اللود الذى ينخر فى الأسنان. انظر: القاموس المحيط، مادة [قذى]، [غرر]، [قدح].

وتمام القصيدة :

ووالله ما قاربت إلا تباعدت
فإن تكن العتبي فأهلاً ومرحباً
وإن تكن الأخرى فإن وراءنا
فلا يبعدن وصل لعزة أصبحت
خليلي إن الحاجبية طلحت
أسيئي بنا أو أحسنى لا ملومة
ولكن انبلى واذكرى من مودة
وإني وإن صدت لثمن وصادق
فما أنا بالداعي لعزة بالجوى
فلا يحسب الواشون إن صبابتي
وأصبحت قد أبلت من دنف بها
وما مر من يوم على كيومها
وأضحت بأعلى شاهق من فؤاده
فيا عجباً للقلب كيف اعترافه
وإني وتهيامي بعزة بعد ما
لكالمرتبجي ظل الغمامة كلما
كأني وإياها سحابة محل

بصرم ولا أكثرت إلا أقلت^(١)
وحققت لها العتبي لدينا وقلت^(٢)
مناويح لو سارت بها العيس كلت^(٣)
بعافية أسبابه قد تولت
قلوصيكما إذ ناقتي قد أكلت^(٤)
لدينا ولا مقلية إن تقلت
بناخلة كانت لديك فضلت
عليها بما كانت علينا أدلت
ولا شامتاً إن نعل عزة زلت
بعزة كانت غمرة فتجلت
ولا بعدها من خلة حيث خلت^(٥)
وإن عظمت أيام أخرى وجلت
فلا القلب يسلاها ولا العين ملت
وللنفس إذ وطنتها كيف زلت
تخلت مما بيننا وتخلت
تبوأ منها للمقيم اضمحلت^(٦)
رجاها فلما جاوزته استهلت^(٧)

(١) الصرْم: الهجر . انظر: القاموس المحيط، مادة [صرم].

(٢) العتبي : الرضا . انظر: القاموس المحيط، مادة [عتب].

(٣) العيس : الإبل البيض التي يخالطها سواد خفيف . انظر: القاموس المحيط، مادة [عيس].

(٤) طلع : من طلع العير، إذا أعياه وتعبه . انظر: القاموس المحيط، مادة [طلع].

(٥) دنف : المرض الثقيل . انظر: القاموس المحيط، مادة [دنف].

(٦) اضمحل : قل . انظر: القاموس المحيط، مادة [ضمحل].

(٧) محل : من محل الشيء ، إذا أجذب . انظر: القاموس المحيط، مادة [محل].

وخرج يوماً من عند عبد الملك، فاعترضته عجوز معها نار في روثة^(١)،
فقلت: من أنت.

قال: صاحب عزة.

فقلت: أنت القائل:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جشائها وعرارها^(٢)

يا طيب من أردان عزة موهنا إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها^(٣)

قال: نعم.

قلت: ويحك إذا أوقد المندل الرطب على هذه الروضة أو بخرت به أمك
العجوز الشناء^(٤) كانت كذلك، فهلا قلت كما قال امرؤ القيس بن حجر
الكندي:

الم ترياني كلما جئت زائراً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

فناولها مطرف خز^(٥) كان معه ، وقال: استرى على ذلك.

وهذه الحكاية نقلها قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه، ثم
قال: إن بعض مشايخ الأدب، قال: ليس على كثير شيء فإن قوله إذا أوقدت
بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة ، انتهى .

وهذا جيد لو لم يطلب كثير من العجوز الستر، فإنه عرفنا ما أراد إلا المعنى
المعترض، فيكون هذا تصحيحاً لإثبات قصده . وتوفى كثير سنة خمس ومائة في
اليوم الذي مات فيه عكرمة مولى ابن عباس وقبر في مقابر المدينة وله في عزة
أشعار كثيرة.

(١) روثة : فضلات الحيوان . انظر: القاموس المحيط، مادة [راث].

(٢) جشائها : فسيل النخل ، هو الذي غرس من فراخه لا من النوى. عرارها: الأرض المسمدة،

من عر الأرض ، إذا سمدها . انظر : القاموس المحيط ، مادة [جث] ، [عرر].

(٣) المندل : العود الطيب الرائحة . انظر: القاموس المحيط، مادة [ندل].

(٤) الشناء : الشنأة : البغض . انظر: لسان العرب ، مادة [شنا] .

(٥) مطرف خز : رداء من خز مربع له أعلام أو ثوب كذلك ، والخز ثياب تنسج من صوف

وغبريم . انظر: لسان العرب مادة [طرف] ، [خز].

من محاسنها قوله:

يقولون سوداء العيون مريضة
فوالله ما أدري إذا أنا جنتها
إذا جنتها وسط النساء منحتها
ولى نظرة بعد الصدود من الجوى
فأقبلت من أهلى إليها أعودها
أبرئها من دائها أم أزيدها
صدوداً كأن النفس ليس تريدها
كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها

وقيل إن هذه الأبيات لذي الرمة لأنه بعد ما ذكر يقول:

وكنت إذا ما جنت ميا أزورها
من الخفريات البيض وذ جليسيها
أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها
إذا ما انقضت أحداثة لو تعيدها^(١)

ومنها وقد سأل عبد العزيز أن يرشده إلى قبر عزة فلما وقف عليه أنشد:
وقفت على ربع لعزة ناقتى
فيا عز أنت البدر قد حال دونه
وقد كنت أبكى من فراقك خفية
فهلا فداك الموت من أن ترينه
ألا لا أرى بعد ابنة النضر لذة
فلا زال رمس ضم عزة سائلاً
فإن التى أحبت قد حال دونها
أرب بعينى البكا كل ليلة
إذا لم يكن ما تسفح العين لى دماً
وفى البر رشاش من الدمع يسفح
رجيع تراب والصفيح المضرح^(٢)
فهذا لعمري اليوم أنأى وأنزح
بمن هو أسوأ منك حالاً وأقبح
لشئ ولا ملجأ لمن يتملح
به نعمة من رحمة الله تسفح^(٣)
طوال الليالى والضريح الموجه^(٤)
فقد كاد مجرى الدمع عيني يقرح^(٥)
وشر البكاء المستعار المسبح

(١) الخفريات ، مفردها خفرة : الجارية شديدة الحياء . أحداثة : ما يتحدث به ، انظر : القاموس المحيط ، مادة [خفر] ، [حدث] .

(٢) رجيع تراب : المردود ، كل شئ ردة إلى أصله . الصفيح المضرح : يقصد به القبر ، والصفيح هو حجارة القبر . انظر : القاموس المحيط ، مادة [رجع] ، [صفح] .

(٣) رمس : القبر المستوى الذى لا يعلو عن وجه الأرض . انظر : القاموس المحيط ، مادة [رمس] .

(٤) الموجه : المردود ، المقفل . انظر : القاموس المحيط ، مادة [وجه] .

(٥) يقرح : إذا أصابه القروح . انظر : القاموس المحيط ، مادة [قرح] .

ومنها :

ألا حيا ليلي أجد رحلي
تبدت له ليلي لتذهب عقله
أريد لأنسى ذكرها فكأنما
إذا ذكرت ليلي تغشتك عبرة
ومنها:

حلفت برب الراقصات إلى منى
يمين امرئ مستغلف من ألية
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم
فإن جاءك الواشون عنى بكذبة
فلا تعجلي يا ليل إن تفهمي
ومنها:

تذكرت أترابا لعزة كالمهي
وكنيت إذا لاقيتهن كأنني
ومنها:

كفى حزنا للعين إن رد طرفها
وقالوا نأت فاجر من الصبر والبكى
توليت محزوننا وقلت لصاحبي
لعزة إذ ما حل بالخيف أهلها
وبدل منها بعد طول إقامة
ومنها:

(١) قفول : رجوع. انظر: القاموس المحيط، مادة [قفول].
(٢) سلاف : نوع من أنواع الخمر. شمول: الخمر، سميت بذلك لأنها تشتمل على العقل. انظر:
القاموس المحيط، مادة [سلاف]، [شمول].
(٣) حل : نزل بالمكان . الخيف : يقصد به سفح الجبل، انظر: القاموس المحيط، مادة [حلل]، [خيف].
(٤) نكباء : مؤنث الأنكب ، البعير ذو النكب ، أى أحد منكبيه أعلى من الآخر. العنى: المتعب المريض.
جفول: العير الذى ينفر من كل شئ ويشرد. انظر: القاموس المحيط، مادة [نكباء]، [عنى]، [جفل].

لقد أكثر الواشون فينا وفيكم وما زلت من ليلي لذن طر شاربى
ومال بنا الواشون كل ميل^(١) إلى اليوم كالمقصى بكل سبيل^(٢)
ومنها :

لا تقدرن بوصل عزة بعد ما إن المحب إذا أحب حبيبه
أخذت عليك موثقا وعهودا صدق الصفاء وأنجز الموعدوا
الله يعلم لو أردت زيادة رهبان مدين والذين عهدتهم
في حب عزة ما وجدت مزيدا لو يسمعون كما سمعت حديثها
يكون من حذر العذاب قعودا والميت ينشر أن تمس عظامه
خروا لعزة خاشعين سجدوا مساو يخلدان يراك خلودا

وهذا الشعر رواه مغلطاي كما هو عن جميل وقد رأيت في النزهة منسوباً إليه
وبعد ما ذكر بيتاً استشهد به على مجيء التوكيد بالحرف، قال: وكثيراً ما نقله
النحاة هكذا:

لا لا أبوح بحب بثنة إنها أخذت على موثقا وعهودا

قال القالى^(٣): هو لكثير، وذكر بثنة سبق قلم، والأصل عزة، أو أن الشعراء
كثيراً ما يعدلون عن اسم من يريدون إلى ما لا يريدون تورية وغيره، وسيأتى
لذلك إيضاح.

ومنها :

تفرق أنواع الحجيج على منى وفرقهم شعب النوى بين أربع

(١) ميل : كل شيء مشكوك فيه . انظر: القاموس المحيط، مادة [ميل].

(٢) طر: طلع. المقصى: المتبع الأثر. انظر: القاموس المحيط، مادة [طر]، [قصى].

(٣) القالى، هو: إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان

البغدادي المعروف بالقالى، أبو على لغوى، نحوى، راوية للشعر وحافظ ينسب إلى بلد قالى

فلا أرمينية، ثم رحل إلى بغداد لطلب العلم، ثم إلى الأندلس، وأقام بقرطبة ومات بها سنة

(٣٥٦هـ) تصانيفه: البارع فى اللغة، تغير السبع الطوال، كتاب مقاتل الفرسان، الأمالى.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٥٤/١٠) وفيات الأعيان (٩٢/١) معجم المؤلفين (٣٧٤/١).

فلم أر دارًا مثلها دار غبطة
أقل مقيمًا راضيًا بمقامه
فشاقوك لما وجهوا كل وجهة
فريقان منهم سالك بطن نخلة
وملقى إذا التف الحجيج مجتمع
وأكثر جازًا ظاعنًا لم يودع
سراعًا وأخلوا عن منازل بلقع
وآخر منهم سالك خبت يفرع^(٤)

(٤) خبت : ما اطمأن واتسع من الأرض. انظر: القاموس المحيط، مادة [خبت].

فصل أخبار قيس ولبنى

هو: قيس بن ذريح بن سنة، وفي رواية ابن الحباب، يتصل نسبه بيكر بن عبد مناة عذرى، وهو من خزاعة، واسم أبيه على أو هو جده، وكان ينزل بظاهر المدينة، وهو رضيع الحسين بن على بن أبى طالب، وسبب علاقته بلبنى بنت الحباب الكعبية أنه ذهب ببعض حاجاته فمرَّ بينى كعب وقد احتدم الحر فاستسقى الماء من خيمة فبرزت إليه امرأة مديدة القامة بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق، فناولته إداوة ماء، فلما صدرت، قالت له: ألا تبرد^(١) عندنا، وقد تمكنت من فؤاده.

فقال: نعم، فمهدت له وطاء واستحضرت ما يحتاج إليه، وإن أباهما جاء. فلما وجده رحب به ونحر له جزوراً، وأقام عندهم بياض اليوم^(٢)، ثم انصرف وهو أشغف الناس بها، فجعل يكتم ذلك إلى أن غلب فنطق فيها بالأشعار وشاع ذلك عنه، وأنه مرَّ بها ثانياً فنزل عندهم وشكا إليها حين تخاليا ما نزل به من حبها، فوجد عندها أضعاف ذلك، فانصرف وقد علم كل واحد ما عند الآخر. فمضى إلى أبيه فشكا إليه ذلك، فقال له: دع هذه وتزوج بإحدى بنات عمك، فغم منه، وجاء إلى أمه فكان منها ما كان من أبيه، فتركهما وجاء إلى الحسين بن على وأخبره بالقصة فرثى له والتزم له أن يكفيه هذا الشأن. فمضى معه إلى أبى لبني فسأله فى ذلك فأجابه بالطاعة، وقال: يا ابن رسول الله لو أرسلت لكفيت، بيد أن هذا من أبيه أليق كما هو عند العرب، فشكره ومضى إلى أبى قيس.

ونقل السيوطى^(٣) فى شرح الشواهد: عن ابن عساكر، أن الحسين بن على

(١) تبرد: من برد: إذا فتر عنه الحر. انظر: القاموس المحيط، مادة [برد].

(٢) بياض اليوم: طول اليوم، أى جميعه. انظر: القاموس المحيط، مادة [بياض].

(٣) السيوطى، هو: عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن أبى بكر بن عثمان بن همام الدين،

الخضرى الأصل، الطولونى، المصرى، الشافعى جلال الدين. عالم مشارك فى عدة علوم، قرأ

على جماعة علماء، ولما بلغ الأربعين، اعتزل الناس وألف أكثر كتبه، توفى سنة (٩١١هـ) من

تصانيفه: شرح الشواهد، الإكليل، الإقتان فى علوم القرآن، معجم شيوخ السيوطى. انظر:

الضوء اللامع (٦٥/٤) شذرات الذهب (٥١/٨)، معجم المؤلفين (٨٢/٢).

لما بلغه انقباض أبي قيس عن ذلك، جاء إليه حافياً على حر الرمل، فقام ومرغ وجهه على أقدامه، وكان ذريح ملياً^(١) فمضى مع الحسين حتى زوّج قيساً بلبني. ونقل الجلال السيوطي أن الحسين أدى المهر من عنده، ولما تزوجها أقام مدة مديدة على أرفع ما يكون من أحسن الأحوال ومراتب الإقبال، وفنون المحبة، وأن قيساً على أبلغ ما يكون من أنواع البر بأمه فشغله الانهماك مع لبني عن بعض ذلك، فحسنت لأبيه التفريق بينهما، فقالت له يوماً: لو زوجته بمن تحمل لتجىء بولد كان أبقى لنسبك وأحفظ لبيتك ومالك، وأنهما عرضا على قيس ذلك، فامتنع امتناعاً يؤذن باستحالة ذلك، وقال: لا أسبها قط. وأقام يدافعهما عشر سنين إلى أن أقسم أبوه أو هي أمه لا يكنه سقف أو يطلق قيس لبني. فكان إذا اشتد الهجير^(٢) يجيئه فيظله بردائه ويصطلي هو حتى يجيء الفسء، فيدخل إلى لبني فيتعانقان ويتباكيان، وهي تقول له: لا تفعل فتهلك، إلى أن قدر أن يطلقها، فلما أزمعت الرحيل بعد العدة جاء وقد قوض^(٣) فسطاطها^(٤)، فسأل الجارية عن أمرهم، فقالت: سل لبني، فأتى إليها، فمنعه أهلها وأخبروه أنها غداة ترحل إلى أهلها فسقط مغشياً عليه.

فلما أفاق أنشد:

وإني لمن دمع عيني بالبكى حذار الذي قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفيك إلا أن ما حان حائن^(٥)

وقال أيضاً :

يقولون لبني فتة كنت قبلها بخير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت أعدائي وعاصيت ناصحي وأقررت عين الشامت المملق^(٦)

(١) ملياً : رجل مليء : كثير المال ، انظر: لسان العرب ، مادة [ملا] .

(٢) الهجير: شدة الحر. انظر: القاموس المحيط، مادة [هجر].

(٣) قوض: هدم الشيء. انظر: القاموس المحيط، مادة [قوض].

(٤) فسطاط: بيت من شعر الحيوان. انظر: القاموس المحيط، مادة [فسطاط].

(٥) حان: من حانه، أي أهلكه. حائن: المصيبة. انظر: القاموس المحيط، مادة [حان].

(٦) المملق: من مملق: إذا تودد الإنسان إلى آخر بما ليس في قلبه. انظر: القاموس المحيط، مادة [ملق].

وددت وبيت الله إنى عصيتهم
 وكلفت خوض البحر والبحر زاجر
 كأنى أرى الناس المحبين بعدها
 فتكر عيني بعدها كل منظر
 وحملت فى رضوانها كل موثق
 أبيت على أجاج موج مفرق^(١)
 عصارة ماء الحنظل المتفلق^(٢)
 ويكره سمعى بعدها كل منطق

وسقط غراب بحيث ينظره، فنقع حين رحيلها، فأنشد:

لقد نادى الغراب بين لبنى
 وقال غداً تباعد دار لبنى
 فقلت تعست ويحك من غراب
 وكان الدهر سعيك فى تباب^(٣)
 فطار القلب من حذر الغراب
 وتناهى بعد ود واقراب

وتبعها حين ارتحلت ينظر إليها، فلما غابت رجع يقبل أثر بعيرها، فليم على ذلك.

فأنشد:

وما أحبيت أرضكم ولكن
 لقد لاقيت من كلف بلبنى
 إذا نادى المنادى باسم لبنى
 ولما أجنه الليل أوى إلى مضجعه فلم يطق قراراً فجعل يتململ^(٤) ويتمرغ فى موضعه ويقول :

بت والهـم يا لبـنـى ضـجـيعـى
 وتنفسـت إذ ذكـرتـك حتـى
 يا لبـنـى فدتك نفسى وأهلى
 وجرت مذ نأيت عنى دموعى
 زالت اليوم عن فؤادى ضلوعى
 هل لدهر مضى لنا من رجوع

(١) أجاج موج: معظمه، أو وسطه، أو الأعلى من كل شيء. مفرق: من فرق البحر: أى فلقه وشقه. انظر: القاموس المحيط، مادة [أجاج]، [مفرق].

(٢) الحنظل: نبات معروف بالمرارة، ويطلق على الشيء المر الصعب. المتفلق: المشقوق. انظر: القاموس المحيط، مادة [حنظل]، [فلق].

(٣) التباب: الخسارة والهلاك. انظر: القاموس المحيط، مادة [تباب].

(٤) يتململ: يتقلب همًا وغمًا، أو مرضًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [ملل].

وقال أيضاً :

قد قلت للقلب لا لبناك فاعرف
قد كنت أحلف جهدى لا أفارقها
حتى تكنفى الواشون فالتلت
هيهات هيهات قد أمست مجاورة
حتى يمانون والبطحاء منزلها

وأرسلت إليه يوماً أمه بنات يعبن لبنى عنده ويلهينه بالتعرض إلى وصلهن.
فأنشد:

يقر لعينى قربها ويزيدنى
وكم قائل قد قال تب فعصيته
فيا نفس صبر الست والله فاعلمى
بها عجا من كان عندى يعيها
وتلك لعمري توبة لا أتوبها
بأول نفس غاب عنها حبيها

فلم ينصرفن ودمن على ما كن فيه، فنادى: يا لبنى، فقلن: مالك، قال:
خدرت رجلى، وكان من المعلوم عند العرب أنه إذا خدرت^(٣) رجل الرجل
وذكر لها أحب الناس إليها سكنت.

ثم قال:

إذا خدرت رجلى تذكرت من لها
دعوت التى لو أن نفسى تطيعنى
برت نبلها للصيد لبنى عشية
فلما رمتنى أقصدتنى بنبلها
وفارقت لبنى ضلة فكأننى
فناديت لبنى باسمها ودعوت
لفارقتها فى حبه فقضيت
ورشت بأخرى مثلها وبريت^(٤)
وأخطأتهم بالسهم حين رميت
قرنت إلى العيوق ثم هويت^(٥)

(١) لبناك : من لبن، إذا كان له حاجة يريد قضاؤها. انظر: القاموس المحيط، مادة [لبن].
(٢) تكنفى: من كنفه، إذا حجزه عن الأمر. انظر: القاموس المحيط، مادة [كنف].
(٣) خدرت: من الخدر: تشنج يصيب العضو، فلا يستطيع الحركة. انظر: القاموس المحيط، مادة [خدر].
(٤) برت : من برى السهم ، إذا نحته. انظر: القاموس المحيط، مادة [برى].
(٥) قرنت : من قرنه ، إذا ضيق عليه، وشد إلى الأمر. العيوق: الانصراف كما يريد الإنسان. انظر: القاموس المحيط، مادة [قرن]، [عوق].

يا ليت إني مت قبل فراقها وهل يرجعن قول المفرط ليت

فوطن لنفسى منك هلكتا فإني كأنك بي قد يا ذريح قضيت

ورأيت الأبيات في كتاب لا أعرف جامعته، وفيها يقول:

يا ليت إني مت قبل فراقها وهل ينفعن بعد التفرق ليت

فإن يك تهيامي بلبنى غواية فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فوطن البيت، ولما اشتد شوقه وزاد غرامه أفضى به الحال إلى مرض ألزمه
الوساد، واختلال العقل، واشتغال البال، فلام الناس أباه على سوء فعله، فجزع
وندم وجعل يتلطف به، فأرسل له طبيباً وقينات يسألون عن حاله ويلهونه.

فلما أظالوا عليه أنشد:

عند قيس من حب لبنى ولبنى داء قيس والحب صعب شديد

فإذا عادني العوائد يوماً قالت العين لا أرى من أريد

ليت لبنى تعودني ثم أفضى أنها لا تعود فيمن يعود

ويح قيس لقد تضمن منها داء خبل فالقلب منه عميد

فقال له الطبيب: مذ كم هذه العلة بك؟ ومذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟
فقال:

تعلق روحى روحها قبل خلقنا وليس إذا متنا بمنقصم العقد

فزاد كما زدنا وأصبح نامياً وليس إذا متنا بمنصم الهد

ولكنه باق على كل حادث وزائرتى فى ظلمة القبر واللحد

فقال: إنما يسليك عنها تذكر ما فيها من المساوىء والمعائب وما تعافه النفس.
فقال:

إذا عبتها شبهتها البدر طالعا وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما على ألف شهر فضلت ليلة القدر

إذا ما شت شبرا من الأرض ارجفت من البهر حتى ما تزيد على شبر^(١)

(١) أرجفت : من رجفت الأرض، أى زلزلت. البهر: الجمال والحسن. انظر: القاموس المحيط،
مادة [رجف] ، [بهر].

لها كفل يرتج منها إذا مشت ومث كفصن البان منضمم الخصر^(١)
و إن أباه دخل وهو يخاطب الطبيب بذلك فجعل يؤنبه ويلومه، فلما لم يقد
ذلك، عرض عليه التزويج.

فأنشد:

لقد خفت أن لا تفنع النفس بعدها بشيء من الدنيا وإن كان مقنعا
وأزجر عنها النفس أن حيل دونها وتأبى إليها النفس ألا تطلعا

فلما آيس منه، استشار قومه في دائه، فاتفقت آراؤهم على أن يأمره
بتصفح^(٢) أحياء العرب، ففعل أن تقع عينه على امرأة تستميل عقله، فأقسموا
عليه أن يفعل، ففعل، وأنه اتفق أن نزل بجى من فزارة، فرأى جارية قد حسرت
عن وجهها برقع خز وهى كالبدن حسناً وبهجة فسأل عن اسمها، فقالت: لبنى،
فسقط مغشياً عليه، فارتاعت منه ونضحت وجهه بالماء، وقالت: إن لم تكن قيساً
فمجنون.

فلما أفاق، استنسبته^(٣)، فإذا هو قيس، فأقسمت عليه أن ينال من طعامها،
فتناول قليلاً، وركب فجاء أخوها على أثره، فأعلمته القصة، فركب حتى
استرده، وأقسم عليه أن يقيم عنده شهراً، فقال: لقد شفقت على وأجاب، فكان
الفزارى يعجب به ويعرض عليه الصهارة، حتى لامته العرب وقالوا نخشى أن
يصير فعلك سنة، فيقول: دعونى فى مثل هذا الفتى يرغب الكرام، وقيس يقول
له: إن فيكم الكفاية ولكنى فى شغل لا يُنتفع بى معه، فألح عليه حتى عقد له
على أخته، ودخل بها فأقام معها أياماً لا تهش^(٤) نفسه إليها ولا يكلمها، ثم
استأذن فى الخروج إلى أهله، فأذنوا له، فخرج إلى المدينة، وكان له بها صديق،
فأعلمه أن لبنى قد بلغها تزويجه، فغمت لذلك، وقالت: إنه لغدار وإنى طالما

(١) كفل: العجز أو الأرداف. المتن: الظهر من آدمى. انظر: القاموس المحيط، مادة [كفل]، [متن].

(٢) تصفح: يجول ويمر بين الناس. انظر: القاموس المحيط، مادة [صفح].

(٣) استنسبته: سأله عن نسبه. انظر: لسان العرب مادة [نسب].

(٤) هش: هش بفلان، إذا ارتاح له وأحبه. انظر: القاموس المحيط، مادة [هشش].

خطبت فأبيت والآن أجيب هذا، وإن أبا لبني قد اشتكى قيسًا إلى معاوية أنه يشيب بابنته، فكتب إلى مروان يهدر دمه، وأمره أن يزوج ابنته بخالد بن خلدة الغطفاني وهو كندی حليف قريش، فجعل النساء ليلة زفافها يغنينها:

لبنى زوجها أصبح لا حـر يوازيه
 له فضل على الناس وقد باتت تناجيه
 وقيس ميت حقًا صريع فى بواكيه
 فلا يعده الله وبعدها لنواعيه

ولما بلغ ذلك قيسًا، اشتد به الغرام، فركب حتى أتى محلة قومها، فقالت له النساء: ما تصنع هنا وقد رحلت مع زوجها، فلم يلتفت حتى أتى موضع خبائها فتمرغ به.

وأنشد:

إلى الله أشكوا فقد لبني كما شكا
 إلى الله بعد الوالدين يتيم
 يتيم جفاه الأقربون فجسمه
 وأنشد حين بلغه هدر دمه:

فإن يحبوها أو يحل دون وصلها
 مقالع واش أو وعيد أمير
 فلن يمنعوا عيني من دائم البكا
 ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري^(١)
 إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى
 ومن كرب تعادنى وزفير
 ومن حرق للحب فى باطن الحشا
 وليل طويل الحزن غير قصير
 سأبكي على نفسى بعين غزيرة
 بكاء حزين فى الوثاق أسير
 وكنا جميعًا قبل أن يظهر النوى
 يا نعم حالى غبطة وسرور
 فما برح الواشون حتى بدت لنا
 بطون الهوى مقلوبة بظهور^(٢)
 لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا
 ولكنما الدنيا متاع غرور

(١) أجن: أجن الشيء، أخفاه. انظر: القاموس المحيط، مادة [جنن].

(٢) مقلوبة بظهور: مثل، يراد به: إذا تحول من الصداقة إلى العداوة.

وقال أيضاً:

وإن تك لبني قد أتى دون قربها
فإن نسيم الجو يجمع بيننا
وأرواحنا بالليل في الحين تلتقى
وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا
إلى أن يعود الدهر سلماً وتنقضى
ترات يراها عندنا وذحول^(١)

وحجت لبني في تلك السنة، فاتفق خروجه أيضاً ، فتلاقيا فأبهت، وأرسلت إليه مع امرأة تستخبر عن حاله وتسلم عليه، فأعاد السلام والسؤال.

وأنشد:

إذا طلعت شمس النهار فسلمى
بعشر تحيات إذا الشمس أشرقت
ولو أبلغتها جارة قولي اسلمى
فبإني يسلمني عليك طلوعها^(٢)
وعشر إذا أصفرت وحن رجوعها
طوت حزناً وارفض منها دموعها^(٣)

وحين انقضى الحج، مرض مرضاً أنهكه، فأكثر الناس من عيادته، فجعل يتفكر لبني وعدم رؤيته لها.

فأنشد:

البنى لقد جلت عليك مصيبتى
تمنيتى نيلاً وتلوينيتى به
ألومك في شأني وأنت مليمة
وأخبرت إنى فيك مت بحسرة
إذا أنت لم تبكى على جنازة
غداة غدا إذ حل ما أتوقع
فنفسى شوقاً كل يوم تقطع^(٤)
لعمري واجفى للمحب واقطع
فما فاض من عينيك للوجد مدمع
لديك فلا تبكى غدا حين أرفع

(١) ترات : من تر : وهو البعد. ذحول: الذحل: الثأر. انظر: القاموس المحيط، مادة [ترر]، [ذحل].

(٢) يسلمني : من سلا ، إذا نسي. انظر: القاموس المحيط، مادة [سلا].

(٣) ارفض: ارفض الدمع ، إذا سال وتفرق . انظر: القاموس المحيط، مادة [طوى]، [رفض].

(٤) تلوينيتى : لوى عن الأمر ، ثناقل عنه . انظر : القاموس المحيط، مادة [لوى].

فحين بلغتها الأبيات ، جزعت جزعاً شديداً، وخرجت إليه خفية على ميعاد، فاعتذرت عن الانقطاع، وأعلمته أنها إنما تترك زيارته خوفاً عليه أن يهلك، وإلا فعندها ما عنده ولكنها جلدة.

وفي منازل الأحباب يرفعه إلى ابن عباس، قال: مررت بربيع عفا رسمه ، وإذا بشخص ، فسلمت عليه فلم يرد ، فمضيت ، وإذا هو يناديني، فرجعت، فردّ عليّ واعتذر، ثم ذكر أنه تعزّيه غيبة العقل أطواراً و هذا دمعه يسفح كالغيث، فقلت له: من أنت؟

قال: قيس بن ذريح وأنشد:

أمانيه لبنى ولم يقطع المدى	بوصل ولا هجر فيأس طامع
أبى الله أن يلقى الرشاد متيم	ألا كل شيء حمّ لا شك واقع
هما برحابي معولين كلاهما	فؤاد وعين ماقها الدهر دامع ^(١)
إذا نحن أفينا البكاء عشية	فموعدنا قرن من الشمس طالع

قال الحافظ مغلطاي : وأخبرت لبنى بمرضه في جها، فقالت، دفعاً للوهم:

مم يمارض؟ فبلغته القصة.

فأنشد :

تكذبني بالودّ لبنى وليتها	تكلف منى مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت إننى	لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق إليك النفس ثم أردّها	حياء ومثلى بالحياء حقيق
إذ ود سوام النفس عنك وما له	على أحد إلا عليك طريق ^(٢)
شهدت على نفسى بأنك غادة	رداح وأن الوجه منك عتيق ^(٣)
وإنك لا تجزيين منى صحابة	ولا أنا للهجران منك أطيع

(١) برحابي : الرحابي . الأرض الواسعة. معولين: المعول: أداة لحفر الأرض. ماقها: من مق

الشيء، إذا شقه وفتح. انظر: القاموس المحيط، مادة [رحب]، [عول]، [مقق].

(٢) سوام النفس: من سام السلعة، إذا عرضها للبيع وغالى فيها. انظر: القاموس المحيط، مادة [سام].

(٣) رداح: الشجرة الكبيرة. عتيق: جميل. انظر: القاموس المحيط، مادة [ردح]، [عتق].

وانك قسمت الفؤاد فنصفه
 رهين ونصف في الخيال وثيق
 كان الهوى بين الحيازيم والحشا
 وبين التراقي واللهاة حريق^(١)
 فإن كنت لما تعلمى العلم فاسأل
 وبعض لبعض في الفعال يفوق
 سلى هل قلانى من خليل صحبته
 وهل يجتوى القوم الكرام صحابتي
 واكنم أسرار الهوى فأمتها
 إذا اغبر محشى المعجاج عميق^(٢)
 هل الصبر إلا أن أصد فلا أرى
 إذا باح مزاح بهن يروق
 بأرضك إلا أن يكون طريق

وروى أن قيساً انتقى ناقة من إبله وقصد المدينة لبيعها ، فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه، ثم قال له: اتنى غداً فى دار كثير بن الصلت أقبضك الثمن، فجاء وطرق الباب فأدخله، وقد صنع له طعاماً وقام لبعض حاجاته، فقالت المرأة لخدمتها: سليه ما بال وجهه متغيراً شاحباً.

فتنفس الصعداء، ثم قال: هكذا حال من فارق الأحبة.

فقالت: استخبريه عن قصته، فاستخبرته، فشرع يحكى أمره، فرفعت الحجاب، وقالت: حسبك قد عرفنا حالك، فبهت حين عرفها لا ينطق ساعة، ثم خرج لوجهه، فاعترضه الرجل، وقال: ما بالك عد لتقبض مالك وإن شئت زدناك، فلم يكلمه، ومضى، فدخل الرجل، فقالت له: ما هذا الذى فعلت إنه لقيس ، فحلف أنه لا يعرفه.

وأنشد قيس معاتباً لنفسه :

أتبكى على لبنى وأنت تركتها
 وكنت عليها بالملأ أنت أقدر
 فإن تكن الدنيا بلبنى تقلبت
 فللدهر والدنيا بطون وأظهر
 كأنى فى أرجوحة بين أحبل
 إذا فكرة منها على القلب تخطر

(١) الحيازيم، الحيزوم، وسط الصدر. التراقي: من عظم الترقوة، مقدم الحلق فى أعلى الصدر. اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق، فى سقف الفم. انظر: القاموس المحيط، مادة [حزم]، [رقى]، [لهو].
 (٢) يجتوى : يكره. انظر: القاموس المحيط، مادة [جوى].

وقيل: إنه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبني، فعاد مبهوراً، فسأله الرجل، فقال له: لا تركب لي مطيتين.

فقال: أنت قيس.

قال: نعم.

قال: ارجع لنخيرها فإن اختارتك طلقته، وظن الرجل أنها تبغض قيساً، فنخيرها فاختارت قيساً، فطلقها لوقته.

وحكى أن سبب طلاقها أن قيساً قصد ابن أبي عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروءة في ذلك، فجاء إلى الحسن والحسين وأعلمهما أن له حاجة عند زوج لبني، وطلب أن ينجدها عليه، فمضيا معه حتى اجتمعوا به، وكلموه في ذلك، فقال: سلوا ما شئتم.

فقال له ابن أبي عتيق: أهلاً كان أو مالاً.

قال: نعم.

فقال: أريد أن تطلق لبني ولك ما شئت عندي، فقال: أشهدكم أنها طالق ثلاثاً، فاستحيوا منه وعوضه الحسن مائة ألف درهم، وقال له: لو علمت الحاجة ما جئت.

وروى أن لبني عاتبت قيساً على تزويج الفزارية، فحلف لها أن عينيه لم تكتحل برؤيتها، ولم يكلمها لفظة واحدة، وأنه لو رآها لم يعرفها، وأخبرته لبني أنها كارهة زوجها، وأعلمته أنها لم تتزوجه رغبة فيه، بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلى عنها. فطلقها حين علم منا بينهما، وأرسل أخو الفزارية إلى قيس حين أبطأ عنه يسأله الرجوع، فأعاد الرسول بالخيار في أمر أخته، فاختار الرجل عدم الفرقة، وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له، وكان ذلك قبل طلاق لبني، فقال له: إن شئت كتبت إلى زوجها بطلاقها.

فقال: لا ولكن ائذن لي أن أكون ببلدها، ففعل، فنزل قيس حين زال هدر دمه بجيها، وتظافت مدائحها فيها حتى غنى بها معبد والغريض وأضرابهما، فرق الناس له، هذا ولما طلقت نقلت إلى العدة بأمر ابن أبي عتيق، فمن ذاهب

إلى أنها أكملت عدتها وتزوجها وأقاما إلى الموت، بدليل مدحه لابن أبي عتيق
حيث قال:

جزى الرحمن أفضل ما يجازى على الإحسان خيراً من صديق
لقد جربت إخواني جميعاً فما ألفت كابن أبي عتيق
سعى لي جمع ثملى بعد صدع ورأى حدث فيه عن الطريق^(١)
وأطفأ لوعة كانت بقلبي اغصتني حرارتها بريقي

ومن ذاهب - وهم الأكثر - إلى أنها ماتت في العدة، وأن مدحه لابن أبي
عتيق حين لم يشك في عودها إليه، وقد نهاه عن مدحه، وقال له: من سمع بهذا
يعدني قواداً . والقائلون بموت لبني في العدة أجمعوا أن قيساً خرج حين بلغه
ذلك حتى وقف على قبرها.

وأنشد:

ماتت لبني فموتها موتي هل ينفعن حسرة على الفوت
إني سأبكي بكاء مكتوب قضى حياة وجداً على ميت

ثم بكى حتى أغمى عليه، فحمل ومات بعد ثلاث، ودفن إلى جانبها، وكان
ذلك في سنة [واحدة].

وله أشعار كثيرة منها ما حكاه الشهاب في منازل الأحباب عن أبي العباس
على تردد في أنه لابن الدمينه .

وفي عروة العذرى إن مت أسوة وعمرو بن عجلات الذي قتلت هند
وبى مثل ما قد نابيه غير انى إلى أجل لم يأتني وقته بعد
وفيض دموع العين بالليل كلما بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو
ومنها:

لقد عنيتني يا حب لبني فقع إما بموت أو حياة
فإن الموت أيسر من حياة منفصة لها طعم الشتات^(٢)

(١) الصدع: الفرقة والبعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [صدع].

(٢) الشتات: الفرقة. انظر: القاموس المحيط، مادة [شتت].

فقلست ولا إذا حبات ولساني

وقال الأمرون تعز عنها

ومنها:

ولا وجد النهدي وجدى على هند

فما وجدت وجدى بها أم واحد

كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى

ولا وجد العذرى عروة فى الهوى

ومنها:

لمت ولم يعلم بذاك ضمير

لو أن امرأ اخفى الهوى عن ضميره

بسرك والمستخبرون كثير

ولكن سألقى الله والنفس لم تبح

ومنها:

فجنبنا أريك فالبلاد الدواقع^(١)

عفا سرف من أهله فشوارع

بها من لينى مخرف فمرايع^(٢)

فمكة فالأخفاف طيبة

بعض بلادى أن ما حم واقع

لعل لينى أن يحم لقاءها

عفا وتخطته العيون الجوازع

يجذع من الوادى خلا عن أنيسه

بظهر الصفا الصلد الشقوق الشوائع^(٣)

ولما بدا منها الفراق كما بدا

تعاصيك أحياناً وحيناً تطاوع

تمنيت أن تلقى ليناك والمنى

ولا ذى هوى إلا له الدهر فاجع^(٤)

وما من حبيب وامق لحبيبه

لبين كما شق الأديم الصواقع^(٥)

وطار غراب البين وانشقت العصا

أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

ألا يا غراب البين قد طرت بالذى

(١) عفا: انمحي، ودرس، وبلى. الدواقع؛ مفردا داقع: يقصد به الفقر والذل والجوع. انظر:

القاموس المحيط، مادة [عفا]، [دقع].

(٢) مخرف: من اخترف فى المكان، إذا أقام به وقت الخريف. مرايع: من ربع، وهو الدار

والمنزل. انظر: القاموس المحيط، مادة [خرف]، [ربع].

(٣) الصفا: نوع من أنواع الحجارة الضخمة. الصلد: الصلب. الشوائع: المتفرقة. انظر: القاموس

المحيط، مادة [صفا]، [صلد]، [شاع].

(٤) وامق: بعيد المكان. فاجع: من فجج، إذا أوجعه بإعدامه ما يتعلق به من الأهل. انظر:

القاموس المحيط، مادة [ومق]، [فجع].

(٥) الأديم: أديم الأرض، سطحها وظاهرها. انظر: القاموس المحيط، مادة [أدم].

وانك لو ابلتها قليلى اسلمى
 ابكى على لبنى وانت تركتها
 فلا تبكين فى اثر شىء لدامه
 فليس لامر حاول الله جمعه
 كأنك لم تفنع إذا لم تلاقها
 فيا قلب خبرنى إذا شطت النوى
 أتصير للبين المشت مع الجوى
 فما أنا إن بانى سليمى بهاجع
 وكيف ينام المرء مستشعر الجوى
 فلا خير فى الدنيا إذا لم تزورنا
 أليست لبنى تحت سقف يكتها
 ويلبنا الليل البهيم إذا دجا
 تطأ تحت رجليها بساطاً وبعضه
 وفرح أن تمسى بخير وإن يكن
 كأنك بدع لم تر الناس قبلها
 وقد كنت أبكى والنوى لا أظنه
 واهجركم هجر البغيض وحبكم

طوت حزناً وارفض منها المدامع
 وكنت كآت غيه وهو طائع
 إذا نزعته عن يدك النوازع
 مشت ولا ما فرق الله جامع
 وان تلقها فالقلب راض وقانع
 بلبنى وصدت عنك ما أنت صانع^(١)
 أم أنت امرؤ ناسى الحياة فجازع^(٢)
 إذا ما استقلت بالنيام المضاجع^(٣)
 ضجيع الأسى فيه نكاس روادع^(٤)
 لبنى ولم يجمع لنا الشمل جامع
 وإيسى هذا إن نأت لى نافع
 ونصر ضوء الصبح والفجر ساطع
 أطأه برجلي ليس يطويه مانع
 بها الحدث العادى ترعى الروائع
 ولن يطلعنك الدهر فيمن يطالع
 بنا وبكم لم ندر ما البين صانع
 على كبدى منه كلوم صوادع^(٥)

(١) شطّ: من شط فلاناً: أبعدته. انظر: القاموس المحيط، مادة [شطط].

(٢) المشت: المتفرق. انظر: القاموس المحيط، مادة [شتت].

(٣) هاجع: من هجع، إذا نام. انظر: القاموس المحيط، مادة [هجع].

(٤) نكاس: المرض أو الذل، الضعف والعجز. روادع: من الرادع؛ معاودة المرض. انظر: القاموس المحيط، مادة [نكس]، [ردع].

(٥) الكلوم: المجرح. صوادع: من صدع، إذا انشق وتفرق. انظر: القاموس المحيط، مادة [كلم]، [صدع].

فواكبدي من شدة الشوق والأسى
واعجل للاشفاق حتى يشفني
واعمد للأرض التي من ورائكم
فيا قلب صبراً واعترافاً لما ترى
لعمري لمن أمسى وأنت ضجيعه
ألا تلك لبني قد تراخى مزارها
إذا لم يكن إلى الجوى فكفى به
أبائنة لبني ولم تقطع المدى
نهارى نهار الواهين صباية
وقد كنت قبل اليوم خلوا وإنما

وهذان البيتان في غير رواية أبي علي:
ولولا رجاء القلب أن يعطف النوى
له وجبات أثر لبني كأنها
نهارى نهار الناس حتى إذا بدى
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى
إذا نحن انفدنا البكاء عشية
وللحب آيات تبين للفتى
وما كل ما منيت نفسك خالياً
تداعت له الأحزان من كل وجهة
وجانب قرب الناس يخلو بهمه
أراك اجتبت الحى من غير بغضة

وواكبدي إنى إلى الله راجع
مخافة شحط الدار والشمل جامع
لترجعي يوماً إليك الرواجع^(١)
ويا جها قع بالذى أنت واقع
من الناس ما اختيرت إليه المضاجع
وللبين غمّ ما يزال ينازع
جوى حرق قد ضمنها الأضالع
بوصل ولا صرم فيأس طامع
وليلى تنو فيه عنى المضاجع
تقسم بين الهالكين المصارع

لما حملته بينهن الأضالع
شقائى يرق فى السحاب لوامع
لى الليل هزتنى إليك المضاجع
ويجمعنى بالليل والهـم جامع
فموعدنا قرن من الشمس طالع
شحب وتبرى من يديه الأشاجع
تلاقى ولا كل الذى أنت تابع
فحن كما حن الطيور السواجع^(٢)
وعاوده فيها هيام مراجع
ولو شئت لم تجنح إليك الأصابع

(١) أعمد: أقصد. انظر: القاموس المحيط، مادة [عمد].

(٢) السواجع: من سجع الطير، إذا هدر وردد صوته. انظر: القاموس المحيط، مادة [سجع].

كان بلاد الله ما لم تكن بها وإن كان فيها الناس قفر بلاقع
 ألا إنما أبكى لما هو واقع وهل جزع من وشك بينك نافع
 أحال على الدهر من كل جانب ودامت ولم تقلع على الفجائع
 فمن كان محروقا غدا لفراقنا مذ الآن فليك لما هو واقع

وقد انتهت أخباره كما وجدت، وكأني بغبي يعترض على نقلي له من مراتب من حظي بالتلاق إلى مراتب من مات دونه من العشاق، ولم يدر أن الحثيات توجب بالتأمل الصائب، والفهم الذكي الثاقب، ما لم يدركه الغبي الغافل، أما تقدم هذه الأربعة فقد علم.

وأما ذكر هذا هنا فقد قال في النزهة والبدور المسافرة وطوالع الأزهار وغالب شرح ديوان الاستاذ ومن بحث عن أحوال العشاق "إنه رأس أهل الهوى" ولكن وقوعه في فرقة المحبوب أوقعة في هذه المرتبة.

وقال المتكلمون على الديوان المذكور إن سلطان العشاق وأستاذ العارفين على الإطلاق قد أشار إلى تفضيله على الكل حيث شبه غرامه بغرامه وحسن لبني ببهجة الحضرة الممدوحة حيث قال:

بفرط غرامى ذكر قيس بوجده وبهجتها لبني أمت وأمت

لا يقال قد أفرد غيره بالذكر أيضا لأن أساليب دقائق كلامه وأفانين مطاوى نظامه تجل عن أن تنال إلا بشق الأنفس والله يؤتى فضله من يشاء فإن قوله: فإن كنت ليلي إن قلبى عامر، ونحوه ليس تمويهًا بعظم الشأن كما فى البيت السابق أهـ.

قلت: وقد يقال لا تفضيل لقيس فى البيت إلى غيره، فيجاب بأن قوله ﷺ:

بها قيس لبني هام بل كل عاشق كمجنون ليلي أو كثير عزة

صريح فى جعله فى مقابلة المجموع حيث ذكرهم بالحرف الدال على الانتقال عن الأرفع ومثل بالأمثل وذلك يقتضى التفضيل على الجميع وحكمة ذلك والله أعلم كونه قد عرف لذة الوصل والتلاق ثم رمى بغصة البعد والفراق وذلك عند العقلاء أبلغ وأعظم وأرفع فى مقاسات الغرام وأفخم وفيه تلميح بما ذكر فى التفضيل بين البشر والملائكة.

فصل

أخبار المجنون وصاحبته ليلى

قد اختلف في اسمه هل هو عامر، أو مهدي، أو الأقرع أو معاذ وقيس ابنه أو ابن الملوّح، أو البحزّي بن الجعد، والصحيح الأول لإشارة عارف الوقت في البيت السابق، وفي نسبه عامريّ أو كلابيّ، أو جعديّ أو قشيريّ أو المجانين متعددة، أو هما اثنان في بني عامر، أو لم يكن أحد، وإنما امرؤ تعشق واستكبر عن أن يصرح باسمه واسم محبوبته فموّه بالمجنون وليلى، والصحيح أنه من بني عامر، وهو: عامر بن ملوّح بن مزاحم، يتصل نسبه عند صاحب الأغاني إلى كعب بن ربيعة بن صعصعة. كان مديد القامة، جعد الشعر، أبيض اللون، ولم ينله الهزال والجنون وتغير اللون إلا من العشق، وصاحبته هي ليلى بنت مهدي بن سعد، تتصل بنسبه في كعب بن ربيعة، وكنيتها أم مالك، وهذا أخذ من قوله ذلك في شعره كثيراً نحو قوله:

تكاد بلاد الله يا أم مالك بما رحبت يوماً على تضيق

وهذا كاستدلالهم بأن اسم أبيه ملوّح بن مزاحم وأنه مات قبل اختلاط عقله فعقر عليه ناقة بقوله:

عقرت على قبر الملوّح ناقتي بذني السرح لما أن جفاه أقاربه

وقلت لها كوني عقيراً فإني غداة غد ماش وبالأمس راكبه

فلا يبعدنك الله يا ابن مزاحم فكل امرئ للمرت لا بد شاربه

وروى بإسقاط هاء السكت وحذف البيت الأخير وذكروا من سبب عشقه لليلى أنه مر يوماً على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك بامرأة من قومه وعندها نسوة يتحدثن فأعجبهن فاستنزلنه للمنادمة، فنزل وعقر هن ناقته، وأقام معهن بياض اليوم، فأقبل فتى اسمه مُنازل يسوق غنماً، فانصرفن إليه وتركن المجنون، فقام مغضباً.

وأنشد :

أعقر من جرّاً كريمة ناقتي ووصلني مقرون بوصل منازل

إذا جاء قعقعن الحلبي ولم أكن إذا جئت اخفوا صوت تلك الخلاخل
فقوله: من جرا كريمة ، يعني من أجلها - كريمة اسم المرأة التي كن عندها -
وروى، ووصلى مفضول، أي دون وصل "منازل" ، وهو أليق بالمقام.
وفي النزهة:

إذا جاء قعقعن الحلبي ولم يكن إذا جئت بل اخفين صوت الخلاخل^(١)
يقول: قد أظهرن صوت الحلبي حين جاء منازل، وهذه كناية عن قيامهن له
ولم يكن ذلك عند مجيئي، وهذا هو اللائق. ولم يؤخذ من البيت السابق.
وقيل: تداعيا^(٢) المناضلة أو الصراع.
فقال له المجنون: قم إلى حيث يرينك ولا تراهن، فافعل ما تقول.
وأنشد في ذلك:

إذا ما انتضلنا في الخلاء نضلته وأن يرم رشقا عندها فهو ناضلي^(٣)
فعلى هذا يكون ضمير (عندها) عائداً على النسوة، وهذا دليل على شدة
استحيائه، فإنه يقول له ما دمت تنظر إليهن فإنك تشجع فتغلبني.
وهذا على حد قوله:

حمامة جرعى حومة الجنديل اسجعي فأنت بمراى من سعاد وسمع
يقول: جدّي في السجع فإن سعاد تنظرك وتسمعك.
قلت: هذا ما نقل في الأصل عن ابن الكلبي ولا دليل فيه على تعلقه بليلى،
وإنما الدليل فيما رواه صاحب نزهة المشتاق قال: لما دعت النسوة إلى النزول نزل
وجعل يحادثهن ويقلب طرفه حتى وقعت عينه على ليلي، فلم يصرف عنها طرفه
وشاغلته، فلم يشتغل، ثم قال لها: هل عندك ما تأكلن؟
قالت: لا.

(١) قعقعن: من قعقع، إذا جعل له صوت. انظر: القاموس المحيط، مادة [قعقع].
(٢) تداعيا: من داعاه، إذا طلبه لشيء. انظر: القاموس المحيط، مادة [دعا].
(٣) انتضلنا: تسابقنا في رمي السهام. رشقا: من رشقه ببصره، إذا ألح في النظر إليه. انظر:
القاموس المحيط، مادة [نضل]، [رشق].

فعمد إلى الناقة فنحرها وقطعها، وجاءته لتمسك معه اللحم فجعل يجز بالمديّة في كفه وهو شاخص فيها حتى أعرق كفه، فجذبتها من يده ولم يدر.

ثم قال لها: ألا تأكلين الشواء؟

قالت: نعم .

فطرح من اللحم شيئاً على الغضى^(١) وأقبل يحادثها.

فقالت له: انظر إلى اللحم هل استوى أم لا ؟

فمد يده إلى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر، فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلك، ثم شدّت يده بهذب قناعها، ثم ذهب وقد تحكّم عشقها من قلبه.

وقيل : إنها بعد هذا المجلس استدعته للمحادثة وقد داخلها الحب، فقالت له:

هل لك في محادثة من لا يصرفه عنك صارف؟

فقال: ومن لي بذلك، ثم نزل وعقر ناقته كما مر ، وإنها كانت مغرمة

بأحاديث الناس والأشعار وكان هو أروى الناس لذلك فكانت تستدعيه لتسمع منه وكان يجيبها إلى ذلك فتداخلت بينهما المحبة.

وفي نديم المسامرة: أنهما نشئا صغيرين يرعيان الغنم بدليل قوله:

تعلقت ليلي وهي ذات تائم . ولم يبد للأتراب من ثديها حجم^(٢)

صغيرين نرعى إليهم يا ليت اننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم^(٣)

فتحابا وأنها حجت عنه فداخله جنون وعلى كل الطرق لما عرف كل منهما ما عند الآخر وتمكنت المحبة منهما جعل يأتيها نهاراً قبل الحجب ويذهب ليلاً وفي ذلك يقول:

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزني إليك المضاجع

أقضي نهاري بالحدث وبالمني ويجمعني بالليل والهـم جامع

(١) الغضى : نوع من الشجر جمره يطول ولا يطفأ إلا بعد حين. انظر : لسان العرب ، مادة [غضا].

(٢) ذات تائم: كناية عن الصغر، وهي التميمة الخرزة التي كان يضعها العرب في أعناق صغارهم للوقاية من العين. انظر: القاموس المحيط، مادة [تئم].

(٣) البهم: جمع البهمة، وهي أولاد الماعز والبقر. انظر: القاموس المحيط، مادة [بهم].

قلت: وقد تقدم أن البيتين لقيس بن ذريح.

وصرح في نزهة العشاق بذلك، وقال: إن المجنون كان يتمثل بهما وهذا هو الصحيح فإنهما كانا متعاصرين، حتى نقل في الأغاني أن قيساً مر بالمجنون وهو في مبادي مخالطة^(١) العقل والانفراد وكان كل منهما يشتهي لقاء صاحبه، فسلم عليه فلم يرد فعرفه بنفسه فقام إليه واعتنقه وتباكيا واشتكى كل إلى الآخر ما عنده، فقال المجنون لقيس: إن حيّ ليلى قريب فهل لك أن تبلغها سلامي، فمضى حتى وقف بها، ونسب نفسه، فتعارفا وبلغها، فأخبرته أن وجدها به أعظم، ولكن قالت: أنا عاتبة عليه حيث يقول:

أنت ليلة بالغيل يا أم مالك لكم خير حب صادق ليس يكذب
إلا إنما أبقيت يا أم مالك صدى اينما تذهب به الريح يذهب

فأي ليلة كانت؟ ومتى اختليت معه بالغيل أو غيره؟

فقال لها: لا تحمليه على ما تقول الناس فلم يرد سوءاً، وانصرف قيس ليخبره فلم يجده وكان المجنون عند أبيه أعظم منزلة من إخوته وكان أبوه ذا ثروة، فدفق له خمسين بعيراً وراعيها في مهر ليلى، فلم يقبل أبوها، مع أنه دونهم؛ لما مرّ من أن العرب كانت تكره تزويج اثنين انتشرت أخبارهما بالحبة، فخيروها بينه وبين رجل اسمه ورد وهددوها على أن تختاره، ففعلت كارهة.

وفي ذلك يقول المجنون:

ألا يا ليل ملكت فينا خيارك فانظري لمن الخيار
ولا تستبدلي منا دنيا ولا بر ما إذا حث القطار^(٢)
يهـرول في الصـفـير إذا رآه وتعجزه ملممات كبار
فمثل تأيم منه نكاح ومثل تمول منه افتقار^(٣)

(١) مخالطة العقل: أى اضطراب العقل واختلاله. انظر: القاموس المحيط، مادة [خلط].

(٢) حث القطار: دخان الأكل المشوى. وإذا حث الرجل القطار فهذا كناية عن كرمه.

انظر: القاموس المحيط، مادة [قتر].

(٣) تأيم: مكث زماناً بلا نكاح. انظر: القاموس المحيط، مادة [ام].

وأبصر يوماً في طريقه إلى زيارتها جارية عسراء^(١) ، فتطير^(٢) وأنشد:
 وكيف يرجى وصل ليلي وقد جرى بجد القوى من ليل أعسر حاسر^(٣)
 صريع العصا جذب الزمان إذا انتحى لوصل امرئ لم تقض منه الأواطر^(٤)
 وشكا ذلك إليها، فقالت: لا بأس عليك والله لا اجتمعت بغيرك إلا كارهة،
 وكانت قبل هذا القول قد امتحنته لتنظر ما عنده من المحبة لها، فدعت شخصاً
 بحضرتة فسأيرته أو صرفت وجهها عنه إلى غيره، ثم نظرتة قد تغير حتى كاد أن
 يتفطر.

فأنشدت تقول:

كلانا مظهر للناس بفضاً وكل عند صاحبه مكين
 وفي رواية: وكل مظهر في الناس.
 وبعده:

وأسرار الملاحظ ليس تخفى وقد تغري بذى اللحظ العيون
 وبهذين البيتين تضافرت الروايات.
 وجاء في رواية:

وقد تغري بذى اللحظ الظنون

وبعده:

وكيف يفوت هذا الناس شيء وما في الناس تظهره العيون
 فسر بذلك حتى كاد أن يذهب عقله فانصرف وهو يقول:
 أظن هواها تاركى بمضلة من الأرض لا مال لدي ولا أهل^(٥)
 ولا أحد أفضى إليه وصيني ولا صاحب إلا المطية والرحل

(١) عسراء: يوم أعسر مشووم، انظر: لسان العرب، مادة [عسر].
 (٢) تطير: الطيرة مضادة للفأل أى تشاءم، انظر: لسان العرب مادة [طير].
 (٣) ملىء بالمصائب والبلايا. انظر: القاموس المحيط، مادة [حسر].
 (٤) الأواطر: جمع وطر: البغية والحاجة. انظر: القاموس المحيط مادة [وطر].
 (٥) مضلة: أرض يضل فيها الطريق. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضلل].

مما حبها حب الأولى كن قبلها وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل
وفي رواية: ولا وارث إلا المطية. والأولى أصح وأنسب لأن المطية لا ترث،
وتستصحب كما جاء في كلام العرب:

إن الحمار مع الحمار مطية وإذا خلوت به فبئس الصاحب

وأصل ذلك: أن الصحبة في الأصل مجرد الاجتماع، وأما شدة المخالطة
والمداخلة فصداقه. وخرج يوماً في سفر مع قوم، فأفضت به الطريق إلى مسلكين
أحدهما يمر برهط^(١) ليلي ولكنه يزيد مرحلة، فتقدم إلى القوم وسألهم أن
يسلكوها أو يمشوا له حتى يرجع، فأبوا عليه، فقال: أنشدكم الله لو أن شخصاً
تحرّم^(٢) بكم فضلاً بغيره أكنتم تسعفونه.
قالوا: نعم.

فقال: إن ليلي لأعظم من ذلك.

وأنشد:

أترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلة إنني إذن لصبور
هبوني امرأ منكم أصل بغيره له ذمة إن الذمام كبير
وللصاحب المبرور أعظم حرمة على صاحب من أن يضل بغير
عفا الله عن ليلي الفسادة فأنها إذا وليت حكماً علي تجور^(٣)

واستشهد شخصاً عن عروة بن حزام^(٤)، فأخبره بحاله وأنه مات براحة،
فتعجب من كثرة ذكر الناس له مع حسن حاله في العشق.

(١) رهط الإنسان: قومه وقبيلته. انظر: القاموس المحيط، مادة [رهط].

(٢) تحرّم: تمنع وتحرم بذمة. انظر: القاموس المحيط، مادة [حرم].

(٣) تجور: تظلم. انظر: القاموس المحيط، مادة [جار].

(٤) عروة بن حزام، هو: ابن مهاجر الضني، شاعر من بني عذرة من متيمى العرب، كان يحب
ابنة عم له اسمها عفراء، نشأ معها في بيت واحد وقد زوجت بأموى، فضنى حباً ومات
ودفن في وادي القرى سنة (٣٠هـ). من آثاره: ديوان شعر. انظر: الأعلام (٢٢٦/٤)،
معجم المؤلفين (٣٧٤/٢).

وأنشد :

عجبت لعروة العذري أمسى أحاديثًا لقوم بعد قوم
وعروة مات موتًا مسرورًا وها أنذا أموت كل يوم

ولما اشتهر أمرهما في العرب وشاع شعره فيها منعه أهلها الزيارة، وكان في
حي ليلي امرأة من بني عامر قد تزوجها رجل من حريش^(١) ومات عنها وقد
ترك لها صبية فكان يأتيها المجنون يتعرف منها أخبار ليلي، فبلغ أهلها ذلك
فزجروا المرأة، وجاء المجنون فأخبرته.

فأنشد متمثلًا بيت امرئ القيس^(٢) وضم إليه ثانيًا له:

أجارتنا انا غريان ههنا وكل غريب للغريب نسيب
فلا تزجريني عنك خيفة كاشح إذا قال شرًا أو أخيف ليب

ثم تركها، وكان يأتي غفلات الحي^(٣)، فلما علموا بذلك شكوه إلى مروان،
فكتب إلى عامله بهدر دمه إذا وجد عند ليلي فقرؤا عليه ذلك.

فأنشد :

لئن حجت ليلي وآلى أميرها عليّ يمينا جاهدا لا أزورها
وأوعدني فيها رجال أبوهم أبي وأبوها خشنت لي صدورها^(٤)
على غير شيء غير إني أحبها وأن فؤادي عند ليلي سميرها

ولما يئس من زيارتها قلق لذلك قلقًا أدى لزوال عقله، فهام على وجهه يلعب
بالتراب والعظام لا يعقل غير ذكرها، وإنها جزعت لذلك جزعا أدى إلى سقمها
فحج بها أهلها، فرآها ثقفي فخطبها إليهم، فأجابوا بعد أن ردوا جماعة، ونمي
إلى المجنون ذلك.

(١) حريش : قبيلة من بني عامر، من العدنانية ، واشتركت في حرب الرحرحان ، ودخلت إلى الشام ، وانقرضت . انظر : معجم قبائل العرب (٢٦٧/١) .

(٢) امرؤ القيس، هو: ابن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار، شاعر يمانى الأصل اشتهر بلقبه، جعل يشب ويعاشر الصعاليك وهو غلام صغير ، خطى شعره باهتمام كبار الأدباء ، جمع شعره كله في ديوان صغير . توفي سنة (٨٠ هـ). انظر : الأعلام (١١/٢) .

(٣) غفلات الحي : المكان الذى ليست عمارة فيه . انظر : القاموس المحيط، مادة [غفل].

(٤) خشنت : من خشن صدره، إذا أوغره . انظر : القاموس المحيط، مادة [خشن].

فأنشد :

تقطع إلا من ثقيف جبالها
بها المال أقوام ألا قل مالها
من العين جلي عبرة العين حالها

ألا أن ليلي العامرية أصبحت
هم حبسوها محبس البدن وأبتغي
إذا ما التقت والعيس صفر من الثرى

هذا ما تضافرت به الأخبار.

وفي رواية:

إلا تلك ليلي العامرية أصبحت

وفيها :

والعيس صفر من البكا

وقد حرف هذا البيت.

وفي رواية الأغاني:

لقد حبسوها محبس البدن

وفي أخرى بعده :

فيدنى بها تكليم ليلي احتيالها
بأول باغ حاجبة لا يناها
غمامة صيف زعزعتها شمائها
تحث بأطراف المحارم آها
مجامعة الآلاف ثم وآها
على العيس جلي عبرة العين حالها

خيلني هل من حيلة تعلمانها
فإن أنما لم تعلمها فلستما
كان مع الركب الذين اغتدوا بها
نظرت بمفضي سيل حوضين والضحي
بمنهلة الجفان هيج شوقها
إذا التفتت من خلفها وهي تعتلي

وحين تحقق عنده تزويجها، أنشد:

وربي بما تخفي الصدور خير
لا فقر مني انني لفقرير
فهل يأتيني بالطلاق بشير

دعوت إلهي دعوة ما جهلتها
لئن كان يهدي برد أنيابها العلا
فقد شاعت الأخبار أن قد تزوجت

وجعل يمر بيبتها فلا ينظر إليه.

فأنشد:

وإن حله شخص إلي حبيب

ألا أيها البيت الذي لا أزوره

هجرتك اشفاقاً وزرتك خائفاً وفيك عليّ الدهر منك رقيب
 سأستعب الأيام فيك لعلها بيوم سرور في الزمان تؤوب
 وأفردت افراد الطريد وباعدت بي النفس حاجات وهن قريب
 لنن حال واش دون ليلي لربما أتي اليأس دون الأمر فهو عصيب
 ومنيتني حتى إذا ما رأيتني على شرف للناظرين يريب
 صددت وأشمت العدو بصرنا أثابك يا ليلي الجزاء مثير

والبيتان الأولان لمحمد بن أمية ، هذا ما نقله ، والصحيح أن البيت الأول للمجنون ، ذكر ذلك في النزهة وأقره في تسريح الناظر غير أنه قال في الثاني والثالث إنهما ليسا للمجنون .

وفيه وفي رواية هنا:

بيوم سرور وفي الزمان تثوب

والمعنى واحد . وبقي أبيات من هذه القصيدة أخرتها لأن لها حكاية .

وحين بلغه نقلها إلى الثقفي، أنشد:

كان القلب ليلة قيل يغدى بليلتي العامرية أو يبراح
 قطاة غرّها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح^(١)
 فلا في الليل نالت ما ترجى ولا في الصبح كان لها براح

وفي تسريح الناظر عن الأمالي قال: اجتمع إلى المجنون عزوة من قومه ممن كان ينادمه حال صحته وقد ذهبوا به حين بني الثقفي بليلي، فعزموا على أن يسافروا به متنزهين في أحياء العرب ليذهب ما به، فساروا وهو معهم تعاوده الصحة دوراً والجنون دوراً، وهم يزدون به كل منتزه ، ويعرضون عليه من بنات العرب كل من أجمع على حسنها، وإنهم غفلوا عنه ليلة ثم افتقدوه فرأوه قد ذهب، فركب ابن عم له في طلبه ، فرآه عند مشرعة^(٢) وبين يديه ظبية لا حراك بها وهو يمسح عنها التراب ويقبلها ويكي، هذا ما في تسريح الناظر.

(١) قطاة: طائر في حجم الحمام. انظر: لسان العرب، مادة [قطو].

(٢) مشرعة: مورد الماء، الذي يرد من يريد الشرب. انظر: القاموس المحيط، مادة [شرع].

زاد في نزهة المشتاق أنه كان ينشد:

أيما شبه ليلى لا تخالفين إنسي لك اليوم من وحشية لصديق

فقال له: اذهب بنا، فلم يجب.

فقال: اذهب لنمر بليلى، فقام معه فلما جاء إلى أصحابه جلس متفكراً لا

يخاطبهم حتى جاء الليل، فلما كان السحر هبت نسمة وأبرق برق مما يلي حي
ثقيف^(١).

فأنشد:

طربت وشاقتك همول الدوامع
شجاء نعيًا بالفراق كأنسه
فقلت إلا قد بين الأمر فانصرف
سقيت سماما من غراب فأنني
ألم تر أني لا محب ألومه
ألم تر دار الحي في رونق الضحى
وقد يتساءى الإلف من بعد صحبة
وكم من هوى أو جيرة قد ألفتهم
كأنني غداة البين ميت حوية
يخلص من أوصال ماء صباية
غداة دعا بالين أسفع نازع^(٢)
حريب سليب نازح الدار جازع^(٣)
فقد راعنا بالين قبلك رائع
تبينت ما أخبرت أذهو واقع^(٤)
ولا يبديل بعدهم أنا قانع
بجيث انخنت للهضبتين الأجارع^(٥)
ويصدع ما بين الخليلين صادع
زمانا فلم يمنعهم البين مانع
آخر ظما سدت عليه المشارع
فلا الشرب مبذول ولا هو نافع

(١) ثقيف: قبيلة منازلها في جبل الحجاز، بين مكة والطائف. وتنقسم إلى عدة بطون، مثل

النمور، ثماله، بنى سالم. انظر: معجم قبائل العرب (١/١٤٧).

(٢) أسفع: من سفح: إذا لطمه وضربه. نازع: من نزع، إذا خاصمه. انظر: القاموس المحيط،

مادة [سفع]، [نزع].

(٣) حريب: من حرب الرجل، إذا سلبه ماله وتركه بلا شيء. سليب: من سلبه الشيء، إذا

انتزعه منه قهراً. انظر: لسان العرب، مادة [حرب]، [سلب].

(٤) أذهو: من ذها، إذا تكبر. انظر: القاموس المحيط، مادة [ذها].

(٥) الأجارع، مفردا الأجرع وهي: رملة مستوية لا تثبت شيء. انظر: القاموس المحيط، مادة

[جرع].

ويبيض تطلّى بالعبير كأنها
تحملن من وادي الأراك وأومضت
فما جتن ربع الدار حتى تشابهت
وحتى حملن الجور من كل جانب
فلما استوت تحت الخدود وقد جرى
أشرن بأن حثوا الجمال فقد بدا
فلما لحقنا بالحمول تابشرت
يعرضن بالادل المليح وأن يرد
فقلت لأصحابي ودمعي مسبل
أليى بأبواب الخدور تعرضت
ومرض قبل الاختلاط فقلق قلقاً شديداً، ودخل عليه جماعة أو هو أبوه للعبادة،
فسمعوه ينتحب بأشد تحرق وتوجع.

وينشد:

ألا أيها القلب الذي لج هائما
أفق قد أفاق العاشقون وقد أبى
فما لك مسلوب العزاء كأنما
أجدك لا ينسيك ليلي ملامة
بليلى وليداً لم تقطع تئامه
لما بك ان تلقى طيباً تلامه
ترى نأى ليلي مغرمًا أنت غارمه^(٢)
تلم ولا ينسيك عهدًا تقادمه^(٣)

فاستتروا حتى أتم نشيده، ودخلوا عليه فحادثوه في السلو فزاد في الهيام، ولما
عوفي جعل يعاود موضعها ويتمرغ في التراب ويكي إلى الليل، وعزم على
التوحش والخروج فراجع ابن عم له في ذلك، فكان يعزم عليه أن لا يفعل
ويشاغله إلى أن بلغه أن ليلي دخلت إلى جارة لها فنضت أثوابها واغتسلت

(١) العرائن، مفردة عرين وهو: الأنف، أو أول كل شيء. انظر: لسان العرب، مادة [عرن].

(٢) مغرم: الغرامة، وهو الدين. انظر: لسان العرب، مادة [غرم].

(٣) الملامة: النازلة الشديدة من نوازل الدنيا. انظر: لسان العرب مادة [لم].

ونظرت إلى نفسها ، وقالت: ويح ابن الملوح لقد علق بي عظيمًا على غير استحقاق، فأنشدك الله، أصادق هو في وصفي أم كاذب؟

فقلت: بل صادق، ثم خرجت من عندها، وعادت لأخذ سواك نسيته، فلما صار في يدها، قالت: سقى الله من أعطانيه .

فقلت لها جارتها: ومن أعطاكيه؟

قالت: قيس، فخرج هائمًا.

وأنشد :

بنت ليلي وقد كنا نبخلها

قالت سقى الله منه منزلاً خرباً

قالت لجارتها يوماً تسائلها

لما استحمت والقت عندها السلبا^(١)

يا جبدا راكباً كنا نهش له

يهدي لنا من أراك الموسم القضا

ناشدتك الله ألا قلت صادقاً

أصادق وصفه المجنون أم كذباً

وقيل: إنما كان خروجه من نظره إليها يوم رحلها زوجها أو قومها حين بلغهم زيارته لها وكان حضوره يوم رحيلها على خفية رجاء أن يسكن ما به، فزاع واختشى قومه أن يفتضح فيقتل لما تقدم من أنه كان قد هدر دمه إن دخل الحي، وحذر، فقال: الموت أولى، وخرج على وجهه.

وعن الهذلي^(٢): عن رجل من بني عامر، وهو رباح بن سعد بن أثالة، قال: خرجت إثر سماء أربعنا^(٣) بها وأحيت الأرض بعد الجذب، فبينما أنا بوادي القرى^(٤) أو الغيل^(٥) إذ لاح لي شخص إلى جانب حجر بيكي، فقصدته وسلمت عليه وإذا هو المجنون، فقلت: ما بيكيك؟

(١) السلب : ثياب المأتم السود . انظر: القاموس المحيط، مادة [سلب].

(٢) الهذلي ، هو: خويلد بن خالد، أبو ذؤيب. شاعر، مخضرم، أدرك الإسلام والجاهلية . وسكن المدينة، واشترك في الغزوات والفتوح. توفي سنة (٢٧هـ). من آثاره : ديوان شعر. انظر: حاجي خليفة: (٧٧١)، والأعلام (٣٧٣/٢)، معجم المؤلفين (٢٧/٢).

(٣) أربعنا : المربع : الموضع الذي يقام فيه زمن الربيع خاص ، انظر: لسان العرب ، مادة [ربع].

(٤) وادي القرى : منخفض في الحجاز بين الشام والمدينة. انظر: معجم البلدان (٣٩٧/٥).

(٥) الغيل : وادي بني جعدة في جوف العارض. انظر: معجم البلدان (٢٥٢/٤).

فقال: هذا السيل، ثم تنفس الصعداء، ثم أنشد الأبيات التي وعدنا بها، وهي
تمام القصيدة التي أولها :

آلا أيها البيت

وقيل: إنه أنشد القصيدة كاملة في هذا الوقت. وفي النزهة أن خالد بن كلثوم
ضم هذه إلى تلك من عند نفسه، وإلا فالجنون لم ينشدها إلا متفرقة وهي:

جری السیل فاستبكاني السیل إذ	وفاضت له من مقلتي غروب ^(١)
وما ذاك الا حين أيقنت أنه	يكون بواد أنت منه قريب
يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى	إليكم تلقى طيبكم فيطيب
فيا ساكني أكناف نخلة كلکم	إلى القلب من أجل الحبيب حبيب ^(٢)
أظل غريب الدار في أرض عامر	إلى كل مهجور هناك غريب
وإن الكئيب الفرد من أيمن الحمى	إلي وإن لم آتسه لحبيب
ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر	حيياً ولم يطرق إليك حبيب

وقيل: إن آخر مجلس للمجنون من ليلتي، أنه لما اختلط عقله ومزق ما عليه
وتوحش، جاءت أمه إليها، فأخبرتها بذلك وسألته أن تزوره، فعساها أن تخفف
ما به، فقالت: أما نهاراً فمتعذراً خيفة أهلي، وسأتيه ليلاً، فلما أمكنتها الفرصة،
أته وهو مطرق^(٣) يهذي فسلمت عليه.

ثم قالت له:

أخبرت أنك من أجلي جنت وقد	فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق
فرفع رأسه إليها وأنشد:	
قالت جنت على رأسي فقلت لها	الحب أعظم مما بالجنانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه	وإنما يصرع الإنسان في الحين

(١) الغروب: الدموع. انظر: لسان العرب، مادة [غرب].

(٢) أكناف: مفردة الكنف: الناحية والجانب. انظر: القاموس المحيط، مادة [كنف].

(٣) مطرق: أطرق: أرخى عينيه ينظر إلى الأرض. انظر: لسان العرب، مادة [طرق].

زاد عليها في نديم المسامرة:

لو تعلمين إذا ما غبت ما سقمي وكيف تسهر عيني لم تلوميني
ثم فارقت، فهام من ثم مع الوحش، وقيل: سئل عن سبب خروجه، فقال:
لقيتها يوماً، فشكيت إليها ما نزل بي من حبها، وقلت: إن لم ترحميني ذهب
عقلي.

فقلت: هو المطلوب، فهمت لمرادها.

وقيل: كان هيمانه مقاصة^(١) لقوله:

فضاها لغيرى وابتلاسي بحبها فهلا بشيء غير ليلي ابتلائيا

ثم إن الأسانيد الصحيحة والآثار المتظافرة دلت على أنها كانت من الغرام به
والميل إليه أيضاً بمنزلة عظيمة .

حكى رباح بن عامر، وكان من الحريشيين، قال: دخلت من نجد أريد الشام
فأصابني مطر عظيم، فقصدت خيمة رفعت لي، فإذا بامرأة، فسألتها التظليل،
فأشارت إلى ناحية، فدخلت وقد أقبل رعاة وإبل وغنم كثيرة، ثم قالت للعبيد:
سلوه من أين الرجل؟

فقلت: من نجد^(٢).

فتنفست الصعداء، ثم قالت: نزلت بمن فيها؟

فقلت: ببني الحريش^(٣).

وفي رواية: ببني جعدة^(٤)، فرفعت ستارة كانت بيننا وإذا بامرأة كأنها القمر.

(١) مقاصة: القصاص : إذا اقتص له منه بجرص مثل جرحه إياه أو قتله به . انظر: لسان العرب
مادة [قصص].

(٢) نجد : إقليم في شرق السعودية، شرقي الحجاز، يمتد صحراء النفود الكبرى والربع الخالي.
انظر: معجم البلدان (٣٠٣/٥).

(٣) بنو الحريش : بطن من العدنانية، وهم: بنو الجريش بن كعب بن ربيعة بن صعصعة. انظر:
معجم قبائل العرب (١٨٥/١).

(٤) بنو جعدة : جعدت بنو كعب: بطن من عامر بن صعصعة، من العدنانية، كانوا يقطنون
مقاطعة فلج باليمامة. انظر: معجم قبائل العرب (١٩٤/١).

ثم قالت: اتعرف رجلاً فيهم يقال له قيس ويلقب بالمجنون.
قلت: أي والله سرت مع أبيه حتى أوقفني عليه وهو مع الوحش لا يعقل إلا
أن ذكرت له ليلي، فبكت حتى أغمي عليها.

فقلت: مم تبكين ولم أقل إلا خيراً.
فقالت: أنا والله ليلي المشؤومة عليه غير المساعدة له، أو قالت: غير المكافئة
أو المواسية له.

ثم أنشدت:

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة متى رحل قيس مستقل فراجع
بنفسي من لا يستقل برحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع

ولما أيس من ليلي حين ارتحلت مع زوجها واشتد هيمانه أجمع قومه أن
يتقدموا إلى أبيه في حمله إلى مكة فلعل الله أن يخفف عنه، ففعل وسار معه ابن
عمه زياد بن كعب فمروا بحمامة على دوحة تنوح فوقف المجنون صاغياً لها
وتخلف معه ابن عمه، فقال له: سر بنا فقد أبعد الرفاق، فتنفس الصعداء.

وأنشد:

أن هتفت يوماً بواد حمامة بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر
دعت ساق حر بعدما غلت الضحى فهاج عليك الأحزان أن ناح طائر^(١)
تغنى الضحى والصبح في مرجنة كشاف الأعالي تحتها الماء حائر
كان لم يكن بالفيل أو بطن أيكه أو الجزع من قول الأشاء حاضر
يقول زياد إذ رأى الحي هجروا أرى الحي قد ساروا فهل أنت سائر
وإني وإن غال التقدم حاجتي فلم على أوطان ليلي فناظر

ودخل مكة فنظر إلى الناس وهم يدعون ربهم محرمين.

فأنشد:

دعا المحرمون الله يستغفرونه بمكة وهنا إن تمحى ذنوبها
وناديت إن يا رب أول سؤلتي لنفسي ليلي ثم أنت حسيها

(١) غلت: من غلّ، إذا دخل. انظر: لسان العرب، مادة [غلل].

فإن أعط ليلي في حياتي لا يتب إلى الله خلق توبة لا أتوبها

فزجره أبوه عن ذلك، وأمره أن يدعو الله أن ينسيه ذكرها، وأخذه حتى أمسكه أستار الكعبة، ثم قال له: قل اللهم أنسي ذكرها وامح من قلبي حبها، فقال: اللهم اجمعني بها وارزقني حبها وزدني بها كلفاً وفيها تلفاً.

وأنشد مكملاً للأبيات السابقة:

يقر لعيني قربها ويزيدني بها عجباً من كان عندي يعيها
فكم قائل قد قال تب فعصيته وتلك لعمري توبة لا أتوبها
فيا نفس صبر الست والله فاعلمي بأول نفس غاب عنها حبيها

ولما اجتمع الناس بمنى سمع هاتفاً يهتف بليلي، فخر مغشياً عليه إلى الصباح، ثم أفاق متغيراً حائل اللون.

وأنشد:

عرضت على نفسي العزاء فقبل لي من الآن فإياس لا أعزك من صبر
إذا بان من تهوى وأصبح تائباً فلا شيء أجدي من حلولك في القبر
وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فيهج أحزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلي غيرها فكأنما أطار بليلي طائراً كان في صدري
دعا باسم ليلي ضلل الله سعيه ويلي بأرض عنه نازحة قفر

ثم انساب منهم وكانت هذه سياحته الكاملة، فجعل يقتات بعشب البر حتى طالت أظفاره وغطاه شعره فألفته الوحوش فكان يرد الماء معها، ثم يهيم على وجهه حتى يقع بالشام فيرى أقواماً وأرضاً ينكرها، فيقول أين جبل توباد من بني عامر وهو جبل كان يرعى هو ويلي عنده الغنم، فيقولون له: أين أنت من توباد، ويعرضون عليه الثياب والطعام، فيأبى، ويقول: دلوني عليه، فيرحمونه ويقولون له: اتبع نجم كذا يوصلك إليه، فيمضي حتى يقع باليمن، فيكون له مثل ذلك إلى أن يظفر أحياناً بالجبل، فينشد حين ينظره:

وأجهشت للتوباد حين رأيته وكبر لسرحن حين رأني^(١)

(١) أجهشت: من جهش إليه: أي فزع إليه باكياً. انظر: لسان العرب، مادة [جهش].

وأذريت دمع العين لما عرفته ونادى بأعلى صوته فدعاني^(١)
فقلت له قد كان حولك جيرة وعهدي بذاك الصرم منذ زمان
وقلت له أين الذين عهدتهم بقربك في حفظ وطيب أمان
فقال مضوا واستودعوني ديارهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثنان^(٢)
وأنى لا بكى اليوم من حذري غداً فراقك والحيان مؤتلفان
سجالاً وتهتأناً ووبلاً وديمة وسحاً وتسجالاً وتنهملان^(٣)

وعن فتى من قيس أو هو رباح بن مالك قال: لما أخذ المجنون إلى مكة للاستشفاء، كما مر، مررت يوماً وإذا أنا بجماعة قد تعلقوا بشخص متغير اللون ناحل البدن وقد همّ أن يلقي نفسه من جبل، فسألت عنه، فإذا هو المجنون خرج ليتنسم صبا^(٤) نجد، فقلت: علام تحبسونه؟ قالوا: نخاف أن يجني على نفسه، ولو تقدمت إليه فأخبرته أنك من نجد أسكنت روعه، ففعلت فجعل يسألني عن موضع موضع ويكي أحرّ بكاء.

ثم أنشد:

ألا حبذا نجد وطيب ترابها وأرواحها أن كان نجد على العهد
ألا ليت شعري عن عو يرضي قبا لطول الليالي قد تغيرتا بعدي^(٥)
وعن جارتينا بالنخيل إلى الحمى على عهدنا أم لم يدوما على العهد
وعن علويات الرياح إذا جرت بريح الخزامى هل تهب على نجد^(٦)

(١) أذريت: من ذرى دمع: أى صبه وأسأله. انظر: لسان العرب مادة [ذرا].

(٢) الحدثنان: الدهر. انظر: لسان العرب، مادة [حدث].

(٣) سجالاً: أى تارة له وتارة عليه. ووبلاً: شدة المطر. ديمة: مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق. سحا: سال وأنصب بغزارة. تسجالاً: انصباب الماء بكثرة. تنهملان: من هملت العين، إذا سالت

وفاضت بالدمع. انظر: لسان العرب، مادة [سجل]، [وبل]، [دام]، [سحا]، [سجل]، [همل].

(٤) صبا: ريح مهبها جهة الشرق. انظر: لسان العرب، مادة [صبا].

(٥) قبا: من قبا الشيء جمعه وضمه. انظر: لسان العرب، مادة [قبا].

(٦) علويات الرياح: أعالي الريح. الخزامى: نوع من أنواع النبات طيب الرائحة. انظر: لسان العرب، مادة [علا]، [خزم].

وعن أقحوان الرمل ما هو صانع
 وهل اسمعن الدهر أصوات هجمة
 إذا هو الثري ليلة بشرى جعد
 وهل أنفضن الدهر أفنان لمقي
 تطالع من وهد خصيب إلى وهد^(١)
 على لاحق المتين منذ لد الوخد

ومر يوماً على جبلي نعمان وهو موضع من نجد به جبلان ليسا بالعظيمين
 بينهما فاصل يسير، فقال لرفقة معه: هذا مكان يقرب من منزل كانت تنزل به
 ليلى، قال: فأي الرياح تهب منه؟ قالوا: الصبا فحلف لا يبرح من مكانه حتى
 تهب، فمضوا وتركوه، ثم عادوا بعد ثلاث فأقاموا معه حتى هبت.
 فأنشد:

أيا جبلي نعمان بالله خلياً
 أجد بردها أو تشف مني حرارة
 سبيل الصبا يخلص إلى نسيمها
 على كبد لم يبق إلا صميمها^(٢)
 فإن الصبا ريح إذا ما تسامت
 على نفس مهموم تجلت همومها

قلت: قال في النزهة بعد ذكر هذه الأبيات: إن أبا الفرج بن الجوزي تزوج
 امرأة اسمها نسيم الصبا، فأقام معها مدة ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها، فاشتد
 بها كلفه وزاد غرامه وراسلها فأبت عليه، وطال بينهما الأمر، وأنها حضرت
 مجلس وعظه يوماً فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين، فتنفس الصعداء.
 وأنشد:

أيا جبلي نعمان

الأبيات ، فاستحيت ثم ذهبت وقد داخلتها الرقة له، فحككت لبعض النساء
 ذلك، فمضين فأخبرنه ، فراسلها فأجابت فتزوج بها.
 ومر يوماً بعد ما تمكن منه التوحش بليلى ظاعنة فلما رآها سقط مغشياً عليه
 فأخذه بعض قومها فمسح عنه التراب، وسألوها أن تكلمه رقة عليه، فاستعدرت
 من الخوف، فأرسلت امرأة تأمنها بالسلام والاستعطاف و الاستعداد و إنها لولا
 الخوف لأتته ، فلما بلغت المرأة ذلك تاب إليه عقله.

(١) هجمة: من هجم، إذا أتى الشيء على غفلة من الشخص. الوهد: الأرض المنخفضة. انظر:
 لسان العرب، مادة [هجم]، [وهد].

(٢) صميمها: الصميم: العظم الذي به قوام العضو. انظر: لسان العرب، مادة [صمم].

وأنشد :

أقول لأصحابي هي الشمس ضوءها
لقد عارضتنا ريح ليلي بنفحة
فما زلت مغشياً علي قد مضت
أقلب بالأيدي وأهلي تعولني
ولم يبق الا الجلد والعظم عارياً
أدنيائي ما لي في انقطاعي وغربتي
عديني بنفسي أنت وعداً فرمما
وقد يتلي قوم ولا كليلتي
غزتي جنود الحب من كل جانب

قريب ولكن في تناولها بعد
على كبدي من طيب أرواحها برد
أناة ولا عندي جواب ولا رد^(١)
يفدونني لو يستطيعون أن يفدوا
ولا عظم لي أن دام ما بي ولا جلد
اليك ثواباً منك دين ولا نقد
جلا كربة المكروب عن قلبه الوعد
ولا مثل وجدتي في الشقاء بكم وجد
إذا حان من جند فقول أتى جند

وسئل يوماً وهو حاضر من الغمرة^(٢): ما أحسن ما رأيت؟

قال: ليلي.

ف قيل له: ذلك معلوم وإنما نعني غيرها.

فقال: ما رأيت شيئاً غيرها وما ذكرتها إلا سقط من عيني إلا ظبياً رأيت يوماً
فذكرت ليلي فزاد في عيني حسناً، فانطلقت أعمدو خلفه حتى كلت رجلاي
وغاب عن عيني، فأخذت راحتي ثم انطلقت حتى وجدته، وقد فتك به ذئب،
فأخذت سهماً وضربت به الذئب فلم يحظ قلبه، فشقت بطنه وأخرجت ما
أكل فضممته إلى ما بقي من الظبي ودفنته.

وأنشد :

أبى الله ان يبقى لي بشاشة
رأيت غزالاً يرتعي وسط روضة
فيا ظبي كل رغد هنيئاً ولا تخف
وعندي لكم حصن حصين وصارم

فصبراً على ما شاء الله بي صبرا
فقلت أرى ليلي تراءت لنا ظهرا
فانك لي جار ولا ترهب الدهرا
حسام إذا اعلمته أحسن العبرا

(١) الأناة: الانتظار والتمهل. انظر: لسان العرب، مادة [أنى].

(٢) الغمرة: الغفلة والمقصود: بعد ما أفاق من سكره. انظر: لسان العرب، مادة [غمر].

فما راعني الأذويب قد انتحى
فبوات سهمي في كتوم غمزتها
فأذهب غيظي قلبي وشقي جوى
فأعلق في أحشائه الناب والظفرا
فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا
بقلي الحر قد يدرك الوطرا

واجتمع ، اليه النساء يوماً، فقلن له: أما آن لك أن تصرف عنك هوى ليلي
ليرد إليك عقلك فإنها امرأة من النساء وفيها عنها كفاية فاختر إحدانا.
فقال: لو ملكت لفعلت ولكني مغلوب.

فقلن: ما أعجبك منها؟

قال: كل شيء رأيته وسمعته.

فقلن: صفها .

فأنشد:

بيضاء خالصة البياض كأنها
قمر توسط جناح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد
أن الجمال مظنة للحسد^(١)
وترى مدامعها تفرق مقلية
سوداء تعرب عن سواد الأثمد^(٢)
خو إذا ذكر الكرام رأيتها
تحمي الحمى وإذا تكلم تقصد

وقال له رجل من قومه: إني قاصد حي ليلي فهل عندك شيء تقوله لها.

قال: نعم أنشدها إذا وقفت بحيث تسمعك هذه الأبيات:

الله يعلم أن النفس قد هلكت
باليأس منك ولكني أمنيها
منيتك النفس حتى قد أضر بها
وأبصرت خلفاً مما أمنيها^(٣)
وساعة منك أهولها ولو قصرت
أشهى إلى من الدنيا وما فيها

قال الرجل: فمضيت حتى وقفت بخيامها فلما أمكنتني الفرصة أنشدت

بحيث تسمع الأبيات، فبكت حتى غشى عليها.

(١) مظنة: مظنة الشيء، موقعه وموضعه الذي يظن وقوعه فيه. انظر: لسان العرب، مادة [ظن].

(٢) الإثمد: حجر يكتحل به. انظر: لسان العرب، مادة [ثمد].

(٣) خلفاً: من خلف الوعد، إذا لم يفى به. انظر: لسان العرب، مادة [خلف].

ثم قالت: أبلغه عني السلام وأنشده:

نفسى لِدَاؤِكَ لَوْ نَفْسِي مَلَكَتُ إِذَا
مَا كَانَ غَيْرُكَ يُجَزِّئُهَا وَيُرْضِيهَا
صبراً على ما قبضاه الله فيك على
مرارة في اصطباري عنك أخفيها

قال الرجل: فلما بلغت ذلك بكى حتى غشى عليه، ثم أفاق وهو يقول:
عجبت لعروة العذري، (البيتين السابقين في صدر القصة)، ولما أيس أهله منه
وخالط الوحوش أخذوا يحتالون على إصلاحه، فقال أبوه يوماً لشخص: أريد أن
تمر به فتذكر له ليلي وأنتك من عندها وأنها تذكره كثيراً فإذا أعطاك سمعه
وتمكنت منه فاذكر له أنها تشتمه وتنقصه فعساه أن يداخله كرهها.

قال الرجل: فمضيت حتى اجتمعت به و أعلمته بذلك حتى ذكرت أنها تشتمه.
فأنشد:

تَمُرُ الصَّبَا صَفْحًا بَسَاكِنِ ذِي الْفَضَى
وَإِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّمَالَ فَإِنَّهَا
جَوَابِي بِمَا يُهْدِي إِلَى جَنُوبِهَا
قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا
هُوَ كَلُّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
وَخَسْبُ اللَّيَالِي أَنْ طَرَحْنَاكَ مَطْرَحًا
بِدَارِ قَلْبِي تَمِيسِي وَأَنْتِ غَرِيبُهَا^(١)
حَالَ لَيْلِي لَيْلِي شَتْمًا وَإِنْتِقَاصًا
هَيْئًا وَمَغْفُورًا لَيْلِي ذُنُوبُهَا

هذا ما ذكر في الأصل.

وأنكر في النزهة ذلك، وقال: إن أبا الجنون مات قبل اختلاط عقله كما سبق.
وفي تسريح الناظر: أن الذي أمر الرجل بذلك زياد بن كعب أحد بني عم
الجنون وهو الأوجه.

وقيل للمجنون يوماً: أتحب ليلي؟

قال: نعم حباً خالط الدم ومازج الأعضاء.

قيل: فما يغني حبك لها وهي مريضة وأنت لا تعودها.

فتنفس الصعداء وأنشد:

يَقُولُونَ لَيْلِي بِالصَّفَاحِ مَرِيضَةً
فَمَاذَا إِذَا يَغْنِي وَأَنْتِ صَدِيقُ^(٢)
شَفَى اللَّهُ مَرَضِي بِالصَّفَاحِ مَرِيضَةً
عَلَى كُلِّ شَاكٍ بِالصَّفَاحِ شَفِيقُ

(١) طرحك: من طرحه، إذا تركه ورماه وأبعده. انظر: لسان العرب، مادة [طرح].

(٢) الصفاح: موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسار الداخل إلى مكة. انظر: معجم البلدان (٤٦٧/٣).

وعن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن المسور بن مخزومة: وكان والياً على الصدقات من قبل مروان أو عبد الملك وله صحبة عند الذهبي. قال: قدمت على بني عامر لأخذ أموال الصدقة، فرأيت شخصاً عارياً يلعب بالتراب، فأمرت له بثوب، فقيل لي: لو كان يلبس لكان في مال أبيه كفاية فإنه سيد الحي، ولكنه تولع بحب امرأة فصيرته هكذا.

قال: فقلت إليه وكلمته فلم يعقل.

فقيل لي: إن أردت أن يفهم ما تقول فاذكر له ليلي.

فقلت: أتجب ليلي؟

قال: نعم.

فقلت له: أتريد أن أزوجك بها؟

قال: أو ممكن ذلك.

قلت: نعم؟

فقال: يا له من جميل لو أن أهل الأرض شكروك معي لم يفوا، فعند ذلك قام فلبس ثيابه وأقام معه بوعده منه إلى يوم مجتمع لهم، فهم ليأخذه فأخبروه بإهدار السلطان دمه، فصرفه.

وقيل: هموا بقتله، فصرفه إنما كان خوف الفتنة، فقال المجنون له: والله إنك لم تف بالوعد، ثم مزق ما عليه وانصرف. وفي الكتاب ما يشعر بأن القصة مع محمد بن نوفل وليس كذلك لما ستعرفه من أن نوفلاً لم يزل من ذلك اليوم متطلباً لأخبار المجنون جامعاً لأشعاره وأنه قدم سنة من السنين يسأل عنه، فقالوا: لم نعرف له خبراً، فركب في طلبه حتى لاح له وراء أراكة^(١) بين قطيع من الغزلان وقد غطاه شعره فصعد نوفل الشجرة مستخفياً وشربت الظباء وانصرفت فوقف المجنون يرعى. هذا ما في الأصل.

وفي نزهة المشتاق: أنه انصرف معهم ولم يمكنه الاجتماع به فرجع متأسفاً، وشكا ما به إلى شيخ كبير في بني سعد، فقال له الشيخ: إن للمجنون داية^(٢) يألفها وإنها تحمل له الطعام والخبز أحياناً فيأكل منها ولو صحبتها لأمكن أن

(١) أراكة: واحدة الأراك وهو شجر السواك، انظر: لسان العرب، مادة [أدرك].

(٢) الداية: المرزعة لغير ولدها انظر: لسان العرب مادة [دوى].

تظفر به ففعل ، فهرب المجنون منهما، فرجع وأخبر الشيخ، فقال له الشيخ: قد قرأت في سالف الأخبار أن سلطاناً قال لوزيره: أخبرني عن أعظم رائحة وأقوى لذة وأشد حافر على الأرض وقد أمهلتك ثلاثاً فإن لم تجب جلتك^(١) بالسيف.

فمضى مهموماً وكان له ابنة قد اتخذت قصرًا مفتوحًا إلى الأربع جهات على قارعة الطريق للنزهة، فلما رأت ما بأيها استعطفته حتى أخبرها، فاستسهلت الأمر وقالت له: إذا عدت إليه من الغد فأخبره أن أقوى رائحة، رائحة الخبز، وأعظم الأشياء لذة الجماع، وأشد حافر على الأرض البغال، فلما أعلمه قال له: أخبرني من أين لك ذلك؟ فصدقه الأمر، فاستحضر البنت، وقال لها: لئن لم تخبريني عن تعليل ذلك وإلا ضربت عنقك فإنك بكر لم تعلمي أحوال النساء ولا لذة الجماع، فقالت: أيد الله الملك إن قصري منفتح للأهوية فلم أجد من لدن قطن^(٢) به رائحة يتكيف بها الهواء أعظم من الخبز ولم يتحرك جدار القصر من شيء غير البغال، وأما الجماع فإنني أخذته من شدة ألم الوضع وما شاهدت من مقاساة النساء فيه فلو لم يكن الجماع أعظم لذة ما عدت إليه.

والرأى عندي أن تصنع خبزاً وتجعله في طابق يضم بخاره وتفتحه حيث يشمه فإنه يقف لبعده عهده به فتذكر له ليلي فيزداد أنسًا. قال الرجل: فمضيت وعملت برأي الشيخ وطيبت الخبز بالأفاويه حتى إذا أقبل ولحنته من خلال الأراكة كشفت الخبز، وصعدت لتشرب الأطباء فشربن وسرن ووقف يشم الرائحة.

فأنشد من الشجرة :

أَبْكِي عَلَى لَيْلى وَنَفْسِكَ بَاعَدَتِ مَزَارِكَ مِنْ لَيْلى وَشَعْبًا كَمَا مَعَا

فاندفع يقول:

فَمَا حُسْنُ أَنْ يَأْتِيَ الْأَمْرُ طَائِعًا وَتَجَزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَجْزَعًا
بَكَتْ عَيْنِي الْيَسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتَهَا عَلَى الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلْمِ اسْبَلْنَا مَعَا

(١) جلتك: أذهبت نفسك وقتلتك. انظر: لسان العرب ، مادة [جلل] .

(٢) قطن: أقمت به وتوطنت: انظر لسان العرب مادة [قطن] .

وَأَذْكَرَ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ انْثَنِي
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ
مَعِيَ كُلِّ عَزْ قَدْ عَصَى عَاذِلَاتِهِ
إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَائِيْنَ أَسْرَعَتْ
ثُمَّ سَقَطَ مَغْشِيًّا، فَتَمَثَّلْتُ بِقَوْلِهِ:
يَا دَارُ لَيْلِي بِسِقْطِ الْحَيِّ قَدْ دَرَسَتْ
أَبْلَى عِظَامِكَ بَعْدَ اللَّحْمِ ذِكْرُهَا
مَا تَفْتَنُوا الدُّهْرَ مِنْ لَيْلِي تَمُوتُ كَذَا
فَرَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ حَيَّاكَ اللَّهُ؟ فَقُلْتُ لَهُ: نَوْفَلٌ، أَخْبِرْنِي مَا صَنَعْتَ
بَعْدِي.

فَأَنْشَدُ:

إِلَّا حَجَبْتَ لَيْلِي

الآيات ، ثم أخذ يفاوضني في الكلام حتى سنح له قطع ظباء فطفق يعدو حتى اختلط بها وفارقتة فلم أراه بعد.
قلت: وفي النزهة: أنه تطلبه مرة أخرى غير هذه فوجده بين حجرين ميتاً فأخذه ودفنه، وسيجيء ذكر ما رأى له من الأشعار منقوشاً في التراب أورده آخر القصة على النمط السابق في غيره.
ومر برجلين قد اصطادا ظبية وربطاهما، فعزم عليهما أن يطلقاهما، فأيا عليه، فأطلقها بشاة من غنمه.

وَأَنْشَدُ:

شَرِيتُ بِكَبْشٍ شَبَّهَ لَيْلِي وَلَوْ أَبَوَا
لَأَعْطَيْتُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ^(٤)

- (١) الحمى: ما يحمي ويدافع عنه. انظر: لسان العرب، مادة [حمى].
(٢) عاذلاته، جمع العاذل وهو الشخص الذي يلوم الآخرين. انظر: لسان العرب، مادة [عذل].
(٣) الثمام ، جمع الثمة : القبضة من الحشيش . انظر : لسان العرب، مادة [ثمم].
(٤) الطريف: المال الحديث. التالد: المال القديم. انظر: لسان العرب، مادة [طرف]، [تلد].

فيا بائعي شبها ليلي قتلتما وجنبتما ما ناله كل عبايد
 فلو كنتما حرّين ما بغتما فتى شبها ليلي بيعة المتزايدي
 واعتقتماها رغبة في ثوابها ولم ترغبا في ناقص غير زايدي

وقيل: إن الرجلين أخوه وابن عمه ، وإنه أنشدهما متعرضاً لبخلهما :
 يا أخوي اللذين اليوم قد أخذاً شبها ليلي بحبل ثم غلاها
 إنني أرى اليوم في أعطاف شاتكما مشابها أشبهت ليلي فحلاها

وإنه عرض عليهما القتل حين أيا إفلاتها لأنه كان أجلد منهما، وفي رواية
 فداها بقلوص^(١) ولما ذهبت تعدو أنشد أيا شبه ليلي الأبيات وزاد هنا:
 فعيناك عيناها وجيّدك جيدها ولكن عظم الساق منك رقيق

وقد وردت هذه الرواية من طرق كثيرة وفي إحداها: يا صاحبي اللذين وهو
 أسلم من الزخاف هذا ما تلخص من صحيح أخباره . وأما ما قيل من أنه مر
 بزواج ليلي وهو في حي بني عامر عند ابن عم له يصطلي^(٢) فوقف على رأسه.
 وأنشد:

بربك هل ضمنت إليك ليلي قيل الصبح أو قبلت فأها
 وهل زفت عليك قرون ليلي زفيء الأخوانة في ندها

فقال: أما إذا حلفتني، فنعم ، فصرخ المجنون وقبض الجمر بكلتا يديه وسقط
 مغشياً عليه فأكل الجمر لحم راحتيه وقام زوج ليلي مغموماً. وما قيل أيضاً من
 أن أبا المجنون طرده^(٣) ضيوف ليلاً فأرسله إلى أبي ليلي ليقترض منه سمناً ، فأمرها
 أبوها أن تخرج إليه بنحى^(٤) فتملاً وعاءه، فجعلت تسكب فيه ويتحادثان حتى
 غرقت أرجلهما وأنه جاء ليلة أخرى يستقبسها ناراً، فخرجت إليه بقضبة فكان
 يتحدث معها ويقطع من برد^(٥) عليه يغلف به النار، وكلما احترقت قطعة أخذ

(١) القلوص : أول ما يركب من إناث اقبل إلى ان تشي ، فإذا أثنت فهي ناقة .

(٢) يصطلي: من اطصلي: استدفاً، طلب الدفاء. انظر: لسان العرب، مادة [صلى].

(٣) طرده: أى أتاه ضيوف ليلاً. انظر: لسان العرب، مادة [طرق].

(٤) النحى: جرة فخار يجعل فيها اللبن ليمحض. انظر: لسان العرب، مادة [نحى].

(٥) البرد: ثوب مخطط. انظر: لسان العرب، مادة [برد].

أخرى حتى صار عرياناً ، فلم يصح إسناده عندنا كصحة غيره ومثل ذلك ما قيل من أن جنونه كان مجازاة لقوله: (قضاها لغيري) أو لسماع هاتف. أنشده:

كِلَانَا مُغْرَمٌ فِي حُوبٍ لَيْسِي بِفِي وَفِيكَ مِنْ لَيْسِي التَّرَابِ

فاختلط عقله، وأما حال موته فالصحيح ما قدمناه، وقيل: إن رجلاً شامياً كان مغرمًا بأشعاره وأشعار قيس بن ذريح، قدم للاجتماع به أو الرجل من بني جعدة أو مرة أو هو الصباح بن عامر الكفاني، أقوال، فسأل أهله عنه فأخبروه أنه متوحش من الإنس إلا صديقاً له يذهب إليه في كل يوم يكتب ما يقول من الأشعار، وداية تذهب إليه بطعام، فمضى إليهما يسألهما الحيلة في الاجتماع عليه، فقالا له: اقصده في موضع كذا فستجده جالساً عند خط حوله التراب وهو يعبث بأصابعه فيه، فإذا رآك أخذ الأحجار وهم بضربك، فاصرف بصرك عنه وأطل الجلوس ثم أنشد ما يحضرك من شعر قيس فإنه مغرم به فإذا فعلت بلغت ما تريد منه، فمضى الرجل يقتفي أثره حتى وجدته على ما وصف فلما أنس به قال رحم الله قيساً حيث يقول:

نَيْتٌ وَنَضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى مَنَهْجٍ تَبْكِي عَلَيْهِ الْقَبَائِلُ (١)
قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَدَعُ الْحُبِّ قَلْبُهُ وَفِي الْحُبِّ شَغْلٌ لِلْمُحِبِّينِ شَاغِلٌ

فقال: أنا والله أشعر منه حيث أقول:

سَلَبْتُ عِظَامِي لِحَمَاهَا فَزَكَّيْتُهَا مَعْرَقَةٌ تَضْحِي إِلَيْهِ وَتَضْجُرُ
وَاخْلَيْتُهَا مِنْ مَنَحِهَا وَكَانَهَا قَوَارِيرُ فِي أَجْوَاهِهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ
إِذَا سَمِعَتْ ذِكْرَ الْفِرَاقِ تَقَطَّطَتْ عَلَاتِقُهَا لَمَّا تَخَافُ وَتَحْذَرُ (٢)
خُذِي بِيَدِي ثُمَّ انْهَضِي بِي تَيْبِي بِي الضُّرِّ إِلَّا أَنِّي أَسْتَرُ

ثم انساب يعدو وفارقتة، فلما كان اليوم الثاني جئت على العادة وأنشدت قول قيس:

بِإِدْرِامٍ تَرُوحُ غَدًا رِدَا حَا وَلَنْ يَسْتَطِيعَ مَرْتَهَنُ بَرَا حَا

(١) المنهج: الطريق الواضح. انظر: لسان العرب، مادة [نهج].

(٢) علائقها: العلائق، ما يعلق الشيء. انظر: لسان العرب، مادة [علق].

سقيم لا يُصَابُ لَهُ دَوَاءٌ
وَعَذْبُهُ الْهَوَى حَتَّى بَرَاهُ
فَكَادَ يَذِيقُهُ جَرَعَ الْمَنَائِمَا

فقال: أنا أشعر منه حيث أقول:

فَمَا وَجَدَ مَغْلُوبٍ بِصَنْعَاءِ مُوثِقٌ
قَلِيلُ الْمَوَالِي مَسْتَهَامٌ مَرُوعٌ
يَقُولُ لَهُ الْحَدَادُ أَنْتَ مُعَذَّبٌ
بِأَعْظَمَ مِنِّي رَوْعَةً يَوْمَ رَاعِي

ثم فعل فعلته بالأمس وعاودته، فقلت: أحسن والله قيس حيث يقول:
بِعِلْمِكَ فِي لَبْنِي وَأَنْتَ خَبِيرٌ
فَلَا طَرْتُ إِلَّا وَالْجِنَاحُ كَسِيرٌ
كَمَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ

وفي رواية ابن الأعرابي:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي
وَحَبْرَتَ أَنْ قَدْ جَدَّ بَيْنُ وَقَرَّبُوا
وَهَجَّتْ فِدَى عَيْنِ لِلْبَنَى مَرِيضَةٌ
وَقَلْتُ لَذَاكَ الدَّهْرَ مَا زَالَ فَاجِعًا

فقال له المجنون: أحسن والله ولكني أشعر منه حيث أقول: كأن القلب...
البيتين فأمهله حتى فرغ. ثم قلت: وأحسن قيس أيضاً حيث يقول:

وإني لمن دمع عيني بالبكا

الأبيات السابقة في قصة قيس قال: فبكي حتى ظننت أنه فاضت نفسه، ثم
قال: أحسن والله وأنا أشعر منه حيث أقول:

(١) القداح: الدود الذي ينخر في الشجر، أو في الأسنان. انظر: لسان العرب، مادة [قدح].

(٢) الكبول: القيود. انظر: لسان العرب، مادة [كبل].

وادتيني حتى إذا ما سويتني بقول يحل العصم سهل الأباطح^(١)
تساءيت عني حين لا لي حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح

وقال: ولم أزل أعاوده أكتب ما يقول، إلى أن تطلبتته فوجدته بين أحجار ميتاً
وفي رواية أن هذا الرجل لم يجتمع به ، وأخرى رآه ميتاً محمولاً قد دلت عليه
دايته و أنه لم يكتب أشعاراً إلا من عند صديقه المقدم ذكره بالجملة فمحل
الإجماع أنه وجد ميتاً فاحتمل وغسل ودفن وحضر جنازته جميع بني جعدة
وسعد والحريش ، وحضر أبو ليلى فأظهر جزعاً شديداً وتنصل واعتذر بأنه لم
يعلم أن أمره يقضي إلى هذه الحالة ولو يعلم لاحتمل العار وزوجه، ولما غسل
وجدوا رقعة مكتوباً فيها:

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى شقيت لاهنتت من عيشك الخفضا^(٢)
شقيت كما أشقيتني وتركتني أهيم مع الهلاك لا أطمع الغمضا
كان لؤادى في مخالب طائر إذا اذكرت ليلي يشد به قبضا
كان فجاج الأرض حلقة خاتم على فما تزداد طولاً ولا عرضاً

وقيل: إن ليلي توفيت قبله و إنه سمع هاتفاً يقول
أمنعية بالموت ليلي ولم تمت كأنك عمسد أظلك غافل
فسقط ميتاً، وهذا أمر يتعذر الوصول إلى تحقيقه وله أشعار كثيرة بلا أسباب
من محاسنها قوله:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا
ومنها :
تقول العدا لا بارك الله في العدا تقاصر عن ليلي ورثت رسائله
ولو أصبحت ليلي تدب على العصا لكان هوى ليلي جديداً أوائله

(١) الأباطح، جمع مفرد الأبطح: مسيل واسع فيه رمل وحصى صغير. انظر: لسان العرب، مادة [بطح].

(٢) الخفض: لين العيش وسعته. انظر: لسان العرب، مادة [خفض].

ومنها:

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها
لظل صدى رمسي وأن كنت رمة

قلت: قال في النزهة وشتان ما بين هذا وما بين قول ثوبة في ليلي الأخيلية:
ولو أن ليلي الأخيلية سلمت

لسلمت تسليم البشاشة أو زفا إليها صدى من جانب القبر صائح^(٣)

أقول: وفحوى الكلام أن قول المجنون أبلغ لأن تلاقي روحي ميتين أعظم في جانب المبالغة من تلاقي حي وميت وكلام ثوبة من الثاني، ويمكن نقل هذا إلى مبحث حُكمي وعكس كلام صاحب النزهة. فقد أجمعت الحكماء بل وأصحاب الشرع بأن استلذاذ الأرواح و إدراكها بعد مفارقة الهياكل الجسمية أشد وأقوى فتأمله.

فلو زرت بيت الله ثم رأيتها
لمست ثيابي إن قدرت ثيابها
ولو شهدتي حين تأتي مني

ومنها:

أقول لآلف ذات يوم لقيته
بربك أخبرني ألم تأثم التي
فقال بلى والله سوف يمسيها
فقلت ولم أملك سوابق عبيرة
عفا الله عنها ذنوبها وأقالها

(١) المنكب: المكان المرتفع من الأرض. انظر: لسان العرب، مادة [نكب].

(٢) الجندل: الصخر العظيم. انظر: لسان العرب، مادة [جندل].

(٣) زفا: نقل الشيء من مكان إلى مكان. انظر: لسان العرب، مادة [زفى].

(٤) الأنضاء، مفردها نضو: المهزول من الحيوان. انظر: لسان العرب، مادة [نضو].

(٥) أقالها: رفعها. إذا رفعه. انظر: لسان العرب، مادة [قيل].

ومنها:

وأحبس عنك النفس والنفس صبة
مخالفة أن يسمى الوشاة بظنة
لقد جعلت نفسي وأنت اخزمتها
فلو شئت لم أغضب عليك ولم ينزل
أما والذي يبلوا السرائر كلها
لقد كنت ممن تصطفى النفس خلة

ومنها:

ألا ليت ليلى أطفأت حر زفيرة
إذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا
على كبد قد كاد يدي بها الهوى
وإني يماني الهوى منجد النوى
سقى الله نجداً من ربيع وصيف
بلى إنه قد كان للعيش مدة
أبى القلب أن ينفك من ذكر نسوة
إذا رحن بسجين الذبول عشية
مشا عيطلات رجح بحضورها
وتهتز ليلى العامرية إذ مشيت
إذا حرك المدري ضفائرها العلا

أعاجلها لا استطع لها ردا
وجدت لمسراها ومنسمها بردا
ندوباً وبعض القوم يحسبني جلدا
سبيلان القي من خلافهما جهدا
وما ترجى من ربيع سقى نجدا
وللعيس والركبان منزلة حمدا
رقائق لم يخلقن شوها ولا نكدا
ويقتلن بالالحاظ أنفسنا عمدا^(٣)
روادف وعثا ترد الخطا ردا^(٤)
ولانت بثوب القز ذا غدر جعدا^(٥)
مزجن بذى الريحان والغبر الورد

(١) صبة: مشتاقة. انظر: لسان العرب، مادة [صبا].

(٢) اخزمتها: أهلكة. انظر: لسان العرب، مادة [خرم].

(٣) الذبول: الهوان والذل. انظر: لسان العرب، مادة [ذال].

(٤) عيطلات: من العيطل: الطويلة العنق في حسن. رجح: هززه وذذببه. عثا: العثة من

النساء: الضئيلة الجسم. انظر: لسان العرب، مادة [عطل]، [رجح]، [عث].

(٥) الجعد: اللثيم. انظر: لسان العرب، مادة [جعد].

ومنها:

أبى القلب الأحبة عامرية لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدي تندي اذ ما لمستها وتبت في أطرافها الورق الخضِر

ومنها: -وقد ضعف- فعاده الناس ولم تعده ليلي فأنشد:

إلا ما لليلي لا ترى عند مضجمي بليل ولا يجري بذلك طائر
بلى إن عجم الطير تجري إذا جرت بليلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذي كان بيننا بذى الأيك أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما في القرب لي منك راحة ولا البعد يسليني ولا أنا صابر
ووالله ما أدري بأية حيلة وأي مرام أو خطار أخاطر^(١)
وتالله إن الدهر في ذات بيننا عليّ لها في كل حال لجائر
فلو كنت إذ أزمعت هجري تركت لي جميع القوى والعقل مني وافر
ولكن أيامي بحقل عنيزة وبالردم أيام جباها التجاور^(٢)
وقد أصبح الود الذي كان بيننا أمانيّ نفس والمؤمل حائر
لعمري لقد كدرت يا أم مالك حياتي وساقتي اليك المقساير

ومنها:

فوا كبدي من حب من لا يجني ومن زفرات ما هن فناء
أريتك إن لم أعطك الحب عن يد ولم يك عندي إذ آيت ابناء
أتاركتي للموت أنت فميت وما للنفوس الخائفات لقاء

ومنها:

وجاءوا اليه بالتعاون والرقى وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة ولو عقلوا قالوا به نظرة الأنس

(١) المرام: جمع مرمى: مكان الرمي. خطار: جمع الخطر: وهو ما يراهن عليه. انظر: لسان العرب مادة، [رمى]، [خطر].

(٢) الردم: ما يسقط من الحائط المتهدم، أو السد. انظر: لسان العرب، مادة [ردم].

ومنها:

وشغلت عن فهم الحديث سوى
وأري جليسي إذ يحدثني

ومنها:

سرت في سواد القلب حتى إذا انتهى
فللعين تهمال إذا القلب ملها
ووالله ما في القلب شيء من الهوى

ومنها:

ذكرت عشية الصدفين ليلي
عليّ أليّة إن كنت أدري

ومنها:

ياويح من أمسى تخلّس عقله
خليًا من الخلان إلا معذرا
إذا ذكرت ليلي عقلت وأرجعت
وقالوا صحيح ما به طيف جنة
تجنبت ليلي إذ يلح بك الهوى
ألا إنما غادرت يا أم مالك
ولم أر ليلي بعد موقف ساعة
وتبدي الحصا منها إذا قذفت بها
فأصبحت من ليلي الغداة كناظر

ومنها:

وانسي لجنون بليلى موكل
إذا ذكرت ليلي بكيّت صباية

(١) تخلّس: من خلس: إذا سلب. انظر: لسان العرب، مادة [خلس].

(٢) روائع: من راع، إذا أصابه الخوف والفرع. انظر: لسان العرب، مادة [راع].

ومنها:

ألا يا حمام الأيك مالك باكيًا أفارقت إلفاً أم جفاك حبيب
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت هتوف الضحى بين الفصون طروب^(١)
تجاوب ورقاً قد أذن لصوتها فكل لكل مسعد ومجيب

ومنها :

لقد غردت في جنح ليل حمامة على إلفها تبكي وإني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحمائم

ومنها :

إذا قربت داري كلفت وإن تآت أسفت فلا بالقرب أسلو ولا البعد
وان وعدت زاد الهوى لانتظارها وان بخلت بالوعد مت على الوعد
ففي كل حب لا محالة فرحة وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

ومنها: وهو كما قال في النزهة من الأشعار التي قيلت على الأوهام، قال: لما حضروا به في مكة بات ليلة فجعل يحدث نفسه كالذي في النوم ويعاتب امرأة حاضرة، ف قيل له في ذلك، فحلف أن ليلي كانت إلي جانبه في هذا الوقت.

ثم أنشد:

طرقك بين مسبح ومكبر بحطيم مكة حيث كان الأبطح
فحسبت مكة والمشاعر كلها وجبالها باتت بمسك تنفح

ومنها :

لئن تزحنت دار بليلى لربما عنيما بخير والزمان جميع
وفي النفس من شوقي إليك حرارة وفي القلب من وجدى عليك صدوع

وأما قصيدته الموسومة بالموئسة فهي أطول قصيدة أنشدها وواظب عليها، قيل: إنه كان يحفظها دون أشعاره، وإنه كان لا يخلو بنفسه إلا وينشدها وهي من محاسن الأشعار، وأرقها لفظاً، وأعذبها سبكاً، وألطفها شجواً، وأبلغها نسيباً

(١) ترنمت: غنت غناء حسناً. انظر: لسان العرب، مادة [رنم].

وغزلاً تهيج الشجون وتعين المحزون وللناس في الاقتصار على بعضها والاستصفاء
منها اختلاف كثير، أحسنه :

تذكرت ليلي والسنين الخواليا
ويوم كظل الرمح قصرت ظله
فيا ليل كم من حاجة لي مهمة
خليلي ألا تبكي لي التمس
فما أشرف الأيفاع إلا صباية
وقد يجمع الله الشيتين بعدما
لحي الله أقوام يقولون إننا
وعهدي بليلى وهي ذات مؤصد
فشب بنو ليلي وشب بنو ابنها
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذه
سقى الله جارات ليلي تباعدت
بتمرين لاحت نار ليلي وصحبتني
فقال بصير القوم لمحة كوكب
فقلت لهم بل نار ليلي توقدت
خليلي لا والله لا أملك الذي
قضاها لفيري وابتلاتني بجهها
وخرتني ان تيماء منزل
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت
فلسو أن واش باليمامة داره
وماذا لهم لا أحسن الله حالهم

وأيام لا أعدي على الدهر عادياً
بليلى فلهاني وما كنت لاهيا
إذا جنتكم بالليل لم أدر ما هيا
خليلاً إذا أنزفت دمعي بكى ليا
ولا أنشد الأشعار إلا تداوياً^(١)
يظنان كل الظن أن لا تلاقيا
وجدنا طوال الدهر للحب شافيا
ترد علينا بالعشي المواشيا
وأعلاق ليلي في فؤادي كما هيا
تواشوا بنا حتى أمل مكانياً^(٢)
بهن النوى حيث احتلن المطاليا
بقرع العصا ترجى المطى الخوافيا
بدا في سواد الليل من ذي يمانيا
بعليا تسامى ضوءها فبدا ليا
قضى الله في ليلي ولا ما فضى ليا
فهلا بشيء غير ليلي ابتلاتيا
لليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فما للنوى ترمي بليلى المراميا
وداري بأعلى حضر موت أتى نيا
من الحظ في تصريح ليلي حباليا

(١) الإيفاع: من يفع: إذا ترعرع الغلام وناهر البلوغ . انظر: لسان العرب، مادة [يفع].

(٢) تواشوا: تناقلوا الكلام بينهم كذباً. انظر: لسان العرب، مادة [وشى].

وقد كنت أعلو حب ليلي فلم يزل
 فيا رب سوّ الحب بيني وبينها
 فما طلع النجم الذي يهتدى به
 ولا سرت ميلاً من دمشق ولا بدا
 ولا سميت عندي لها من سمية
 ولا هبت الريح الجنوب لأرضها
 فان تمنعوا ليلي وتحموا بلادها
 فاشهد عند الله اني أحبها
 قضى الله بالمعروف منها لغيرنا
 وأن الذي أملت يا أم مالك
 أعد الليالي ليلة بعد ليلة
 واخرج من بين البيوت لعلني
 أراني إذا صليت يمت نحوها
 وما بي إشراك ولكن جهنا
 أحب من الأسماء ما وافق اسمها
 خليلي ليلي أكبر الحاج والمنى
 لعمري لقد ابكيتني يا حمامة
 خليلي ما أرجو من العيش بعدما
 وتجرم ليلي ثم تزعم أنني
 فلم أر مثلينا خليلي سبابة
 خليلان لا نرجو اللقاء ولا ترى
 واني لا ستحييك أن تعرض المنى

بي النقض والإبرام حتى علانيا^(١)
 يكون كفافاً لا علي ولا ليا
 ولا الصبح الا هيجا ذكرها ليا
 سهيل لأهل الشام إلا بدا ليا
 من الناس إلا بل دمعي ردائيا
 من الليل إلا بت للريح جانباً
 علي فلن تحموا علي القوافيا
 فهذا لها عندي فما عندها ليا
 وبالشوق مني والغرام قضى ليا
 أشاب فؤادي واستهان فؤاديا
 وقد عشت دهرًا لا أعد الليالي
 أحدث عنك النفس بالليل خاليا
 بوجهي وان كان المصلي ورائيا
 وعظم الحوى أعى الطيب المداويا
 وأشبهه أو كان منه مدانيا
 فمن لي بليلى أو فمن لها بيا
 العقيق وابكيت العيون البواكيا
 أرى حاجتي تشرى ولا تشرى ليا
 سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
 أشد على الرغم الاعادي تصافيا
 خليلين إلا يرجوان تلاقيا
 توصلك أو أن تعرضي في المنى ليا

(١) الإبرام: إحكام الأمر. انظر: لسان العرب، مادة [برم].

يروم سلوا قلت أنى لما بيا
 فشان المنايا القاضيات وشأنا
 بخير وجلت غمرة عن فؤاديا
 وأنت التي ان شئت انعمت باليا
 يرى نضوا ما أبقيت الا رثي ليا^(١)
 ومتخذ دين لها أن ترانيا
 أصانع رحلي أن يميل حيايا
 شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا
 لعل خيالاً منك يلقي خيايا
 وانى لا ألقى لها الدهر راقيا
 كفى المطايانا بذكراك هاديا
 لها وهج مستضرم في فؤاديا
 علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
 وحب الينا بطن نعمان واديا
 عليّ الهوى لما تغنيتما ليا
 أبالي دموع العين لو كنت خاليا
 بلحنكهما ثم اسجعا علانيا
 لحاقا بأطلال الغضى فاتبعانيا
 وما للضبا من بعد شيب علانيا^(٢)
 إلى من تشها أو لمن انت واشيا
 فما ظعن الحب الذي في فؤاديا

يقول أناس على مجنون عامر
 إذا ما استطال الدهر يا أم مالك
 إذا اكتحلت عيني بعيني لم تنزل
 فانت التي ان شئت شقيت عيشتي
 وانت التي ما من صديق ولا عدى
 أمضروبة ليلى عليّ أزورها
 إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتني
 يميناً إذا كانت يميناً وان تكن
 وانى لا ستغشى وما بي نعسة
 هي السحر إلا أن للسحر رقية
 إذا نحن أدجننا وأنت أمامنا
 ذكت نار شوقى في فؤادي فأصبحت
 ألا أيها الركب اليمانون عرجوا
 أساتلك هل سال نعمان بعدنا
 إلا يا حماني بطن نعمان هجتما
 وأبكيتمانى وسط صحبي ولم أكن
 ويا أيها القمريتان تجاذبا
 فان أنتما استطربتما أو أردتما
 ألا ليت شعري ما للقلبي وما ليا
 ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى
 لئن ظعن الاحباب يا أم مالك

(١) النضو: الهزيل. انظر: لسان العرب، مادة [نضو].

(٢) العلى: الشريف من القوم، ذو المقام الرفيع، أو المكان العالى. انظر: لسان العرب، مادة [علا].

فيا رب إذ صيرت ليلي هي المنى
وإلا ففضها إلي واهلها
على مثل ليلي يقتل المرء نفسه
خليلي ان ضنوا بليلى فقربا
فزنى بعينها كما زنتها ليا
فاني بليلى قد لقيت الدراهيا^(١)
وان كنت من ليلي على اليأس طاويا
إلى النعش والاكفان واستغفرا ليا

(١) فضها: من غصن فلان ، إذا وضع من قدره وانتقصه. الدراهيا: نوابغ الدهر. انظر: لسان
العرب، مادة [غصن]، [دره].

فصل

أخبار عروة بن حزام وصاحبته عفراء

هو: عروة بن حزام بن مالك بن حزام بن ضبة بن عبد بن عذرة شاعر لبيب حاذق متمكن في العشق .

قيل: إنه أول عاشق مات بالهجر من المخضرمين أو من العذريين ولشدة مقاساته في العشق ضرب به المثل بين العرب والمولدين قال الجنون : عجبت لعروة العذري... البيت.

وقال أبو عيينة :

فما وجد النهدي إذ مات حسرة
ولا عروة العذري إذ طال وجده
كوجدني غداة البين عند التفاتها
وقد طار عنها بين أترابها البرد^(١)
عشية بانث من حباله هند^(٢)
بعفراء حتى شف مهجته الوجد^(٣)
وقد طار عنها بين أترابها البرد^(٤)

وقال آخر :

وقبلك مات من وجد بهند
وعروة والمرقش هام دهرًا
قتيل الريح من قبل الفواني
فلا قود ولا يسودي قتل^(٥)
أخو نهد وصاحبه جميل
بأسماء فلم يغن العويل^(٦)
فلا قود ولا يسودي قتل^(٧)

وقال جرير^(٦) :

هل أنت شافية قلبًا يهيم بكم
لم يلق عروة من عفراء ما وجدًا

(١) بانث : بعدت . حباله : جمع الحباله : المصيدة . انظر : القاموس المحيط ، مادة [بان] ، [حبل] .

(٢) شف : ضمير ورق . انظر : القاموس المحيط ، مادة [شفف] .

(٣) أترابها : صديقاتها اللاتي من نفس سنها . انظر : القاموس المحيط ، مادة [ترب] .

(٤) العويل : البكاء والصياح بصوت مرتفع . انظر : القاموس المحيط ، مادة [عال] .

(٥) القود : القصاص . انظر : القاموس المحيط ، مادة [قاد] .

(٦) جرير ، هو : ابن عطية بن الخطفي التميمي البصري ، أبو خرزة ، شاعر زمانه ، عاش عمره كله

يناضل شعراء زمانه ويساجعهم وكان هجاؤه مرًا ، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل ،

وكان عفيفًا ، وهو من أغزل الناس شعرًا . من تصانيفه : ديوان شعر . انظر : سير أعلام النبلاء

(٤/٥٩٠) ، الأعلام (٢/١١٩) .

ما في فؤادي من داء يخامره
إلا التي لو رآها راهب سجداً^(١)
إن الشفاء وإن ضفنت بنائله
فرع البشام الذي تجلو به البرداً^(٢)

إلى غير ذلك .

وعفراء، هي: بنت هصر أخي حزام كلاهما ابنا مالك من بطن من العذريين، يقال له نهد .

قال في تسريح النواظر: إن سبب عشقه لها ، أن أباه حزاماً توفي ولعروة من العمر أربع سنين، وكفله هصر أبو عفراء فنشأ جميعاً فكان يألفها وتألفه . فلما بلغ الحلم ، سأل عروة عمه تزويجها، فوعده ذلك. ثم أخرجها الى الشام بغير له . وجاء ابن أخ له يقال له: أثالة بن سعيد بن مالك يريد الحج، فنزل بعمه هصر فبينما هو جالس يوماً تجاه البيت، إذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها^(٣) ومعصميتها تحمل إدواة سمن وعليها إزار خز أخضر .

فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة، فخطبها من عمه فزوجه بها . وإن عروة أقبل مع البعير وقد حمل أثالة عفراء على جمل أحمر، فعرفها من البعد وأخبر أصحابه، فلما التقيا وعرف الأمر بهت لا يحير جواباً حتى افترق القوم.

فأنشد :

وإنني لتعروني لذكراك رعدة
فما هو إلا إن رآها فجاءة
فقلت لعرف اليمامة داوئي
فما بي من همي ولا مس جنة
عشية لا عفراء منك بعيدة
فما بين جلدي والعظام ديب^(٤)
فأبته حتى ما يكاد يجيب
فإنك إن أبرأتني لطيب
ولكن عمي الحميري كذوب
فتسلو ولا عفراء منك قريب

(١) يخامره : يداخله . انظر: القاموس المحيط، مادة [خمر] .

(٢) البشام : شجر طيب الريح والطعم، يستاك به . انظر : القاموس المحيط، مادة [بشم] .

(٣) حاسرة : كاشفة . انظر: القاموس المحيط، مادة [حسر] .

(٤) تعروني : تغشاني وتنتابني . انظر: القاموس المحيط، مادة [عرا] .

بنا من جوى الحزن والبعد لوعة تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة مقول على ما به عود هناك صليب
وما عجبى موت المحبين في الهوى ولكن بقاء العاشقين عجيب

وقيل : إنه لم ينشد في ذلك الموقف سوى البيتين الأولين .

وأما قوله : فقلت لعرّاف اليمامة . إلى قوله : وما عفراء منك قريب . فإنه أنشده حين أتى به إلى الطبيب ؛ وسبب ذلك أنه حين وصل الحي أخذه الهذيان والقلق وأقام أياماً لا يتناول قوتاً حتى شفت^(١) عظامه ولم يخبر بسرّه أحدًا ، وأنه حمل ليلة إلى فضاء ليتنزّه به ، فسمع رجلاً يقول لوالده على أيّ ناقة حملت الشُعَبَ ، يعني قرب الماء ، فقال على العفراء ، فأغمي عليه ساعة ، ثم قام مخبولاً .

وكان باليمامة عرّاف يعني كاهناً له قرين من الجن يعرفه الأخبار ودواء بعض الأدواء وكان يقال له : رياح بن راشد وكنيته أبو كحلاء مولى لبني يشكر فحملوه إليه ، فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقي والصبّ عليه .

وأصل ذلك : أن العرب كانت إذا تخيلت بشخص سحرًا جعلت على رأسه طبقاً فيه ماء ثم أذابت الرصاص وسكبته في ذلك الماء ودفنته في فضاء من الأرض فيزول عن الشخص ما به ، وإن الكاهن فعل بعروة ذلك مراراً فلما لم ينجع ، أخبرهم أن ما به ليس إلا من العشق .

وقيل : إنه عرف ذلك من يوم قدومهم به ، فلما أحس باليأس أنشد : فقلت لعرّاف اليمامة ... الأبيات . فحمل إلى عرّاف آخر بنجد ففعل به مثل ذلك ، فأنشد الأبيات الآتية في نونيته وهي قوله : جعلت لعرّاف اليمامة . وأما قوله : بنا من جوى الأحزان ويروى :

وبي من جوى الأحزان

فعلى الأصح كما في النزهة أنه من هذا الشعر .

وقيل : أنشده حين حمل إلى ابن عباس ليدعوه بمكة . وقد سلف أن صاحب القصة غيره وإن صحح ابن عساكر خلافه .

(١) شفت عظامه : هزل ونحل . انظر : القاموس المحيط ، مادة [شف] .

ولما أيس من الشفاء تمرض بين أهله زماناً حتى شاع انتحاله في العرب مثلاً .
و إن ابن أبي عتيق مر به فرأى أمه تلاطف غلاماً كالحتيال فسألها عن شأنه .
فقالت: هو عروة فسألها نضو الغطاء عنه^(١) ، فلما شاهده قضي عجباً ثم

استنشده .

فأنشد: جعلت لعرّاف اليمامة حكمه ... الأبيات . ولما علم الضجر من أهله ،
قال لهم: احتملونني إلى البلقاء^(٢) فإني أرجو الشفاء .

فلما حلّ بها وجعل يسارق عفراء النظر في مظان مرورها ، عاودته الصحة .
فأقام كذلك إلى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه . فلما أمسى دخل على
زوج عفراء فقال له: متى قدم هذا الكلب عليكم فقد فضحكم بكثرة ما يتشبه
بكم؟

فقال: من؟

قال: عروة .

قال: أنت أحق بما وصفته به، والله ما علمت بقدمه، وكان زوج عفراء
موصوفاً بالسيادة ومحاسن الأخلاق في قومه . فلما أصبح جعل يتصفح الأمكنة
حتى لقي عروة، فعاتبه وأقسم بالمرجات . أنه لا ينزل إلا عنده فوعده ذلك ،
فذهب مطمئناً و إن عروة عزم أن لا يبيت الليل ، وقد علم به فخرج فعاوده
المرض فتوفي بوادي القرى، دون منازل قومه .

وقيل: وصلها لرواية ابن العاص ، قال استعملني عمر رضي الله عنه في جباية
صدقات العذريين فبينما أنا يوماً بإزاء بيت إذ نظرت امرأة عند كسر البيت
وعلى جانبها شخص لم تبق إلا رسومه فجلست أنظر إليه فتموج ساعة ثم خفق
خفقة فارق الحياة .

فقلت لها: من الرجل؟

قالت: عروة .

(١) نضوا الغطاء : كشفه وخلعه . انظر: القاموس المحيط، مادة [نضا].

(٢) البلقاء : من أعمال دمشق . بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمان، وفيها قرى كثيرة

ومزارع واسعة . انظر: معجم البلدان (١/٥٧٩).

فقلت: كأنه قضي.

فقالت: نعم.

ولما بلغ عفراء وفاته قالت لزوجها: قد تعلم ما بينك وبين الرجل من الرحم وما عنده من الوجد وإن ذلك على الحسن الجميل، فهل تأذن لي أن أخرج إلى قبره فأندبه فقد بلغني أنه قضي، قال: ذلك إليك. فخرجت حتى أتت فتمرغت عليه وبكت طويلاً.

ثم أنشدت:

ألا أيها الركب المحنون وبحكم
فإن كان حقاً ما تقولون فاعلموا
فلا لقي الفتيان بعدك راحة
ولا وضعت أنثى تماماً بمثله
ولا لابلغتم حيث وجهتم له
ونقصتم لذات كل طعام
بحق نعيم عروة بن حزام
بأن قد نعيم بدر كل ظلام
ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا فرحت من بعده بسلام

وفي كتاب النزهة لابن داود: أن ركباً شاهدوا موته، فلما قدموا الحي أنشد رجل منهم عند بيت عروة:

ألا أيها القصر المغفل أهله
بحق نعينا عروة بن حزام

فجاوبته عفراء ألا أيها الركب... هكذا بيتاً فبيتاً إلى أربعة والباقي لعفراء وهذا غير صحيح لأن القبر في طريقها قبل منازلهم. وفي هذه الرواية بدل قوله فلا لقي الفتيان، فلا هنىء الفتيان بعدك غارة. والأول ألطف، وبدل:
فلا وضعت أنثى

فقال للحبالي:

لا يرجين غائباً

وفيه إضافة غير مناسبة إذ لا مناسبة بين الحمل والغيبة إلا بتأويل لا يليق بفصاحة العرب، ولما فرغت من شعرها ألقت نفسها على القبر فحررت فوجدت ميتة.

وما قيل من أنها منعت الجيء إلى قبره ومن أنه كان في عهد عثمان أو معاوية وأن الذي شهده الحاكي أحدهما ومن أن عمر قال لو أدركتهما لجمعت بينهما

غير صحيح الرواية كما في النزهة نعم حمل قول عمر على الرؤية.

وتمسك من قال إن عفراء لم تزر قبره بقولها :

عدائي أن أزورك يا خليلي معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهي وعابونا وما فيهم رشيد
فأما إذ ثويت اليوم لحدا فدور الناس كلهم اللحدود
فلا طابت لي الدنيا فراقاً لبعذك لا يطيب لي العيد

ولما قضت دفنت إلى جانبه فنبت من القبرين شجرتان حتى إذا صارتا على حد قامة التفتا فكانت المارة تنظر إليهما ولا يعرفان من أي ضرب من النبات وكثيراً ما أنشدت فيهما الناس.

فمن ذلك قول الشهاب محمود^(١) :

يا لله يا سرحة الوادي إذا خطرت
فعانقيهم عن الصب الكئيب فما
تلك المعاطف حيث الرند والغار^(٢)
على معانقة الأغصان إنكار

وقول صاحب الأصل :

غصنان من دوحة طال اتلافهما
فصار ذا في يد تحويه ليس له
حتى إذا ذوياً يوماً وضمهما
حنا على العهد في أرجائها فحمننا
فيها فجالت صروف الدهر فافترقا
منه براح وهذا في الغلاة لقاء
بعد التفرق بطن الأرض واتفقا
كل ألفه في الترب واعتقنا

قلت: وبين هذين خلاف في اللفظ والمعنى، ويحتمل رجوعه إلى خصوص وعموم مطلق؛ فإن الأول أرق وأغذب وألطف ولكنه قاصر عن المراد وغير دال على خصوص المقام وفيه التكرار الذي عدته البلاغة عيباً فإن الرند والغار

(١) الشهاب محمود ، هو: ابن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي الحلبي، أبو الثناء، أديب كبير. ولد بحلب وولى الإنشاء في دمشق، كان شيخ صناعة الإنشاء في عصره، وهو شاعر مكثر. توفي سنة (٧٢٥هـ)، من مصنفاته: مقامة العشاق، حسن التوسل إلى صناعة التوسل. انظر: البداية والنهاية (١٤/١٢٠)، الأعلام (٧/١٧٢).

(٢) الرند: شجر من أشجار البادية، طيب الرائحة. انظر: القاموس المحيط، مادة [رند].

مترادفان وفيه عيب خفي إلا على الناقد فإنه لم يجعل المتعانقين المتحايين بل أمر
السرحة: يعني الشجرة ، أن تعانق ، تلك المعاطف: يعني معاطف المعشوقة نيابة
عن العاشق وعلل ذلك بالإنكار على تعانق المتحايين وقد تظافرت كلمات المحبين
باستسهال الذم في قضاء الوطر .

وأما الثاني: فقد تضمن حكاية الحال مع حسن الاستعارة المكنية ودل على
المقام ولكنه غير رقيق ولا خال عن السماجة^(١) .

وتوفي عروة بن حزام على ما ذكر الذهبي في تاريخه في خلافة عثمان سنة
ثلاثين من الهجرة.

ورأيت في كتاب مجهول التأليف أن وفاته كانت لعشر بقين من شوال سنة
ثمان وعشرون .

ومن محاسن شعره قصيدته التي على حرف النون فقد ضمنها حكاية حاله
بألفاظ رقيقة ومعان أنيقة.

وهي هذه :

خليلي من عليا هلال بن عامر	بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني
ولا تزهدا في الأجر عندي واجملا	فإنكما بي اليوم مبتليان
ألم تعلمنا أن ليس بالمرج كله	أخ وصديق خالص فذراني
أبي كل يوم أنت رام بلادها	بعينين انسانا هما غرقان ^(٢)
وعيناي ما وافيت نشر فتنظرا	بما فيهما إلا هما تكفان
ألا فاجملاني بارك الله فيكما	إلى حاضر البقاء ثم دعاني
على جسرة الأصلاب ناحية السرى	تقطع عرض اليد بالوخدان ^(٣)
ألمأ على عفراء إنكما غدا	بشحط النوى والبين مفترقان ^(٤)

(١) السماجة : القبح . انظر : القاموس المحيط، مادة [سمج].

(٢) رام : طلب . انظر : القاموس المحيط، مادة [روم].

(٣) الوخذان : الاسم من وخذ البعير: أسرع وصار يرمى بقوائمه كالنعام. انظر: القاموس المحيط، مادة [وخذ].

(٤) الشحط : البعد . النوى : الدار . انظر: القاموس المحيط، مادة [شحط]، [نوى].

وما والي من جتتما نشيان
ومن لو رآني عائباً لقداني
تقر بها عيناى ثم زمانى
جديداً وبرد ايمنة زهيانى
بى الضرر من عفراء يا فتيان
بلين وقلباً دائم الرجفان
وعينان من وجدي بها تكفان
وعفراء عني المعرض المتوانى
ودانيت فيها غير ما متداني
شفيعان من قلبي لها جدلان
جميعاً على الرأي الذي يريان
تحملت من عفراء منذ زمان
من الناس والأنعام يلتقيان
ويرعاهنا ربي فلا يريان
إذا نحن متنا ضمنا كفنان
خليان نرعى القصر مؤتلفان
وشوق قلوصي في الغدو يماني
لبرق إذا لاح النجوم يماني
ومالك بالعبء الثقيل يدان
أشوق عراقي وأنت يماني
ولا للجبال الراسيات يدان
على كبدي من شدة الخفقان
وعرّاف نجد أنهما شفيان
وقاما مع العواد يتدبران
ليستخبرانى قلت منذ زمان
ولا سلوة إلا وقد سقياني

فيا واشي عفراء ويحكما بمن
بمن لو أراه غائباً لقديته
فيا واشي عفراء دعاني ونظرة
أغر كما مني قميص لبسته
متى تكشفنا عني القميص تبينا
إذا ترياً لحمًا قليلاً واعظماً
على كبدي من حب عفراء قرحة
فعفراء أرجى الناس عندي مودة
أحب ابنة العذري حباً وان نات
إذا رام قلبي هجرها حول دونه
إذا قلت قالاً بلى ثم أصبحنا
فيا رب أنت المستعان على الذي
فيا ليت كل اثنين بينهما هوى
فيقضي حبيب من حبيب لبانة
فيا ليت محياناً جميعاً وليتنا
ويا ليت أنا الدهر في غير ريبة
هواي أمامي ليس خلفي معرج
هواي عراقي وثنى زمامها
متى تجمعي شوقي وشوقك تطلعي
يقول لي الأصحاب إذ يعدلونني
تحملت من عفراء ما ليس لي به
كأن قطاة علقنت بجناحها
جعلت لعرّاف اليمامة حكمه
فقالا نعم تشفى من الداء كله
نعم وبلى قالاً متى كنت هكذا
فما تركنا من رقية يعلمانها

وما شفيا الداء الذي بي كله
فقالا شفاك الله والله ما لنا
فرحت من العراف تسقط عمي
معي صاحباً صدق إذا ملت ميلاً
فيا عم يا ذا العذر لا زلت مبتلى
غدرت وكان العذر منك سجية
وأورثني غماً وكرباً وحسرة
فلا زلت ذا شوق إلى هويته
وأنى لأهوى الحشر إذ قيل أنى
ألا يا غرابي دمنة الدار بيننا
فإن كان حقاً ما تقولون فأذهب
كلاني أكلاً لم ير الناس مثله
ولا تعلمان الناس ما كان قصتي
إلا لعن الله الوشاه وقولهم
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذه
تكنفي الواشون من كل جانب
ولو كان واش باليمامة أرضه
يكلفني عمي ثمانين ناقة
فوالله ما حدثت شرك صاحباً
سوى أنى قد قلت يوماً لصاحبي
ضحينا ومستنا جنوب ضعيفة
تحملت زفرات الضحى فأطقتها
فيا عم لاسقيت من ذي قرابة
وميتني عفراء حتى رجوتها
والله لولا حب عفراء ما التقى

ولا ادخر نصحا ولا ألواني
بما حملت منك الضلوع يدان
عن الرأس ما التائها بينان
وكانا بجنبي سرعة عدلاني
حليفا لهم لازم وهوان
فألزمت قلبي دائم الخفقان
وأورثت عيني دائم الهملان
وقلبك مقسوماً بكل مكان
وعفراء يوم الحشر ملتقيان
أبا لهجر من عفراء تنتحبان
بلحمي إلى وكريكما فكلاني
ولا تهضما جنبي وازدرداني
ولا يأكلن الطير ما تذزاني
فلانة أضحت خلة لفلان
تواشوا بنا حتى أمل مكاني
ولو كان واش واحد لكفاني
أحاذره من شؤمه لأتاني
ومالي والرحمن غير ثمان
أخالي ولا فاهت به الشفتان
ضحى وقلوصانا بنا تخدان
نسسيم لرياهنا بنا خفقان
ومالي بزفرات العشي يدان
بالالا فقد زلت القدمان
وشاع الذي منيت كل مكاني
علي رواقاً بيتك الخلقان

رواقان خفاقان لا خير فيهما
ولم أتبع الأظعان في رونق الضحى
لعفراء إذ في الدهر والناس غرة
لادنو من بيضاء خفاقة الحشى
كان وشاحيها إذا ما ارتدتتهما
وليس بأبدان لها ملقاهما
وتحتيها حقفان قد ضربتهما
أعفراء كم من زفرة قد أذقتني
وعينان ما وافيت نشرًا فتنظرا بمأقيهما
إذا هبت الأرواح يصطفقان
ورحلي على نهضة الخديان
إذا خلقان بالصبي سراني
بنية ذي قارورة شنان
وقامت عنانها مهرة سلسان
ومتاهما رخوان يضطران
قطار من الجوزاء ملتبدان
وحزن ألح العين بالهملان

فهل حاد يا عفراء أن خفت فوتها
ضروبان للتالي القطوف إذا ولي
فما لكما من حادين كسيما
وما لكما من حادين رميتما
فويلي على عفراء ويلاً كأنه
ألا جذا من حب عفراء ملتقى
لو أن أشد الناس وجدًا ومثله
ويشتكيان الوجد ثمة اشتكي
فقد تركني ما أعي لحادث
وقد تركت عفراء قلبي كأنه
علي إذا ناديت مرعويان
بسيحان من يعصي به حذران
سراويل مغلاه من القطران
بحمي وطاعون ألا تقفان
على الكبدو الأحشاء حد سنان
نعيم والا لا حيث يلتقيان
من الجن بعد الأنس يلتقيان
لا ضعف وجدي فوق ما يجدان
حديثًا وأن ناجيته ونجاني
جناح غراب دائم الحفقان

قوله: خليلي، خطاب بالنداء محذوف الأداة وليس بشرط أن يكونا
وجوديين، فقد جرت عادة العرب بذلك، حتى قيل إنهم وإن خاطبوا الواحد
جعلوا الصيغة لاثنين، إما ليجري مجرى التأكيد، أو أنهم يطلبون التعظيم، أو
أنهما أقل الرفقة.

وقوله: إلى حاضر البلقاء: يريد المكان الذي كانت به، كما سبق في الحكاية.
ويروي: إلى حاضر الروحاء: موضع بالبلقاء من طرف حوران.

وقوله: جسرة الأصلاب : صفة مشبهة كناية عن العجلة التي لم تدعه يشد كور الناقة. ويروي: نواخة السرى وموارة أي عجلة تبلغ المآرب .

وقوله: بمن لو أراه البيت... كناية عن الاتحاد وشدة المحبة حتى لم يقع تأثير بينهما من نقل شيء .

وقوله : متى تكشفنا روى بدله متى ترفعا ، والأول أبلغ لأخصيته ولزوم رؤية البدن منه.

وقوله: إذا تريا : جواب متى. وزوى بدله: ترفعا ، والأول أطف .

وقوله: كأن قطاة ... البيت : قد أخذه المجنون، حيث قال : قطاة غرها شرك فباتت (البيت) : وهذا من السرقات العامة التي تتفاوت بحسن الاختلاس والتظرف. ومعنى هذا أنه شبه كبده في شدة خفقانه من هياج نار العشق بقطاة علقت بجناح واحد وجعلت ترفرف بالآخر طلب الخلاص .

وأما المجنون: فقد تظرف ثم بالغ لأنه جعل القلب هو القطاة بعينها وجعل المعلق هو الشَّرك . واعلم أن ابن الأثير ألف كتاباً أسماه: أعمدة المعاني للمنثور والمنظوم ذكر فيه من اقترح معني ومن سرق منه وزاد عليه فقال في هذا الموضع : إن المجنون تظرف حيث أسند الخفقان إلى القلب، والتعليق إلى الشَّرك وأما أنا فأقول: إن قول عروة أبلغ لأن الكبد ليس من شأنه الحركة ولا الخفقان كما هو دأب القلب، فإسناد الخفقان الناشئ عن العشق إليه أبلغ؛ ولأن حركته تستلزم حركة القلب دون العكس، ولا يساوي هذا المعنى كون القلب محل التعقل ومسكن المحبوب كما في كلماتهم إذ الملحوظ حينئذ الروح الحيواني .

قوله : عرّاف اليمامة : قد سبقت قصته، والعرّاف في الأصل : الكاهن ، واستعمله هنا على الطيب لاتحادهما لغة ، وما الثأتها : يعني ما رددتها، وهي كناية عن شدة المرض ، وعمه المدعو عليه هو أبو عفراء وقد عرفت عذره ، وقوله: فلو أن واش باليمامة. قد استعاره المجنون حيث قال:

ولو أن واش باليمامة داره وداري بأعلى حضر موت أتانيا

وهي سرقة شنيعة مذمومة وهو هنا أظرف وأبلغ من حيث الإيهام لأن قوله: أحاذره من شؤمه يحتمل أن يكون بأقصى فارس وهذا هو اللائق بالمبالغة، وأما حضر موت واليمامة فكلاهما في إقليم واحد فلا يعظّم مجيء الواشي .

فصل

أخبار عبد الله بن عجلان وصاحبته هند

هو: عبد الله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب يتصل بقضاة وهو فخذ من بني الحريش وسعد افترقوا من قضاة على ما ذكر في الأنساب أربعين فخذاً.

وفي النزهة أنه عذري وليس كذلك ، ولكن بينه وبينهم حيث لا ترمي العصا وذلك دون خمسة جدود .

وقال في كتاب الأنساب: كانت العرب تعد الرجل منها ما لم يفارقهم بخمسة بطون فإذا بلغ ذلك ، قالوا: قطع النسب ، ورميت العصا، وكان عبد الله هذا يكنى أبا عمرة وهو شاعر مفلق وناطق مزلق رقيق أديب.

قال في بلغة الإشفاق في ذكر أيام العشاق: وهو جزء لطيف لابن رشيق، موضوعه ذكر مدة العشاق في العشق: إن عبد الله هذا أقل العشاق أياماً ، عاش مكابد المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة، وهو جاهلي ضرب به المثل كما ضرب بعروة، فما قيل فيه ، قول قيس :

فما وجدني بها أم واحد ولا وجد النهدي وجدني على هند

ولا وجد العذري عروة في الهوى كوجدني ولا من كان قبلي ولا بعدي

فقوله: النهدي، إشارة إلى ابن عجلان هذا، وقد سماه عمرًا في أبيات سبقت في قصته، وقوله: على هند ، متعلق بوجدني . فليحذر من فهم صاحب (النزهة).

وقول البحري :

هوى لا جميل في بثينة ناله بمثلي ولا عبد بن عجلان في هند

وهند، هي: بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدي يتصل مع عبد الله في النسب.

قال في الظرائف: إن سبب اعتلاقه بها ، أنه خرج يوماً إلى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان ، وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه .

فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور ورأهن على تلك الحالة ، فمكث ينظر إليهن مستخفياً فصعدن حتى بقيت هند ، وكانت طويلة الشعر، فأخذت تمشطه وتسبله على بدنهما وهو يتأمل شفوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر ، ونهض ليركب راحلته فعجز ، وأقعد ساعة، وكان يقال عنه قبل ذلك إن العرب كانت تصفُّ له ثلاث رواحل قائمة فيحلقها ويركب الرابعة فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وعطل حركاته.

فأنشد فوراً :

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة إذا شئت لمسا للثريا لمستها^(١)
أتنى سهام من لحاظ فأرشت بقلبي ولو أستطيع ردّ لرددتها

ثم قال: هذه والله الضالة التي لا ترد، ثم عاد وقد تمكن الهوى منه، فأخبر صديقاً له، فقال: اكنم ما بك واطلبها إلى أبيها فإنه يزوجك بها وإن أشهرت عشقها حرمتها، ففعل وخطبها فأجيب، وتزوج بها وأقاما على أحسن حال ، و أنعم بال لا يزداد فيها إلا غراماً، فمضى عليهما ثمان سنين وإنها أقامت على ذلك دون أن تحمل ، وكان أبوه ذا ثروة ليس له غيره فأقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد لحفظ النسب والمال، فعرض عليها ذلك فأبت أن تكون مع أخرى، فعاود أباه فأمره بطلاقها فأبى، فألح عليه وهو لم يجب إلى أن بلغه يوماً أن عبد الله قد تمكن السكر منه، فعدها فرصة وأرسل إليه يدعوه ، وقد جلس مع أكابر الحي فمنعته هند، وقالت: والله لا يدعوك لخير وما أظنه إلا عرف أنك سكران فيريد أن يعرض عليك الطلاق، ولئن فعلت لمت وأظن أنك فاعل.

قال في النزهة: وكان قد دخل على هند قبل ذلك اليوم عجوز كاهنة تضرب الحصى، وأخبرت هنداً أنها ستطلق ، فأبى عبد الله إلا الخروج فجاذبته ويدها مخلقة بالزعفران، فأثرت في ثوبه . فلما جلس مع أبيه وقد عرف أكابر العرب حاله فأقبلوا يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان حتى استحي فطلقها، فلما سمعت بذلك احتجبت عنه فوجد وجداً كاد أن يقضي معه.

(١) الثريا : مجموعة كواكب في عنق الثور، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثرا].

وأنشد:

طلقت هندًا طائعًا فندمت بعد فراقها
فالعين يذرف دمعها كالدر من آماقها
متحلبًا فوق الردا فتجول في رفاقها^(١)
خود رداح طفلة ما الفحش من أخلاقها^(٢)
ولقد ألد حديثها وأسر عند عناقها
إن كنت ساقية بجز لالدم أو بحفاقها
فاسقي بني نهد إذا شربوا خيار زقاقها
فالخيل تعلم الحقها غداة لحاقها
بأسنة زرق منحمن القوم حد رفاقها
حتى ترى قصد القنا والبيض في أعناقها

ولم يزل شوقه ينمو ووجدته يسمو حتى لزم الوساد ، وتوفي على ما ذكر في
النزهة قبل عام الفيل بأربعة أعوام ، وكان سبب وفاته على الأصح؛ أنه قصد
هندًا وقد تزوجت في نمير^(٣) ، وهي قبيلة من عامر ، وكان بينهم وبين بني نهد^(٤)
ثارات ودماء كثيرة ، فحذره أبوه من ذلك ومنها الاجتماع بعكاظ في الأشهر
الحرم حيث تكف الجاهلية عن الحرب .

فأبى وخرج سرًا حتى أتاها ، فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقى إبلًا
له ، فلما تعارفا شد كل منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا إلى
الأرض ، فجاء زوجها فوجدهما ميتين .

وقيل: إن عجوزًا دخلت عليه في مرضه، فأخبرتهم أنه عاشق، وأن يطبخوا له

(١) متحلبًا : منساب . انظر : القاموس المحيط، مادة [حلب].

(٢) خود : تمايل الغصن . رداح : الشجرة الكبيرة . انظر : القاموس المحيط، مادة [خود].

(٣) نمير : بطن من عامرين صعصعة، من العدنانية، كانت منازلهم بنجد، وكانت لهم كثرة وعزة

في الجاهلية والإسلام. انظر : معجم قبائل العرب (١١٩٥/٣).

(٤) نهد : بطن من قضاة، من القحطانية، وهم بنو نهد بن زيد، كانت منازلهم بالعين، وكانت

منهم طائفة بالشام . انظر : معجم قبائل العرب (١١٩٧/٣).

شاة ويرفعوا قلبها ويقدموها إليه ، ففعلوا فجعل يحاؤها بضعة فقال: أما لشاتكم قلب، فقال له أخوه: أعاشق أنت ولم تدر ، فتأوه ومات.

وقيل: رأى زوج هند يطوف وعليه ثوب فيه كف بالخلق كالذي في ثوبه ، حين جاذبته، فمات .

وقيل: إنه ترنم بهذه الأبيات يوماً ومدَّ بها صوته فمات.
وهي :

ألا أن هند أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى هوتها حماً

فأصبحت كالمقهور جفن سلاحه يقلب بالكفين قوساً وأسهما^(١)

وقيل: إن هذه الأبيات لمسافر بن عمرو^(٢)، أنشدتها حين ولع بهند بنت عتبة^(٣) وأراد زواجها ، فخرج إلى النعمان بن المنذر بالحيرة ليطلب مهرها .

وقيل: إنها حملت منه فخرج هارباً ، وأصابه من عشقها مرض كبر معه ، فاستحضر له النعمان أطباء العرب فأجمعوا على كيه، فكوي وبرىء، فقدم أبو سفيان أو هو غيره، فسأله عن مكة . فلما انتهى إلى زواج هند، شهق فمات .

وقيل : خرج فمات في الطريق .

وقيل : هي ؛ يعني الأبيات للمغيرة في أسماء النهشلية ، والصحيح أن أبيات المغيرة هذه :

تحدثنا أسماء ان سوف نلتقي أحاديث طسم إنما كنت حالماً

ألا أصبحت أسماء حجراً محرماً وأصبحت من أدنى هوتها حماً

(١) جفن : غمد السيف . انظر: القاموس المحيط، مادة [جفن].

(٢) مسافر بن عمرو ، هو : ابن عبد شمس، شاعر، من سادات بني أمية وأجوادهم في الجاهلية، شعره غير كثير. قال السهيل: مات من حب صبعة بنت الحضرمي، وفي الأغاني : هند بنت عتبة ، توفى سنة (١٠ ق.م) . انظر: الأغاني (٤٦/٨)، الأعلام (٢١٣/٧).

(٣) هند بنت عتبة، هي: ابنة ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، صحابية، قرشية، عالية الشهرة، أم الخليفة الأموي (معاوية بن أبي سفيان) كانت فصيحة، جريئة، صاحبة رأي وحزم، تقول شعراً جيداً ، أجمل ما عرف من شعرها هو ما كانت تقوله في رثاء شهداء بدر من مشركي قريش، قبل إسلامها، هي من مثلت بجمزة وأكلت كبده فكانت ممن أهدر النبي دماءهم، يوم فتح مكة لولا إسلامها ، توفيت سنة (٤١ هـ) انظر: الإصابة (٣٤٦/٨)، أعلام النساء (٢٣٩/٥).

ولا بن عجلان أشعار كثيرة من محاسنها قوله :
 قد طال شوقي وعاد لي طربي من ذكر خود كريمة الحسب
 غراء مثل الهلال صورتها أو مثل تمثال صورة الذهب^(١)

ومنها :

ألا بلغا هذا سلامي وإن نأت فلم أر هذا بعد موقف ساعة
 فنلي منشطت بها الدار مدنف^(٢) أتت بين أتراب تمايسن إذ مشت
 بأنعم من أهل الديار تطوف ديب القطا أوهن منهن ألطف^(٣)
 ذكيا والأيدي مدال ومسوف يباركن مرات خليا وداده
 سراة الضحى مني على الحي موقف أشارت إلينا في حياء وراعها
 منيت بذى صول يفار ويعنف^(٤) وقالت تباعد يا ابن عم فاني

ومنها :

ولا تأمنا من دار ذي لطف بعدا خليلي زورا قبل شحط النوى هذا
 أغيا يلاقي في التعجل أم رشدا^(٥) ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة
 وان لم تكن هند لوجهي كما قصدا ومر عليها بارك الله فيكما
 ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا^(٦) وقولا لها ليس الضلال أجازنا
 وتزداد داري من دياركم بعدا غدا يكثر الباكون منا ومنكم

(١) غراء : كريمة الأفعال . مدنف : قريب . انظر: القاموس المحيط، مادة [غرر] [دنف].

(٢) مدنف: قريب. انظر: القاموس المحيط، مادة [دنف].

(٣) تمايسن : تمايلن وتبخترن . ديب : سير . انظر: القاموس المحيط، مادة [ميس]، [دبب].

(٤) الصول : القهر والغلبة. انظر: القاموس المحيط، مادة [صال].

(٥) الغى : الضلال. انظر: القاموس المحيط، مادة [غوى].

(٦) جزنا: مررنا. انظر: القاموس المحيط، مادة [جاز].

فصل

أخبار ذى الرمة وصاحبته مى

هو: غيلان بن معدى بن عمرو الكنانى القحطاني، أو هو سعدى.
وقيل: ابن عقبة بن يهوس ابن ربيعة يتصل من عبد مناف بإلياس بن مضر،
وهو الأصح، أديب، شاعر، رقيق النظام، جزل الكلام، وافر الحظ من الفصاحة
والشعر ورقة المزاج، خبير بأحوال العشق.

والرمة، بالضم وتكسر: قطعة حبل تجعل في عنق البعير.
ووهب طريف بن غطفان بعيراً لشخص بالحبل الذي في عنقه، فقيل: أعطاه
برمته، فضرب مثلاً لمن يعطي الشيء جميعه.
وبالكسر العظام البالية، وسمي بذلك لأنه كان كثيراً ما يجعل في عنقه أو على
عاتقه الحبل، أو أنه سمي بذلك لشدة نحوله في العشق.

ومى هي: بنت طلابة بن قيس بن عاصم الغساني، أحد ملوك العرب، ووالده
قيس نظير المنذر بن ماء السماء كان ذا حظ في الملك تميل إليه العرب ويعطي
القياد حتى ضربت به الأمثال.

قال طرفه: بن العبد بعد اشتكاء سوء حظه. ولو شاء ربي كنت قيس بن
عاصم؛ يعني في ارتفاع الجذ وسعة الملك.

قال في النزهة: وكان ذو الرمة لطيف المنظر، حسن الهيئة، طويلاً إلى رقة
وبياض، واسع الصدر، عجل المشية.

وكانت مىّ جارية إلى القصر، ما هي سمراء بدينة، إلا أن في كلامها عذوبة،
وفي طرفها تغزل.

قال في الظرائف: إن سبب اعتلاقه بها أنه مر يوماً بالحلي وقد أدركه
الأوام^(١)، فنظر إلى بيت قد شرع رواقه^(٢)، وارتفعت أطباقه، وعلا عموده

(١) الأوام: العطش. انظر: القاموس المحيط، مادة [أم].

(٢) رواق البيت: مقدمه. انظر: القاموس المحيط، مادة [راق].

وأطنا به، ومدت أوتاده وأسبابه^(١)، فقصدته حتى وقف بإزائه، وإذا هو بامرأة تتمشط حاسرة الرأس وقد أسبلت شعرها كأنه عشاكيل النخل^(٢)، ووجهها يشف من نحاله، فنادها.

هل من إداوة تبرد الغليل، فأبرزت إليه ماء قد شيب بلبن، فشرب، ثم ناشدته الراحة، وقدمت إليه طعامًا، فأكل، ولم تزل تنادمه^(٣) وهو يعجب بها، ويتحرك لها قلبه إلى أن انصرف بعد بياض النهار، وقد علق من قلبه بحبها لالعج^(٤) عجز عن إطفائه، وغرام كلُّ عن إخفائه، فجعل يعاودها الزيارة، فقيل له في تقليل ذلك، وإن بلادها، بعيدة عن بلاده، وإن ذلك يوجب له نصبا ومشقة.

فأنشد :

و كنت إذا ما جنت ميا أزورها أرى الأرض تطوي لي ويدنو بعيدها
من الحفرات البيض وذّ جليساها إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

وجلس قوم يتحادثون، فأفضوا إلى حديث ذي الرمة وفيهم عقبة بن مالك الفزاري؛ وهو يومئذ شيخ قد جاوز المائة فقال: منى خذوا خبره.
أتاني يومًا، فقال: إن حي مية خلوف فهل تبعدني في الزيارة؟ فركبنا حتى أتيناها، فلما نظر النساء إلى ذي الرمة عرفته، فجئن حتى جلسن عنده وتفاوضوا في الحديث.

فقالت ظريفة من النساء: أسمعنا يا ذا الرمة ما قلت، فالتفت إليّ وقال لي: قل.
فأنشدت قوله:

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
فلما انتهيت إلى قوله:

نظرت إلى أظعان مي كأنها ذرا النخل أو أثل قميل ذوائبه^(٥)

(١) أسبابه: أستاره. انظر: القاموس المحيط، مادة [سبب].

(٢) عشاكيل: جمع عشكال: هو في النخل بمنزلة العنقود في الكرم. انظر: القاموس المحيط، مادة [عشك].

(٣) تنادمه: تجالسه الشراب. انظر: القاموس المحيط، مادة [ندم].

(٤) اللاعج: الهوى المحرق. انظر: لسان العرب، مادة [لعج].

(٥) ظعائن، جمع ظعينة: الهودج. أثل: شجر يشبه الطرفاء، إلا أنه أعظم منه وأكثر وأجود

عودًا. ذوائب، جمع ذؤابه: أعلى الشيء. انظر: القاموس المحيط، مادة [ظعن]، [أثل]، [ذأب].

فأسبلت العينان والقلب كاتم بمغرورق نمت عليه سواكبه^(١)
 بكى وامق حال الفراق ولم تحل حوائلها أسرارته ومعاتبه^(٢)
 هو الالف قد حان الفراق ولم تحل مخاولها أسرارته ومقانبه

قالت الظريفة: لكن اليوم فلتحل، ثم مضيت، فلما انتهيت إلى قوله :
 وقد حلفت بالله مية ما الذي أحدثها إلا الذي أنا كاذبه
 إذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أثاربه
 قالت مي: ويحك يا ذا الرمة، خف عواقب الله عز وجل، ثم مضيت حتى
 انتهيت إلى قوله :

إذا سرحت من حب مي سوارح على القلب أمته جميعًا غواربه
 فقالت الظريفة: قتلته قتلك الله .
 فقالت مية: ما أصححه وهنيئًا له .

قال: فتنفس ذو الرمة تنفيسة كاد حرها يذهب بلحيته ثم مضيت حتى
 انتهيت إلى قوله :

إذا نازعتك القول مية أو بدا لله الوجه منها أو نضى الدرع سالبه^(٣)
 فيا لك من خد أسيل ومنطق رخييم ومرحوق تعلل شاربه^(٤)

وفي رواية القالي: (إذا راجعتك) بدل (إذا نازعتك) ، فقالت الظريفة: هذا
 القول قد تنوزع والوجه

بدا فمن لنا بأن ينضى الدرع سالبه

فقالت مي: ماذا تريدان وتضاحكا.

فقالت الظريفة: إن لهذين لشأن، فقم بنا، فقمنا وجلست بحيث أراهما،

(١) مغرورق : ملآن بالدموع . انظر: القاموس المحيط، مادة [غرق].

(٢) الوامق : المحب. انظر: القاموس المحيط، مادة [ومق].

(٣) نضى الدرع : نزع . انظر: القاموس المحيط، مادة [نضو].

(٤) رخييم : رقيق وجميل. مرحوق، من رحيق : ضرب من الطيب . انظر: القاموس المحيط، مادة [رحم]، [رحق].

فتعابتها طويلاً ولم يبرح من مكانه، ولم أسمع منهما غير أن قالت: كذبت والله. لم أعلم علام كذبت، ثم جاءني ومعه قارورة دهن قد أتحفته بها فقال لي: شأنك وهي، ثم قال: وهذا قلائد قد اعطتنيها، فوالله لا قلدتها بعيراً وعقدها في سيفه وانصرفنا، فلما ظعن الحي جاءني، فقال: امض بنا نودع الآثار، فجئنا حتى وقفنا على أطلال مية.

فأنشد :

ألا فاسلمي يا دارمي على البلا ولا زال منهلاً بجرعائك القطر^(١)

وإن لم تكوني غير شام بقفرة تجر بها الأذيال صيفية كدر

وانفضحت عيناه بالعبرة، فقلت: مه.

فقال: إني جلد، وإن كان مني ما ترى، ثم انصرفنا، فوالله ما رأيت أشد صباية ولا أحسن صبراً منه، وكان آخر العهد به، وله أشعار كثيرة.

فمن أطفها القصيدة الحائية التي أولها :

أمزلتني مي سلام عليكما على النأي والنأي يود وينصح

ومنها :

ذكرتك إذ مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرب وتنصح^(٢)

من المؤلفات الرمل أدما بحجرة شعاع الضحى في متنها يتوضح

رأينا كأننا عامدون لصيدها ضحى فهي تنبوتارة وتزحزح^(٣)

هي الشبه اعطافاً وجيداً ومقلة ومية أبهى بعد منها وأملح

ومنها :

على حين راهقت الثلاثين وارعوت لذاتي فكاد الحلم بالجهل يرجح^(٤)

إذا خطرت من ذكر مية خطرة على القلب كادت في فؤادي تجرح

تصرف أهوى القلب ولا أرى نصيبك من قلبي لفيرك يمنح

(١) جرعاء: رملة مستوية لا تنبت شيئاً. القطر: سيل الماء. انظر: القاموس المحيط، مادة [جرع]، [قطر].

(٢) تشرب: تمد عنقها لتنظر إلى الشيء. الشادن: الضحى. انظر: القاموس المحيط، مادة [شرب]، [شادن].

(٣) تنبو: تتحافى وتبعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [نبو].

(٤) راهقت: بلغت من العمر. انظر: القاموس المحيط، مادة [رهق].

فبعض الهوى بالهجر يمحي فينمحي
ولما شكوت الحب كيما تبيني
بعاذًا وادلالاً علي وقد رأت
لئن كانت الدنيا علي كما أرى
ومنها :

خليلي عدا حاجتي من هواكما
الما بمي قبل أن تطرح النوى
وإن لم يكن إلا تعلق ساعة
ومنها :

خليلي عوجا من صدور الرواحل
لعل المخدار الدمع يعقب راحة
ومنها :

ولما تلاقينا جرت من عيوننا
ونلنا سقاطاً من حديث كأنه
ومنها :

إذا هبت الأرياح من نحو جانب
هوى تذرّف العينان منه وإنما

وحبك عندي يستجد ويرجح
بوجدي قالت إنما أنت تمزح
ضمير الهوى قد كاد بالجسم يبرح^(١)
تباريح من ذكراك فالوت أروح^(٢)

ومن ذا يواسي النفس إلا خليلها
بنا مطرَحًا أو قبل بين يزيلها
قليلاً فباني نافع لي قليلها

بمجهود حزوي فأبكيها في المنازل
من الوجد أو يشفي وحيّ البلابل

دموع كففنا غربها بالأصابع^(٣)
جنى النحل ممزوجًا بماء الوقائع^(٤)

به آل مي زاد قلبي هوبها
هوى كل نفس أين حل حبيبها

(١) يبرح: يتعبه ويجهده جهداً شديداً. انظر: القاموس المحيط، مادة [برح].

(٢) تباريح: تباريح الشوق: توهجه. انظر: القاموس المحيط، مادة [برح].

(٣) غَرَبَ الدمع: سيلانه دون توقف. انظر: القاموس المحيط، مادة [غرب].

(٤) الوقائع: جمع وقية: نقرة يستنقع فيها الماء. انظر: القاموس المحيط، مادة [وقع].

فصل

أخبار مالك وصاحبته جنوب

هو: مالك بن الحرب بن الصمصامة بن أحرش الجعدي ، من بني أحرش،
أخو ذي الرمة.

قال في الأنساب: هم أكبر فخذ من قحطان ، ولم يعقب أخو ذي الرمة غيره
وغير مسعود وهمام؛ وهم قبائل معروفة .

وكان مالك شجاعاً جليلاً، ذا نجدة، ولكنه مات بالعشق على نحو ثمان
وعشرين من عمره .

وجنوب هي: بنت قيس بن أصبغ بن محسن بن أحرش الجعدي ، علقها شاباً،
وسبب ذلك أنه جاء يوماً إلى أخيها الأصبغ يسترفقه إلى حي من كنانة، لحاجة
عرضت لمالك عندهم لما بينهما من الصحبة والقراية، فرأى جنوب وقد ألفت ما
عليها خلا سب^(١) أخضر شفاف، فرآها على بغتة، فوقت من قلبه، فعاد وقد
تمكن حبها منه، فأفضى بذلك إلى رجل من أصحابه، فوشى به إلى أخيها ،
وكان معروفاً بالشجاعة فحلف ليقتله إن تيقن ذلك، فضمهما يوماً مجلس وقد
أقبلت جنوب، فلم يستطع أن يكلمها وأخذته رعدة، فضمه شخص إلى صدره ،
وفطن الأصبغ فقام خجلاً، وبقي مالك مغشياً عليه.

فلما أفاق أنشد :

خَلِيلِيْ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِيْ فَادْفِنَا بِرَأْيِيْةٍ بَيْنَ الْمَقَابِرِ فَالنفِرِ
لكيما تقول العبدلية كُلمًا رأت جدثي سقيت يا قَبْرُ من قَبْرِ

وفي النزهة:

فادفنا عظامي ما بين الرايية فالنفِرِ

قال: والرايية: طريق بين نجد وتهامة تسلكه العرب، والنفِر: تربة مشهورة .
وهذه الرواية أصح وأنسب بالمعنى، وفيها بدل سقيت حيت ، ثم إن العرب نجعوا

(١) السب : السز أو الخمار أو شقة كتان رقيقة، انظر: لسان العرب ، مادة [سبب] .

نجعة وسيمة، يعني مكاناً أمطر وأعشب سابقاً ، فوقف مالك يتصفح الظعن
متخفياً حتى مرت جنوب فأخذ بخطام بغيرها وأنشد :
أرعتك إن ازمتهم اليوم نيةً وغالك مصطاف الحمى ومرابغاه
أترعين ما استودعت أم أنت كالذي إذا ما نأى هانت عليه ودائغاه
فبكت، ثم قالت: أرعى والله ولا تهون عندي ودائعه، فأطلقها ومضى في نشيده
يقول:

ألا إن ورداً دونه قلة الحمى مني النفس لو كانت تنال شرائعه
فلا أنا فيما صدني عنه طامعٌ ولا أرتجى وصل الذي هو قاطعه
وكيف ومن دون الورد عوائق واجنح حال ما أحب ومانعه
ثم انصرف ، فبات ليله قلقاً ، فلما أصبح ركب وضرب الفضاء لينزه نفسه،
فبينما هو على ماء يستريح إذ سمع شخصاً يشتكي إلى شخص ثقل رأسه وقلة سمعه.
قال له: منذ كم أصابك؟
قال: من أمس .

فقال: من هذا الهواء الذي كان بارحة أمس فإنه جنوب وهواء الجنوب ضار.
فلما طرق الكلام رأسه، قال: أي والله ولا أضر من هواها أجد، وسقط
كالمصروع، فجأوا إليه واحتملوه بعد أن قارب الفراق ، ثم مضوا به إلى الحي،
فقام ليلتين ثم قضى .

وفي النزهة: أنهم دعوا له طبيياً، فلما أبصره أنكر حاله، فدعا بشراب وسقاه.
فلما تمكن منه أنشد :

خَلَيْتُ إِنْ الْعَبْدِيَّةَ أَزْمَعْتُ على الصدِّ والهجران فاستدينا عنسي^(١)
فلا صبر لي بعد الفراقِ على الجفا ولا راحة إلا التوسد في رمسي^(٢)
فصبرٌ محبٌ عن حبيبٍ يجبه مُحالٌ وهل جسْمٌ يعيش بلا نفسٍ
ثم شهق شهقة خرجت بها نفسه.

(١) عنس الرجل : أسن ولم يتزوج.. انظر: القاموس المحيط، مادة [عنس].

(٢) الرمس : القير. انظر: القاموس المحيط، مادة [رمس].

قلت: وهذه الأبيات قد نقلتها من جزء لطيف سماه صاحبه جلاء الأذهان
في منتخب شعر قتلى الحسان .

وفي النزهة: نقلة عن ذي الرمة ، ورواه بلفظ (إن المنقرية) ، يعني : مية.
وفي لطائف الفوائد وظرائف الشوارد لابن عبد ربه: أن مالكا هذا لما قضى
اتصل نعيه بجنوب وقد قدم إليها لبن ، فلما امتصته ووقع الكلام في أذنها،
اضطربت اضطراباً خفيفاً ، ثم اضطجعت فإذا هي ميتة .

فصل

أخبار عبد الله بن علقمة وصاحبه حبيشة

هو: عبد الله بن علقمة بن زرارة، من قحطان .

وصاحبه: حبيش بنت سعد بن أسلم، من خزيمة؛ قبيلة من اليمن، ولم يذكره في النزهة ولكني رأيت في ظرائف الأخبار أن سبب اعتقاله بها أنه، أضاف أهلها، فأجلسوه في متحدث لهم، فخرجت حبيش وعلى وجهها سب أخضر، فوقفت تحلب ناقة وهو ينظر، فضرب الهواء السب فكشف وجهها ويديها، وكانت طويلة إلى الرقة واسعة الصدر، وكان وجهها البدر، فلما عاينها غاب عن حسه ساعة ثم عاوده الشعور فسكت خيفة أن يظهروا على حاله، ثم جاءت إليه باللبن ليشرّب، فلما تناوله ارتعد حتى سقط من يده، ففطنت لما به، وكان شاباً كأنه القمر فداخلها ما داخله، ولم يكونا متقاربين في المنزل؛ لأنهما من فخذين^(١)، فافترقا على ما داخلهما من الهوى. وإن الغلام أرسل أمه بهدية إليها وتبعها وأقاما عندها، فلم يزل كذلك يذهب مع أمه ويعود إليها أياماً، وكان في أوائل الهجرة، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى جذيمة وعليهم خالد بن الوليد، فصادفوا العرب ظاعنين، ورأوا عبد الله وراء القوم يسوق قلوصاً له، فأمسكوه، وعرضوا عليه الإسلام، فقال: وما هو؟

فقالوا: كذا وكذا .

فقال: أرايتم إن لم أسلم فما أنتم صانعون؟

قالوا: نضرب عنقك .

فقال: هل لكم أن تتركوني أمضي إلى الظعن؟

قالوا: بلى، ونحن في أثرك .

فمضي يتصفح الهوادج حتى وقف على هودج حبيش، فنادها: أسلمي،

فقد نفذ العيش . وفي رواية: انقطع .

فقالت حبيش: أو أسلم عشرًا أو تسعًا وترًا، أو ثمانيًا أو ثلاثًا تترًا، على

الخلافة في السيرة والمستدرك والتهديب .

(١) الفخذ: قال ابن الكلبي: الشعب أكرمه القبلية ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ.

ثم أنشد :

أرَيْتُكَ إن طالبتُكم فوجدتُكم
ببرزةٍ أو أدركتُكم بالخوانقِ
أما كان حقاً أن ينولَ عاشقٌ
تكلّف إدلاج السرى والودائق^(١)
فإني لا سِراً لذي أضعتُهُ
ولا راقٍ عيني بعد وجهك رائقٌ
على أن ما ناب العشيّة شاغلٌ
ولا ذكرٌ إلا أن يكون توامق^(٢)
فها أنا مأسور لذيك مكبلٌ
وما إن رأني بعدها اليوم ناطقٌ
فأجابته:

أرى لك أسباباً أظنك مخرجاً
بها النفس من جنبي والروح زاهقٌ
فأجابها:

فإن يقتلونني يا جيش فلم يدع
هواك لهم مني سوى غلّة الصدر^(٣)
فأنت التي قفلت جلدي علي دمي
وعظمي واسبلت الدموع على النحر
فأجابته:

ونحن بكينا من فراقك مرة
وأخرى وقاسينا لك العسر باليسر
فأنت ولا تبعد فنعم أخو الندى
جميل المحيا في المروءة والبشر
وفي رواية بعد قوله: تكلف ادلاج السرى والودائق:

فلا ذنب لي قد قلت أنا هنا معاً
أثبي بود قبل أخذ الصفائق^(٤)
أثبي بود قبل أن يشحط النوى
وتنأى الليالي بالحبيب المفارق

ثم ضربه غلام فأطار يده، وقدم فضربت عنقه .

وقيل: أوثقوه أولاً حين أدركوه ، وإنه رأى رجلاً منهم، فقال له: أما

تستطيع أن تعرضني على النساء قبل أن تقتلوني؟

(١) إدلاج السرى : السير ليلاً. الودائق: جمع وديقة: شدة الحر. انظر: القاموس المحيط، مادة [سرى]، [ودق].

(٢) توامق : شدة الحب. انظر : لسان العرب، مادة [ومق] .

(٣) غلّة الصدر: حرارة الحب . انظر: القاموس المحيط، مادة [غلل].

(٤) الصفائق: الركاب الجائية والذاهبة . انظر: القاموس المحيط، مادة [صفق].

فقال: سهل ما طلبت ، وعلى كلا الأحوال أنهم قتلوه، وأنها نزلت حين رأت ذلك، فقبلته، وشهقت شهقة أو شهقتين فماتت .
ولما أخبروا رسول الله ﷺ بذلك قال: أما كان فيكم رجل رحيم .
وفي نديم المسامرة للمقدسي: أن عبد الله هذا ، حين فشا أمره مع حبيش، قالوا لأمه: إن ولدك قد تولع بهذه، وليست من حيكم ، فاعرضي عليه نساءكم لعله يشتغل بواحدة منهن عنها ، ففعلت فقيل له ما ترى فيهن قال حسناً وجمالاً، فقيل: أيما أحسن هن أم حبيش؟ فتنفس الصعداء ثم قال: ماء ولا كصداء^(١) ، ومرعى ولا كالسعدان، فمضى مثلاً في العرب .

(١) الصدأء : عين الماء أو بئر . انظر: لسان العرب ، مادة [صدأ] .

فصل

أخبار نصيب وصاحبه زينب

هو: ابن محجن نصيب بضم النون وفتح الصاد المهملة، الشهير بالشاعر الزنجي، مولى راشد ابن عبد العزى من كنانة .

وصاحبه أم بكر: زينب بنت صفوان بن غازي ، كنانية في الأصح وليست زنجية كما زعم .

وسبب الوصلة بينهما: أن نصيباً كان يرعى إبلاً لمولاه ، وكانت رعاة مولاه تحالط رعاة صفوان ، في المبروك بوادي البوار ، وكانت زينب تأتي رعاة أبيها فتأخذ لبناً ، وأن نصيباً تولع بيري القسي^(١) ، وإراشة^(٢) السهام وحجم الأوتار، فبرع في ذلك حتى اشتهر في أحياء العرب ، وكان يجلس لفعل ذلك وتذهب الرعاة، فتقوم عنه بالخدمة، وتتخلف الحلوب من النوق في المعاطن^(٣)، فتأتي زينب وهي جارية صغيرة فتأخذ اللبن ، فينظرها، وكان حاذقاً حسن التأمل في دقائق المحاسن ولطائف الشمائل ، وهي من ذلك في أرفع المراتب ، فنشأ عنده من حبها ما غير باله ، وأشغل حاله، فشئب بها، ونشأ ذلك فأتت العرب مولاه . فقالت: إن عبدك هذا قد برع في الشعر ، ونخشى أن يهجو أحدنا ويشبب بنسائنا ، وليس لنا في إحدى الخلتين جيزة.

فقال له مولاه: إني بائعك، فانظر لنفسك ، فأقبل حتى دخل على الأمير وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان.

فأنشد :

لعبد العزيز على عزته وغيرهم من ظاهره
فبابك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامره
وكلبك أرأف بالزائرين من الأم بالابنية الزائره

(١) القسي : جمع قوس الحواجب التي على شكل قوس ، لسان العرب ، مادة [قوس] .

(٢) إراشة السهام : سنها. انظر: القاموس المحيط، مادة [راش] .

(٣) المعاطن: جمع معطن: مبرك الإبل ومريض الغنم حول الماء. انظر: القاموس المحيط، مادة [عطن] .

وكفك حين تري السائلين لأثري من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومننا الثناء بكل محبرة سائره
فأمر له بألف دينار .

فقال: أصلحك الله إني عبد، لا آخذ الجوائز ولكن أباغ .
فقال لخادمه: امض به إلى باب الجامع فإذا انتهت الرغبات فيه فأخبرني،
فمضى، فلما نودي عليه بذل فيه شخص خمسين ديناراً .
فقال نصيب: قولوا: يُحسن كذا وجعل يعدد صنائعه وهو يوفي بها حتى
انتهى إلى ألف دينار .

فأخذه الأمير فكان في خدمته إلى أن توفي، فأوصى به سليمان بعد أن أعتقه
على ما ذكر بعض المعتنين بذكر محاسن الحبش والزنج ، فكان من أكبر سماره،
وكان يلهج بالعشق .

وقال ابن فاتك في محاسن العبيد: إن سليمان استخفى ليلة فسمع نصيباً وقد
استخلى بنفسه يكي ويقول متمثلاً بكلام المجنون: قضاها لغيري ... البيت.
فاستحضره فقال: ما هذه التي قضاها لغيرك وابتلاك بحبها، أو عاشق أنت؟
قال: إي والله - جعلت فداك - من العشق .

فقال: ولمن؟

قال: لجارية في كنانة علقتها فمنعت منها لقلة حسي، وحقارة نسبي عند
العرب، فكنت أجلس في ممرها لأخالسها النظر وفي ذلك أقول :

جلست لها كيما تمرّ لعني أخالسها التسليم إن لم تسلم
فلما رأني والوشاة تحذرت مدامعها خوفاً ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ما كنت اشري حياة جميع العاشقين بدرهم

فوعده سليمان بتزويجها .

ففي النزهة ومحاسن العبيد لابن فاتك: أنه زوجه بها، وأقام معها، وأنها
توفيت عنده في خلافة سليمان .

وقيل: إنه تزوج بها على يد اليزيد بن الوليد، وما ذكره هنا من أن يزيد
استخبره: هل عشقت؟ فقال: نعم عشقت جارية حمراء؛ يعني من البيض، ومنعت

منها مدة، فلما توفي من كان يمنعها كتبت إليها :

فإن اك حالكًا فالمسك لوني وما لسواد جلدي من دواء
وبي كرم عن الفحشاء ناء كبعد الأرض عن جو السماء
ومثلي في رجالكم قليل ومثلي لا يرده عن النساء
فإن ترضى فردي قول راض وإن تأبى فنحن على السواء

فقالت: المال والعقل يغطيان غيرهما لو تزوجتني ؛ يدل على أن ليس ليزيد في تزويجها شيء . وقيل: إنه تزوجها على يد ابن أبي عتيق .

وفي تسريح النواظر: أنه لم يتزوجها وأنها اعتذرت حين أرسل إليها بأن العرب تعيرها بزواج الزنجي، والمتواتر خلاف ذلك.

أخبر التنوخي والتوزي كلاهما عن ابن الجزار بسنده إلى العتيبي. قال: شهدت هوادج مزينة حين نزلنا إلى مكة ، فلما نزل الحاج خرج من أعظمها هودجا، امرأة وقد مهد لها مهاده، فجلست، وأقبل زنجي حتى جلس إلى جانبها، فمر سائق إبل وهو يقول:

بزينب ألم قبل أن يدخل الركب وقل إن قملينا فما ملك القلب

فوثبت المرأة ، فضربت الذي إلى جانبها وقالت: قد فضحتنا، فسألنا عنهما، فقبل: هي زينب وهو نصيب.

ونحوها عن الزبير عن الخزامي وعن ابن خلف وابن الجوهري في أخبار السودان وكل يصف المرأة بالبياض ماعدا الأول فإنه قال: إنها زنجية .

وعن ابن خلف من طريق آخر، بينا نحن في الركب إذا بزنجي يمشي وإلى جانبه امرأة كأنها البدر والمسك يسطع منهما، فقلت له: من أنت؟

قال: أنا الذي أقول :

ألا ليت شعري ما الذي هو حادث غدا غربة النأي المفرق والبعد

لدى أم بكر حين يقذفها النوى بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي^(١)

أتصرمني عند الذين هم العدا فتشتمهم بي أم تدوم على العهد^(٢)

(١) الكاشحون: الذين يضمرون العداوة. انظر: القاموس المحيط، مادة [كشح].

(٢) أتصرمني: أتقاطعني. انظر: القاموس المحيط، مادة [صرم].

فصاحت المرأة: لا والله بل ندوم على العهد .
وتوفي نصيب سنة ثلاث عشرة ومائة، وقيل: إحدى عشرة .
وفي كتاب ابن الجوهري: كانت وفاته تاسع شوال من السنة المذكورة ،
وقيل: توفيت قبله ورؤي باكيًا عليها وهو يقول :

أيا دهر ما هذا لنا منك مرة عشرت فأقصيت الحبيب المحببا
وأبدلتني من لا أحب دنوّه واسقيتني صابًا من العذب مشربا

ومن لطائف شعره :

كسيت ولم أملك سوادًا وتمتته
وما ضرّ أثوابي سواد وإنني
ولا خير في ودّ امرئ متكاره
إذا المرء لم يبذل من الود مثله

قميص من القوهي بيض بنائقه^(١)
لكالمسك لا يخلو عن المسك ناشقه
عليك ولا في صاحب لا توافقه
بعافية فاعلم بأنني مفارقه

ومنها :

وما في الأرض أشقى من محب
تراه باكيًا أبدًا حزينًا
فيكي إن نأوا شوقًا إليهم
فتسخن عينه عند التثائي

وإن وجد الهوى حلو المذاق
مخافة فرقة أو لاشتياق
ويكي إن دنوا خوف الفراق
وتسخن عينه عند التلاقي

(١) القوهي: قميص ينسب إلى منطقة قوهستان في غيران وقد ورد ذكره في الشعر الجاهلي
وانظر ذلك في فهرس ألفاظ الفارسية المعربة مادة [قوهي] . بنائقه: جمع بنيقه : رقعة تزداد في
نحر القميص لتوسيعه. انظر: القاموس المحيط، مادة [بنق].

فصل

أخبار المرقش وصاحبته أسماء

هو: عمرو أو عوف بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة بن ربيعة ، أعلى قبائل طيء، ولد باليمن قبل خروج ربيعة، ثم انتقلوا إلى العراق، فنشأ بها، وله أخوان: أنس وحرملة ، رفعهم أبوهم إلى نصرانيّ بيغداد يتعلمون الكتابة ، وكان سعد والده يرى دين النصرانية ، ومات فقام عمرو مقامه في العرب ، فكان شجاعاً مهأباً في العرب .

خرج يوماً وقد قطع وادي نجران بأسد ونمر، فلم يطق أحد أن يمر منهما، فلما رأى عمرو الأسد وثب عليه فراوغه ، ووثب فصار على ظهره، فأمسك أذنيه مستتباً، ثم دق رأسه وسلخ جلده، فلما أحس بالنمر التف في جلد الأسد وناما رافعا سيفه فوثب النمر لينزل عليه فتلقاه بالسيف ثم سلخه وأخذ جلده عليه، وأقبل على العرب، فسموه المرقش .

وقيل: سمي بذلك لقوله:

الدار قفر والرسوم كما رقص في ظهر الأذني قلم

ومن ولد أخيه حرملة، رجل دعته العرب بالمرقش الأصغر لشبهه ذاك .
وأسماء، هي: بنت عوف بن سعد بن مالك أيضاً ، وكان عمرو قد ألفها من التربية صغيرين فخطبها إلى عمه فأنعم، ومضى عمرو إلى جار الفلاة فمدحه ، وحظى عنده فأمسكه مدة وإن الغلاء وقع بالبادية، وطرقها جذب فقدم مرادياً على عوف فخطب أسماء فزوجه بها على مائة ناقة، واحتملها إلى قومه.
وعمدوا إلى عظام كبش فذبجوه، ودفنوا عظامه، وصيروها قبراً ، فلما قدم عمرو، أخبروه أنها ماتت، وأروه القبر، فلزمت حتى ضني وتغير حاله.
فبينما هو يوماً منتحباً إذ سمع ولداً قد اقتتل مع آخر على كعب ، يقول هذا :
أخذته من عظام الكبش الذي دفن ، وقيل لعمرو إنها أسماء، فدعاه وسأله الخبر، فحين عرف ذلك دعا بزوج ابنته وسارا في طلب المرادي .
فقيل: إن إخوته شعروا به، فردّوه فمات.

وتضافرت الأخبار بأنه وصل إلى واد بقرب مراد وقد ثقل في المرض، فقال زوج ابنته لها: اتركيه واذهي بنا فقد أجهدنا ، فلما سمع ذلك كتب على مؤخر الرجل :

يا صاحبي تلبثنا لا تعجلا إن الرواح رهين أن لا تفعل
 فلعل لبثكما يقرب بيننا أو بسبق الاسراع سيبا مقبلا
 يا راكبا ما عرضت لبلغن أنس بن سعد إن لقيت وحرملا
 لله دركمما ودرأيكمما لا يفلت العبدان حتى يقتلا
 من مبلغ الأقسام إن مرقشا أضحي على الأصحاب عيا مثقلا
 وكأفما ترد السباع بشلوه إذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا^(١)

فلما رأى أخواه الكتابة ، قتلا الرجل والمرأة .

وأما عمرو فحين ذهب عنه بقي مطروحا فأوى إلى غار هناك وكان يألفه راع من مراد، فبينما هو به إذا هو بغنم وراعيها ، فلما بصر به الراعي قال له: من أنت؟ قال له المرقش أن رجل من مراد فراعى من أنت ؟ فأعلمه باسم الذي هو عنده، فإذا هو زوج أسماء .

فقال له: تكلم مولاتك؟ قال: لا، ولكن تأتيني جارية من عندها لأخذ اللبن . قال في النزهة: وكانت أسماء قد مرضت أيضا شوقا إليه، فلم تغتذ إلا بقدح من لبن في اليوم ، فنزع عمرو نحامه، وقال للراعي: ألقه في القدح، فستصيب به خيرا . فلما رآته دعت الجارية فأخبرتها أن لا علم لها فنادت زوجها وأخبرته القصة فاستحضر الراعي ، فلما عرفه ركب وأركب زوجته فأدركوا عمرا وبه رمق فاحتملوه عندهم ، فمات .

وقيل أنشد عند موته :

سما نحوي خيال من سليمي فأرقني وأصحابي هجود^(٢)
 فبت أدير أمري كل حال وأذكر أهلها وهم بعيد

(١) شلو: أعضاء الإنسان بعد البلى والتفرق. انظر: القاموس المحيط، مادة [شلا].

(٢) هجود: نائمون. انظر: القاموس المحيط، مادة [هجد].

على أن قد سما طرفي لنار
حواليها مهابيض التراقي
نواعم لا تعالج بؤس عيش
يرحن مفا بطاء المشي رودا
سكن بلدة وسكنت أخرى
فما بالي أفي ويخان عهدى
ورب أسيلة الخدين بكر
وذي أشر شنيب النبت عذب
لهوت بها زمانا في شبابي
أناس كلما أخلقت وصلأ
وله :

أغالبك القلب اللجوج صباية
يهيم ولا يعني بأسماء قلبه
وشوق إلى أسماء أم أنت غالبه^(٥)
لدات الهوى امراره وعواقبه

وعلى قوله: راكبًا (البيتين) ، أورد المصنف الحكاية المشهورة دليلاً على ذكاء العرب، وأسندها إلى مجهول.

وأصلها: قال في روضة القلوب: إن أسامة بن غسان بن حارث الكناني قتل أبوه صبوا في تميم ، فخرج يستجيش له نصرة، وذلك قبل يوم أواراة بأعوام يسيرة، فلما طال عليه المدى وقد صحب عبدين لخدمته لحقته علة، فعزما على قتله ، فلما أحس ذلك، قال لهما: هل أنتما مبلغا ابني هذين البيتين، قالوا: وما هما؟

(١) الأرتى: شجر ثمره كالغراب. انظر: القاموس المحيط، مادة [أرط].

(٢) آرام: حجارة يهتدى بها في المفازة. انظر: القاموس المحيط، مادة [أرم].

(٣) أشر: تحزير في الأسنان. شنيب: أبيض الأسنان حسنها. انظر: القاموس المحيط، مادة [أشر]، [شنب].

(٤) النجائب ، جمع نجيب : الفاضل النفيس في نوعه. انظر: القاموس المحيط، مادة [نجب].

(٥) اللجوج : المضطرب. انظر: القاموس المحيط، مادة [لجج].

قال: تقولان :

ألا يا بنات الحيّ إن أباكما لله دركما ودر أباكما

فلما أتيا الحيّ أخبرا بموته ، فقالوا: هل أوصي بشيء؟

فقالا: لا ضرر علينا فيما ذكره، وذكرنا لهم القول .

فقالت: إحدى بناته اقتلوا العبدین فقد قتلأ أبي .

فقالوا: ومن أين لك ذلك؟

قالت: إن هذا الكلام سفه وهدر، وقد كان مصوناً عن ذلك، وإنما كنتم

عنهما تكملة البيتين.

والأصل :

ألا يا بنات الحيّ إن أباكما أضحي قتيلاً في التراب مجندلا

لله دركما ودر أباكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستخبروهما فأقرا بالقصة .

قلت: وفي البيت خزم^(١) بالحرف الأول، وهو عيب مشهور سائغ الاستعمال

في الصناعة .

وقوله: (بنات الحيّ) ، ثم عدل إلى التثنية في قوله: (إن أباكما) جرياً على

الغالب في خطاب العرب فإنهم يستعملون التثنية في موضع الجمع والإفراد .

قال ابن النحاس: وأصل ذلك: أن البدوي كان أكثر ما يكون مع راعيه

ورقيقه، أو أنه نزل ابنتيه منزلة الجمع تعظيماً ، ثم عاد إلى أصله.

وقد حكى في شرح العبدونية هذه القصة عن المهلهل ، وقال في صدر البيت

الأول (من مبلغ الأقسام أن مهلهلاً) والباقي على حكمه .

(١) خزم: زيادة حرف أو أكثر في أول بيت الشعر. انظر: لسان العرب مادة [خزم] .

فصل

أخبار عتبة بن الحباب وصاحبته ريا

هو: عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري .

وصاحبته هي: ريا بنت الغطريف السلمي ، علقها بمسجد الأحزاب يوم
متنزه ، وأصل ذلك: أن عبد الله بن معمر القيسي حين دخل المدينة قال: بينما
قد زرت رسول الله ﷺ ليلاً، وجلست إذا أنا بشخص ينشد بصوت شجي ولا أراه:

أشجاك نوح حائم الصدر فاهجن منك بلا بل الصدر^(١)
ياليلة طالت على دنف يشكو الفراق وقلعة الصبر
أسلمك من تهوى حرّ جوى متوقد كتوقد الجمـر
ما كنت أعلم اني كلف حتى تلفت وكنت لا أدري
فالبدر يشهد اني كلف مغري بحب شبيهة البدر

وفي رواية صاحب الأصل تقديم هذا ، وصدر الذي قبله:

ما كنت أحسب اني شجن

فتبعت الصوت فرأيت شاباً حرقت الدموع خدّة ، فقال لي: اجلس أحدثك ،
أنا فلان ، كنت يوماً بمسجد الأحزاب إذا بنسوة يتنزهن ، فيهن جارية لم أر
مثلها ، وقفت عليّ وقالت: ما تقول في وصل من يطلب واصلك؟ ثم مضت،
فلم أعرف خبرها ، ثم غشي عليه ساعة فلما أفاق أنشد :

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة تراكم تروني في القلوب على البعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم وعندكم روعي وذكركم عندي
ولست ألد العيش حتى أراكم ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

فشرعت في تسليته ، فقال: هيهات أو يؤوب القارظان، مثل مشهور، أصله
أن أخوين خرجا يجتنيان القرظ، نبت معروف، فلم يعلم لهما خير.
قال عبد الله: فلما طلع الصبح، قلت له: قم بنا إلى مسجد الأحزاب.

(١) السدر: شجرة النبق. أهجن: من هاجن: إذا حركه وأثاره. انظر: لسان العرب، مادة [سدر]، [هيج].

فأنشد :

يا للرجال ليوم الاربعاء أما
ما أن يزال غزال فيه يظلمني
ينفك يحدث لي بعد النوي طربا
يهورى إلى مسجد الأحزاب منتقبا
يخبر الناس أن الأجر هيمه
أو أنه طالب للأجر محتسبا^(١)
لو كان يبغى ثوابا ما أتى ظهرا
مضمخا بفتيت المسك محتضبا^(٢)

فمضينا إلى المسجد فحين صلينا الظهر أقبل النسوة ولم نر الجارية فيهن .

فقلن له: ما ظنك بطالبة وصالك .

فقال: وأين هي ؟

قلن له: مضى بها أبوها إلى السماوة .

فأنشد :

خليبي ربا قد أجد بكورها
وسارت إلى أرض السماوة غيرها
خليبي قد غشيت من كثرة البكى
فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له: قد وردت بمال جزيل أريد به الحج ، وقد عزمت على أن أبذله في حاجتك فهل لك أن تسير معي إلى قومها وأبيها ، فقال: نعم، فسافرنا إلى أن وافينا أباهما ، ففرش لنا الأنطاع^(٣) ونحر لنا النحائر ، فحلفنا ألا نأكل له طعاما أو يقضي حاجتنا .

فقال: اذكروها فأعلمناه بخطبة عتبه .

فقال: من عتبه ؟

فقلنا: من الأنصار .

قال: ذاك إليها .

فقلنا له: أخبرها ، فدخل عليها وأعلمها فشكرت^(٤) عتبه .

فقال: قد نمتي^(٥) إليّ أمرك معه وأقسم لا أزوجك به .

(١) هيمه: من هامة: إذا طلب لنفسه شيء واهتم لها. انظر: لسان العرب، مادة [هيم].
(٢) فتيت: من فت الشيء، إذا كسره بأصابعه إلى قطع صغيرة. انظر: لسان العرب، مادة [فتت].
(٢) الأنطاع ، جمع نطع : بساط من الجلد يفرش للجلوس عليه. انظر: لسان العرب، مادة [نطع].
(٤) شكرت : أى لثنت عليه. انظر: لسان العرب، مادة [شكر].
(٥) نمتي : أى وصل إليه. انظر: لسان العرب، مادة [نمتي].

فقالت: إن الأنصار لا يردّون ردًا قبيحًا فإن كان ولا بد فأغلظ عليهم المهر .

فقال: نعم ما أشرت به ، ثم خرج .

فقال: قد أجبت ولكن على ألف دينار وخمسة آلاف درهم هجرية^(١) ومائة

ثوب من الإبراد والخز وخمسة أكراس^(٢) من العنبر . فضمننا له ذلك وقلنا له: إذا أحضرناها أجبت .

قال أجبت: فأحضرنا ذلك ، فأولم أربعين يومًا ثم أخذناها ومضينا ، فحين

قاربنا المدينة خرج علينا خيل كثيرة حسبناهم بأمر أبيها فقاتلناهم زمانًا ،

فجاءت طعنة في نحر عتبة فسقط ودمه يفعور ، فجاءتنا النجدة فإذا هو ميت

فحين علمت الجارية بموته جاءت حتى انكبت عليه .

وأنشدت :

تصبرت لا اني صبرت وإنما أعلل نفسي أنها بك لاحقه

ولو انصفت روعي لكانت إلى الردى أمامك من دون البرية سابقه

فما أحد بعدي وبعذك منصف خيلًا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة فماتت، فواريناها معًا . قال عبد الله: فأقمت سبع سنين

ثم رجعت إلى زيارة النبي ﷺ فقلت: لا أبرح أو أزور عتبة ، فجئت فإذا أنا

بشجرة عليها ألوان من الورق قد نبتت على القبر ، فسألت عنها، فقالوا: شجرة

العروسين .

(١) هجر : هي في عرف سكان الجزيرة ، المدينة المنورة واشهرها هجر البحرين .

(٢) أكراس: من كرس الشيء، إذا تلبد بعضه إلى بعض . انظر: لسان العرب، مادة [كرس] .

فصل أخبار الصمة وصاحبته ريا

هو: أبو مالك الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيري التغلبي، من بني ربيعة، كان أديباً شجاعاً عارفاً بأيام العرب ووقائعها ومواضعها وكثيراً ما يسند إليه ابن دريد والأصمعي، قال: ابن الفوار والوزير إنه أدرك أوائل الإسلام. وريا هي: بنت مسعود بن رقاش أيضاً، كانت ذات ظرافة وفراصة ومعرفة وحسن نشأت مع الصمة صغيرين وكانا يتذاكران الأدب وملح الأشعار فأعجب بها وتمكنت منه ولم يكن عندها منه مقدار ما عنده منها، فلما شكها ما يجد منها إلى بعض أصدقائه أرشده إلى تزوجها، فخطبها إلى عمه، فأنعم على مائة من الإبل، فمضى الصمة إلى أبيه فأعطاه تسعاً وتسعين، فأبي مسعود إلا التمام، وعبد الله إلا ذلك، وحلف كل على ما قال، وأوقفوا الأمر، فحملت الصمة الأنفة على أن خرج عنهما إلى العراق.

فقال الريا: ما رأيت رجلاً أضاعه أبوه وعمه بغير إلا الصمة لما عندهما من العلم بحبه لها، فلما طال عليه الأمر وتنازعه الشوق والشهامة المانعة له من العود بلا طلب مرض حتى أضناه السقم، وقيل: أتى كاهناً بالعراق، فسأله: عما أضمر، فأخبره أنه لا يتزوج بها أبداً، فضعف، والصحيح كما حكاه صاحب قوت القلوب في أخبار الحب والمحبوب، أنه قدم رجل يقال له غاوي بن رشيد بن طلبة المذحجي على مسعود، فخطب منه ريا وأمهرها ثلثمائة ناقة برعاتها، فزوجه بها فحملها إلى مذحج^(١) فبلغ الصمة ذلك فلزم الوساد^(٢) وطال أمره فدخل عليه رجل كان يألفه فعنفه وسلاه.

فأنشد:

أمن ذكر دار بالرقاشين أعصفت به بارحات الصيف بدأ ورجعا

(١) مذحج: قبيلة يمانية الأصل اشتهرت بالبصرة في العصر الإسلامي. انظر: معجم قبائل العرب.
(٢) الوساد، جمع وسادة: المخدة، وهو كناية عن كثرة النوم لما به من المرض. انظر: القاموس المحيط، مادة [وسد].

حننت إلى ربا ونفسك باعدت
 فما حسن أن يأتي الأمر طائعا
 مزارك من ربا وسعيًا كما معا
 وتجزع أن داعي الصباية اسمعا
 كأنك لم تسمع وداع مفارق
 ولم تر شعبي صاحبين تقطعا^(١)
 بكت عيني اليميني فلما زجرتها
 عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا^(٢)

الرقاشين: اسم واد بين نجد واليمن كانت تنزله بنو ربيعة ، والبارحات: رياح معلومة صيفية تستبشر بها العرب، والضمير يعود على الوادي .
 وفي قوت القلوب: أعصفت بها ساحنات الصيف، يريد بالدار ، والساحنات أيضاً: رياح لكنها لا تخص الصيف فيشكل التعيين هنا، وقوله وشعبا كما معطوف على قوله :

ونفسك باعدت

يريد أن السعي والنفس ابعدها عن المحبوبة، وغلط في قوت القلوب حيث أعرب وشعبيكما نصباً بالياء على أنه معمول (باعدت) عطفاً على (مزارك) .
 وقوله:

فما حسن أن يأتي الأمر . وبكيت عيني اليميني
 البيتين قد استعارهما المجنون وباقي الشعر واضح ويقال: إن في القصيدة طولاً:
 ولما رأيت البشر أعرض دونا
 وجالت بنات الشوق تحتي نزعاً
 تلفت نحو الحي حتى وجدته
 رجعت من الإصغاء ألوي وأجزعا^(٣)
 وأذكر أيام الحمي ثم أنثيني
 على كبدي من خشية ان تصدعا
 فليست عشيات الحمي برواجع
 عليك ولكن خل عينيك تدمعا
 أما وجلال الله لو تذكروني
 كذكراك ما كفت للعين مدمعا
 فقالت بلي والله ذكرى لو أنه
 تضمنه صم الصفا لتصدعا

(١) شعبي، الشعب: الطريق في الجبل. انظر: لسان العرب، مادة [شعب].

(٢) اسبلتا، من اسبل الدمع، أى أرسله. انظر: لسان العرب، مادة [سبل].

(٣) ألوي، من لوى، إذا أكثر التمنى. انظر: لسان العرب، مادة [لوى].

ولما طالت عليه دعا له صاحبه العراقي بطبيب حاذق ، فلما تأمله قال: إنما يشكو العشق لا غيره وأرى أن يلزم النزهة والفرح بنحو البساتين ليتشاغل عما هو فيه، فأخرجه صاحبه مع بعض الخدم إلى الثغور ، فبينما هو يوماً على شاطئ نهر وقد جدّ به الكرب إذ سمع امرأة تنادي ابنتها يا ريا فسقط مغشياً عليه، فاحتملوه إلى بستان هناك وأضجعوه.

فلما أفاق أنشد :

تعز بصبر لا وجدك لا ترى سنام الحمى إحدى الليالي الغواير^(١)
كان لساني من تذكري الحمى وأهل الحمى يهفو به ريس طائر

ولم يزل يرددّها حتى قضى ، ولما وصل خبره إلى ريا داخلها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب وجعلت تبكي حتى ماتت.

ومن لطيف شعره قوله:

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى ولا جبل الآمال إلا استهلت^(٢)
ألا قاتل الله الحمى من محلة وقاتل دنيانا بها كيف ولت
غينا زماناً باللوى لم أصبحت براق الهوى من أهلها قد تخلت
لما وجد اعرابية قدقت بهاصروف اللوى من حيث لم تك ضنت
تمنت أحاليب الرغاء وخيمة بنجد ولم يقدر لها ما تمنت^(٣)
إذا ذكرت نجد وطيب ترابها وبرد الحصى من أرض نجد أرنت^(٤)
ومنه :

أرى الدهر بالتفريق والبين مولعا وللجمع ما بين المحبين آيبا
فأف عليه من زمان كأنني خلقت وإياه نطيل التعايدا

(١) سنام: حذبة في ظهر البعير، ويطلق على أعلى مافى الشيء. الحمى: من لا يحتمل الضيم، أو هو الآيب ذو الأنفة. الغواير، جمع الغاير: الماضي. انظر: لسان العرب، مادة [حمى]، [غبر].
(٢) قلل، جمع القلة: وهو أعلى كل شيء. انظر: لسان العرب، مادة [قل].
(٣) الرغاء: هو رغوّة اللبن ونحوه. انظر: لسان العرب، مادة [رغا].
(٤) أرنت: من رنا إليه، إذا حن إليه. انظر: لسان العرب، مادة [رنا].

فصل

أخبار كعب وصاحبته ميلاء

هو: أبو خثعم كعب بن مالك أو عبد الله أو خثعم بن أبي بن رباح بن ضمرة، طائي من عرب الحجاز يعرف بالمخبل، وكان جواداً سخياً شجاعاً، مألوف الصورة.

وميلاء: هي بنت لأبي بن رباح، أصغر أخواتها، كانت أجمل نساء الحجاز، وكان كعب قد خطب إلى عمه أخت ميلاء، وكانت تسمى أم عمرو فزوجه بها فشغف بها شديداً وألفها طويلاً، وإنه دخل عليها يوماً فوجدتها قد نضت ما عليها وهي عريانة، فسرتة حين نظر إليها، فقال: أنشدك الله هل تعلمين امرأة أحسن منك؟ فقالت نعم أختي ميلاء، فقال: ومن لي بأن أنظرها، فأخبأته وأرسلت إليها فحضرت، فلما رآها وقعت من قلبه موقعاً أدى إلى زوال عقله من العشق، فانطلق في طلبها، فاستعرضها وشكا إليها مالقى في حبها فأعلمته أنها أعظم من ذلك في حبه، وشعرت أختها فتبعتهما فرأتها يتشاكيان المحبة، فمضت إلى أخوتها وكانوا سبعة فأخبرتهم بذلك؛ وقالت: إما أن تزوجوا كعباً من ميلاء، أو تغيبوها عني.

فلما علم بمعرفة إخوتها به هرب إلى الشام فمكث بها أياماً، وإن شامياً خرج يريد الحج فضلت به الطريق فاسترشد امرأة وكانت بالتقدير المحتوم ميلاء وإلى جانبها أختها.

فأنشد الشامي متمثلاً:

أبي كل يوم أنت من بارح الهوى إلى الشم من أعلام ميلاء ناظر^(١)
بعمشاء من طول البكاء كأنما بها حرّ نار طرفها متحادر^(٢)

(١) الشم، مفرد الأشم: ذو الأنفة والكرم. أعلام: جمع علم، وهو السمة والأمارة. انظر: لسان

العرب، مادة [شمم]، [علم].

(٢) بعمشاء: من عمشت العين: إذا ضعف بصرها من كثرة البكاء. متحادر: من تحدرت العين

الدمع: إذا سكبته. انظر: لسان العرب، مادة [عمش]، [حدر].

قنى المنى حتى إذا قلت المنى جرى واكف من دمعها متبادر
كما ارفض سلك يعد ما ضم ضمة بجيظ الفتييل اللؤلؤ المتناثر

قلت: وهذا الشعر قاله كعب حين علق ميلاء قبل وقوعه إلى الشام، والمصنف تبع الشيزري في أنه قاله بالشام، وأصل الحال غلط الشيزري في قوله (الشم) فإنه قرأها (إلى الشام) بدليل أن الشامي لما أنشد الشعر سألته: ممن الرجل؟ قال: من الشام.

قالت: أو تعرف صاحب الشعر.

قال: هو أعرابي اسمه كعب، مع أنه يحتمل أن معرفتها من ذكر اسمها ويكون ما ذكر صحيحاً. ولما أخبرها باسم الأعرابي أقسمت عليه أن لا يبرح حتى ينظره إخوتها فإنهم يكرمونه، ثم سألاه: هل تروي له غير ذلك، قال: نعم. وأنشد:

خليلي قد رصت الأمور وقستها	بنفسي وبالفتيان كل مكان ^(١)
ولم أخف يوماً للرفيق ولم أجد	خلياً ولا إذا البث يستويان ^(٢)
من الناس إنسانان ديني عليهما	مليان لو لا الناس قد قفياني ^(٣)
منوعان ظلامان ما ينصفاني	بدلهما والحسن قد خلباني ^(٤)
يطيلان حتى يعلم الناس أنني	قضيت ولا والله ما قضيتاني
خليلي أما أم عمرو فمنهما	وأما عن الأخرى فلا تسلاني
بلينا بهجران ولم ير مثنا	من الناس إنسانان يهتجران
أشد مصافة وأبعد عن قلبي	واعصى لواش حين يكتفان

(١) رصت: من رصا الشيء: إذا أحكمه وأتقنه. قستها: من قاس الشيء إذا قدره. انظر: لسان العرب، مادة [رصص]، [قيس].

(٢) البث: شدة الحزن. انظر: لسان العرب، مادة [بث].

(٣) ديني: من دانه: إذا ذله وتحكم فيه. قفياني: من قفوا الرجل: إذا اتهموه ورموه بالباطل. انظر: لسان العرب، مادة [دان]، [قفا].

(٤) منوعان: من منعه الشيء: حرمة منه وكفه عنه، أو من تمنع عنه: إذا كف عنه وامتنع. انظر: لسان العرب، مادة [منع].

يبين طرفانا الذي في نفوسنا
فوالله ما ادري اكل ذوي هوى
فلا تعجبا مما بي اليوم من هوى
خليلي عن أي الذي كان بيننا
وكننا كريمي معشر حم بيننا
نذود النفوس الحائمت عن الهوى
سلاه بأمر العمر يشفي فقد بدا
فما زادنا بعد المدى نقص حده
خليلي لا والله مالي بالذي
ولا لي بالهجر اعتلاق إذا بدا
ولا لاهيا يوماً إلى الليل كله
يمنينا حتى يرعن قلوبنا
أعيني يا عيني حتام أنتما
فما أنتما إلا علي طليعة
فلو أن أم العمر أضحت مقيمة
إذن لرجوت الله يجمع بيننا
من البيض نجلاء العيون كلاهما
أفي كل يوم أنت رام بلادها

إذا استعجمت بالمنطق الشفتان^(١)
على شكنا أم نحن مبتليان
في كل يوم مثل ما ترياني
من الوصل أو ماضي الهوى تسلاني
هوى فحفظناه بحسن صيان^(٢)
وهن باعناق إليه ثواني
به السقم لا يخفى وطول هوان
ولا رجعنا عن عملنا بيان
تريدان من هجر الصديق يدان
كما أنتما بالبين معتلقان
بيض لطيفات الخصور رواني^(٣)
ويخلطن مطلاً ظاهراً بليان^(٤)
بهجران أم العمر تخرجان^(٥)
على قرب اعتدائي كما ترياني
بمصر ودوني الشحر شحر عمان^(٦)
وإنا على ما كان ملتقيان
مقيم وعيشي ضارب بجران
بعينين انساناً هما غرقان

(١) استعجمت: استصعبت . انظر: لسان العرب، مادة [عجم].

(٢) حمّ: لنا . انظر: لسان العرب، مادة [حمم].

(٣) رواني: من الرواء: وهو حسن المظهر. انظر: لسان العرب، مادة [روى].

(٤) مطل: من أمطله، إذا سوف له الشيء وأخره. انظر: لسان العرب، مادة [مطل].

(٥) حتام: من حتم عليه الشيء: إذا أوجب ولزم عليه. انظر: لسان العرب، مادة [حتم].

(٦) الشحر: الساحل، الشاطيء، شحر عمان: ساحل البحر بين عمان وعدن. انظر: لسان

العرب، مادة [شحر].

إذا ذرفت عيناى قالت صحابتي لقد ولعت عيناك بالهملان
 ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم ذراني^(١)
 هذا ما نقله الجللّ، و أخرج هنا عن الأغاني من قوله : ولا لاهياً يوماً .
 إلى آخر القصيدة لم ينشده الشامي قلت وقوله : ففي كل يوم أنت رام .
 وقوله : ألا فاحملاني البيتان مسروقان من كلام عروة بن حزام .
 ثم نزل وجاء إخوتها فأكرموه ودلوه على الطريق بعد أن استخبروا منه عن
 كعب وموضعه ، ثم توجهوا في طلبه، وضعفت ميلاء على ما رواه في نهاية
 الأدب بصداع أصابها .
 فلما حضروا بكعب نزل ناحية ، وصادف وقت وفاتها فرأى الناس عند
 البيت مجتمعين ، فأحس قلبه بالشر . فقال لصبي بإزاء البيت الذي هو فيه: من
 أبوك؟ قال: كعب - وكان تركه صغيراً حين مضى إلى الشام - فقال له: ما
 اجتماع الناس على طنّب^(٢) هذا البيت ؛ قال على خالتي ميلاء ماتت الساعة .
 فلما سمع ذلك وضع يده على قلبه واستند إلى طنّب البيت ، وحرّك فوجد ميتاً
 فدفنوه إلى جانبها رحمة الله عليهما .

(١) الروحاء: قرية من قرى العراق، على نهر عيسى، قرب السندية. انظرك معجم البلدان
 (٨٧/٣) ذراني: التركاني . انظر: لسان العرب، مادة [ذرا].
 (٢) طنّب: حبل طويل يشد به سرادق البيت. انظر: لسان العرب، مادة [طنّب].

القسم الثاني

فيمن جهل اسمه أو اسم محبوبته أو شيء من سيرته أو مآل حقيقته

ختمناه بصنف لطيف القوانين في ذكر عقلاء الجانين، ونحن وإن كنا قد ذكرنا من هذا النوع فيما سلف بعضاً، لكنهم إنما نقصوا شيئاً مما ذكرنا بالنسبة إلى هذا الكتاب لقلة فحصه وإلا فهم مشهورون كثيراً بخلاف من يأتي بعد، وستقف على كثير منهم كامل النسب والحسب أذكره إن شاء الله تعالى لكنه غير قوي الشهرة ولم أتبعه في التنويع بأن أقول نوع فيمن نزل به الحال ونحو ذلك إذ لا طائل فيما صنع، ولا فائدة فيما نوع ووضع وإنما كان الأولى أن يذكر المشاهير ثم أهل الجاهلية وهكذا كما وقع ترتيبه هنا وهؤلاء القوم كثيرون .

فمنهم : أسامة بن لؤي بن غالب القرشي المشهور .

قال في النزهة: نحر يوماً لضيوف مائة من الإبل فأكلوا قليلاً وبقي الغالب، فعاتبه أخوه كعب في ذلك، وقال له: لو أبقيت عليها لحاجة كان أولى ، فغضب منه ورحل مستخفياً فنزل على أزدي فنظرت إليه زوجته فوقع من قلبها، وهي من قلبه وزوجها يرصدهما فلم يستطيعا أن يعرّف كل منهما الآخر ما عنده فاستاك أسامة ورمى السواك، فأخذته وامتصته، ففطن زوجها لذلك، فعزم على قتله فسم له قدحاً من لبن وقدمه إليه، فغمزته، فأراقه ثم ركب وسار فهوت ناقته في الخميلة^(١) إلى عرفجة^(٢) لترعاها فلما جذبتها خرجت حية فضربت ساق أسامة فمات لوقته، وبلغ الأزدية فلم تزل تبكيه حتى ماتت ولولا ما في هذه الحكاية من الاعتبار بمصادفة الأقدار لم أوردتها إذ لا مناسبة لها بهذا العيار.

ومنهم : عمرو بن عوف وبيا . .

هوى جارية اسمها بيا، فشغف بها طويلاً، فخطبها إلى أهلها فلم يجيبوه، وزوجوها من غيره، فلما شعر زوجها بحال عمرو معها رحل بها حتى نزل اليمن ببني الحارث بن كعب^(٣). وطال الحال على عمرو فطاش^(٤) عقله وطار له، فأشار

(١) الخميلة : المنهبط الغامض من الرمل ، انظر: لسان العرب ، مادة [خمل] .

(٢) عرفجة: نبات سهلي . انظر: لسان العرب، مادة [عرف] .

(٣) بني الحارث بن كعب : بطن من مذحج، من القحطانية . سكنوا في مقاطعة نجران . انظر:

معجم قبائل العرب (١ : ٢٣١)

(٤) طاش عقله: فقد صوابه . انظر: لسان العرب، مادة [طاش] .

عليه أصدقاؤه أن يقصد مكة فيتعلق بأستار الكعبة ويسأل الله إما جمعه عليها أو صرف قلبه عنها، ففعل فيبينما هو يطوف في الموسم إذ رآه شخص من بني الحارث، فوقعت بينهما ألفة فأخبره بالحال وغياب المرأة، فأعلمه بمكانها منهم.

فقال عمرو: هل لك في صنعة يحسن شكرها.

قال: نعم، قل.

فقال عمرو: ليتخلف كل منا عن أصحابه بعد النفر ثم نسير إلى مكان يقرب منها وتمضي أنت فتعلمها بمكاني، ففعلا، ومضى به الرجل حتى جعله في بيته، وذهب فأعلم بيا، فكانت تأتيه فيتحدثان ويتشاكيان ما لقيتا من الوجد، فأنكر زوجها غشيانها^(١) المنزل من غير عادة وحسن حالها بعد ما كانت فيه من الضجر، فأظهر لها سفراً يغيب فيه عشرًا ثم عاد بعد ليلتين وقد فرشت لعمرو بساطاً أمام البيت وتحادثا فنام كل على طرف من البساط آمنًا فنبه عمرًا، فثار عليه بالسيف، فقال: من ينجيني منك يا عمرو وأنا لم أهرب إلى هنا إلا منك.

فقال: يا ابن العم والله لم يكن بيننا أكثر من الحديث وإنما غلب علي حبها من الصغر.

فقال زوجها حيث تحقق أن لا ريبة: فلا بأس عليك، فأقاما جميعًا حتى مات عمرو من العشق والعفة والوجد.

وحكى أنها عمرت بعده، فسئلت على أي شيء مات عمرو وجدًا بك مع أنه لا حسن عندك، فقالت: ما كنت بالقبيحة ولقد كنت أروي الشعر وأحسن الأدب.

ومنها: بشير الشهير بالأشتر وجيداء.

هوى جارية من قومه اسمها جيداء فاشتد بها كلفه وزاد في حبها تلفه، فمنعها أهلها عنه فثار بينهم شر وخصومة عظيمة، فلما طال شوقه واضمححل حاله جاء إلى صديق له يقال له نمير فقال له: هل عندك صنيع تمن به عليّ عسى أن تعود روحي إليّ.

(١) غشيانها: تركها. انظر: لسان العرب، مادة [غشى]

قال: أشر بما شئت فإني فاعل.

قال له: تمضي إلى حي جيداء فإذا صادفت جاريتها فأخبرها بحالي فعسى أن تأخذ لي موعدًا.

قال نمير: فمضيت حتى لقيت الجارية فأخبرتها فمضت إلى مولاتها فأخذت منها موعدًا بأن تأتي بعد العشاء عند شجيرات هناك .

فلما كان الليل أقبلت فقام إليها بشير وهممت بالانصراف عنهما، فقالا: والله ما بيننا أكثر مما ترى فمكانك فجلسنا حتى مضى من الليل، فعزمت على الذهاب فكادت نفس بشير أن تزهق^(١) ثم سأها الإقامة معه بقية الليلة. فقالت: لا سبيل إلى ذلك إلا أن يكون في صاحبك هذا خير.

فقلت: فيم شئتم؟ فرمت بشبابها إلي وقالت اذهب إلى خدري كأنك أنا فسيجيء زوجي ويطلب القدح للحلب فلا تعطه حتى تطيل نكده^(٢) ثم ارم به إليه، فإني أفعل ذلك فإذا عاد باللبن فلا تأخذه حتى يضعه بنفسه أو يطول وقوفه فإنه بعد ذلك لا يأتيك بقية الليلة.

قال نمير: ففعلت ذلك غير أنني بعد أن طال وقوفه باللبن وأراد وضعه وأردت أخذه فاختلفنا فكب القدح، وقال هذا طماح^(٣)، ثم عمد إلى سوط مفتول فضربني حتى زايلتني^(٤) نفسي وهممت أن أوجره^(٥) بالسكين فخلصوني وردوا علي الستر وجاءت أمها تعنفني وتوصيني بأن لا أخالف زوجي، ظنًا أنني ابنتها، وتقول: مالك وللأشتر، ثم قامت عني على أن ترسل لي ابنتها الأخرى تونسي، فلما جاءت جعلت تبكي وتدعو علي من ضربني واضطجعت إلى جانبي، فوضعت يدي على فمها، ثم قلت: إن أختك مع بشير في موضع كذا وقد جرى لي من جهتها ما علمت وأنت أولى بالستر على أختك، فارتعدت ساعة ثم

(١) تزهق: تخرج من جسده. انظر: لسان العرب، مادة [زهق]

(٢) نكده: من نكد فلان، إذا منعه حاجته ولم يعطه إلا القليل منها. انظر: لسان العرب، مادة [نكد]

(٣) طماح: كبر وفخر. انظر: لسان العرب، مادة [طمح].

(٤) زايلتني: من زالت نفسه إذا كادت أن تخرج منه. انظر: لسان العرب، مادة [زال].

(٥) أوجره: وجرة أة طعنه، لسان العرب، مادة [وجر].

أنست فبت معها في أطيب ليلة من اللطف والعفة حتى إذا جاء الصباح وأقبلت أختها فأنكرت من معي، فقلت: هي أختك وستخبرك بما كان ثم مضيت إلى بشير فأعلمته بالخبر فلما رأى تأثير السوط في بدني وخروج الدم، قال: لقد عظمت صنيعك ووجب شكرك .

قال ابن طاهر: فلم يقم بعدها بشير إلا دون شهر وجاءه شخص فقصد مماجنته^(١) فقال له: وهو يتناول عنباً: أتتفكه وجيداء قد قضت الساعة، فلم يسمع منه إلا شهقة وحرك فإذا هو ميت، فبلغ الخبر الجارية فهتكت سترها وجزت شعرها وألقت نفسها في بئر هناك فماتت.

ومنهم : مسعدة بن واثلة الصارمي .

قال في تسريح النواظر: وكان غلاماً حسن الوجه سخى الكف شجاعاً وإن أباه توفي، فاختلف مع عمه على بكرات^(٢)، فرحل مغضباً حتى نزل على بني باهلة^(٣) فأقام عندهم برهة، فورد الماء يوماً فصادف جارية على بعير تشد عقاله وهمت بالنزول فلما رآته، قالت: هل لك في أن تكفيني كلفة التعب؟ قال: وفيم تتعنين، وماذا تطلبين؟ قالت: ملء هذه السقاية، ورمت بها إليه فلما ملأها وهمت أن تتناولها شمرت عن زندين كأنما حجبت عظامهما بالبلور الصافي، ثم تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجه كأنما تستعير منه الشمس الضياء فداخلني ما خشيت معه زهاق نفسي، قال ثم مضى متغير الحال فشكا إلى صديق له ما جرى له، وسأله عن اسم الجارية فقال: هي رملة بنت أثيلة بن مصقع وأعلمه بمكانها فكان يمضي في كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو إليها ما عنده من حبهـا. قال الشيزري: فداخلها من العشق ما داخله فلما علم أهلها بذلك حجبوها وبلغه علمهم فخرج حياءً وخوفاً فرأى حمامات على أراكة ينحن فهاجت بلبله.

(١) المماجنة: المداعبة والهزل . انظر: لسان العرب ، مادة [مجن] .

(٢) البكر : الغنى من الإبل . بمنزلة الغلام من الناس والأنثى بكرة ، انظر: لسان العرب ، مادة [بكر] .

(٣) بنو باهلة : قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان، وهم من العدنانية، وهم: بنو سعد مناة بن مالك

بن أعصر، واسمه منبه بن سعد بن قيس بن عيلان، منازلهم اليمامة . انظر: معجم قبائل

العرب (١: ٦٠) .

فأنشد:

دعت فوق أغصان من الأيك موهنا مطوقة ورقاء في أثر إلف^(١)
فهاجت عقابيل الهوى إذ ترنمت وشبت ضرام الشوق بين الشراسف^(٢)
ثم أدركه الليل قريباً من حي نحشي أن يكونوا من قومها فنزل قريباً منهم
فسمع قائلاً يقول:

تمتع من شميم عرار نجد فيما بعد العشية من عرار
وكان يرى الطيرة فارتابت نفسه من ذلك وراجعته القلق ثم أخذته سنة فإذا
هو بقائل ينشد:

ولا شيء بعد اليوم إلا تعلقة من الطيف أو تلقى بها منزلاً قفراً
فزاد قلقه ثم عاودته السنة فسمع قائلاً يقول:

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار
لم يبق يوماً عاشقان بحالة إلا وقد جاءتهم الأغيار
كل وإن طال المدى متصرم حكم الإله وسارت الأقدار

فقام فركب متفكراً وسار فلما برق الفجر إذا هو براع ينشد:

كفى بالليالي مخلقات لجدة وبالموت قطاعا حبال القرائن^(٣)
فعرف صوته، فقال: فلان؟ قال: نعم، فقال له: ما دهاك؟ قال: قد ضاجعتُ
رملة الثرى^(٤)، فسقط مغشياً عليه فلم يفق حتى حميت الهاجرة وحمل إلى بيته.
فأنشد:

يا راعي الضأن قد أقيت لي كمدا يبقى ويقلقني يا راعي الضأن
نعيت نفسي إلى روعي فكيف إذا أبقي ونفسي في أثناء كفاني
لو كنت تعلم ما أسررت في كبدي بكيت مما تراه اليوم أبكاني
فلم يزل يردده حتى مات .

(١) المطوقة: الحمامة ذات الطوق. الورقاء: الحمامة التي يضرب لونها إلى الخضرة. انظر: لسان العرب، مادة [طوق]، [ورق].

(٢) ضرام: اشتعال النار. الشراسف، جمع شرسوف: طرف الضلع المشرف على البطن. انظر: لسان العرب، مادة [ضرم]، [شرس].

(٣) مخلقات، جمع مخلقة: جديرة به. انظر: لسان العرب، مادة [خلق].

(٤) ضاجع الثرى: افترش التراب كناية عن الموت. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضجع].

ومنهم : ذرعة بن خالد العذري .

كان غلامًا حسن الوجه، عذب المنطق، سخي الكف، راوية عارفًا بأيام العرب وأشعارها. خرج يومًا للصيد فلما ورد المشرعة^(١) وجد النساء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير وقد أسبلته كأنه الليل المظلم ووجهها من خلاله كأنه البدر في تمه^(٢) فحين أبصرها سقط مغشيًا عليه، فقامت إليه فرشت عليه الماء فلما أفاق وأبصرها، قال: وهل مقتول يداويه قاتله، قالت: كفيت ما تشكو وحادثته فثابت نفسه إليه وقد داخله من الحب، ثم رجع وهو يقول: خرجنا لنصيد فاصطدنا.

ثم أنشد:

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصًا من الريم صادتني سريعًا حباله^(٣)
فلما رماني بالنبال مسارعًا رقاني وهل ميت يداويه قاتله
إلا في سبيل الحب صب قد انقضى سريعًا ولم يبلغ مرادًا يحاوله

قال ابن الفرات^(٤): ثم إنه لزم الوساد أيامًا، وإن أمه أقسمت عليه حين سمعته يكرر الأبيات إلا ما أخبرها بحاله فأظهرها على الأمر، فعرفت الجارية فإذا هي ظريفة بنت صفوان بن وائلة العذري، فمضت إليها وأعلمتها القصة وقبلت رجليها على أن تزور بيتهم فعسى أن يشفى ولدها، فقالت: إن الوشاة كثيرون ولكن خذي هذا الشعر إليه فإن أمسكه فإنه يشفى ثم جرت لها شيئًا من شعرها فلما ذهبت إليه جعل يتنشقه فتراجعت نفسه شيئًا فشيئًا حتى اشتهى ما يأكل، فقدم إليه فتناوله وقام فكان يأتي قريبًا من الأبيات فيسارقها النظر وتخالسه هي أيضًا إلى أن فطن أهلها فألوا على قتله وبلغه فوق إلى اليمن وكان كلما اشتد

(١) المشرعة : المواضع التي ينحدر إلى الماء منها . انظر: لسان العرب ، مادة [شرع] .

(٢) تمه : بالكسر والفتح بمعنى التام ، انظر: لسان العرب ، مادة [تمم] .

(٣) الريم: الظبي الخالص البياض. انظر: لسان العرب، مادة [رأم] .

(٤) ابن الفرات، هو: محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد المصري، الحنفى، مؤرخ، ولد بالقاهرة، من أثاره: الطريق الواضح السلوك، وتوفى سنة (٨٠٧هـ). انظر: كشف الظنون (٢٧٩)، شذرات الذهب (٧: ٧٢)، معجم المؤلفين (٣: ٤٠٥).

شوقه قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك، فلما كان يوم من الأيام وقد خرج لبعض حاجاته سقط منه الشعر فلما أيس منه عزم على العود، فعنف، فقال: دعوني فإني أرجو أن أظفر أو أموت، فصحبه غلام.

قال أبو شراعة: فرأيت في الطريق وعليه بردان وهو يعلم الصبي الأبيات ويقول له: إذا حاذيت موضع كذا فأنشدها رافعاً صوتك ولك أحد هذين البردين فتبعتهما حتى بلغ الموضع.

فأنشد:

مريض بأفناء البيوت مطرح به ما به من لاعج الشوق يبرح^(١)
وقالوا لأجل اليأس عودي لعل ما تشكاه من آلام وجدك يمسح
وليس دواء الداء إلا بجيلة أضربنا فيها غرام مبرح
إذا ما سألناها نوالاً تيليه فصم الصفا منها بذلك أسمح

فتبع الصبي وهو لا يشعر بي فلما حاذها رفع عقيرته^(٢) بالأبيات ينشدها، فسمعت من بعض الأبيات قائلاً يقول:

رعى الله من هام الفؤاد بحبه ومن كدت من شوقي إليه أظير
لئن كثرت بالقلب أتراح لوعة فإن الوشاة الحاضرين كثير^(٣)
فيمشون يستشرون غيظاً وشرة وما منهم إلا أب وغرور^(٤)
فإن لم أزر بالجسم رهبة مصدر فالقلب آت نحوكم فيزور

وفي النزهة: (فإن لم أزر بالجسم خيفة معشر) وهو أحسن، ثم رجع الصبي، فأنشد أبياتها فأغشى عليه ساعة، ثم أفاق وهو ينشد:

أظن هوى الخود الغريرة قاتلي فياليت شعري ما بنو العم صنع^(٥)
أراهم وللمرحم در صنيعهم تراكى دمي هدراً وحاب المضيع

(١) اللاعج: الهوى المحرق. انظر: لسان العرب، مادة [لعج].

(٢) العقيرة: صوت الرجل إذا غنى أو قرأ أو أبكى. انظر: لسان العرب، مادة [عقر].

(٣) الأتراح: الحزن والهم. انظر: لسان العرب، مادة [ترح].

(٤) استشري: اشتد في الغضب. انظر: لسان العرب، مادة [شري].

(٥) الخود: المرأة الشابة. الغريرة: الحسنه الخلق. انظر: لسان العرب، مادة [خود]، [غرر].

ثم مضى متنكراً حتى دخل بيته ولزمه أياماً إلى أن زفت ظريفة إلى رجل منهم يقال له ثعلب فلما بلغه الخبر اضطرب ساعة، ثم أغمى عليه، فحرك فإذا هو ميت، وبلغها خبره فلزمت البكاء أياماً ولم تمكن الرجل من نفسها، فلما كانت ذات ليلة خرجت من بعد انتصاف الليل فتبعها حتى انتهت إلى نهر فألقت بنفسها فيه فأخرجها وليس بها حراك، ثم احتملها إلى الخيمة، فلما أصبح الصبح جاءت أمها فوجدت بها رمقاً ولكنها لم تفقه كلاماً فأشارت أن تسقى الماء فسقوها فقضت من وقتها.

وفي روضة القلوب: أنها غرقت ولم تخرج إلا ميتة.

ومنهم : شخص .

قال التوزي مسنداً عن بعضهم: إنه رآه وقد تهيأ إلى الحج، فلما دخل بغداد رآه وقد أقبل تحت قصر ومعه تفاح فجعل يرشق به إلى القصر وجوار تتناوله بأيديها، فقال له: ويحك ألم ترد الحج.

فأنشد :

ولما رأيت الحج قد آن وقته	وأبصرت برك العيس بالركب
رحلت مع العشاق في طلب الهوى	وعرفت من حيث الخبون عرفوا
وقد زعموا أن الجمار فريضة	وتارك مفروض الجمار يعنف
فهيأت تفاحاً ثلاثاً وأربعاً	فزغفري بعض وبعض مغلف
وقمت حيال القصر ثم رميته	فظلت له أيدي الملاح تلقف
وإني لا أرجو أن تقبل حجتي	وما ضمني للحج سعي وموقف

ومنهم رجل من بني كندة: فخذ من بني عذرة أورده مجهولاً وكذا ابن الإصبع في الطبقات في ترجمة الحارث بن كلدة.

وفي النزهة قال: لا نعلم اسمه، وحكايته مشهورة وهي أن أخاه استحلفه على بيته وخرج لغرض فصادف يوماً أن دخل وزوجة أخيه سافرة فرآها، فلما علمت بذلك سترت وجهها بيديها، فكان ما لقيه من رؤية معصمها أضعاف ما لقيه من وجهها، فخرج وقد اشتعل الحب في قلبه فأقام أياماً يكابد العناء حتى لزم

(١) عسف: مال عن الطريق وعدل عنه إلى غيره. انظر: لسان العرب، مادة [عسف].

الوساد وجاء أخوه فأبصره وقد ذوت^(١) أعضاؤه وذهبت محاسنه وتغير جسمه فلم يترك عرافاً ولا طبيباً حتى دعاه له فلم ينجح شيئاً، فوصف له الحارث بن كلدة^(٢) وكان أحذق أهل زمانه فلما رآه.

قال: ليس به إلا العشق.

فقالوا: وما السبيل إلى معرفة ذلك؟

قال: تسقوه الخمر فعساه أن يصرح. ففعلوا ثم غدا عليهم.

فقالوا له: قد ذكر العشق ولكن لم يصرح باسم المحبوبة.

فقال: زيدوه، ففعلوا فصرح بريا زوجة أخيه.

فقال أخوه: أشهدكم أنها طالق ثلاثاً لأنني أعتاض عنها ولا أعتاض عن

أخي، فبشروه فقال: هي علي كأمي إن تزوجتها، ومات بعد قليل.

وقيل خرج هائماً ولم يدر أين مات، وإن أخاه حين فقدته مات أسفاً، ولما

سقوه الخمر غنى أبياتاً حذفها هنا وفي مختصر الطبقات لسخافتها، فاختلف في

أيهما أكرم.

ونظير ذلك في السماحة: ما وقع للحكم بن المطلب المخزومي فإنه هوى

جارية فاشتراها بمال عظيم وأراد الدخول بها فلبس "أفخر ثيابه ومضى ليعلم أباه،

وكان أبوه يحب أخاه عتبه أكثر منه فأقسم عليه أن يهب الجارية لأخيه ففعل

فأبى أخوه فأعتقها، حتى قيل إنه مات بحبها وله عطايا مشهورة قيل إن رجلاً

حجازياً لزمه دين ثلاثة آلاف دينار فقصد خالد بن عبد الله القسري بهدايا

فصادف الحكم وكان جابياً حينئذ فلما وقف على قصته وهب له أربعة آلاف

دينار وقال له: وفر عليك المشاق.

ومنهم : غلام .

قال في النزهة: هذلي واسمه راشد بن صفوان الهذلي.

(١) ذوت : ذوى العود - بالفتح - أى ذبل . انظر: لسان العرب ، مادة [ذوى] .

(٢) الحارث بن كلدة، هو: الثقفى، طبيب، رحل وتعلم الطب في ناحية فارس وتمرن هناك وعاش

حتى أيام معاوية، من آثاره: محاوراة مع كسرى في الطب. توفي سنة (٥٠هـ). انظر: كشف

الظنون (٧٨٣)، معجم المؤلفين (١: ٥١٩).

قال الجلال السيوطي في شرح الشواهد عن ابن عساكر: إن اسمه غاوي وكان له كلب اسمه راشد وكان له صنم يأتي إليه كل صبيحة فيسجد له ويذهب إلى الصيد فجاء يوماً فرأى الثعالب قد بالت على رأس الصنم فكسره.

وأنشد:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ فقص عليه الخبر فأسلم، فقال له: ما اسمك؟ قال: غاوي. قال وكلبك؟ قال راشد. قال لا أنت راشد وكلبك غاوي ثم ذهب وكان يغدو على بني عامر لألفة بينه وبين رجل منهم فلمح جارية منهم يقال لها هيفاء بنت عبد الله بن عامر وكانت من أجمل نساء العرب فغادره من حبها ما كاد أن يأتي على نفسه ثم إن الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها إلى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الأخبار ذهب عقله فكان يسيح عارياً فصادف صياداً كان اصطاد خشفاً^(١) فوقف ينظر إليه ويكي.

ثم أنشد:

وذكرني من لا أبوح بذكره محاجر ظبي في حباله قانص
فقلت ودمع العين يجري بحرقه ولحظي إلى عينه لحظة شاخص
ألا أيهذا القانص الظبي حله وان كنت تاباه فعشر قلائص^(٢)
خف الله لا تجسه إن شبيهه حيبي فقد أرعدت فيه فرائصي^(٣)

فقال له الصياد: دونك، فحله فتقدم إليه وقبله وأطلقه وأتبعه نظره حتى غاب، ثم قال للصياد: اتني غداً في موضع كذا، وأقبل يسوق عشراً من الإبل فأبى الصياد قبولها، فأقسم عليه إلا ما أخذها فقبلها وانصرف.

(١) الخشف: الظبي أول مايولد. انظر: لسان العرب، مادة [خشف].

(٢) قلائص، جمع قاص: الناقة. انظر: لسان العرب، مادة [قاص].

(٣) فرائص، جمع فريضة: اللحم بين الكتف والجنب، ترتعد عند الفزع. انظر: لسان العرب، مادة [فرص].

ومنهم : قيس بن منقذ بن مالك الكناني المشهور بابن الحدادية .

كان يهوى نعمى الخزاعية وكانت كنانة^(١) وخزاعة^(٢) يتقاربون في المنزل لأن بينهم نسباً لم ترم فيه العصا فكان قيس يجلس إلى نعمى فيتحدث معها فدخل بينهم الهوى وقيل إنها رآته وقد ركب يوماً في ملعب وزينة ففخر على أكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع أتراب لها على متنزة فنزل وتحادثت معه ساعة، فأقبل راع يسوق غنماً، فاشترى قيس منه عنزة وذبحها للنساء فلما أكلن وقمن، ترك الفاضل منها على الأرض ثم تمثل بهذا البيت، ويقال: إنه لحاتم الطائي:

إذا لم يكن للطير في زاد عزوة نصيب فليسوا في السورى بكرام

وفي النزهة: إذا لم يكن للوحش ، والمعنى قريب ، فانتشأ الود بينهما ولم يزاالا على ذلك برهة إلى أن أجذبت سنونهم فارتحلوا منتجعين وافترقت القبيلتان، فلما كان يوم من الأيام نظرت كنانة إلى موضع ديارها فوجدوا البروق ملية والسحب فضية فعلموا أن الغيث عمها، فارتحلوا إلى أن نزلوا بها، فنظر قيس في مواضع خزاعة فتذكر اجتماعهم، فتنفس الصعداء.

وأنشد:

إذا ما نأت نعمى فهل أنت جازع	قد أقربت لو أن ذلك نافع
قد أقربت لو أن في قرب دارها	نوالاً ولكن كل ما صين مانع ^(٣)
فإن تلق لي نعمى هديت فحيها	وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع
وظني بها حفظ لغيبي ورعية	لما اسرعت والظن بالمغيب واسع
وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى	ويسرجع الحي السحاب اللوامع

(١) كنانة: قبيلة عظيمة من العدنانية، وهم: بنو كنانة بن خزيمه بن ملكة بن معد بن عدنان. كانت ديارهم

بجهاز مكة. بطونهم: قريش، عبد مناة، بنو مالك. انظر: معجم قبائل العرب (٣: ٩٩٦).

(٢) خزاعة: قبيلة من الأزدي، من القحطانية، وهم: بنو عمرو بن ربيعة، منازلهم كانوا بأحاء مكة

في الظهران، بطونهم: كثيرة، منهم بنو المصطلق، بنو كعب، بنو عدى، ... انظر: معجم

قبائل العرب (١: ٣٣٨).

(٣) صين: من صانه: إذا حفظه. انظر: لسان العرب، مادة [صان].

وما ذات جيد نازعت جبل حابل لتجو ثم استسلمت وهي طائع^(١)
 بأحسن منها ذات يوم لقيتها لها نظر نحوي كذي البث خاشع
 كأن فزادي بين شقين من عصا حذار وقوع البين والبين واقع
 فقلت لها يا نعم خلي محلنا فإن الهوى والشمل يا نعم جامع
 فقلت وعيناها يفيضان عبرة بأهلي بين لي متى أنت راجع
 فقلت لها تالله يلدي مسافر إذا أضمرت الأرض ما الله صانع
 وإنني لعهد الود راع وإنني لوصلك ما لم يطوني الموت طامع

ثم لم يزل متعللاً بالأمانى يعتوره الخيال أياماً إلى أن بلغه أن غزاة بجبل بشام من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقبل إنه عند رؤيتها سقط ميتاً.

وقال في النزهة: أقام عندهم إلى أن أغارت عليهم بنو فزارة فقتل يومئذ.

ومنهم : توبة بن حمير بن أسيد الخفاجي .

وكان شجاعاً مبرزاً في قومه، فصيحاً مشهوراً بمكارم الأخلاق ومحاسنها، وخفاجة^(٢) -على ما ذكر في النزهة- فخذ من قحطان، وكانت تنزل ببني الأخيل كعب بن معاوية ويغزون معهم ويتحدثون في السرج^(٣)، وكان رئيس بني الأخيل حذيفة بن شداد بن كعب، وكان له ابنة قد شاع في العرب ذكرها بالحسن والفصاحة وحفظ أنساب العرب وأيامها وأشعارها فغزوا يوماً، فلما رجعوا حانت من توبة التفاتة وقد برزت النساء بالبشر والأسفار للقاء القادمين من الغزو، فرأى ليلي فافتتن بها فجعل يعاودها فيتحدث معها إلى أن أخذت قلبه، وأطارت لبه، فشكا لها يوماً ما نزل به منها، فأعلمته أن بها منه أضعاف

(١) الجيد: العنق. جبل: يقصد به جبل الصيد. حابل: من أخذ الصيد بالحبال. انظر: لسان العرب، مادة [جاد]، [جبل].

(٢) خفاجة: هم خفاجة بن عمرو، بطن من بنى عقيل بن كعب، من قيس بن عيلان، من العدنانية. وهم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، كانوا يقطنون الجنوب الشرقي من المدينة. انظر: معجم قبائل العرب (٢: ٣٥١).

(٣) السرج: فناء الباب. انظر: لسان العرب، مادة [سرج].

ذلك، فأقاما على التزاور إلى أن حجبها زوجها، فقلق توبة لذلك حتى خامره الجزع، فكان يذهب بعقله أحياناً فأشاروا عليه بتعاطي الأسفار والخوض في المحادثات فعزم على الشام فمرّ بجميل فأنزله وأحسن خدمته، ثم تداعيا الصراع وكانا في موقف تشرف منه بشينة عليهما، فصرعه جميل، ثم نضله ثم قهره على ظهر الفرس ولم يكن له كفوًا.

فقال له توبة: كأنك تحسب ذلك منك ولم تدر أنه بريح هذه الجالسة، وأشار إلى بشينة ثم دعاه إلى واد يخفى عنها وتصارعا فيه، فصرعه توبة ثم مضى في طريقه، فمرّ سحرًا بأشجار في وادي الغيل وعليها حمائم تغرد فعاودته الأشجان.

فأنشد:

نأتك بليلى دارها لا تزورها	وشطت نواها واستمر مريرها ^(١)
وخفت نواها من جنوب عفيرة	كما خف من نيل المرامي جفيرا ^(٢)
يقول رجال لا يضرك نأيها	بلى كل ما شق النفوس يضيرها
أليس يضر العين أن تكثر البكى	ويمنع منها نومها وسرورها
لكل لقاء نلتقيه بشاشة	وان كان حولا كل يوم نزورها
خليلي روحا راشدين فقد أبت	ضربتي من دون الحبيب ونيرها
يقرّ بعيني أن أرى العيس تعتلي	بنا نحو ليلي وهي تجري صقورها
وما لحقت حتى تقلقل عرضها	وسامح من بعد المرام صقورها
وأشرف بالأرض اليفاع لعلي	أرى نار ليلي أو يراني بصيرها
فناديت ليلي والحمول كأنها	مواقير نخل زعزعتها دبورها
فقلت أرى أن لا تفيدك صحبتي	هيبة أعداء تلظى صدورها
فمدت لي الأسباب حتى بلغتها	برفقي وقد كاد ارتفاقي يضيرها
فلما دخلت الخدر أطلت نسوعه	وأطراف عيدان شديد سيورها
فأرخت لنضاخ الذفاري منصة	وذي سيرة قد كان قدمًا يسيرها

(١) مريرها، المريرة: القوة والعزيمة. انظر: لسان العرب، مادة [مرر].

(٢) نواها: بُعدها. انظر: لسان العرب، مادة [نوى].

على الشرف النائي المخوف أزورها
يطيف بها عقبانها ونسورها
سفاك من الغر الفوادي مطرها
ولا زلت في خضراء دان بريرها
فتخفى وتهوى النفس ما لا يضرها
فقد رابني منها الغداة سفورها
وإعراضها عن حاجتي وقصورها
عيون نقيات الحواشي تديرها
لو أن طريداً خائفاً يستجيرها
ستنعم ليلي أو يفادي أسيرها
وأنى بياض الوجه جر جرورها
هواجر لا أكتنها وأسيرها
وتقصر من دون السموم ستورها
لنفسى تقاها أو عليها فجورها
تكنفها الأعداء ناء نصيرها
وخفت برجل أو جناح يطيرها
معذب ليلي أن رأني أزورها
مهاة صوار غير ما مس كورها
يناط بجذع من أراك جريرها
مريرة ليف شد شداً من غيرها
مخوف رداها حين يستن مورها
دعاميص ماء نس عنها غديرها
وبين العشا قد ريب منها أسيرها
كلابي حتى يستثار عقورها

وأنى ليشفيني من الشوق أن أرى
وأن أترك العيش الحسير بأرضها
حمامة بطن الوادين ترغسي
أبني لنا لا زال ريشك ناعمة
وقد تذهب الحاجات يسرها الفتى
وكنت إذا ما زرت ليلي تبرقت
وقد رابني منها صدود رأيت
ارتك حياض الموت ليلي وراقنا
ألا يا صفى النفس كيف بقولها
تجير وأن شطت بها غربة النوى
وقالت أراك اليوم أسود شاحباً
وغيرني أن كنت لما تغيرت
إذا كان يوم ذو سموم أسيره
وقد زعمت ليلي بأنى فاجر
فقل لعقيل ما حديث عصابة
فإن لا تناهوا يركب اللهو نحوها
لعلك يا قيسا ترى في مريرة
وادماء من حر الهجان كأنها
من الناعبات المشي نعباً كأنما
من العر كنانيات حرف كأنها
قطعت بها موماة أرض مخوفة
ترى الضعفاء القوم فيها كأنهم
وقسورة الليل التي بين نصفه
أبت كثرة الأعداء أن يتجنبوا

وما يشتكي جهلي ولكن عزتي
 أمخزمي ريب المنون ولم أزر
 تنوء بأعجاز ثقال واسوق
 أظن بها خيراً وأعلم أنها
 أرى اليوم يأتي دون ليلي كأنما
 عليّ دماء البدن ان كان بعلمها
 وأني إذا ما زرتها قلت يا اسلمي
 تراها بأعدائي ليثاً طورها
 جوارى من همدان بيضاً نورها
 جدال واقدام لطاف شعورها
 ستفك يوماً أو يفك أسيرها
 أتت حجة من دونها وشهورها
 يرى لي ذنباً غير اني أزورها
 ويا بأبي قول اسلمي ما يضيرها

وهذه القصيدة، قال: صاحب النزهة أنشدتها كلها حين سمع سجع الحمائم.
 وقيل: أنشدتها متقطعة بحسب الوقائع وإنما جمعتها الشعراء وها أنا أورد ذكر
 غريبها وما وقع لبعض أبياتها من الحكايات.

قيل: لما وقفت ليلي على قوله: ولما دخلت الخدر غضبت غضباً شديداً ثم
 أمسكت عن كلامه برهة، فتوسل إليها وعرض عليها أنه يريد أن يسقي نفسه
 السم إن لم تكلمه، فجمعت ثلاثة من أهلها بحيث يخفون عليه واستحضرتة فلما
 آنسته قالت: أي خدر دخلت معي حتى تقول ما تقول.

فقال: هذا استرسال الشعراء، ثم ذكر لها أمثال ذلك، وتنصل، ففرحت
 بسماع أهلها ذلك، وقوله: (منصة) يريد بها الستر، وقوله (حمامة بطن الوديين
 ترنمي) هو أول بيت تفوه به من القصيدة إلى قوله: (وكنت إذا ما زرت ليلي) ثم
 ضم الباقي.

وأما قوله: (وكنت إذا ما زرت ليلي) فألحقه بعد إكمالها وسبب إنشاده أنه
 كان يزورها على خيفة وخفية، فلما اشتد التحريج عليه جعلت بينها وبينه
 أمانة، فقالت: إذا مررت فوجدتني مبرقة فاجلس مطمئناً فلا حرج حينئذ، فلما
 قوي حرصهم وتوعدهم لها وأجمعوا أن يفتكروا به إذا رآها خرجت يوم ميعاد
 سافرة على كتيب بحيث يراها على البعد، فلما أقبل ورآها سافرة مضى في طريقه
 متنكباً وهو يقول: وكنت إذا ما زرت ليلي الأبيات، ثم دخل الشام فأقام بها
 يسيراً فلم يأخذه قرار وتاقت نفسه إلى العرب فكان يخرج إلى الربوة ليسلي نفسه
 فلم يكن له دأب إلا البكاء فأقام أياماً لا يلذ له حال ولا ينعم له بال فخرج يريد
 البادية فمرّ حين قابل حياً بصغير يلعب فقال له: هل أنت عارف بليلى؟

قال: نعم.

قال: امض إليها وأنشد: (و كنت إذا ما زرت ليلي تبرقت) وعد إلى فسأحسن منقلبك.

فمضى الغلام فأنشد البيت ليلي فعلمت أن توبة قد ورد الحي.
فقال للغلام: قل لها إنها الآن مبرقة ، فمضى الغلام إليه وأعلمه بذلك فأعطاه دينارين، وأقبل فجدد زيارتها، ثم قال لها: مكيني من تقبيل يدك.
وفي الروض النضير: أنه سأها قبله .
فأنشدت:

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها فليس اليها ما حيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب و خليل

ففطن أنها استرابت منه فحلف أنه لم يرد سوءاً وأن نفسه قد حدثته بأن يجربها فاستشاطت شوقاً ثم ودعها على استحياء ومضى، فما استقر به المنزل حتى عزمت خفاجة على غزو الهذليين، فخرج فقتل في الواقعة، ولما وقع وبه رمق أدركه ابن عمه فقال له: هل لك حاجة ؟

قال: نعم تبلغ ليلي هذه الأبيات.
وأنشد:

ألا هل فؤادي من الصبا اليوم طافح وهل ما وأت ليلي به لك ناجح^(١)
وهل في غد إن كان في اليوم علة سراح لما تلوى النفوس الشحاح
ولو أن ليلي الأخيلى سلمت علي ودوني جنـدل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح
ولو أن ليلي في السماء لأصعدت بطرفي إلى ليلي العيون الكواشح
ولو أرسلت وحيًا إلى عرفته مع الريح في موارها المتناوح^(٢)
أغبط من ليلي بما لا أناله إلا كل ما قرت به العين صالح

(١) وأت: وعدت. انظر: لسان العرب، مادة [وأى].

(٢) موارها: من مورت الريح إذا هاجت وثار. المتناوح: من تناوحت الريح، إذا هبت شمالاً مرة، وجنوباً مرة. انظر: لسان العرب، مادة [مور]، [نوح].

سقتني بشرب المستضاف فصرت
 وهل تبكين ليلي إذا مت قبلها
 كما لو أصاب الموت ليلي بكيتها
 وفتيان صدق قد وصلت جناحهم
 بمائة الضبعين معقورة النسا
 وما ذكرتني ليلي نأى دارها
 كما صرد اللوح النطاف الصحاصح
 وقام على قبري النساء النواتح
 وجاد لها جار من الدمع سافح
 على ظهر مغبر التنوفة نازح^(١)
 أمين القرى مجرة غير جانح
 بنجران إلا الزهات الصحاصح

قوله: (ولو أن ليلي) البيتين قد سبق الكلام عليهما في قصة المجنون و (زقا) بالزاي، وقوله: (وهل تبكين ليلي)، يعني وهل هي باكية إذا مت، فليلى في البيت فاعل، حذراً مما توهم هنا.

وفي النزهة: وما ذكر تنبيه على بعد دارها وقيل إن هذه القصيدة أنشدها حين خرج قبل ورود الوقعة، وإنما أنشد عند موته قوله:

عفا الله عنها هل أبيت ليلة من الدهر لا يسري إلى خيالها

وإن ابن عمه حين جاء أنشدها الأبيات أو هذا البيت.

فأجابته:

وعنه عفا ربي وأحسن حاله فعزت علينا حاجة لا ينالها

وقيل: مات عشقاً، وكيف كان لما بلغ نعيه ليلي خلعت الزينة وأقامت على الحزن حتى ماتت بعده لكن بعده بسنين كثيرة، فقد قيل: إن وفاة توبة كانت سنة سبعين، وقيل: إحدى وسبعين ووفاة ليلي كانت إحدى ومائة.

قيل: مرت بقبر توبة، فقال زوجها: هذا قبر توبة الكذاب.

فقالت: لم يكن والله كذاباً.

فقال لها: أليس يقول: (ولو أن ليلي الأخيلىة) البيتين، سلمى عليه لنظر، فامتنعت، فأقسم عليها أن تفعل فلما سلمت خرج من طاقة القبر بومة فأجفلت الناقة فوقعت ليلي ميتة فدفنت إلى جانبه.

(١) جناحهم: جوارهم. التنوفة: البرية لا ماء فيها ولا أنيس. نازح: من نرح إذا نفذ الماء، وغيره.

انظر: لسان العرب، مادة [جناح]، [تنف]، [نرح].

وقيل: طير كانت العرب تزعم أنه يقيم في هامة المقتول حتى يؤخذ بثأره. وحكى أنها هي التي قصدت ذلك وهذه القصة رواها في النزهة عن متفرقين ووثقها، وأما هنا فقد حكى ما قررناه عن ليلى نفسها، وأنها حكى ذلك للحجاج حين قدمت عليه بتمتديه من جذب الزمان فوهب لها مائة من الإبل برعاتها، وذلك فيما أخرجه المدائني عن مولى عنيسة.

قال: كنت مع أستاذي عند الحجاج إذ قال له الحاجب: إن بالباب امرأة. فقال: أدخلها، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه إلى الأرض واستجلسها ثم استنسبها فانتسبت.

فقال: ما جاء بك.

قالت: إخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرغد.

فقال لها: صفي لنا الفجاج.

فقالت: الفجاج مغبرة، والأرض مقشعرة، والبرك معقل، وذو العيال مجشل، والهالك المقل، والناس مستنون^(١) رحمة من الله يرجون، وأصابتنا سنون مجحفة مبطله لم تدع لنا هبعاء ولا ربعاء ولا عافطة ولا نافطة، أذهبت الأموال، وفرقت الرجال، وأهلكت العيال.

فانظر إلى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقاد لها مع تجبره . فقولها خلاف النجوم: تريد به الأنواء ، فإن العرب يعرفون بمساقط النجوم الأنواء يستدلون بها على صحة السنة وخصبها وكثرة الأمطار فكانها تعتد بذلك فإذا لم تأت بذلك فقد أخلفت ، وقلة الغيوم تريد به لازمها الغالب وهو المطر، وفيه عطف الأخرى على الأعم، وكلب البرد : شدته ، والعرب تطلق هذا الاسم على أيام مخصوصة من تاسع كانون أعني كيهك إلى ثامن عشر شباط أعني أمشير والفجاج هنا : الأرض ، وغبرتها: كناية عن عدم نداوة الأرض فإن ذلك يثير الغبار، واقشعرار الأرض عدم نباتها، والبرك : الإبل ، وعقلها : كناية عن عدم ما تحمله ، والإجشال : اليبس . والإملاق ، والهبعاء: الحسنه، والربعة : السيئة، وعن

(١) مستنون: مجدبون. انظر: لسان العرب ، مادة [سنت] .

الأصمعي: الهبعاء ما يزرع في سوى الربيع، والربعاء ما يزرع فيه أو هما مطران
أو الإبل والغنم ضعيف.

وفي تهذيب الإصلاح للتبريزي: هما كلمتان يراد بهما الإخبار عن نفاذ ما
في اليد مثل (ما عنده سبد ولا لبد) والعافطة العنز والنافطة النعجة.
ويقال أيضاً: لا ثاغية ولا راغية، أي لا غنم ولا إبل، ثم مدحته حتى
استعفى.

وقال: لم يصب وصفي منذ دخلت العراق غيرها.
ثم قال لخازنه: اقطع لسانها، فأراد ذلك.
فقلت: ويحك إنما أراد بالعتاء، فراجعه فغضب وأمر بعودها.
ثم قال لجلسائه: هذه ليلي التي ماتت توبة من حبها.
ثم قال: أنشدنا ما قال فيك، فأنشدت حمامة بطن الواديين.
فقال: وما قلت أنت فيه؟
فقلت: كثيراً أيها الأمير.
فقال: هات.

فأنشدت:

نظرت ومن دوني عماية منكب وبطن الركايا نظرتة النواظر
اونس أن لم يقصر الطرف دونهم فلم تقصر الأخبار والطرف قاصر
وهي قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير أن فيها طولاً
ومن محاسنها في توبة:

أنته المنايا بين زعف حصينة وأسمر خطى وجرداء ضامر
على كل جرداء السراة وسابح دوان بشباك الحديد زوافر
عوابس تغدو التغليبة ضمرا فهن سراح بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله يا توب أنما لقاك المنايا دارعاً مثل حاسر
فإن لم يكن بالقتل بر فإنكم ستثقون يوماً ورده غير صادر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا برى لقدر عيالاً دون جار مجرور
ولا تأخذ الإبل المهاري رماحها لتوبة من صرف السري في الصنابر

إذا ما رآته قائماً بسلاحه
 إذا لم يجز منها برسول فقصره
 قرى سيفه منها مشاشاً وضيغه
 وتوبة احيى من فتاة حية
 ونعم الفتى أن كان توبة فاجراً
 فتى ينهل الحاجات ثم يعلها
 كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ
 ولم يشن ابراداً عتاقاً لفتية
 ولم ينجل الضيفان عنه وبطنه
 فتى كان للمولى سناء ورفعة
 ومنها:

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكاً
 على مثل همام وكأبن مطرف
 غلامان كانا استوردا كل سورة
 ربيعي حياً كانا يفيض نداهما
 كان سنا ناريهما كل شتوة
 ومن مراثيها فيه أيضاً:

أيا عين بكى توبة بن حمير
 لتبكي عليه من خفاجة نسوة
 سمعن بهيجا اضلعت فذكرنه
 كان فتى الفتيان توبة لم يسر
 ولم يرد الماء السدام إذا بدى
 ولم يغفل بالجود الجياد يقودها
 ولم يغلب الخصم الصحاح وعملاً الجفان

فتنه الخفاف بالثقال البهاذر
 ذرى المرهفات والقلاص التواجر
 سنام المهاري السباط المشافر
 واجراً من ليث بخفان خادر
 وفوق الفلى أن كان ليس بفاجر
 فتطلعته عنها ثانياً المصادر
 قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
 كرام ورحل قيل في الهواجر
 خميص كطي السبت ليس بخادر
 وللطارق الساري قرى غير فاتر

وأحفل من نالت صروف المقادر
 تبكي البواكي أو كبشر بن عامر
 من المجد ثم استوثقا في المصادر
 على كل مغمور نداء وغامر
 سنا البرق يبدو للعيون النواظر

بسح كفيض الجدول المتفجر
 بمساء شؤون العبرة المتحدر
 وما يبعث الأحزان مثل التذكر
 بنجد ولم يطلع مع المتفور
 سنا الصبح في بادي الحواشي منور
 أسرته يوم المشان فاقسر
 سديفاً يوم نكباء صرصر

وصحراء موماة يحاربها القطا
يقودون قبا كالسراحين لاحها
فلما بدت أولى العدو سقيتها
ولما أهابوا بالنهاب حويتهم
بمر ككر الأندري مثابر
وألوت بأعناق طوال وراعها
ألم تر أن العبد يقتل ربه
قتلتم فتى لا يسقط الروع رعه
فيا توب للهيجا ويا توب للندى
ويا رب مكروب أجبت ونائل
قطعت على هول الجبان بمنسر
سراهم وسير الراكب المتهجر
بصياب مسكوب المزداد المقير
بخاطي البضيع كره غير أعسر
إذا ما ونينا مخصف الشد محضر
صلاصل بيض سابغ ومسور
فيظهر جد العبد من غير مظهر
أذا الخيل جالت في القنا المتكسر
ويا توب للمستجج المتسور
بذلت ومعروف لديك ومنكر

وأنشده غير ذلك مما لا حاجة لنا إلى ذكره، إذ ليس على شريعتنا فأنعم
عليها فوق ما سألت، ثم قال لها هل بقي لك حاجة؟ قالت: نعم، تدفع إلى
النابغة أحكم فيه بما أرى، وكان يتهاجى هو وإياها .

فلما سمع بذلك هرب إلى الشام فتبعته، ثم استأذنت عبد الملك فيه فأذن لها
وأظنه الذي سألها عن توبة أكان كما يقول العاس، فقالت يا أمير المؤمنين: كان
والله سبط^(١) البنان حديد السنان عفيف المئزر جميل المنظر . لا معاوية كما قيل
هنا . ثم إنها لم تزل في طلب النابغة حتى توفيت بقومس بلدة من أعمال بغداد
على جانب الفرات، وقيل بجلوان والمدى بينهما قريب، وهذا يعارض ما سبق من
موتها عند قبر توبة وظاهر تضافر الروايات صحة الأول .

ومنهم : عامر بن سعيد بن راشد .

وينسب إلى كعب بن الأميل الطائي، كان يهوى ابنة عمه جميلة بنت وائلة بن
راشد.

قال في النزهة: إن ولادتهما كانت في ليلة واحدة ونشأ غير متفرقين حين
بلغا الحلم وقد اشتد كلف كل منهما بصاحبه وكان سعيد ذا ثروة وكان أخوه

(١) سبط البنان: معتدل القوام، حسن القد. انظر: لسان العرب، مادة [سبط].

واثلة قد اتفق معه على تزويج ابنته من عامر فاتفق أن وقع بين تميم ومزينة فانتهبت مزينة فلم يترك لسعيد ثنية ولا ناب ووقع فيه جراح كثيرة، فمات إثر الوقعة بأيام وقد أملق أهله فامتنع واثلة من تزويج عامر، وحجبت جميلة عنه فاختل واعتوره الجنون، وقال الشيزري لم يمنعه منها لإملاقه، وإنما كان أبوه يمنعه عن أن يشيع عشقها.

فلما مات أشاعه في العرب وشبب بها فامتنع عمه لما سبق لك بيانه من عادة العرب ولما اشتد به الحال أشار النساء على والدته أن تعرض عليه العذريات، فكان كلما رأى واحدة يشكرها ثم يتنفس الصعداء، ويقول ماء ولا كصدا، المثل السابق، فلما كان بعد مدة قدم رجل من طيء على واثلة فخطب جميلة منه وذكر النسب فزوجها منه، فلما زفت إليه وقع عامر على الوساد فاعتزلت به أمه عن العرب لثلا يرى الزفاف.

قال الأخفش سعيد بن مسعدة: خرجت في طلب ضالة لي، فوقفت على هذا البيت أو قال نزلنا على ماء لطيء فإذا أنا بخيمة منفردة فقصدتها.

وأخرج الحكاية في نديم المسامرة: عن أبي عمرو بن العلاء عن تميمي، فأسندها إلى الأصمعي، وأخرج الدقاق عن الأسدي أن المباشر للحكاية هو الأصمعي وعلى كلا التقديرين، فمحل الاتفاق أن الرجل حين انتهى إلى البيت رأى عجوزاً عليها بقية الجمال ساهية متفكرة، وفي كسر البيت شخص كالخيال مسجى عليه قطيفة، قال: فسألته عنه، فقالت: هو ولدي وشأنه كذا وأعادت القصة، ثم قالت: هل لك أن تعظه؟ فوعظته وزهدته حتى قلت له إنها امرأة كغيرها ألا ترى كيف يقول كثير:

هل وصل عزة إلا وصل غانية في وصل غانية من وصلها خلف

فقال: هو، مائق؛ يعني أحق، وأنا وامق يعني صادق الألفة، فلست كهو وإنما أنا كأخي تميم يعني جميلاً، حيث يقول:

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهراً ولكن ما أخفى الفؤاد يضير
ألا قاتل الله الهوى كيف قادني كما قيد مغلول اليمين أسير

ثم أنشد:

أبخل بالمليحة أم صدود إلا ما للمليحة لا تعود
فما لك لم ترى فيمن يعود مرضت فعادني عواد قومي
وفقد الإلف يا أملي شديد فقدتك بينهم فبكيت شوقاً
لعدتكم ولو كثر الوعيد فلو كنت المريضة لا تكوني
وحولي من ذوي رحمي عديد ولا استبطأت غيرك فاعلميه

ثم فاضت نفسه، فجزعت، فقالت العجوز: لا تخف فقد استراح مما كان فيه ولكن إن أحببت كمال الصنعة فانه إلى بيوت الحى، ففعلت، فخرجت جارية عليها أثر العرس وهي أجمل من رأيت فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته .

وأنشدت:

عداني أن أزورك يا منيا معاشر كلهم واش حسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي وعابونا وما فيهم رشيد
فأما إذ حللت بطن أرض وقصر الناس كلهم اللحد
فلا بقيت لي الدنيا فراقبا ولا لهم ولا أثري عديد^(١)

ثم حرّت ميتة، فخرج شيخ وهو يقول: لئن لم أجمع بينكما حين لأجمعن بينكما ميتين ودفنهما في قبر.

هذا ما اتفق عليه سوى الوعظ فلم يرو عن الأخفش وبعض تغيير في الأبيات فإن الأخفش لم يرو الثالث، وروى التميمي: (لم تعدني) أي بدل (لا تعود) .
ومرضت فعادني أهلي جميعاً، وفي النزهة: (فما استبطأت غيرك) وهو الأقدم وفي قولها عن التميمي: (عداني أن أعودك يا حبيبي) ، (معاشر فيهم) ، وفيها أنها قالت له حين نعى: بفيك الحجر المصلت، من تنعي؛ قلت: فلاناً، قالت: أو قد مات، قلت: نعم.

(١) فراق: ما يأخذ المحتضر عند النزاع. انظر: لسان العرب، مادة [فوق].

وعن الأصمعي: أنه حين سأله عن حاله لم ينطق فقال له من حوله أذكر له الشعر.
فأنشد:

سبق القضاء بأنني لك عاشق حتى الممات وأين منك مذهب
فأنشد:

أخلو بذكرك لا أريد محدثاً وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكي ليطربني البكاء وتارة يأتي فيأتي من أحب أسيرا
فإذا أتى سمج بفرقة بيننا أعقت منه حسرة وزفيرا^(١)

وفيهما قال إنه عامر بن غالب وجميلة بنت أميل .

ومنهم : ما حكى الأصمعي .

قال: بينما أنا أسير إذ فاجأني الليل ، فأويت إلى جبانة فتوسدت قبراً، فإذا أنا بهاتف منه .

يقول:

أنعم الله بالخيالين عينا وعمسراك يا سعاد إلينا
وحشة ما لقيت من خلل القبر عسى إن نراك أو إن ترينا

فدخلت حين طلع الصبح إلى الحي، فإذا أنا بجنزة فتبعتها حتى جاؤا بها فدفنت إلى جانب القبر الذي سمعت منه الصوت، فحدثهم بذلك، فأخبروني أن هذا الرجل منهم أحب ابنة عمه هذه فتزوج بها فلم يقم إلا قليلاً .

فلما حضرته الوفاة تعاهدا على أن لا تتزوج بعده، فاشتد بها الوجد حتى ماتت الليلة. قلت وهذا جائز أن يقع من النفوس المجردة إذا تصادق اعتلاقها فإن اللذات بعد مفارقة الهياكل الجسمانية أعظم.

ومنهم : فتى أسدي .

أحب ابنة عمه وكان اسمها سعدى، فمنعه أبوه أن يتزوج إلا بأرفع منها، وأبى الغلام إلا هي، فلما أيس أبوها زوّجها من رجل ، فاشتد وجد الغلام ، وأنه لقيها يوماً.

(١) السمج: القبيح. انظر: لسان العرب، مادة [سمج].

فأنشد:

لعمري يا سعدى لطال تأيمي ومعصيتي شيخي فيك كلاهما^(١)
وتركي للحيين لم أبغ منهما سواك ولم يربح هواي عليهما^(٢)

فقال الجارية:

حيبي لا تعجل لتفهم حجتي كفاني ما بي من بلاء ومن جهد
ومن عبرات تعزيني وزفرة تكاد لها نفسي تسيل من الوجد
غلبت على نفسي جهاراً ولم أطق خلافاً على أهلي بهزل ولا جد
ولن يمنعوني إن أموت بزعمهم غداً خوف هذا العار في جدث وحدي^(٣)
فلا تنس إن تأتي هناك فتلمس مكاني فتشكو ما تحملت من جهد

فقد أوضحت له أنها هالكة من الغد بعشقه. فلما كان الموعد جاء فوجدها ميتة فاحتملها إلى شعب بذرى^(٤) جبل يقال له عرفات بفتح المهملة، وضمها ملتزماً لها، فمات واختفى أمرهما حولاً حتى مرّ شخص من العرب فسمع هاتفاً على الجبل . يقول:

أنا الكرمان ذو التصافي الذاهبان بالوفاء الصافي
والله ما لقيت في تطوافي أبعلي من غدر ومن اخلاف
من مبتين في ذرى أعراف

فصعد الناس فوجدوهما على تلك الحالة فواروهما.

(١) تأيمي، التأييم: هو المكث طويلاً بدون زواج. انظر: لسان العرب، مادة [أم].

(٢) يربع: من ربع، أى توقف وانتظر. انظر: لسان العرب، مادة [ربع].

(٣) الجدث: القبر. انظر: لسان العرب، مادة [جدث].

(٤) ذرى، جمع ذروة: وهو أعلى الشيء. انظر: لسان العرب، مادة [ذرا].

ومنهم : عمرو بن كعب بن النعمان ابن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور.

قال ابن عساکر: وكان من فرسان العرب وحماتها وكرمائها وشجعانها، وإن جده النعمان^(١) صاحب الخورنق هو الذي كفله حين مات أبوه وهو صغير فلما زهد النعمان في الملك كما هو مشهور، ضاع أمر الغلام.

قال في الشامات: فأخذه عمه أبو النجاد، فلما بلغ عنده وكان له بنت تعرف بالعقيلة، وهي من أجمل نساء العرب وأعلمهن بالأدب وأحوال العرب أياماً ووقائع، فعلقت نفس عمرو بها واشتد ولوعه وزاد غرامه، خطبها إلى عمه فطلب منه مهراً يعجز عنه، فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج إلى أبرويز بن كسرى، لما كان بين جدودهما من الوصلة.

فلما ذهب في الطريق مرّ بعرف، فبات عنده فاستعلم منه الأمر، فأخبره أنه ساع فيما لا يدرك، فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة لفزاري، فهام على وجهه إلى اليمامة، فلما بنى بها الفزاري، وكان عندها من العشق لعمرو أضعاف ما عنده لها، فكانت تشد الفزاري إذا جن الليل إلى كسر^(٢) البيت وتبيت في الخدر، فإذا أصبح الصبح تطلقه فيستحي أن يخبر العرب بذلك، فأقام على هذا الحال سبعين ليلة.

فلما كثر توبيخ العرب له واختلاف ظنونهم به، خرج لا يُدري أين ذهب، وأقامت العقيلة بيت أبيها لا تتناول إلا الأقل مما يمسك الرمق، ودأبها البكاء على عمرو وهو كذلك ولم يمكنهما الاجتماع.

قال الفريابي^(٣) في عجيب الاتفاق في تطابق أحوال العشاق: فمرض عمرو مرضاً كاد أن يأتي على نفسه فكان لا يرى إلا شاخصاً إلى السماء متمسكاً

(١) النعمان بن المنذر، هو: ابن امرئ القيس بن عمرو اللخمي، ملك الحيرة من قبل الفرس وليها بعد موت أبيه (٤٠٣م) كان شجاعاً كثير الغارات، داهية، ربيع الذكر. صاحب القصرين الشهيرين الخورنق والسدير، زهد في الملك عند اكتماله، فانصرف سائحاً في البلاد، توفي سنة (٤٣١م). انظر: ابن خلدون (٢٦٣/٢)، الأغاني (٣٣/٢)، الأعلام (٣٥/٨).

(٢) الكسر: الجانب والناحية من البيت. انظر: لسان العرب، مادة [كسر].

(٣) الفريابي، هو: محمد بن عبد الله بن محمد العتقي، الأفريقي، أبو عبد الرحمن. مؤرخ، فلكي، مشارك في عدة علوم. توفي في مصر سنة (٢٨٥هـ)، من آثاره التاريخ الجامع إلى أيام العزيز العبيدي. انظر: تاريخ الحكماء (٢٨٥)، هدية العارفين (٥٥/٢)، معجم المؤلفين (٤٥٧/٣).

بسبب^(١) قد علقه بيديه من العشاء إلى الصباح وهو ينشد:
 إذا جن ليلي فاضت العين أدمعًا على الخد كالغدران أو كالسحاب
 أو ذ طلوع الفجر والليل قاتل لقد شدت الأفلاك بعد الكواكب
 فما أسقي إلا على ذوب مهجتي ولم أدر يومًا كيف حال الحباب^(٢)
 فلما كان بعد أيام دخل عليه صديقه فوجده غاصًا بالضحك مستبشرًا،
 فسأله.

فقال:

لقد حدثني النفس إن سوف نلتقي ويبدل بُعد بيننا بتداني
 فقد آن للدهر الخؤون بأنه لتأليف ما قد كان يلثمان
 ثم شهق شهقة فاضت نفسه فيها.

قال الفريابي: فضبط اليوم الذي مات فيه فوجد موت عقيلة في ذلك اليوم
 أيضًا.

وأخرج المصنف عن ابن دريد عن الفرزدق ، قال: خرجت في طلب غلام
 أبوق، فلما صرت على ماء لبني حنيفة^(٣) جاءت السماء بالأمطار فلجأت إلى بيت
 من جريد النخل فيه جارية سوداء، فأنزلتني فلم ألبث إلا ريثما أخذت الراحة وقد
 دخلت لي جارية كأنها القمر، فحيت ثم قالت: ممن الرجل؟
 قلت: تميمي.

قالت: من أيتها قبيلة؟

قلت: من نهشل بن غالب^(٤).

(١) السبب: الحبل. انظر: لسان العرب، مادة [سبب].

(٢) مهجتي: المهجة. القلب أو الروح. انظر: لسان العرب، مادة [مهج].

(٣) بنو حنيفة: قبيلة من بكر بن وائل، من العدنانية، تنسب إلى ابن لجيم بن صعيب بن علي بن

بكر بن وائل، تتفرع إلى بطون كثيرة، وكانوا يقطنون اليمامة ثم تفرقوا في كثير من البلدان.

انظر: معجم قبائل العرب (٣١٢/١).

(٤) نهشل بن غالب: هم نهشل بن دارم، بطن من دارم، من تميم، من العدنانية، وهم: بنو

نهشل بن دارم بن مالك بن زيد بن تميم. انظر: معجم قبائل العرب (١١٩٧/٣).

فقلت: إذا أنتم الذين يقول فيكم الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بني لنا بيتاً دعائمهُ أعز وأطول
بيتاً زرارة محتب بفنائسه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

قلت: نعم.

قالت: قد هدمه جرير بقوله:

أخزى الذين سمك السماء مجاشعاً وأحل بيتك بالخضيب الأوهد^(١)

قال: فأعجبني فلما رأته ذلك في عيني.

قالت: أين تؤم؟

قلت: الإمامة.

فتنفست الصعداء ثم قالت:

تذكرت الإمامة إن ذكرى بها أهل المروءة والكرامة
إلا فسقى المليك أجش جونا تجود بصحة تلك الإمامة
أحيى بالسلام أبان جيد فأهل للتحية والسلامة

قال: فأنست بها، فقلت: أذات خدر أم ذات بعل^(٢)؟

فقلت:

إذا رقد النيام فإن عمراً تورقه الهموم على الصباح
تقطع قلبه الذكرى وقلبي فلا هو بالخلي ولا بصاح
سقى الله الإمامة دار قوم بها عمرو يحن إلى السراح

فقلت لها: من عمرو؟

فأنشدت:

إذا رقد النيام فإن عمراً هو القمر المنير المستنير
ومالي في التبعيل من سراح وإن ردة التبعيل لي أسير
ثم سكتت كأنها تسمع كلاماً.

(١) الأوهد: المهد أو المنخفض من الأرض. انظر: لسان العرب مادة [وهد].

(٢) ذات خدر: عذراء. انظر: لسان العرب، مادة [خدر].

ثم أنشدت تقول:

يخيل لي أبا كعب بن عمرو بأنك قد حملت علي سرير
فإن يك هكذا يا عمرو إنني مبكرة عليك إلى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت.

ومنهم : ما حكاه الأصمعي .

وقد قال له الرشيد: حدثني بأعجب ما رأيت، قال أخبرني السميذع بن عمرو الكلابي -وقد جاوز المائة- ، قال: كنت كثير الأسفار فمررت قاصداً اليمامة بيت يلوح، وقد قرب الليل فأردت المبيت عنده، فقالت لي امرأة منه: أضيف أنت؟

قلت: نعم.

فقالت: على الرحب والسعة، ولكن تنح حتى يأتي رب المنزل، فعدلت إلى طوى^(١) هناك فسقيت ناقتي وجلست، وإذا بسوداء تحمل جفنة ثريد معها تمر ورطب، فقالت: تعلل بهذا.

فقلت: في دونه كفاية، فأكلت وأخرجت دقيقاً فأطعمت ناقتي وتوسدت ذراعها، وإذا بقيم^(٢) قد حال بيني وبين البيت، ثم غفت عيني فلم أفق إلا وشاب على أحسن ما يكون ومعه عبيد قد أقبلوا بحطب ونار فأضرموها وجاؤا بكبش فذبح وكشط^(٣) وطبخوا وثرردوا وقدم إلينا فأكلنا، ثم قال لي: كن هنا حتى آتيك الصباح فلما أشرف الصبح، جاء ففعل كما فعل ليلته، فلما أكلنا، قال: لم أقض حقلك فأقم عندي يومك.

فقلت: سمعاً وطاعة، فركب وتمكنت ساعة، وإذا الجارية تقول لي: أجب ابنة عمك. فقلت: كيف أكلمها وقيمها غائب.

قالت: من وراء حجاب، فأقبلت فسلمت.

فقالت: يا ابن العم، أتريد اليمامة؟

(١) الطوى : السقاء الذي يجعلون فيه الماء . انظر : لسان العرب ، مادة [طوى]

(٢) القيم : قيم المرأة ، زوجها . انظر : لسان العرب ، مادة [قوم]

(٣) كشط : نزع جلد البعير بعد الذبح . انظر : لسان العرب ، مادة [كشط]

قلت: نعم.

قالت: فاحفظ عني هذه الرسالة وأعد إلى جوابها.
وأنشدت:

أعلى العهد مالك بن سنان
أن يكن خان أو تناءى فإني
ما ألم الرقاد منذ بنت إلا
فعلبك السلام ما لألا النور
أم سقاه أفارق الغدر ساق^(١)
لعلى العهد ما استناع رماقي^(٢)
بجفون قريحمة الآمق
وما دب في الثرى عرق ساق

ثم قالت: ليكن إنشادك الأبيات بالحضرمة^(٣)، فلما خرجت في اليوم الثاني،
خرج الشاب.

فقال: يا ابن عمي هل أنت مبلغ عني رسالة وعائد إلى بجوابها؟

قلت: نعم.

فقال: قف بقرآن بني سحيم^(٤).

وأنشد:

أياسر قرآن بالله خبرا
فلو أن فيها مطعماً لتيماً
لهان عليه جوب كل تنوفة
تغربت عن نفسي وأيقنت أنها
عن البكرة العيساء كيف نزاعها^(٥)
نأت دارها عنه وخيف امتناعها
يخاف عليه جورها وضياعها^(٦)
تريد وداعاً يوم جد وداعها

فلما دخلت اليمامة وقفت حيث وصف وأنشدت الأبيات، وإذا بجارية
حاسرة كأنها مهرة تنشد:

-
- (١) أفارق: من تفوق الشراب، أي شربه شيئاً بعد شيء. انظر: لسان العرب، مادة [فوق].
(٢) استناع: من ناع: إذا مال من شدة الجوع. الرماق: ما يسد الحاجة به، القليل الذي يمسك
الرمق. انظر: لسان العرب، مادة [نوع]، [رمق].
(٢) الحضرمة: حضرم في كلامه أي لحن وخالف بالإعراب عن وجه الصواب، والحضرمة
الخلط. انظر: لسان العرب، مادة [حضرم].
(٤) بنو سحيم: سحيم بن مرة، بطن من بنى حنيفة، من العدنانية، وهم: بنو سحيم بن مرة بن
الدول بن حنيفة كانت منازلهم باليمامة. انظر: معجم قبائل العرب (٥٠٥/٢).
(٥) نزاعها، النزاع: الخصومة. انظر: لسان العرب، مادة [نزاع].
(٦) جورها: من جار عن الطريق، إذا عدل عنه وتاه. انظر: لسان العرب مادة [جور].

تحمل هداك الله مـني تحية
 وخبر عن العيساء إن قد توهمت^(١)
 لقد قطع البين المشتت ألفة
 ثم شهقت شهقة فماتت، فلما أردت الإنصراف وقفت بالحضرة وأنشدت
 أبيات المرأة.

فأجابني فتى:

لم يحمل عن وفائه ابن سنان
 أن بين الحشا هيب إشتياق
 لا ولا غاله انتشاء الفراق
 ليس يطفى جواه إلا التلاقي
 إنما أبقت الهموم خيالاً
 باليا ممسكاً بماء الرماق

ثم شهق شهقة فمات، فلما رجعت إلى الحي أخبرت المرأة بجوابها فشهقت
 شهقة فارقت فيها نفسها، وعلت الأصوات، فأقبل الشاب: فقال لي ما شأنها؟
 فأعلمته الخبر ثم أنشدته جواب أبياته، فقال: فها أنا أيضاً ميت فاضطجع فكأنما
 كانت نفسه بيده.

وهذه الحكاية أخرجها في نديم المسامرة والشهاب في منازل الأحباب.
 والحافظ مغلطاي في الواضح وأمثال هذه عندهم يعرف بالعشق المسلسل
 ونظيره ما حكاه الشيزري عن العتبي، قال تذاكرنا العشق يوماً وبيننا شيخ
 ساكت، فقلنا له: ألا تحدثنا بما عندك في هذا، فقال: جلسنا يوماً للشراب ومعنا قينة.

فغنت:

علامة ذل الهوى
 على العاشقين البكا
 ولا سيما عاشق
 إذا لم يجسد مشـتـكى

فقال شاب كان في المجلس: أحسنت والله يا سيدتي، أتأذني لي أن أموت؟
 فقالت: مت راشداً إن كنت عاشقاً، وكان يهوى القينة فاضطجع فإذا هو
 ميت فتنغص مجلسنا، ثم دخلت إلى أهلي فأخبرتهم بالقصة، وكان لي ابنة تهوى
 الشاب ونحن لا ندري، فلما سمعت الخبر قامت إلى خلوة وأنكرت قيامها،
 فدخلت إليها فإذا هي متوسدة كما وصفت لها الشاب ميتة، فلما خرجنا

(١) توهمت، من وحم: إذا اشتهى الشيء بشدة. انظر: لسان العرب، مادة [وحم].

بجنازتها وبالشباب وجدنا جنازة ثالثة وإذا هي القينة ماتت حين بلغها موت ابنتي لأنها كانت تهواها.

ومنهم : ما أخرج الحافظ عن ابن دريد عن عبيد النعماني غلام أبي الهذيل .

قال: رجعت من تشييع جنازة وقد اشتدت الهاجرة فملت إلى ظل أتفياً به، فسمعت صوتاً مطرباً فطرقت الباب أستسقي الماء، فخرج شاب على أحسن صورة غير أن العلة لم تبق إلا رسمه فأدخلني إلى موضع أنيق بالفرش، وجاءت جارية فغسلت رجلي، ثم بعد يسير جاءت بالطست، فقلت: قد غسلت.

قالت: نعم، ولكن اغسل يديك للغداء، فغسلت، وجاءوا بطعام، فأقبل يضاحكني ويأكل متغصصاً^(١) والعبرة تخنقه، ثم جاء بشراب فسقاني وشرب، ثم قال: قم بنا إلى نديم، فدخلت معه إلى بيت لطيف فيه قبر قد صب حوله الرمل، فجلسنا فشرب وسقاني.

ثم أنشد يقول:

أطأ الراب وأنت رهن حفيرة هالت يداي على صدك تراها
إني لأغدر من مشى إن لم أطأ جفون عيني ما حيت جنابها^(٢)
لو أن حشو جوانحي متلبس بالنار أطفأ حرها وأذابها

ثم أكب على القبر مغشياً عليه، فجاءه خادم فرش عليه الماء فأفاق وسقاني وأنشد:

اليوم ثاب لي السرور لأنني أيقنت إنني عاجلاً بك لاحق
فعدا أقاسمك البلا ويسوقني طوعاً إليك من المنية سائق
ثم قال: قد وجب عليك حقي، فاحضر غداً جنازتي، فدعوت له بطول البقاء وانصرفت.

فقال: عقتني إن لم تقل:

جاور خليلك مسعداً في رسمه كيما ينالك في البلا ما ناله

فانصرفت عنه، فلم أعرف يوماً حتى أصبحت فأتيته فإذا هو قد مات فدفن إلى جانبها.

(١) متغصصاً، من غص بالطعام: إذا اعترض في حلقه شيء منه. انظر: لسان العرب، مادة [غصص].

(٢) جنابها، الجناب: ما اقترب من محلة القوم. انظر: لسان العرب، مادة [جنب].

قلت: نقل في عجيب الاتفاق وليس من شأنه هذا ، أن هذا الشاب كان يهوى ابنة عمه ومنع عنها زماناً، ثم مات أبوها فتزوج بها فأقام معها ثلاث ليال ثم حمت ساعة من نهار فجلس وأخذ رأسها على ركبته، فشربت الماء فشهقت وماتت فدفنها في بيته، وأقام يبكي وقد هجر الطعام والشراب واللبس والنوم، فكانت مدته إلى أن لحق بها ثلاثة عشر يوماً.

وأيضاً من نظير المسلسل ما روي عن يونس النحوي^(١)، قال نزلت بصديق لي بيادية يقال له مالك العذري، فإذا نحن بامرأة تقول: قد تكلم، فاستبشر النساء بذلك، فسألت صديقي عن الخبر.

فقال رجل منا: أحب ابنة عمه وتزوجها رجل وحملها إلى الحجاز فصار ملقى على فراشه من نحول لا ينطق.

فقلت: أحب أن أنظره فقمنا حتى وقفنا عليه.

فقالت أمه: يا ولدي هذا عمك مالك.

ففتح عينيه وأنشد:

ليكني اليوم أهل الود والشفق لم يبق من مهجتي إلا شفا رمق^(٢)

اليوم آخر عهد بالحياة فقد أطلقت من ربة الأحزان والقلق

ثم تنفس فإذا هو ميت فقمنا عنه، فلما رجعنا إذا نحن بشابة بيضاء ناعمة الثياب تبكي بحرقة وجزع، فسألناها عن السبب.

فأنشدت:

اليوم أبكي لصب شف مهجته طول السقام وأضنى جسمه الكمد^(٣)

يا ليت من خلف القلب المقيم به عندي فأشكو إليه بعض ما أجد

انشر تربك أسرى لي النسيم به أم أنت حيث يناط السحر والكبد

ثم شهقت شهقة وماتت، فإذا هي تهوى الشاب.

(١) يونس النحوي، هو: ابن حبيب بالولاء، أبو عبد الرحمن، أديب، نحوي، عالم بالشعر، عارف بطبقات الشعراء، من قرية الجبل بين واسط وبغداد، توفي سنة (١٨٢هـ). من آثاره: النوادر،

الآثار. انظر: معجم الأدباء (٦٤/٢٠)، الأعلام (٣٤٤/٩)، معجم المؤلفين (١٩١/٤).

(٢) شفا: الشفا من الشيء، قليله. انظر: لسان العرب، مادة [شفا].

(٣) شفّ: أوهنه وأنخله. انظر: لسان العرب، مادة [شفف].

قلت: قال في النزهة: عن الرياشي عن يونس هذا، قال: اجتمعت بصديق بعد ذلك اليوم، بمدة لا تزيد عن شهرين، فقال لي: أتعرف الشاب الذي مات يوم كذا؟

قلت: نعم.

قال: قدم علينا الحجازي زوج ابنة عمه فأخبر أن المرأة من لندن حملها لم تنفك عن المرض، حتى قضت يوم كذا فإذا هو اليوم الذي مات فيه الشاب. ومنهم: ما حكاه الكاتب^(١).

قال: كنا في متنته وقد أقبل ابن عائشة^(٢) يسوس غلامًا لا يستطيع أن يملك نفسه، فسألناه عن أمره.

فقال: من العشق، فتذاكرنا أخبار العشاق.

فقلت: ألا أحدثكم بأعجب من هذا؟

قالوا: هات.

قلت: أخبرني بعض العرب، قال: مررنا بماء وعليه صبية يتغاطسون وقريب منهم شاب عليه أثر الجمال، إلا أنه كالمتحل من علة، فسلمت عليه، فقال: ممن الراكب؟ قلت: من الحمى.

فقال: من كم عهدك به؟

قلت: قريبًا.

فتنفس الصعداء وأنشد:

سقى بلدًا أمست سليمان تحله
من المزن ما يروي به ويشيم
وإن لم أكن من قاطنيه فإنه
يحل به شخص عليّ كريم

(١) الكاتب، هو: يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، أديب، كاتب، شاعر، بارع في صناعة الغناء. من أهل فارس، ونشأ بالمدينة، وأخذ عن معبد. من آثاره: كتب في الأغاني والمغنيين. انظر: هدية العارفين (٥٧١/٢)، الأعلام (٣٤٤/٩)، معجم المؤلفين (١٩٢/٤).

(٢) ابن عائشة، هو: محمد بن عائشة، أبو جعفر. موسيقار، من المقدمين في صناعة الغناء ووضع الألحان في العصر الأموي، من أهل المدينة، ينسب لأمه، وكانت مولاة لأحد بني كندة، توفي سنة (١٠٠هـ). انظر: الأغاني (٦٠/٢)، الأعلام (١٧٩/٦).

ألا حبذا من ليس يعدل قربه لديّ وإن شط المزار نعيم
ومن لا منى فيه حبيب وصاح فردّ بغيظ صاحب وحميم
ثم أغشي عليه فصبينا عليه الماء فأفاق.

ثم أنشد:
إذا الصب الغريت رأى خضوعي وأنفاسي تزين بالخشوع
ولي عين أضر بها التفاني إلى الأجزاء مطلقه الدموع
إلى الخلوات يأنس فيك قلبي كما أنس الغريب إلى الجميع

فقلت له: إن كان لك حاجة فيها شفاء نفسك فمرني بها فإني مطيع .
فقال: اعلم أنك محل الثقة ، ولكن لم تدرك مني إلا صباغة لا تتلافى ،
ففارقت فبلغني أنه لم يبت تلك الليلة .
ومنهم : ما حكاها في منازل الأحاب .

قال: كان في بني عذرة فتى ظريف يهوى محادثه النساء، فعلق جارية فأضنته
حتى لزم الوساد، وسئلت في أمره فامتعت حتى إذا بلغ الموت، جاءته فحين
رآها أنشد:

أريتك ان مرّت عليك جنازتي تمرّ على أيدي طوال وشرع
أما تتبعين النعش حتى تسلمي على رمس ميت في الحفيرة مودع
فحلفت أنها لم تعلم أنه بلغ به الحب إلى هذا الحال وأخذت تستعطفه، فتمثل
بقول بشر بن حضرم الكلاعي:

أتت وحياض الموت بيني وبينها . وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل
ثم أغشي عليه وانكبت تقبله ، فإذا هو ميت فلم تمكث بعده إلا قليلاً .
ومنهم : ما حكاها ابن الجوزي .

أن رجلاً علق جارية نصرانية وأخذ هواها منه حتى أزال عقله، فحمل إلى
البيمارستان فأقام به مدة، وكان له صديق يتعهده، فقال له يوماً، وقد أشرف
على التلف: قد أيست من ملاقة فلانة في الدنيا، وأخاف أن لا ألقاها في الآخرة
إن مت مسلماً. ثم تنصر ومات، فخرج من عنده فوجدها عليلة، وهي تقول: قد
أيست من فلان في الدنيا فأنا أسلم لألقاه في الآخرة، ثم أسلمت وماتت.

ومنهم : الحارث المشهور بابن الفرند من خزاعة .

وقال في الشامل: إنه من قحطان ، نشأ وابنة عمه عفراء بنت الأحمر ممتزجين بالألفة إلى أن بلغا، فتزوج بها فأقاما مدة ينمو الهوى بينهما إلى أن عزمست يوماً على أن تزور أباهما فجهزها إليه فأقامت مدة وكل منهما يأبى أن يجيء بنفسه، وزادت الوحشة بينهما، وحلف أبواهما على أن يأتي أحدهما الآخر مخافة أن تزري^(١) العرب به. فمرض الحارث فكتب إليها :

صبرت على كتمان حبك برهة ولي منك في الأحشاء أصدق شاهد
هو الموت إن لم تأتي منك رقعة تقوم لقلبي في مقام العوائد
فأجابته :

كفيت الذي تخشي وصرت إلى المنى ونلت الذي تهوى برغم الحواسد
ووالله لولا أن يقال تظننا بي السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما في الرقعة وانتشق ريحها، وكانت أعطر نساء زمانها، غشي عليه فإذا هو ميت، فقيل لها: ما كان عليك لو أحييته بزورة .

قالت: خشيت أن يقال صبوت إليه ، ولكني قاتلة نفسي عن قريب ، فلم يشعر بها إلا وهي ميتة .
ومنهم : عياش الكنانى .

قال هشام: خرجنا في حاجة وهو معنا فمررنا ببني حنيفة فرأى جارية منهم فوقعت من قلبه موقعا عظيما فتخلف عنا، وراسلها فأبت وكان لا يخطيء سهمه إذا رمى، فسحب قوسا وأقبل في الليل وهي نائمة بين أخواتها فأيقظها، فلما شعرت به ، قالت: لئن لم تذهب لأوقظنهم فيقتلونك ، فحلف إن أعطته يدها يضعها على فؤاده تسكينا لما به فينصرف، ففعلت فانصرف .

فلما كان من قابل أتى وفعل كفعلته ، فقالت له كالأول، فحلف إن أمكنته من رشفة مضى، ففعلت، وشعر به الحي فتبعوه، فخرج على جبل وأعقب الوقت سماء، فرجع الناس ، وأخذ الجارية من الوجد أضعاف ما عنده، فخرجت مع جارية من الحي وقد زهر القمر فرآها على بعد، وقد أسبلت^(٢) شعرها من

(١) تزرى: زرى عليه، عاتبه أو عابه عليه. انظر: لسان العرب، مادة [زرى].

(٢) أسبلت: أسبل الشعر: أرسله. انظر: لسان العرب، مادة [سبل].

الندى، فحسبها بعض من يطلبه فرماها بسهم فلم يُخطِ قلبها، ونزل فوجدها تتخبط بدمها وقد أشرفت على الهلاك، فقتل نفسه.
ومنهم : ما وراه أعرابي أو هو جبلة بن الأسود .

قال: خرجت في طلب ضالة لي، فوقعت على راع عنده غنم يرعاها، وقد اتخذ بيتاً في كهف هناك، فسألته القرى فرحب بي وأنزلني، ثم جاء بشاة فذبحها وجعل يشوي ويقدم إلى ويحادثني حتى كتفيت .

فلما جن الليل إذا بفتاة كأحسن ما يكون من النساء قد أقبلت إليه، فجلسا يتحادثان حتى طلع الفجر فمضت، وسألته الذهاب، فأبى، وقال: الضيافة ثلاث، فأقمت، فلما جاء الليل رأيته يقوم ويقعد متضجراً.

ثم أنشد:

أعاجها طرب أم صدها شغل	ما بال مية لا تأتي كعادتها
حتى الممات وما لي غيركم أمل	لكن قلبي عنكم ليس يشغله
لما اعتذرت ولا طابت لك العلل	لو تعلمين الذي بي من فراقكم
تكاد من حره الأعضاء تنفصل	نفسي فداؤك قد أحللت بي سقمًا
لما دوا أنهد من أركانه الجبل	لو أن غادية منه على جبل

فسألته عن شأنه، فقال: هذه ابنة عمي وأنا أحبها فخطبتها من عمي فأبى عليّ لفقري، وزوّجها من رجل وقد حملها إلى هذا الحي فخرجت عن مالي وعملت راعياً لهم، فهي تأتيني على غفلة من زوجها، فأنظر إليها ونتحادث ليس غيره، والآن قد قلت لفوات ميعادها، وفي الطريق أسد قد كسر وأخاف أن يكون أصابها، فعلى رسلك حتى أعود وأخذ السيف ومضى قليلاً ثم عاد يحملها وقد أصابها الأسد فطرحها، ثم غاب ورجع يجر الأسد مقتولاً، فطرحه و انكبّ يقبلها ويكي، ثم قال لي أسألك بالذمة إلا ما دفتني وإياها في هذا الثوب . وكتبت على القبر هذا الشعر فإني لا بقاء لي بعدها، ثم انكب عليها، فإذا هو ميت، وقيل: انكبّ على السيف فخرج من ظهره.

وفي رواية: ونمنا إلى الصباح فوجدته ميتاً فلففتها ودفتتها وكتبت على القبر الشعر الذي أوصي به وهو:

كنا على ظهرها والدهر في مهل والعيش يجمعنا والدار والوطن
 ففرق الدهر بالتصرف الفتا فاليوم يجمعنا في بطنهما الكفن
 ثم فرقت الغنم ومضيت إلى عمه ، فأخبرته بذلك فكاد أن يقضي أسفاً، على
 عدم الجمع بينهما.
 ومنهم : كامل بن الرضين .

وكان يجب ابنة عم له يقال لها أسماء، فافتتن بها حتى أنحلها السقم ولزم
 الوساد فسأل أبوه أباها أن يزوجه منها، فقال له: احمله إليّ لأزوجه بها، ففعل،
 فلما علم بذلك قال أو أنا بموضع تسمعي به. قالوا: نعم فشهب شهقة فمات،
 فقالت: قد كنت قادرة على زيارته فتركتها خوف الريية فلا تبعنه، ثم مرضت،
 فقالت: لأخص نساءها صوري لي صورته ففعلت، فلما اعتنقتها فارقت نفسها
 فدفنت إلى جانبه وكتب على قبريهما:

بنفسي من لم يمتعا بهواها على الدهر حتى غيبا في المقابر
 أقاما على غير التزاور برهة فلما أصيب قربا بالتزاور
 فيا حسن قبر زار قبراً يجبه ويا زورة جاءت بريب المقادر
 ومنهم : مرة النهدي .

وكان قد شغف بابنة عمه ليلي ، وكانت أوحده نساء زمانها حسناً ، فكنتم
 حبه لها حتى تزوجها، فأقاما مدة لا يزداد حالهما إلا بشغفاً إلى أن أمره الخليفة
 بالتجهيز إلى غزو خراسان . فشكا إليها عدم القدرة على فراقها، فقالت: اصنع
 ما شئت، فحملها معه حتى أودعها عند صاحب له، وتعجل الغزو.
 فلما رجع كره أن يدخل ابتداء ، فجلس بإزاء القصر ، فخرجت جارية ،
 فسألها : ما صنعت المرأة التي خلفتها عندكم؟ قالت: ذاك القبر الجديد قبرها،
 فترددت حتى خرجت أخرى، فأخبرته مثل ذلك، فمضى إلى القبر فجعل يتمرغ
 عليه ويكي.

ثم أنشد:

ويا قبر ليلي لو شهدناك أعولت عليها نساء من فصاح ومن عجم^(١)

(١) أعولت: من عول: إذا رفع صوته بالصياح والبكاء. انظر: لسان العرب، مادة [عول].

ويا قبر ليلي ما تضمنت قبلها شبيهاً ليلي في عفاف وفي كرم
ويا قبر ليلي أكرم من محلها يكن لك ما عشنا علينا بها نعم
ويا قبر ليلي إن ليلي غريبة براذن لم يشهدك حال به وعم

ولم يزل كذلك حتى مات ودفن إلى جانبها .
ومنهم : رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف .

تزوج ابنة عمه، فشغف بها حتى لم يستطع فراقها فنقد ما معه، وضاق حاله،
ولم يكتسب شيئاً يقات به، فقالت له يوماً: لو خرجت إلى هشام بن عبد الملك
فسألته شيئاً لما منعك، فجهز نفسه، فلما صار قرب الرصافة أغمي عليه ساعة،
ثم أفاق وأنشد:

بينما نحن بالملاكت بالقـا ع سراعاً والعيس تهوى هوياً^(١)
خطرت خطرة على القلب من ذكرا ك وهنا فما استطعت مضياً
قلت لبيك إذ دعاني لك الشـو ق وللحـاديين ردّ المطيـا
فكررنا صدور عيس عتاق مضمـرات طوين بالسير طيا
ذاك مما لقين من دلج السير وقول الحداة بالليل هيا^(٢)

ثم قال للجمال: ارجع.

قال: يا سبحان الله قد وصلت إلى الرصافة.
فأقسم لا يخطو إلا راجعاً، فلما عاد صادفه رجل من بني عمه فأخبره أن
زوجته قد ماتت فلم يسمع منه إلا شهقة وفارقتة نفسه.

(١) تهوى: من هوت الدابة: إذا أسرع في سيرها. انظر: لسان العرب، مادة [هوى].

(٢) دلج: إذا أدج سار في الليل. انظر: لسان العرب، مادة [دلج].

فصل

فيمن أناخ به الحب ثقله حتى أذهب عقله

وهؤلاء المعروفون عند أهل القوانين بعقلاء الجانين، وقد أفردوا كثيراً بالتأليف وجعلتهم من الجاهيل لاشتباههم بهم فيما قدّمت من الشروط.
فمنهم : ما أخرجه مغلطاي عن الأديب .

قال: عشق فتى عندنا جارية، فلم يزل يزداد ولعه بها حتى ذهب عقله، فكان آونة يسكن إلى الناس وأخرى يسكن الخربات ويتوحش، فمررت به يوماً في خربة يثير التراب على وجهه، فسألته عن حاله .
فأنشد:

يتمني جهها وأضناني وفي بحار المهموم القاني
كيف احتيالي وليس لي جلد في دفع ما بي وكشف أحزاني
يا رب اعطف بقلبيها فعسى ترحم ضعفي وطول أشجاني

ففارقته ومضيت، فلما كان بعد مدة إذا أنا به يتمرغ على الأرض، فلما أبصرني.
قال: يا عم أنا الليلة ميت، فدعوت له ومضيت، فلما أصبحت غدوت عليه فإذا هو قد قبض.

ومنهم : ما ذكره ابن المرزبان^(١) في الذهول والنحول عن سعيد بن ميسرة .

قال: صحبنا شاب فكان لا يلهج إلا بهذه الأبيات:

إلا إنما التقوى ركائب ادلجت وأدر كست الساري بليل فلم ينم
وفي صحبة التقوى غناء وثرورة وفي صحبة الأهواء ذل مع العدم
فلا تصحب الأهواء واهجر مجها وكن للتقي إلفا تكن في الهوى علم

فسألناه : لمن الأبيات؟ قال: لأخ لي كنت أحبه حباً شديداً، ولم أر أمزح منه مع التقوى، فسألته: اللدنيا تلهج بهذه، أم لأخرى، فقال: لأمر لا أخبرك به حتى ينفذ من يدي.

(١) ابن المرزبان، هو: سهل بن المرزبان، أبو نصر، أديب، فكثرت من جمع نفائس الكتب، له نظم حسن، كان معاصراً للثعالبي صاحب اليتمية وبينهما مداعبات ومكاتبات. من آثاره: أخبار ابن الرومي، الألفاظ، توفي سنة (٤٢٠هـ). انظر: الأعلام (١٤٣/٣).

ودام على ذلك حتى لزم الفراش، فكانت الأطباء تختلف إليه ولم تؤثر معه شيئاً، وكان يصرخ الليل، كله فأجمعنا على أن ندعه وشأنه، فكان يجلس نهاره على الباب، وكلما مرّ به شخص يسأله إلى أين يذهب، فيقول: إلى موضع كذا، فيقول: لو مررت على من نريد لحملناك حاجة، فقال له صاحب له: أنا مارّ حيث تريد.

فقال:

تقرأ السلام على الحبيب تحية وتبثه بتطاول الأسقام^(١)
وتفیده أن التقى ذم الهوى . لما غدا مستغولاً بزمام

قال : نعم، فما كان بأسرع من أن رجع.

فقال: بلغتكم رسالتك، فقالوا:

لئن كان تقوى الله ذمتك أن تل أمر أنهي عنها بنهي حرام
فزرنا لنقضي من حديث لبانة ونشفي نفوساً آذنت بسقام^(٢)

قال: فوثب قائماً، ثم أنشد يقول:

سأقبل من هذا وفيه لذي الهوى شفاء وقد يسلو الفتى جد وامق
إذا اليأس حل القلب لم ينفع البكى وهل ينفع المعشوق دمة عاشق

قال: ومضى، فقامت خلفه وحدي حتى أتى منزل رجل من أهل الفضل والرأي والدين، وكانت له ابنة من أجمل النساء، فوقف على الباب .

وقال:

فها أنا قد جئت أشكو صابتي وأخبركم عما لقيت من الحب
وأظهر تسليمًا عليكم لتعلموا بأن وصولي ثم ذا منكم حسي

قال: فلما فهمت القصة وخشيت أن يظهر أمره، قلت له: ما جلوسك على باب القوم ولم يأذنوا لك.

قال: بلى.

(١) تبثه: تخبره وتطلعه على الأمر. انظر: القاموس المحيط، مادة [بث].

(٢) لبانة: الحاجة التي يهتم الإنسان قضاؤها. انظر: القاموس المحيط، مادة [لبن].

قلت: كيف وهم يقولون:

بإله ربك لا تمس ببابنا

إننا نخاف مقالة الحساد

فقال: يا صالح أقد قالوا هذا؟

قلت: نعم، فجعل يهذي ويقول:

إن كان قد كرهو زيارة عاشق

فلرب معشوق يزور العاشقا

ثم رجع، فلزم الوساد حتى مات.

ومنهم: ما حكاه الوراق^(١) عن الصوفي.

قال: حدثني صديق لي، قال: دخلت اليمارستان ببغداد، فرأيت شاباً نظيف الثياب قد

شد إلى سارية ووراءه وسادة ويده مروحة، فسلمت عليه، وقلت له: ماذا تريد؟

فقال: قرصين وفالودج^(٢)، فأحضرتهما، فلما فرغ قلت له: هل تطلب غير هذا؟

قال: وما أظنك تقدر عليه.

قلت: اذكره، فلعن الله أن يساعدي عليه.

فقال: تمضي إلى زقاق الغفلة، فتقف بباب كذا وتقول مجنونكم من ذا أنحلته.

فمضيت وفعلت ما قال، فخرجت إلى عجوز، فقالت: قل له عليلكم من ذا

أعله، فرجعت إليه وأخبرته بذلك، فشهو شهقة فمات، فرجعت إلى الباب

فوجدت الصراخ وقد ماتت الجارية.

ومنهم: ما حكاه السامري.

قال: مررت أنا وصديق لي بدير هرقل، فقال هل لك أن تدخل فتنظر إلى ما

فيه من ملاح المجانين، فدخلنا، وإذا بشاب نظيف الثياب، حسن الهيئة، جميل

المنظر، فحين بصر بنا، قال: مرحباً بالوفد قرب الله بكم بابي، من أين أقبلتم؟

فقلنا: جعلنا فداءك ومتع الله بك، أقبلنا من كذا، ثم قلنا له: ما أجلسك

ههنا وأنت لغير هذا المكان أهل وهو لغيرك محل، فتنفس الصعداء وهو مشدود

إلى الجدار في سلسلة وصبوب طرفه إلينا.

(١) الوراق، هو: عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين، شاعر، كان كاتباً لوالى مصر، وله

ديوان شعر، توفي سنة (٦٩٥هـ) انظر: شذرات الذهب (٤١٩/٥)، الأعلام (٦٣/٥).

(٢) فالودج: كلمة فارسية تعنى حلواء تصنع من الدقيق والماء والعسل. انظر: القاموس المحيط، مادة [فلذ].

وأنشد:

الله يعلم أنني كمد لا أستطيع أبث ما أجسد
روحان لي روح تضمنها بلد وأخرى حازها بلد
أما المقيمة ليس ينفعها صبر وليس يقرها جلد
وأظن غائبتي كشاهدتي بمكانها تجسد الذي أجسد

قلت وسيأتي منه: إنه ينسب هذا الشعر لخالد الكاتب، ولا يمكن أن يقال: إن هذا المحكى عنه هو، لأن خالدًا لم يجبس وإنما كان سائحًا، كما سيأتي فلم يبق إلا استعارة أحدهما من الآخر قال الراوي: ولما فرغ من شعره التفت إلينا، فقال: هل أحسنت.

فقلنا: نعم، ثم ولينا.

فقال: بأبي ما أسرع ذهابكما، أغيراني سمعكما فعدنا إليه.

فأنشد:

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم ورحلوا وسارت بالهوى الإبل^(١)
وقلبت من خلال السجف ناظرها ترنو إليّ ودمع العين منهمل^(٢)
فودعت بنان عقدها عم من ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلي من البين ماذا حلّ بي وبها يا نازح الدار حلّ البين وارتحلوا
يا حادي العيس عرج كي أودعها يا حادي العيس في ترحالك الأجل^(٣)
إني على العهد لم أنقض مودتهم فليت شعري وطال العهد ما فعلوا

فقلنا له، مجونًا لننظر ما يفعل: ماتوا، فقال: أقسمت عليكم، ماتوا؛ قلنا: نعم فجذب نفسه في السلسلة جذبة دلج^(٤). منها لسانه وبرزت عيناه وانبعث الدم من شفثيه وشهق فإذا هو ميت. فما ندمننا على شيء أعظم منه. وحكاها المبرد كما هي وزاد أن قال: فوجدنا في الدير مجانين ليس فيهم أنظف من شاب عليه بقايا ثياب ناعمة فدنوننا منه.

(١) العيس: إبل بيض يخالط بياضها سواد خفيف. انظر: القاموس المحيط، مادة [عيس].

(٢) السجف: الستار الذي يسدل على باب البيت. انظر: القاموس المحيط، مادة [سجف].

(٣) عَرَجٌ: قِفٌ. انظر: القاموس المحيط، مادة [عرج].

(٤) دلج لسانه: أخرجه من فمه. انظر: القاموس المحيط، مادة [دلج].

فقال: أنشدوني شيئاً من الشعر أو أنا أنشدكم.
 فقلنا له: أنشد ، فأنشد الشعرين ، فلما قال (ما فعلوا) قال رجل بغيض معنا: ماتوا.
 فقال: وأنا أيضاً أموت .
 فقال له: افعَل ما شئت، فتحدّب حتى مات.
 وأخرج الزجاج في أماليه: عن المبرد الحكاية أيضاً ، لكنه قال: فقال لنا: أنشدوني.
 فقلت : لرفيقي أنشده.
 فأنشد:

قبلت فاما على خوف مخالسة كقابس النار لم يشعر من العجل
 ماذا على رصد في الدار لو غفلوا عني فقبلتها عشراً على مهل
 غضي جفونك عني وانظري أماً فإنما افتضح العشاق بالمثل
 فقال: أنا وهذا القائل على طرفي نقيض، فإنه يرى محبوبه وأنا مقصي.
 فقلنا له: أنت عاشق .

قال: نعم .

قلنا: لمن ؟

قال: أنت سؤلة^(١).

قلت: محسن إن أخبرت .

قال: عقد لي أبي على ابنة عم لي، ثم توفي وترك مالا كثيراً، فاستولى عمي على المال ونسبوني إلى الجنون.

قال المبرد: هذا كله والقيّم يقول: احذروه فإنه يتغير، ثم التفت إليّ فقال:
 أنشدني أنت فإنك من أهل الأدب ، فلم يحضرني إلا قول الشاعر:

قال سكيّنة والدموع زوارف تجري على الخدين والجلباب
 ليت المغيري بالذي لم أجزه فيما أطال تبصري وطلابسي
 كادت ترد لنا المنى أيامه إذ لا آلام على هوى وتصابي
 خبرت ما قالت فقلت كأنما ترمي الحشا بصوائب النشاب^(٢)
 أسكين ما ماء الفرات وطيبه مني على ظمأ وحب شراب
 بألد منك وإن نأيت وقلمما يرعى النساء أمانة الغياب

(١) سؤله: كثير السؤال . انظر: لسان العرب ، مادة [سأل] .

(٢) النشاب: السهام. انظر: القاموس المحيط ، مادة [نشب].

ومنهم : ما حكاه الأسدي عن أبيه .

قال : دخلت دير هرقل ، فوجدت شاباً حسن الهيئة مكبلاً بالحديد ، فقلت له :
من الذي أوجب لك هذه الحالة ؟
فأنشد :

نظرت إليها فاستحلت بنظرتي دمي ودمي غال فأرخصه الحب
وغاليت في حبي لها ورات دمي رخيصاً فمن هذين داخلها العجب
ومنها : ما حكاه ابن غنيم .

قال : مررت بخربة ، فرأيت مجنوناً مصفداً بالحديد يتمرغ في التراب ويقول :
ألا ليت أن الحب يعشق مرة فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون فز بالصبر إنك هالك وللصبر مني ألف مرة أجزع

ومنهم : ما حكاه أبو الحسن المؤدب .

قال : انحدرت من بالس^(١) أريد العراق ، فبينما أنا في بعض أزقة الموصل^(٢) إذ
سمعت ضجة ، فسألت ، فقيل : دار المجانين ، فدخلت فإذا أنا بشاب في الحديد قد
تضرج بالدم ، فلما بصر بي قال : من أين ؟

قلت : من بالس .

قال : وأين تريد ؟

قلت : العراق

قال : أتعرف بني فلان ؟

قلت : نعم .

قال : هم الذين صيروني إلى ما ترى في عشقهم .

وأنشد :

زموا المطايا واستقلوا ضحى ولم ييالوا قلب من تيموا^(٣)
ما ضرهم والله يرعاهم لو ودّعوا بالطرف أو سلموا

(١) بالس : قرية في سوريا شرقى حلب ، من الإقليم الرابع . انظر : معجم البلدان (١/٣٩٠) .

(٢) الموصل : هي مدينة مشهورة وإحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظر كبراً ، وعظماً ، وسعة رقعة ، ومنها

يقصد إلى جميع البلدان ؛ فهي باب العراق ومفتاح خراسان . انظر : معجم البلدان (٥/٢٥٨) .

(٣) زموا : شدوا ، أو أخطموا . المطايا : الإبل . انظر : القاموس المحيط ، مادة [زم ، المطايا] .

ما زلت أذري الدمع في أثرهم
ما أتصفوني يزوم بانوا صحتي
حتى جرى من بعد دمعي دم^(١)
ولم يفروا عهدي ولم يرحموا

ومنهم : الفويرك وهو من المشاهير في عقلاء المجانين .

قال الأبلبي: رأيت والصبيان يرمونه بالحجارة ، فلما رأني قال : أما ترى ما
يصنع هؤلاء بي مع ما أنا فيه من العشق والجنون ، قال: بلى والله وبلي عشق شديد.
قلت: فما أنشدت فيه شيئاً؟
قال: بلى وأنشد :

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو
فهذا له حدّ وهذا له حدّ
هما استوطنا جسمي وقلبي كليهما
فلم يبق لي قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفنا
على مهجتي أن لا يفارقها الجهد
فأيّ طبيب يستطيع بحيلة
يعالج من داءين ما منهما بدّ

وقال يوماً وقد لقيته وفي عنقه حبل يقودونه: يا أبا بكر، بماذا يعذب الله عبادة؟
قلت: بجنهم.
فقال: صفها.

فقلت له: ومن الذي يقدر أن يصف عذاب الله؟
فقال: أنا والله في عذاب أعظم منه وكشف عن جسم نحيل وعظام بالية .
وأنشد :

أنظر إلى ما صير الحسب
لم يبق لي جسم ولا قلب
أنحل جسمي حسباً من لم يزل
من شأنه الهجران والعتب
ما كان أغناني عن حسب من
من دونها الأستار والحجب

وقال له ابن الزيات: متى حدث بك العشق؟
قال: من زمان طويل ، ولكن كنت أكتمه حتى غلب.
فقال: أنشدني ما قلت فيه .
فأنشد :

كتمت جنوني وهو في القلب كامن
فلما استوى والحب أعلنه الحب

(١) أذرى الدمع : صبت عينيه الدمع. انظر: القاموس المحيط مادة [ذرا].

وخلى والجسم الصحيح يذيه فلما إذاب الجسم ذل له القلب
فجسمي نحيل للجنون وللهوى فهذا له نهب وهذا له نهب
ومنهم : خالد بن يزيد^(١) .

يكنى أبا القاسم، ويعرف بالكاتب، خراساني الأصل ، بغدادى المنشأ، أحد
كتاب الجيش في الدولة العباسية والمشهورين باللطف والرقه وحسن الشعر، ثم
اعتراه الجنون، قيل: من السوداء.

نقله في النزهة وقال: إنها كانت تعتريه زمن الباذنجان فإذا جاء الشتاء ، حسن حاله.
وحكى في امتزاج الأرواح ورياض اللطائف أنه خرج إلى بعض الأعمال
بأذربيجان ، فشهد مجلساً وفيه قينة، فأعجب بها وطلب أن يصطحبها، فامتنعت
فدخله حبها حتى خامر عقله، فكان يصحو أحياناً ويغمر أحياناً، فترك العمل
مدة ثم استعمله محمد بن عبد الملك في كتابة بعض الأعمال فمرّ بماجنة تغني :
من كان ذا شجن بالشام يطلبه ففي سوى الشام أمسى الأهل

فسقط مغشياً عليه حين سمع ذلك، وتذكر به حال الماجنة وأنها أخبرته أنها
تطلب الشام ، ثم أفاق ورجع ورمى العمل، وكان يركب قصبه^(٢) ويطوف
ببغداد، وأهلها يطلبونه خصوصاً أرباب الدواوين ليستمعوا شعره .

قيل : قال له ابن الجهم يوماً : هب لي قولك :

ليت ما أصبح من رقة حدّيك بقلبك

فقال: من الذي يهب ولده ، ورآه يوماً والصبيان يضربونه ، فأدخله بيته، ثم
قال له بعدما أخذ الراحة: ماذا تريد؟ قال: هريسة ورطبا فأحضرهما، فلما أكل
قال له: أسمعني شيئاً من شعرك.

فأنشد :

تناسيت ما أودعت سمعك يا سمعي كأنك بعد الضر خال من النفع
فإن كنت مجبولاً على الصد والجفا فمن أين لي صبر فأجعله طبعي^(٣)

(١) انظر: الأعلام (٣٠١/٢) ، تاريخ بغداد (٣٠٨/٨) .

(٢) القصبه : من أنواع البعير ، انظر لسان العرب ، مادة [قصب].

(٣) مجبولاً : على فطرته. انظر: القاموس المحيط، مادة [جبل].

هل الحب تجنيه علي التفاتة
 علام الجفا يا من كلفت بجمه
 لن كان اضحي فوق خديك روضة
 فأفرح بعد اليأس مني ومن نفعي
 اتلفني بالهجر منك وبالقطع^(١)
 فإن على خدي غديرًا من الدمع

فقال له: أحسنت والله ووجد لذلك وجدًا عظيمًا ، ثم قال له : أسمعني شيئًا
 غير هذا، قال: حسبك لن ينالك بهريستك ورطبك أكثر مما سمعت ، وخرج من عنده .
 وله أيضًا :

يا تارك الجسم بلا قلب
 يا مفردًا بالحسن أفردتني
 ان تك عيني أبصرت قينة
 حسيك الله لما بي كما
 إن كنت أهواك فما ذنبي
 منك بطول الهجر والحب
 فهل على قلبي من عتب
 انك في فعلك بي حسي

ودخل على ابن عباد فرفع مجلسه ، فقال ابن الأعرابي: من هذا ؟
 فقال: أو ما تعرفه ؟

قال: لا .

قال: هو خالد الكاتب .

فقال له ابن الأعرابي : أسمعنا من شعرك .

فأنشد :

لو كنت من بشر لم يفتن البشرا
 نور تجسم منحلا ومنقدا
 ولم يفتق في الضياء الشمس والقمر
 سلك تضمن في تنظيمه دررا

فقال له ابن الأعرابي: كفرت هذه صفة الخالق لا المخلوق، أنشدنا غير هذا.

فقال :

أراك لما لججت في غضبك
 حتى أتى علي قوله :
 ترك رد السلام في كتبك^(٢)
 حبا لشيء يكون من سيبك

(١) كلفت : أحببته حبًا شديدًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [كلف].
 (٢) لججت: تماديت في الخصومة والعناد. انظر: القاموس المحيط مادة [لج].

فقال له: إنك لفوق ما وصفت به.

ووقف عليه إبراهيم بن المهدي عشية وقد تلفع برداء أسود، فقال له: أنت القائل :
قد بكى العال لي من رحمة فبكتاني لبكاء العال

قال: نعم .

قال: يا غلام ادفع له ما معك.

فقال خالد: وما ذاك؟

قال: ثلاثمائة دينار .

قال: لا أقبلها ، أو تعرفني من أنت؟

قال: أنا ابن المهدي ، فأخذها وانصرف إبراهيم ، فلما بويع له بالخلافة

طلبه، فقال له: أنشدني من شعرك .

فأنشد :

عش فحيك سريعاً قاتلي والضي إن لم تصلني واصلي^(١)

قد طفى الشوق بقلب دنف فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وضي تركباني كالقضيب المائل

وحكى عن حمزة الشاعر نحو ما سبق عن أن ليلهم من رؤيته مع الصبيان

وإدخاله و إطعامه لكنه قال : فأطعمته رطباً فقط واستنشدته .

فأنشد :

قد حاز قلبي فصار يملكه فكيف أسلو وكيف أتركه

رطيب جسم كالماء تحسبه يخطر في القلب منك مسلكه^(٢)

يكاد يجري من القميص من النعمة لو القميص بمسكه

(١) الضنى: المرض والهزال. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضنا].

(٢) يخطر: ما يرد على القلب من تدبير أو أمر. انظر: القاموس المحيط، مادة [خطر].

فصل

في ذكر من جرع كأس الضنى ، وصبر على مكابدة العناء
واتصف بذلك كله من النساء وثبت بعد فراق محبوبه على النوى
أو كان منها داعية الاعتداء

حكى صاحب النزهة ، قال: نشأ ببني حران^(١) شاب لبعض التجار يدعى
واصفًا، وكان كامل الحسن والظرف واللطافة والعفة ، وكان له ابنة عم تسمى
لطيفة ، وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال، ومحاسن الأخلاق
والخصال ، فتوفي أبوها وتركها صغيرة، فكفلها عمها حتى بلغت ، فكانت تنظر
إلى ابن عمها فيعجبها إلى أن تمكن حبه منها ، فمرضت وهي تكتم أمرها.
وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للأمور، فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها
أحيانًا، فإذا دخل الغلام صحت، والتمست ما تأكل، فأخبرت أباه ، فقال: يا لها
نعمة ، ثم زوجه منها، فأوقع الله حبها في قلبه، فأقاما على أحسن حال مدة ،
وهو يأمرها أن تكون دائمًا متزينة متطيبة ، ويقول لها: لا أحب أن أراك إلا
كذا، فلم يزالا على ذلك حتى ضعف الشاب ومات، فحزنت عليه وفقدت
عقلها ، فكانت تتزين بأنواع زينتها كما كانت وتمضي وتمكث على قبره باكية
إلى الغروب .

قال الأصمعي: مررت أنا وصاحب لي بالجبانة، فرأيتها على تلك الحالة، فقلنا
لها: علام ذا الحزن الطويل؟
فأنشدت :

فان تسألاني فيم حزني فإني رهينة هذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والرب بيننا كما كنت أستحييه حين يراني

فعجبنا منها، ثم جلسنا بحيث لا ترانا لننظر ما تصنع .

(١) بني حران: فرقة من الكيار ؛ إحدى عشائر الباب، أحد أقضية حلب. انظر: معجم قبائل
العرب (٢٥٨/١).

فأنشدت :

يا صاحب القبر من كان يؤنسني وكان يكثر في الدنيا موالاتي^(١)
 قد زرت قبرك في حلي وفي حلس كأنني لست من أهل المصيبات
 لزممت ما كنت تهوى أن تراه وما قد كنت تألفه من كل هيأتي
 فمن رأني رأي عبرى موهنة مشهورة الزبي تبكي بين أموات

ثم انصرفت، فتبعناها حتى عرفنا مكانها.

فلما جئنا إلى الرشيد ، قال: حدثني بأعجب ما رأيت، فأخبرته بأمر الجارية .
 فكتب إلى عامله على البصرة أن يمهرها عشرة آلاف درهم، ففعل، وأتى بها
 إليه وقد أنهكها السقم فتوفيت بالمداخن .

قال الأصمعي: فلم يذكرها الرشيد إلا ذرفت عيناه .

وحكى بعض أهل المدينة ، قال: دعاني صاحب لي لسماع جارية تغني ،
 فدخلنا عليها فإذا هي منخرطة^(٢) الوجه، متغيرة، تكثر من السهو والإطراق^(٣)
 كأنها مشغولة، فعزمت عليها أن تخبرني بما بها ، فقالت: برح الذكر ودوام
 الفكر وخلو النهار وتشوقي إلى من سار ، والذي ترى مما وصفت لك، فإن
 كنت ذا أرب^(٤)، صرفت العتب عن ذي الكرب ، واجتهدت في طلب الدواء
 لمن أشرف على العطب، وأخذت العود فغنت تقول :

سيوردني التذكار خوض المهالك فلست لتذكار الحبيب بتارك
 أبى الله إلا أن أموت صباية ولست لما يقضى الإله بما لك
 كأن قلبي حين شط به النوى وخلفني فردا صدور التيازك
 تقطعت الأخبار بيني وبينه ليعد النوى واستد سبل المسالك

فوالله لقد خفت أن تسلب عقلي بغنائها .

فقلت: جعلني الله فداءك وهذا الذي صيرك إلى ما أرى يستحق ذلك مع أن
 الناس كثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن ويخف فقد قال الأول:

(١) موالاتي: الاعتناء بأمرى. انظر: القاموس المحيط، مادة [ولى].
 (٢) منخرطة الوجه: لونها متغير. انظر: القاموس المحيط، مادة [خرط].
 (٣) الإطراق: إمالة الرأس إلى الصدر والسكوت عن الكلام. انظر: القاموس المحيط، مادة [طرق].
 (٤) أرب: دهاء وفطنة. انظر: القاموس المحيط، مادة [أرب].

صبرت على اللذات لما تولت وألذمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فان أطعمت نالت وإلا تولت^(١)
فقلت: قد رمت^(٢) ذلك، فكنت كما قال قيس: ولما أبي إلا جماحاً... (البيتين).
فأسكتني حججها عن المحاوره ، وما رأيت كمنطقها وحسنها وأدبها .
وحكى الزبير بن بكار^(٣): قد دخلت على الأمير بن طاهر حين قدم من
الحجاز، فتبسم في وجهي ثم قال :
لئن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب
وإن أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده ، فأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشرة
نحوت وبغال تحمل عليها أمتعتك ، فشكرت فضله .
فلما عزمت على الانصراف قال: زودنا أيها الشيخ حديثاً نذكرك به.
فقلت: أحدثك بما رأيت أو بما سمعت.
قال: بما رأيت أو بما سمعت .
قال: بما رأيت.

قلت: بينما أنا بين المسجدين، أو قال: على إثارة الأعرج ، إذا أنا برجل صاد
ظلياً وهمّ ليدبجه، فنشب الظبي بقرنيه في الرجل فدخله في جوفه فسقط الصياد
والظبي ميتين.

أو قال: رأيت حباله منصوبة وظلياً مذبوحاً ورجلاً ميتاً، فجاءت امرأة حاسرة وهي .
تقول:

يا حسن يا بطل لكنه أجل على الاساءة ما أودي بك البطل
يا حسن قلقل أحشائي وأزعجها وذاك يا حسن عندي كله جلل

(١) نالت: اشتاقت. انظر: القاموس المحيط، مادة [تاق].

(٢) رُمت: أردت. انظر: القاموس المحيط، مادة [روم].

(٣) الزبير بن بكار، هو: أبو عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير بن
العوام، العلامة، الحافظ، قاضي مكة وعالمها، حدث عنه بن ماجه في (سننه) وثقه
الدارقطني، كان عالماً بالنسب وأخبار المتقدمين، توفي سنة (٢٥٦هـ). انظر: سير أعلام
النبلاء (٣١١/١٢) ، تاريخ بغداد (٤٦٧/٨).

أمست فتاة بني نهد علانية وبعلها في أكف القوم يتذل^(١)
قد كنت راغبة فيه أظن به فحان من دون صن الرغبة الأجل

ثم شهقت فماتت ، فلم أر أعجب من الثلاثة .

وفي رواية: وبعلها فوق أيدي القوم محتمل. فوهب له عشرة آلاف درهم .

قال: أتدرون ما استفدنا من الشيخ.

قالوا: لا .

قال: قوله: علانية يعني ظاهرة، وهذا حرف لم أسمعه من العرب .

وحكى أن امرأة أحبت رجلاً وكان متمنعاً عنها زماناً، فراسلته أن يتزوج بها

ففعل وكانت بينهما ألفة شديدة، فمكثا على ذلك مدة ، فمرض ومات،

فجعلت المرأة تتردد إلى قبره ولزمته يوماً تبكي .

وتنشد :

كفى حزناً أن أروح بحسرة وأغدو على قبر ومن فيه لا يدري

فيا نفس شقي جيب عمرك عنده ولا تبخلي بالله يا نفس بالعمر

فما كان يأبي أن يجود بنفسه لينقذني لو كنت صاحبة القبر

ثم زادت في النحيب وانكبت على القبر فإذا هي ميتة .

وحكى الربيع قال: مررت بجارية على قبر تقول :

بنفسي فتى أوفى البرية كلها وأقواهم في الموت صبراً على الحب

قال: فقلت لها: بم صار كذلك؟

قالت: كان إذ أعنف في حبي يصبر؛ وإذا لحى عليه يسكت، وإذا زاد به

الغرام ينشد هذين البيتين :

يقولون إن جاهرت قد عضك الهوى إن لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فما للذي يهوى ويكتم حبه من الأمر إلا أن يموت فيقبرا

ولم يزل يكررها حتى مات، فها أنا مقيمة على حفظ عهده لا أبرح حتى يتصل

القبران، ثم صرخت وسقطت فاجتمع النساء فحركنها فإذا هي ميتة فدفنت إلى

جانبه.

(١) يتذل: يهان. انظر: القاموس المحيط، مادة [بذل].

وحكى رجل من تميم قال: ضلت لي إبل فخرجت في طلبها، فإذا أنا بجارية كأنها قمر تغشى بصر من ينظر إليها ، فلما رأيتني قالت: مالك ؟ قلت: ضلت لي إبل فلم أعرف خبرها . فقالت: هل أدلك على من عنده علمهنّ ؟ قلت: بلى.

قالت: إن الذي أعطاكهنّ هو الذي أخذهنّ وهو أحق بردهن فسله من طريق التيقن لا من طريق الاختبار. فأعجبني كلامها ووقفت أنظر إليها ثم راودتها عن نفسها، فقالت: هبك ليس لك مانع من أدب، أما لك زاجر من الحياء؟ فقلت: لن يرانا إلا الكواكب . فقالت: أين مكوكبها ؟ فقلت: ألك بعل.

قالت: قد كان ولكن دعني إلى ما خلق له فصار إلى ما خلق منه . ثم أنشدت :

إني وإن عرضت أشياء تضحكني	لموجع القلب مطوي على الحزن
إذا دجا الليل أحياني تذكره	وزادني الصبح أشجاناً على شجني ^(١)
وكيف ترقد عين صار مؤنسها	بين التراب وبين القبر والكفن
أبلي الثرى وتراب الأرض جدّة	كأن صورته الحسناء لم تكن ^(٢)
أبكي عليه حيناً حين أكره	حين والهة حنت إلى وطن
أبكي على من حنت ظهري مصيبته	وطير النوم عن عيني وأرقني
والله لا أنس حيي الدهر ما سجعت	حمامة أو بكى طير على فنن ^(٣)

فقلت لها عندما رأيت من جمالها وفصاحتها: هل لك في زوج لا تدمّ خلائقه وتؤمن بوائقه ؟ فأطرت ملياً .

(١) دَجَى الليل: تمت ظلمته. انظر: القاموس المحيط، مادة [دجا].

(٢) الثرى: التراب الندى. جدّته: أى هيئته السليمة. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثرا]، [جدد].

(٣) سجعت حمامة: هدلت على جهة واحدة؛ ويستخدم فى المثل "ما سجع الحمام" أى إلى الأبد. فنن: غصن الشجرة . انظر: القاموس المحيط، مادة [سجع] ، [فنن].

ثم أنشدت تقول :

كنا كفصنين في أصل غذاؤهما
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه
وكان عاهدني إن خاني زمني
وكنت عاهدته أيضاً فعالجه
فاصرف عنك عمن ليس يردعه
عن الوفاء خلاف في التحيات

وحكى إبراهيم الموصلي^(٢)، قال: كان كثيراً ما يصف لي "زلزل" جارية عنده، فلما مات مولاها وسمعت عرضها للتمبيع ركبت حتى دخلت عليها فإذا هي جارية كاد الغزال أن يكونها لولا ما تم منها ونقص منه فسألته أن تغني ، فأخذت العود وغنت :

اقفر من أوتاره العود
واوحش المزمار من صوته
من للمزامير ولذاتها
فالخمر تبكي في أباريقها
فالعود للإقفار معمود
فماله من بعدك تغريد
وعارف اللذات مفقود
والقيبة الخمصانة الرود^(٣)

فركبت إلى أمير المؤمنين فأعلمته بها ، فاستحضرها فلما وقعت من قلبه ، قال لها: هل لك أن أشتريك ؟

فقالت: أما إذا اشتريتنى فلا خير لك فيّ ، فرحمها وأعتقها وأجرى عليها مؤونة .
ومن وفاء النساء: أن كسرى أبرويز ترك جارية كانت حظية، فطلب ولده أخذها، فعالجت ناووس^(٤) كسرى ففتحتة، ودخلت فمصت خاتماً مسموماً كان في أصبعه، فماتت .

(١) بكرّ: يعود ويرجع. ترحات: الأحزان والهموم. انظر: القاموس المحيط، مادة [كرّر]، [ترح].
(٢) إبراهيم الموصلي، هو "ابن علي بن إبراهيم العمري، أبو إسحاق ، المحدث الحجة، قدم بغداد وحدث بها، وثقه الدارقطني والخطيب، توفي سنة (٣٠٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢٩/١٤) ، تاريخ بغداد (١٣٢/٦).

(٣) الخمصانة: ضامرة البطن. انظر: القاموس المحيط، مادة [خمص].
(٤) ناووس: حجر منقور، تجعل فيه جثة الميت. انظر: القاموس المحيط، مادة [نوس].

القسم الثالث

فيمن خالسته عيون الإماء فأسلمته إلى الفناء
وكادت أن تقضي عليه لولا المداركة بالوفاء

ومما ينبغي ذكره هنا مصدر الحكاية المشهورة عن حبابة ، وهي جارية في الأصل للأحوص، وقيل: لرجل مدني ، وإنها كانت تسمى العالية ، وإنه دخل بها علي يزيد بن عبد الله في خلافة أخيه وعليها إزار له ذنبان ، ويدها دف فغنته :

ما أحسن الجيد من ملكية والسلبات إذ زانها ترائبها
يا ليتني ليلة إذا هجع النا س ونام النيام صاحبها
في ليلة لا يرى بها أحد يسعى علينا إلا كواكبها

فاشترها بأربعة آلاف دينار ، فبلغ أخاه فعزم على أن يحجر عليه، فردها، فاشترها رجل من إفريقية ، وقد تولعت بها نفس يزيد، وكان قد تزوج سعدى بنت عبد الله بن عثمان، وريحية بنت عبد الله بن جعفر، وأمهر كلاً منهما عشرين ألف دينار.

فخاف من سليمان الحجر، فلم يزل ينتظر حتى انتقلت إليه الخلافة ، فأرسلت سعدى مولى لها في طلب حبابة ، فبلغه أنها في المدينة ، فمضى إليها فقبل : بمصر، فمضى إليها فقبل : بإفريقية فمضى حتى اجتمع بمولاها فاشترها منه بمائة ألف درهم بعد امتناعه من بيعها ، لولا أنني أخبرته بأن الخليفة سيأخذها منه قهراً، ولما ارتحل بها مولى سعدى، أنشد الإفريقي وقد تبعها نفسه :

ابلع حبابة اسقي ريعها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر^(١)
أن سار صحتي لم أملك تذكركم أو عرسوا تستهيم النفس والفكر

ولما مرّ بها على مكة شيعها الناس ، وقيل: من المدينة، وكانوا مائتي رجل إلى ذي خشب ، وسألوها أن تزودهم صوتاً .

فأنشدت :

سلكوا بطن مخيض ثم ولوا راجعينا^(٢)

(١) وطر: كل حاجة كان لصاحبها فيها همة . انظر: القاموس المحيط، مادة [وטר].

(٢) مخيض: موضع بقرب المدينة. انظر: معجم البلدان (٨٧/٥).

ثم كتبت أسماءهم حتى عرضتهم على يزيد ، فوهب كلاً ألف درهم ، ولما وصل بها إلى سعدى ألبستها حلاً ، ووهبتها جواهر وطيباً كثيراً ، ثم قالت للخليفة: قد وهبك الله الملك، فهل بقي عليك شيء ، وهي تعلم ما في نفسه .

فقال: لا .

فقالت: بل أنا أعلم، فأخبرني عسى أن أوصلك إليه .

فقال: العالية ؛ يعني حباة .

فقالت: أو تعرفها إذا رأيتها ؟

قال: نعم ، فأخذت بيده حتى أدخلته عليها، فسراً وعظمت منزلة سعدى عنده ، وكانت عاهدت حباة أن لا تدع لها حاجة عند الخليفة إلا قضتها ، وأن يجعل الخلافة لولدها، ففعلت، وكانت ريحة قد اشترت سلامة وهي أيضاً جارية كانت لمديني، وكان قد رآها يزيد فوقعت من نفسه موقعاً عظيماً، فلما اجتمعتا عنده، قال: أنا الآن كما قيل :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

وأول ما عظمت به عنده أنه دخل يوماً فسمعها تغني من وراء الستر ولا علم لها به:
كان لي يا يزيد حبك حيناً كاده يقضي عليّ حين التقينا

فكشف الستر، فوجدها مستقبلة الجدار، فعلم أنها لم تشعر به، فألقى نفسه عليها وارتفعت منزلتها عنده.

وكانت حباة أجمل نساء زمانها قد حوت اللطافة والمعرفة بالأدب والآلات والغناء، وأخذته عن أهله مثل معبد وجميلة^(١) وأم عوف^(٢) وغيرهم، وكان يزيد

(١) جميلة ، هي : جميلة السلمية، مغنية من أعلم المغنيات في العصر الأموي، وأصل من أصول الغناء، أخذ عنها معبد وحبابة وسلامه الغناء كان معبد يقول عنها: (أصل الغناء جميلة، وفروعه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنيين) كان عمر بن أبي ربيعة يبكي لسماع صوتها. انظر: أعلام النساء (٢١١/١).

(٢) أم عوف: هي مغنية محسنة ، أخذت عنها الغناء حباة جارية يزيد بن عبد الملك ، وذلك أنها كانت تختلف إلى يزيد قبل أن تفضى إليه الخلافة وهي طاعنة في السن . انظر : الأغاني ، أعلام النساء (٣٧٩/٣) .

قبل خلافته يختلف إلى أم عوف ويقترح عليها أن تغني :
 متى أجز خائفًا تسر مطيته وإن أخف آمنًا تنبوه به الدار
 سيروا إليّ وارخوا من أعتكم إنى لكل امرئ من وتروه جار^(١)
 فسأل حباة أن تغنيه ولم يمكنها الطعن على أم عوف، فبكت يزيد بحبه لها بأن
 غنت إثر الصوت :

أبى القلب إلا أم عوف وجهها عجوزًا ومن يجب عجوزًا يفندا^(٢)
 فضحك وقال: لمن هذا؟ فقالت: لمالك، فكان كثيرًا ما يسألها أن
 تغنيه، فغنت يومًا:

لعمرك انني لا حب سلعا لرؤيتها ومن بجنوب سلع
 تفر بقربها عيني وإنني لأخشى أن تكون تريد فجمعي
 حلفت برب مكة والهدايا وأيدي السابجات غداة جمع
 لأنت على التاني فأعلمته أحب إليّ من بصرى وسمعي
 ولما أنشدته البيت الأول تنفست الصعداء ، فقال يزيد ما لك وله والله لو
 أردته حجرًا حجرًا لجت به إليك.

فقالت: ما أصنع به، إنما أريد صاحبه أو ساكنه.
 واقترح عليها وعلى سلامة يومًا أن تغني كل منهما ما في نفسه ، ومن أصابت
 فلها ما تطلب، فغنت سلامة فلم تصب، وغنت حباة :

خلف من بني كنانة حولي بفلسطين يسرعون الركوبًا
 فأصابت به ما في نفسه، فقال: احتكمي .

فقالت: تهب لي سلامة وما لها .

فأبى وقال: اطلي غيرها فأبت إلا هي .

فقال: أنت أولى بها وبمالها .

فغمت سلامة؛ لأنها كانت أرفع منها زمن التعليم عند معبد ، حتى كان
 يأمرها أن تدرب حباة ، فذكرتها ذلك .

(١) أعنة : جمع عنان : لجام الدابة . انظر: القاموس المحيط، مادة [عنن].

(٢) يفندا: من الفند : الخرف وإنكار العقل من الهرم أو المرض. انظر: القاموس المحيط، مادة [فند].

فقلت: لا ترين إلا خيراً .

ثم طلب يزيد شراءها فأعتقتها وزوجتها منه ، واختلفتا يوماً في صوت لحنه
معبد من شعر جرير وهو قوله :

ألا حيّ الديار بسعداني أحبّ لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فاستحضره يزيد ليقضي بينهما وقد أخبر أنه إلى حياطة أميل ، فقضى لها .

فقلت سلامة: إنما قضيت للمنزلة، ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته لما

له عليّ من الحق، فأذن لها فمضى معبد فوجد سلامة قد سبقت حياطة بالصلة ،

ولم تنزل تفتقده حتى رجع .

وهذان البيتان غنتهما قينة للفرزدق عند الأحوص .

فقال الفرزدق: ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز .

فقال الأحوص: إنما هو لجرير يهجوكم به .

فقال: ويبل ابن المراغة^(١) ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابه شعري،

وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره ، وقيل إن معبدًا حين حضر عند الخليفة

غنى قول كثير :

لم يأن لي يا قلب أن أترك الهوى وأن يحدث الشيب الملم لي العقلا

على حين صار الرأس مني كلما علت فوقه نذافة العطب أعزلا

فيا عز إن واش وشى بي عندكم فلا تكرميه ان تقولي له أهلا

كما لو وشى واش بوذك عندنا . لقلنا تزحزح لا قريباً ولا سهلاً

فأهلاً وسهلاً بالذي شدّ وصلنا ولا مرحباً بالقاتل اصرم لنا جبلاً

فطرب يزيد حتى جعل الوسادة على رأسه ، ودار في الدار وهو يقول :

السّمك الطري أربعة أرتال عند بيطار حيان . فلما رجع إلى مجلسه ذكر

اختلافهما السابق لمعبد ، فرجع لحياطة كما سبق ، فقلت له سلامة: يا ابن

الفاعلة، تعلم أن الحق معي، ولكن قضيت للمنزلة ، فضحك يزيد وأحسن

(١) المراغة :لقب أم جرير ، وقد لقبها به الفرزدق لأنها ولدت في مراغة الإبل .

صلتها، وكان البيدق من المهرة في الغناء وكان يختلف إلى حبابة، فلما علت عند يزيد قصدها ليستعطيها وسمعت به فأدخلته وقد جلست مع الخليفة، فقالت له: إن هذا أبي وشكرت من صوته، وأشارت إليه أن يقرأ، فقرأ حتى بكى يزيد، ثم أومات أن يغنى فغنى شعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بتلحين بن شريح:

من لقلب مصفد	هائم القلب مكمـد ^(١)
أنت زودتـه جوى	بئس زاد المـزود
ناوياً تحنت تربة	وهي رمس بفدـد ^(٢)
غير إنني أعلل	النفس باليوم أو غد

فطرب يزيد، فضربه بمدهن من ذهب مفصص بالياقوت، فأشارت إليه أن يأخذه، فأدخله في كفه.

فقال يزيد لحبابة: انظري إلى أهلك كيف أخذ مدهنتنا.

فقالت: ما أحوجه إليه، ثم خرج فأمر له بثمانين ديناراً، وغنته يوماً الشعر السابق أول القصة، بتلحين ابن سريج، فطرب وقال: هل رأيت أطرب مني؟ فقالت: نعم، معاوية بن عبد الله بن جعفر، فغضب وأحضره، فأرسلت حبابة فأعلمته أن لا يطرب إلا عندما تغني الصوت المذكور، فلما غنته رقص وطرب، وجعل يقول الدخن بالنوى^(٣)، فأمر له يزيد بثمانية آلاف دينار.

وقال لها مرة أخرى: من أطرب مني؟

فقالت: مولاي الذي باعني فاستحضره مقيداً، فلما دخل عليه وقد أرسلت من عرفه القصة أيضاً، غنت فألقى نفسه على الشمعة حتى حرقت لحيته، وهو يقول الحريق يا أولاد الزنا، فضحك الخليفة وأكرمه بألف دينار.

ثم لم يزل منعكفاً على الإقامة معها، والمحافظة على اللهو والطرب والشرب، وقيل: إنه جعل فسقية من الخمر في مجلسه وكان إذا طرب سقط فيها، ومزق حلة قيمتها ألف دينار.

(١) مصفد: مقيد ومكبل. انظر: القاموس المحيط، مادة [صفد].

(٢) فدند: الفلاة التي لا شيء بها. انظر: القاموس المحيط، مادة [فدد].

(٣) الدخن بالنوى: يعنى يبيع اللوبياء بنواة. انظر: القاموس المحيط، مادة [دخن].

قيل: ذكر أخوه سليمان بحضرة الرشيد فقال الأصمعي: كان رجلاً نهماً، إذا قدّم إليه السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمه، وأما أخوه يزيد فكان يسقط في الخمر بشيابه.

فقال الرشيد للأصمعي: ما أعلمك بالناس، والله إن ثيابهما عندي، وإنّ الدهن في أكمام سليمان، وأثر الخمر في ثياب يزيد، ولما استمر على حاله وكان قد ولي الخلافة إثر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد اعتاد الناس العدل والإصلاح، ثقل عليهم حاله وتعطلت الحاجات، فضجوا، فدخل عليه مسلمة أخوه فعنفه ولامه ووعظه وذكره عدل عمر. وقيل إنه قال من نفسه: ، والله ما عمر بأحوج إلى الله مني، فهجر الجواري والشراب أياماً.

وقال لمسلمة: أرجو أن لا تعتبي بعد اليوم، ثم جلس للناس فثقل ذلك على حباية، فأرسلت إلى الأحوص، فعمل شعراً، واستحضرت معبداً فلحنه، ثم احتالت على إسماعه الخليفة؛ قيل: عارضته وهو خارج إلى الصلاة، وقيل: رشت خادماً مقرباً منه فأوقفها بحيث يسمع، وأنشدته، فطرب وقال: مروا مسلمة، أو قال: صاحب الشرط، فليصل بالناس، ولعن من يلومه في ذلك، وعاد فاعتكف على ما كان عليه.

وقيل: إن الذي أمره بالكف عن ذلك مولى خراساني، كان ذا رتبة عنده، وإنه قال له: سأحضرك معهن، وأقول إنك أعمى، فإن عنفتني رجعت. وفعل فشعرن به، وقمن يضربنه، فوفاه يزيد ثم قال له: أدوم على ذلك أم لا، فقال: دم، فاستمر.

والشعر الذي أنشده الأحوص هو هذا:

ألا لا تلمه اليوم أن يتلبدا
فقد غلب المحزون أن يلجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لا مني
ومن شاء آسى في البكاء واسعدا
وإني وإن فندت الصبا في طلب الصبا
لا علم أني لست في الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجراً من يابس الصخر جلدا
فما العشق إلا ما تلذ وتشتهي
وإن لام فيه ذو الشنان وفندا^(١)

(١) الشنان، جمع الشن: القرية الخلق. انظر: القاموس المحيط، مادة [شنن].

وعهدي بها صفراء رود كأنما
مهفهفة الأعلى وأسفل خلقها
من المدجمات اللحم خذاً كأنها
كان ذكي المسك منها وقد بدت
واني لأهواها وأهوى لقاءها
فقلت ألا يا ليت أسماء أصقت
علاقة حب كان في زمن الصبا
نظرت رحاب الموقرات فكم أرى
فاوفيت في نشز من الأرض يافع
كريم قريش حين ينسب والذي
وليس عطا من كان منه بمانع
أهان تلاد المال في الحمد أنه
تردى بمجد من أبيه وجده
ولو كان بذل المال والجود مخلداً
فاقسم لا انفك ما عشت شاكرًا
هكذا وجدت القصيدة وإن بترها المصنف إلا أن في بعض أبياتها تغييراً.

- (١) العسجد: الذهب. انظر: القاموس المحيط، مادة [عسد].
(٢) يتخذدا: يهزل وينقص. انظر: القاموس المحيط، مادة [خذد].
(٣) صناع، صناع اليد: ماهرة حاذقة القتل: اندماج في المرفق. عضدا: الساعد، وهو ما بين المرفق إلى الكتف. انظر: القاموس المحيط، مادة [صنع]، [قتل]، [عضد].
(٤) الخزامى: عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الريح، لها نور كنور البنفسج. انظر: القاموس المحيط، مادة [خزم].
(٥) أصقت: اقتربت. انظر: القاموس المحيط، مادة [صقب].
(٦) أكاريس: الأصرام من الناس. انظر: القاموس المحيط، مادة [كرس].
(٧) أمرد: الشاب الذي بلغ خروج لحيته، وطرّ شاربه، ولم تبد لحيته. انظر: القاموس المحيط، مادة [مرد].
(٨) تلاد المال: ما توالد عندك. انظر: القاموس المحيط، مادة [تلد].

ففي نسخة بدل إذا لم تكن تعشق ، إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا ؛ يعني بالعزهاة بالمهملة فالزاي، محب اللهو والطرب، وبدل قوله: وإني وإن فندت، أغرقت ، وبدل قوله: لكنت المخلدا ، لكان.

ولما سمعه قال حياية: من يقول هذا.

قالت: الأحوص، فاستحضره وأحسن صلته وتراسلت فيه يوماً هي وسلامة ،

فغنيتا إلى أن قالت حياية: كريم قریش .

فقال يزيد: من تعنى ؟

قالت: أنت .

فقالت سلامة: اسمع باقيه ، وأكملته ، فأجزل صلة الأحوص .

وكانت إذا غنته حياية الشعر يطرب حتى يقول: أحسنت يا حبيتي ،

أتامرين أن أطير، فتقول له: إلى من تكل الأمة ؟ فيقول: إليك، واشتد طربه بها

يوماً فقال لها: قد استخلفتك واستعملت فلاناً عنك .

فقالت: قد عزلته.

فقال: أوليه وتعزليته ، وقام مغضباً، فلم تكثر به، وارتفع النهار فدعا خادماً لها.

فقال له: ما تصنع حياية ؟ قال: قد اتزرت بإزار خلوقى ، وهي تلعب بلعبها.

فقال: هل تقدر أن تمر بها عليّ ، ولك حكمك .

فمضى فلاعبها ساعة واستلّ لعبة وفرّ، فانطلقت في طلبه تخطر حتى مرت

عليه، فوثب واعتنقها وهو يقول وليته، وهي تقول عزلته ، واصطلحا وأقاما على

ذلك إلى أن قال يزيد يوماً: قد بلغني أن السبرور لم يصف لشخص يوماً كاملاً

وإني مجرب ذلك ، ودعا بجبابه فأوصاهم أن لا يدخلوا عليه أحداً، واحتجب

معها بيستان له بمقربة من الغوطة تسمى ببيت رأس .

وعلى زعم المؤرخين أن يزيد بن معاوية وضع رأس الحسين بها حين قدموا به.

فلم يزل معها على عادتهما حتى انتصف النهار، وإنه ضاحكها ثم رشقها

بعنبة أو حبة رمان ، وقيل هي ابتلعته فشرقت بها فماتت ، واشتد غم يزيد

وحزنه، وأقام ثلاثاً يرشفها ويضمها ، ولم يقم أحداً لدفنها حتى ضج به القوم

وعذلوه، فأذن في تجهيزها ثم لم يستطع النهوض إلى الصلاة عليها ، فقيل: حمل

على رقاب الناس ، وقيل: قال له مسلمة: أنا أكفيك مع أنه لم يحضر ثم ضم جويرية كانت تخدم حباة فانس بها، فقال لها يوماً: ههنا كنا نجلس، قالت: نعم. فأنشد:

كفى حزناً للهائم الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا

وخرج إلى قبرها فبكى طويلاً ، ثم تمثل بقول كثير :

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى فبالياس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل زارني فهو قاتل من أجلك هذا ميت اليوم أو غد

ثم مكث خمسة عشر يوماً وعاوده القلق فأمر بنبشها ، فقيل: منعه أخوه، وقال له الناس: إنك أتيت في عقلك فيخلعونك، فرجع.

وقيل: استخرجها وجعل يقبلها ، فقيل له: قد تغيرت، فقال أراها أحسن منها اليوم، وإنه مات حينئذ ، وقيل: أقام أربعين يوماً ثم مات ودفن إلى جانبها .

قالوا: ولم يسبق أن خليفة مات عشقاً سواه ، وأما سلامة فأقامت بعدهما حتى توفيت حسب ما قيل في عهد المنصور^(١) .

وحكى عن رجل أنه قال: دخل عليّ غلامي ومعه كتاب، ففتحته وإذا فيه :

تجنبك البلاء ونلت خيرا ونجاك المليك من التموم

فعدك لو مننت شفاء نفس وأعضاء فنين من الكلوم^(٢)

فعلمت أنه عاشق وأمرت بإدخاله فلم يجدوه ، فعرضت الكتاب على جوارِيّ وقلت: من عرفت منكنّ أمر صاحب هذا فهي له ومائة دينار ، فحلفن أنهنّ لم يعرفن ذلك، وبقي الكتاب والدرهم سنة في جانب البيت ، فبينا أنا يوماً جالساً دخل عليّ غلامي بكتاب مثل الأول وفيه:

ماذا أردت إلى روح معلقة عند الراقي وحادي الموت يحدوها

حبست حاديها ظلماً فجدة بها في السير حتى تخلت في تراقيها

(١) المنصور، هو: عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، ثاني خلفاء بني العباس، وهو والد الخلفاء العباسيين، كان بعيداً عن اللهو والعبث، كثير الجهد والتفكير، ذا أدب وعلم ، توفى سنة (١٥٨هـ) . انظر: الطبري (٢٩٢/٩) ، تاريخ بغداد (٥٣/١٠) ، الأعلام (١١٧/٤) .

(٢) الكلوم: الجروح. انظر: القاموس المحيط، مادة [كلم].

والله لو قيل لي تأتي بفاحشة
لقلت لا والذي أخشى عقوبته
لو لا الحياة لبحنا بالذي كتمت
فطلبتة فلم أجده أيضاً، فغمي أيضاً أمره ، وقلت للخادم : لا يأتيك أحد
بكتاب إلا قبضت عليه حتى أراه ، وكان قد قرب الحاج فلما وقفت بعرفة إذا
بشباب على ناقة إلى جانبي وقد أخذ منه النحول والسقم إلا أن عليه آثار الجمال
والأدب، فسلم عليّ وقال: هل تعرفني؟

قلت : زدني .

قال: أنا صاحب الكتاين .

قلت: قد وهبت لك الجارية ومائة دينار، فامض واعرفها وتسلمها فقد تعبت
من أمرك .

قال: لم أطلب شيئاً مما تقول .

قلت: فعرفني اسمها لأكرمها من أجلك.

قال: ما كنت بالذي ييوح بشيء .

وانصرف بعد أن أنشد :

لعمرك ما استودعت سري وسرها
سواها حذار أن تضيع السرائر

أصون الهوى خوفاً عليك من العدا
مخافة أن يفري بذكراك ذاكر

ومنهم : أبو عبد الله الخبشاني ، عشق جارية سوداء يقال لها: صفراء ،
ومرض من حبها حتى لزم الوساد، فقبل لمولاه: لو أرسلت بها إليه فعساه أن يجد
الشفاء، فلما دخلت عليه، قالت: كيف أصبحت؟

قال: بخير ما رأيتك.

قالت: ما تشتهي؟

قال: قربك .

قالت: مم تشتهي؟

قال: هجرك .

قالت: فيم توصي؟

قال: بك إن سمح لي.

قالت: إني أريد الانصراف .

قال: لا تعجلي ثواب الصلاة عليّ ، فلما رآها ولت شهق شهقة فمات .
ومنهم شاب بصري ، قال في النزهة: اسمه ظريف بن نعيم الغفاري، كان بأعظم حالة من الجمال، وأمکن رتبة من المال ، وإنه اقترح على أبيه وكان من أكابر تجار البصرة أن يرسله بمتجر إلى بغداد ، فمانعه زمانا وكان يقول له نحن غير محتاجين إلى اكتساب بالأسفار فلا تفجعني فيك ، فأبى إلا السفر، فجهز له حِملاً وسار حتى دخل بغداد ، فأقام بها مدة يتنزه ويسرح في ملانها ناظره ، ويشرح بمنازها خاطره ، إلى أن أشار عليه بعض ندمائه بحضور الدكة؛ يعني المكان الذي تباع به الجوارى، فحضر مع خواص التجار، وجيء بجارية بهرت الحاضرين، وأشغلت الناظرين .

فكانت كلما أراد أحد تقليبها لم تمكنه، من النظر إلى أكثر من عضو واحد، وكانت كلما أراد أحد شراءها عابته، حتى وقعت عينها على البصري فأحبتة وأطمعته بنفسها، فساوم مولاها حتى أخذها بمائة ألف درهم، ثم انطلق بها إلى منزله .
فلما كان الليل إذا بطارق، فخرج فإذا هو صاحب شرطة الحجاج ، فأخذوه حتى دخلوا به عليه.

فقال له: عليّ بالجارية التي اشتريتها .

فقال: أصلح الله الأمير، إنها روعي فلا تكن سبب هلاكي .
فأمر بالقبض عليه ، وأرسل من جاء بالجارية ، فلما رآها علم أنها لم تبق له إن عرف الخليفة ذلك ، فوجه بها إلى الشام من ليلتها إلى عبد الملك وحبس الشاب ، فلما زال عقله أطلقه وأخذ ماله ، فتوجه الشاب إلى دمشق، فأقام بها مدة متنغص الحياة، فأراد أن يجتال للاجتماع بالجارية فلم يمكن ، فوقع في قصة ، أنه رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته نعمى أن تغني لي ثلاثة أصوات أقترحها ثم يفعل ما شاء !! ، ثم يفعل ما شاء . فلما سمع القصة اشتد غضبه ثم عاوده الحلم، فلما انصرف الناس أحضر الشاب والجارية ، وقال: مرها بما شئت ، فقال لها: غني لي قول قيس بن ذريح: لقد كنت حبس النفس إلى أربعة أبيات، فغنت فمزق أثوابه ، ثم قال لها: غني قول جميل :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة

إلى ستة أبيات فغنت فغشي عليه ، ثم أفاق فقال: غني قول المجنون :
وفي الحيرة الغادون من بطن وجرة

إلى أربعة أبيات ، فلما غنت قام وألقى نفسه من علو شاهق فمات .
فقال عبد الملك: لقد عجل على نفسه، أیظن أني أخرجت جارية وأعود بها،
خذها يا غلام فأعطها لورثته ، أو فتصدقوا بها عليه . فلما نزلوا بها نظرت إلى
حفيرة معدة للسيل فجدبت يدها من الغلام وهي تقول :
من مات عشقاً فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت

وألقت نفسها في الحفيرة فماتت ، وسأل القوم عن الغلام فقيل إنه قدم من
كذا وكذا يوماً ورؤي في الأسواق وهو يقول :
غداً يكثر الباكون منا ومنكم وتزداد من دياركم بعدا

وقيل: إن القصة وقعت بين يدي سليمان بن عبد الملك، وإنه اقترح في
الصوت الأول قول امرئ القيس :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل

إلى ثلاثة أبيات وفي الثاني :
غداً يكثر الباكون منا ومنكم

البيتين وفي الثالث:

تألق البرق نجدياً فقلت له يا أيها البرق اني عنك مشغول
يكفيك مني عدوٌّ ثائر حنق بكفه كحجاب الماء مصقول

وإنه كان يطلب كل مرة النبيذ فيسقي .

ومنهم الشريف البياضي: عشق جارية لبنت فخر الملك، فأحبها حباً عظيماً
وتطاول أمره حتى شاع في الناس ذكره، ولم يزل حتى مرضت فمرض هو أيضاً،
فلما توفيت طاش عقله وبقي شهراً فما دون، ثم لحق بها، وله فيها أشعار كثيرة
منها :

خليلي مرّاً بالعراق منادياً إلا من رأى قلباً من الوجد باليا
وإن أنتم اعيتما في ابتغائه ولم تجداه فابغيا لي ناعياً

ومنها:

دع الوقوف على الأطلال والدمن
أما تراني لا أئني على طلل
وكيف يأنس قلبي بالديار وقد
إن الدين أذقوني فراقهم
لله من لعبت أيدي النون به
جعلت روحي له من روحه عوضاً
فصار كالحي أروحي تحل به
وكيف تصحب روحي بعده جسدي

فليس ينفع مسكون بلا سكن^(١)
بعد الفراق ولا آوي إلى وطن
أصاب فيها الردى من كان يؤنسني
أليت بعدهم دمعي من الحزن
ضنا بما فيه أن يبقى على الزمن
مقيمة معه في ذلك الكفن
وصرت كاليت إذ لا روح في بدني
وكان إن غاب تأبى أن تصاحبني

ومنهم ما أخرجه ابن الجوزي^(٢) في تنوير العيش : عن التنوخي والثوري
يرفعانه إلى إسماعيل بن جامع ، قال: وقع بيني وبين أبي وحشة فذهبت إلى خالي
باليمن فكنت عنده في غرفة تشرف على نهر فنظرت يوماً إلى سوداء قد أقبلت
تملاً قربة، فوضعتها واستراحت.

ثم أنشدت:

إلى الله أشكو بخلها وسماحي
فداوي مصاب القلب أنت قتله
ها غسل مني وتبذل علقما
ولا تركيه هائم القلب مفرما

ثم ملأت القربة ومضت، فنزلت أعدو حتى لحقتها استعيد الصوت، فأبت
وقالت: إني لفي شغل عن ذلك؟
قلت: بماذا؟ قالت: عليّ درهمان.
فأعطيتها إياهما واستعدت الصوت حتى حفظته ، فلما أصبحت فإذا هو قد
ذهب مني ، وأقبلت السوداء على عاداتها، فاستعدته منها ، فقالت: كأنك
تستكثره بأربعة دراهم ، وقد أخذت عليه أربعة آلاف دينار .

(١) الدمن: آثار الدار وطللها. انظر: القاموس المحيط، مادة [دمن].

(٢) ابن الجوزي، هو: جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد، ولد ببغداد، عاش
حياته بين الجد في الطلب والتحصيل، وبين الإقراء والتصنيف، وقد بلغ فيه مكانة عالية.
يقول عنه الحافظ الذهبي: "الشيخ الإمام العلامة، المفسر شيخ الإسلام ومفخر العراق..."
توفي سنة (٥٩٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٨٣)، النجوم الزاهرة (٦/١٧٤).

فلما كنا عند الرشيد، أو قال: عند المأمون وبين يديه أربعة أكياس كل واحد ألف دينار، قال: من أطربني فله ألف دينار، فغنيت البيت، فرماني بكيس واستعاد الصوت، فرماني بالآخر حتى أعطاني الأربعة فحدثته القصة، فقال: لم تكذب السوداء.

ومنهم ما أخرجه ابن إسحاق قال: انحدرت مع محمد بن إبراهيم من سر من رأى^(١)، ودجلة في طغيانها، فأحضر الشراب فاندفعت جاريتي تغني:

وارحمة للعاشقين ما أن أرى لهم معينا
كم يشتمون ويضربون ويهجون فيصرون

فقلت لها مغنية أخرى: فيصنعون ماذا؟ قالت: هكذا ورمت بنفسها في الماء وكان على رأس محمد غلام اشتراه بألف دينار فحين رأى فعل الجارية ألقى بنفسه وهو يقول:

أنت التي عرفتني كيف الهوى لو تعلمين
لا خير بعدك في البقاء والموت زين العاشقين

فدفع من طلبهما، فقيل: وجدا متعانقين، وقيل: استخرجا ودفنا. وفي رواية الحافظ: أن القصة وقعت في بيت محمد المذكور وكان على الدجلة، وأن الغلام هو الذي ألقى نفسه حين سمع الجارية، فتبعته، وأنها غنت هذا الصوت:

ياقمر القصر متى تطلع أشقى وغيري بك يستمتع
إن كان ربي قد قضى كل ذا . منك على رأسي فما أصنع

ومنهم: شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله بن جعفر، فشغف بها حتى كان يأتي الباب لسماع صوتها، فلما فطن به زينها ونزل بها إليه، فوجده نائماً فنبهه وقال له دونكها فامض بها إلى منزلك، فلما رآها فحص برجله وحرك فإذا هو ميت، وكانت هذه الجارية قد طلبها يزيد فأبى عبد الله أن يدفعها إليه، فقيل: إنها ماتت بعد ذلك بيسير وإن موتها كان عشقا.

(١) سر من رأى: بلد كانت تسمى قديماً ساميرا، نسبة إلى سامير بن نوح لأنه كان ينزلها، وسماها المعتصم بسر من رأى. انظر: معجم البلدان [٢٤٣/٣].

القسم الرابع

في ذكر من حظى بالتلاق بعد تجرع كأس الفراق

وهذا القسم هو الذي ترجمه بمن ساعده الزمان بمطلوبه حتى ظفر بمحبوبه وذلك إما لشفاعة أو جاه أو حيلة أو عناية أزلية، وهم أيضاً بالنسبة إلى النساء إما متعلق بالأحرار أو مرمى بالعشيق من جهة الجوار .

فمن الصنف الأول عبد الله بن أبي بكر الصديق^(١) عشق عاتكة^(٢) فكلف بها حتى كاد أن يطير عقله، فلما تزوج بها أقام سنة لا يشتغل بسواها، ثم قدم عليه تجارة من الشام، فخرج ليتعاطى أمرها، فخيّل له حين خرج أنه لم يعد ينظر إلى عاتكة، فعاد في الأثر فجلس معها وترك التجارة، فلما كان يوم الجمعة وهو معها إذ فاتته الصلاة وهو لا يدري، وجاء أبوه فوجده عندها، فقال له: أجمعت، فقال: وهل صلى الناس؟ فقال: قد أهلك عاتكة عن التجارة فلم نهتم في ذلك ولم نقل شيئاً، وقد أهلك عن الصلاة، فطلقها، فطلقها طليقة، واعتزلت ناحية، فلما كان الليل قلق قلقاً شديداً .

فأنشد :

أعانتك لأنسأك ماذر شارق وماناح قمرى الحمام المطوق^(٣)
لها منطق جزل ورأى ومنصب وخلق سوى فى حياء ومصداق
فلم أرى مثلى طلق اليوم مثلها ولا مثلها فى غير شىء يطلق

وكان أبو بكر على سطح يصلى، فسمعه، فرق له، فقال: راجعها، فقال: قد راجعتها، ثم أشرف على غلام له، فقال له: أنت حر، وشهد أنى راجعت

(١) عبد الله بن أبي بكر الصديق، هو: عبد الله بن عثمان، وهو شقيق أسماء بنت أبي بكر، كان يأتي الرسول ﷺ وأبو بكر بأخبار قريش في أثناء الهجرة، رمى بهم في حصار الطائف ومات شهيداً. انظر: الإصابة (٢٤/٤).

(٢) عاتكة، هي: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية، أخت سعيد بن زيد، إحدى الصحابيات المهاجرات، كان تحت عبد الله بن أبي بكر، فلما مات، تزوجها عمر، ولما مات، تزوجها الزبير، وخطبها علي، فقالت: أضن عليك القتل. انظر: الإصابة (٢٢٧/٨).

(٣) ذر شارق: أى طلعت الشمس. قمرى الحمام: نوع من أنواع الحمام حسن الصوت. انظر: القاموس المحيط، مادة [ذرّ]، [قمر].

عاتكة، ثم ضمها إليه وأعطها حديقة على أن لاتتزوج بعده، فلما قتل بالطائف^(١) رثته بأبيات منها :

وآليت لاتنفك عيني حزينة عليك ولاينفك جلدى أغبرا
فالله عيناً من رأى مثله فتى أكرّ وأحمى فى الهياج واصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الجون أشقرا^(٢)

وتزوجها عمر بعد أن استفتى عليا فى ذلك، فأفتى بأنها ترد الحديقة إلى أهله وتتزوج، ففعلت، فذكرها على بقولها: وآليت لاتنفك.....البيت، ثم قال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، ثم تزوجت بعده بالزبير^(٣) وبعده بالحسين بن علي^(٤)، حتى قال ابن عمر^(٥): من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة وخطبها على فقالت: إني لأضن بك عن القتل، وخطبها مروان^(٦) بعد الحسين، فقالت: ما كنت متخذة حموا بعد رسول الله ﷺ.

- (١) الطائف: مدينة سعودية فى الحجاز، جنوب شرقى مكة على جبل غزوان. انظر: معجم البلدان (١٠/٤).
- (٢) الجون: الأدهم الشديد السواد من الخيل. انظر: القاموس المحيط، مادة [جان].
- (٣) الزبير، هو: ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب، أبو عبد الله، حوارى الرسول ﷺ وابن عمته، أحد العشرة المبشرون بالجنة، آخر الصحابة وأحبهم إلى رسول الله، كثير التعبد، طويل القيام، كثير البكاء، توفى سنة (٣٦هـ). انظر: الإصابة (٤٥٧/٢).
- (٤) الحسين بن علي، هو: أبو عبد الله ابن أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى، القرشى، الهاشمى. الإمام الشريف، سبط الرسول ﷺ ريجانته من الدنيا، وسيد أهل الجنة فى الآخرة. مات شهيد بكرىلاء. انظر: تاريخ الطبرى (٣٤٧/٥)، تاريخ بغداد (١٤١/١)، سير أعلام النبلاء (٢٨٠/٣).
- (٥) ابن عمر، هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشى، العدوى، أبو عبد الرحمن، هاجر وهو ابن عشر سنين، كان سريع الحفظ لكل ما يسمعه عن رسول الله ﷺ توفى سنة (٧٣هـ). انظر: الإصابة (١٥٥/٤).
- (٦) مروان، هو: ابن الحكم بن أبى العاص بن عبد شمس بن عبد مناف، الملك أبو عبد الملك، القرشى، الأموى، كان كاتب ابن عمه عثمان، وإليه الخاتم، فخانه، وأجلبوا بسببه على عثمان، وسار مع طلحة والزبير للطلب بدم عثمان، ولما هلك ولد يزيد، أقبل مروان، وانضم إليه بنو أمية، وأخذ دمشق، ثم مصر، مات خنقاً سنة (٦٥هـ). انظر: الإصابة (٤٧٧/٣)، سير أعلام النبلاء (٤٧٦/٣).

ومنهم : ما حكاه معبد المغنى .

قال: بينما أنا جالس إذ طرق بابي، فقلت للغلام: اخرج فانظر من بالباب، فخرج وعاد مستأذناً، فأذنت، فدخل غلام فوضع بين يدي ثلاثمائة دينار وقال: غن لي :

بالله ياطر في الجاني على كبدى لتطفن بدمعى لوعة الحزن
لألا أبوحن حتى يجبوا سكنى فلا أراه ولو أدرجت فى الكفن

فعملت له لحناً شجياً وغنيته به، فأغمى عليه، فنضحت عليه الماء، فلما أفاق جعل يقبل يدي ورجلي على أن أعيد الصوت، فقلت: أخشى أن تموت، فقال: من لي بذلك فغنيته الصوت فخر مغشياً عليه، فلم أزل أنضحه بالورد والطيب حتى أفاق، فوضعت الدنانير بين يديه، وقلت: خذها وامض عني، فقال: لك مثلها إن أعدته، فشرهت عيني، فقلت له: إن أقمت عندي وأكلت طعامي حتى تقوى نفسك وأخبرتني بقصتك، أعدته، ففعل، وحدثني: أنه خرج غيباً^(١) سماء وقد سال العقيق^(٢)، مع فتية إلى متنزة فإذا هم بنسوة بينهن فتاة قد فضحت الشمس بعينين لا يرتدان إلا باقتناص النفس، فأوقعت به، وعاد مسلوب العقل، فأقام لا يعرف لها خبراً حتى كاد أن يقضى عليه، فقالت له قرابته: لا بأس عليك إذا أربع الوقت خرجنا بك ولا نعود إلا بخبرها، قال: فلما جاء الإبان خرجنا إلى المتنزة، فإذا نحن والنسوة كفرسى رهان فقلت لبعض قرابتى قولوا لهذه الجارية لقد أحسن من قال :

رمتى بسهم أقصد القلب وانتنت وقد غادرت جرحاً به وندوبا

فقالت الجارية: قد أحسن من أجاب :

بنا مثل مانشكو فصبراً لعنا نرى فرجاً يشفى السقام قريباً

فأمسكت عن الجواب، وتبعتها حتى عرفت المنزل، فكنا نجتمع ونتحدث إلى أن علم أهلها فحجبوها وخطبتها فامتنعوا محتجين بالشهرة فها أنا على ما ترى.

(١) غيب سماء: بعد هطول المطر . انظر : القاموس المحيط ، مادة [غيب] .

(٢) العقيق: واد فى السعودية قرب المدينة . انظر: معجم البلدان (١١٦/٤).

قال معبد: فغنيتها الصوت، ومضى، فلما حضرت مع جعفر غنيتها إياه فطرب، وسأل عنه، فأخبرته القصة، فأمرني بإحضاره، فأحضرته إليه، فطيب قلبه وذهب إلى الخليفة، فحدثه بالحديث، فاستحضرنا جميعاً وطلب أن أغنيه الصوت فغنيتها، فطرب وكتب إلى عامله على الحجاز^(١) بإحضار الرجل وأهله، فلما حضروا أمهرها الخليفة وزوجها منه .

ومنهم : رجل عذرى دخل على معاوية^(٢) في جمع، فلما أخذ كل مجلسه قام

فأنشد:

معاوى ياذا الحلم والفضل والعقل	وذا البر والاحسان والجود والبذل
أتيتك لما ضاق في الأرض مسلكي	وانكرت مما قد أصيب به عقلي
ففرج كلاك الله عنى فإبنى	لقيت الذي لم يلقه أحد قبلى ^(٣)
وخذ لي هداك الله حقى من الذى	رمانى بهم كان أهونه قتلى
وكنت أرجى عدله إذا أتته	فاكثر تردادى مع الحس والكيل
فطلقتها من جهد ماقد أصابنى	فهذا أمير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له: ماشأنك، قال: تزوجت ابنة عمى، وكانت من المبرزات فى الجمال والحياء، فأنفقت عليها إلى أن أملت^(٤)، فرفع أبوها القصة إلى ابن الحكم فضيق على السجن والقيود حتى طلقت كارهاً، فأعطى أباه عشرة آلاف درهم وتزوج بها فأتيتك مستغيثاً بعد ذلك، فكتب معاوية إليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلى عنها.

(١) الحجاز : إقليم فى السعودية غربى نجد على البحر الأحمر يمتد من خليج العقبة شمالاً حتى عسير جنوباً. انظر: معجم البلدان (٢/٢٥٢).

(٢) معاوية، هو: ابن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمير المؤمنين، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمن. أسلم قبل أبيه وقت عمرة القضاء، وحدث عن الرسول، وكتب له مرات يسيرة. خرج على على ﷺ وطالب بدم عثمان، ثم بويع له بالخلافة بعد وقعة صفين. توفى سنة (٦٠هـ) انظر: تاريخ الطبرى (٥/٣٢٣)، تاريخ بغداد (١/٢٠٧)، سير أعلام النبلاء (٣/١١٩).

(٣) كلاك الله: من كلاً الله فلاناً، أى حفظه وحرسه ورعاه. انظر: القاموس المحيط، مادة [كلأ].

(٤) أملت: أنفق ماله حتى افتقر. انظر: القاموس المحيط، مادة [ملق].

ويقول في آخر الكتاب:

ركبت ذنبًا عظيمًا لست أعرفه
 قد كنت تشبه صوفيًا له كتب
 حتى أتاني الفتى العذرى متحجبا
 أعطى الإله عهدًا لا أخيس بها
 إن أنت راجعتي فيما كتبت به
 طلق سعاد وفارقها بمجتمع
 فما سمعت كما بلغت من عجب
 ولا فعالك حقًا فعل إنسان

فلما وقف عليه، قال: وددت لو خلى بينى وبينها سنة، ثم عرضنى على السيف، ثم طلقها فأخرجها، فلما وصلت إلى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها، وقالوا: هذه لاتصلح لأعرابى، إنما تكون لأمير المؤمنين، فعجب بها، ثم استتطقها، فإذا هى فتنة، فقال له: هل لك عوض عنها؟ قال: نعم، إذا بان رأسى عن بدنى.

ثم أنشد:

لا تجعلنى والأمثال تضرب بى
 أردد سعاد على حران مكتب
 قد شفه قلق ما مثله قلق
 والله والله لأنسى محبتها
 كيف السـلـوا
 كالمستجير من الرمضاء بالنار^(٣)
 يمسى ويصبح فى هم وتذكار
 وأشعر القلب منه أى أشعار
 حتى أغيب فى رمس وأحجار
 وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك، وخيرها بينه وبين ابن الحكم وبين ابن عمها .
 فأنشدت:

هذا وان أصبح فى أطمار
 وكان فى نقص من اليسار^(٤)

(١) أخيس، من خاس: أى غدر ونكث بالعهد. انظر القاموس المحيط، مادة [خاس].

(٢) عقبان: طائر من الجوارح. انظر: القاموس المحيط، مادة [عقب].

(٣) الرمضاء: شدة الحر. انظر القاموس المحيط، مادة [رمض].

(٤) أطمار، جمع طمر: الثوب البالى. انظر القاموس المحيط، مادة [طمر].

أكبر عندي من أبي وجارى وصاحب الردهم والدينار
أحشى إذا غبدرت حر النار خل سيلى مابه من عار
لعلنا نرجع للدينار وإن عسى نظفر بالأوطار^(١)

فقال: خذها لابارك الله لك فيها، وأمر أن تقيم إلى تمام العدة، فلما انقضت دفعها إليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار .

ومنهم ما حكاها في منازل الأحياب عن بعض الحمدونية^(٢)، قال: صحبت المتوكل^(٣) إلى الشام، وكنت مغرمًا بالفراديس لظرفها، فحين بلغناها، قال المتوكل: هل لك في أن تتصفح الكنائس والرياض فتتزه فيها، فقلت: نعم، فأخذ بيدي وجعلنا نستقرى الأماكن ونشاهد ما فيها من العجائب، وحسن ثياب النصارى، حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر، حتى أقبلت جارية لم يرمق أحسن منها، ويدها بجمرة^(٤) تبخر، فسأله عنها، فقال: هي ابنتي، قال: ما اسمها، قال: شعانين، فقال لها المتوكل: يا شعانين اسقني ماء، فقالت: ياسيدي ليس هنا إلا ماء الغدران وأنا لا استنظفه لك ولو كانت حياتي ترويك لجدت بها، وأسرعت بكوز فضة، فأوماً إلى أن أشربه فشربته، ثم قال لها: إن هويتك تساعدني فقالت: أنا الآن بإهرتك وأما إذا صدق المحب في المحبة فما أخوفنى من الطغيان .

أما سمعت قول الشاعر :

كنت لى فى أوائل الأمر جبا ثم لما ملكت صرت عدواً
أين ذاك السرور عند التلقى صار منى تجبياً ونبواً^(٥)

(١) أوطار، جمع وطر: أى الحاجة. انظر القاموس المحيط، مادة [وطر].

(٢) الحمدونية، هم: آل حمدون، فرقة من بنى سعيد . إحدى عشائر الشام الشمالية . انظر: معجم قبائل العرب (٢٩٨/١).

(٣) المتوكل، هو: جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، أبو الفضل، خليفة عباسى، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق (٢٣٢هـ) كان جواداً محباً للعمران، اغتيل سنة (٢٤٧هـ) بإغراء من ابنه المنتصر. انظر: الطبرى (٢٦/١١) ، الأعلام (١٢٧/٢).

(٤) بجمرة: ما يوضع فيه الجمر. انظر القاموس المحيط، مادة [جمر].

(٥) نبواً: الجفاء والبعث. انظر القاموس المحيط، مادة [نبو].

فطرب حتى كاد يشق ثوبه، ثم قال لها: هبيني نفسك اليوم، فصعدت به إلى
غرفة مشرفة على الكنائس، وجاء الراهب بخمر لم ير مثله، وعاف المتوكل
طعامهم فاستحضر أطعمة من عنده، فلما أخذ منه الشراب أحضرت آلة وغنت :
ياخاطبًا منى المسودة مرحبًا روحى فداؤك لاعدمتك خاطبًا
أنا عبده هواك فاشرب واسقنى واعدل بكأسك عن جليتك اذ أبى
قد والذى رفع السماء ملكتنى وتركت قلبى فى هواك معذبًا
فأرغبها حينئذ فأسلمت وتزوجها فكانت من أحظى النساء عنده .

ويقرب من ذلك ما حكى عن الوليد بن يزيد^(١) أنه عشق نصرانية، وراسلها
فأبت عليه فكاد أن يطيش عقله، فتكر يوم عيد للنصارى، وبايع صاحب بستان
تتزه فيه بنات النصارى فأدخله، فلما رآته، قالت للبواب: من هذا؟ قال لها
مصاب، فجعلت تمارحه حتى اشتفى بالنظر إليها، فقيل أتدرين من هذا؟ قالت
لا، قالوا لها هو الخليفة، فأجابت حينئذ وتزوج بها.

وفيها قال:

أضحى فؤادك يا وليد عميدًا صبا قديمًا للحسان صيودًا^(٢)
من حب واضحة العوارض طفلة برزت لنا نحو الكنيسة عيدًا
مازلت أرمقها بعينى وامق حتى بصرت بها تقبل عودًا^(٣)
عود الصليب فويح نفسى من رأى منكم صليبا مثله معبودًا
فسألت ربى أن أكون مكانه وأكون فى لب الجحيم وقودًا

(١) الوليد بن يزيد، هو: ابن عبد الملك بن مروان. من ملوك الدولة مروانية بالشام، كان من
فتيان بنى أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم. ولى الخلافة بعد عمه هشام بن عبد الملك
(١٢٥هـ) ونقم وعاب عليه الناس انغماسه فى اللهو والغناء. فبايعوا سرًا يزيد بن الوليد،
فنادى بقتله، وقتله سنة (١٢٦هـ). انظر: الطبرى (٦٥/٨)، ابن خلدون (١٠٦/٣)، الأعلام
(١٢٣/٨).

(٢) عميدًا: الذى أتعبه وأنهكه العشق، فصار مريضًا. صبا: العاشق ذو الولى الشديد. انظر
القاموس المحيط، مادة [عمد]، [صب].

(٣) وامق: المحب. انظر: القاموس المحيط، مادة [ومق].

وفي ذلك يقول أيضاً لما اشتهر أمره بها :

ألا حبذا سعدى وإن قيل إننى كلفت بنصرانية تشرب الخمر

يهون علينا أن نظل نهارنا إلى الليل لا أولى نصلى ولا عصرا

وكان يقال: لم يبلغ مدرك هذا المبلغ لأنه لم يطلب إلا أن يكون صليياً في الزنار^(١).

ومثل ذلك: ما حكى عن العباس بن الفضل^(٢) أنه عشق نصرانية ، بدير سرماجيس

فكان لا يفارق البيع شغفاً بها، فوجدها يوماً في بستان فجلست معه أسبوعاً.

فقال في ذلك :

رب صهباء من شراب الجوس قهوة بابلية خندريس^(٣)

قد تجليتها بنى وعود قبل ضرب الشمس بالناقوس^(٤)

وغزال مكحل ذى دلال ساحر الطرف سامرى عروس

قد خلونا بظبية نجليه يوم سبت إلى صباح الخميس

بين ورد وبين آس جنى وسط بستان دير سرماجيس

يتشى فى حسن جيد غزال فى صليب مفضض أنوس

كم لثمت الصليب فى الجيد منها كهلال مكلل بشموس

ويقرب من ذلك ما حكاه الصلاح الصفدى^(٥) فى تاريخه، قال رأيت بحماة

(١) الزنار: رداء يشد على الوسط. انظر: القاموس المحيط، مادة [زنر].

(٢) العباس بن الفضل ، ابن يعقوب بن فزارة ، المعروف بابن بربر، أمير من كبار الغزاة كان

مقيماً فى صقلية، خاض معارك كثيرة، فتح قصرنيانة، وأوس وتوفى سنة (٢٤٧هـ). انظر:

البيان المغرب (١١١/١) ، الأعلام (٢٦٤/٣).

(٣) صهباء : يعنى الخمر، سميت بذلك للونها. الخندريس: الخمر القديمة. انظر : القاموس المحيط،

مادة [صهب]، [خند].

(٤) الشمس: رتبة مسيحية دون القسيس . انظر : القاموس المحيط، مادة [شمس].

(٥) الصلاح الصفدى، هو: خليل بن أيك بن عبد الله، الشافعى أبو الصفاء. مؤرخ، أديب،

شاعر، لغوى، دخل دمشق، وأخذ العلم من شهاب الدين محمود، وعن ابن نباته الشاعر.

توفى سنة (٧٦٤هـ) ، من آثاره: الوافى بالوفيات، غيث الأدب، تمام المتون. انظر: شذرات

الذهب (٢٠٠/٦) ، البدر الطالع (٢٤٣/١) ، معجم المؤلفين (٦٨٠/١) .

رجلاً وافر الحظ من الخط وقد أوثقه المؤيد^(١) ليكتب عنده، فكان لا يمكنه من الخروج فحكى أنه علق نصرانية بشيزر، فكان يكتب إلى المغرب بحماسة، ثم يذهب إليها فيجلس معها إلى الصباح، ويأتي، وأقام على ذلك طويلاً، وأنها قالت له يوماً: إن أحببتني فاكو على رأسك صليبا، ففعل وأنا رأيته.

ومنهم الشحمي وهو رجل من فزارة^(٢) أو هو على زبالة، عشق ابنة عمه وكلف بها وأبى عمه أن يزوجه بها، فتسور^(٣) عليها ليلة، فأحس به، فقبض عليه، وأتى به إلى خالد القسري^(٤)، فأقام جماعة فشهدوا أنه سارق وسأله فأقر ليسترها، فأمر بقطع يده، فرفع أخوه إلى خالد رقعة يقول فيها :

أخالد قد وطئت والله عشوة وما العاشق المظلوم فينا بسارق

أقر بما يأتاه المرء أنه رأى القطع خير من فضيحة عاتق^(٥)

ولولا الذي قد خفت من قطع كفه لألقيت في أمر له غير ناطق

إذا مدت الكعبان في السبق للعللا فأنت ابن عبد الله أول سابق^(٦)

فتجسس خالد على الأمر، فلما استصحه، أحضر أباهما، وأمره أن يزوجهما من الغلام، فأبى، فأجبره ودفع المهر من عنده .

(١) المؤيد، هو: إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماسة. مؤرخ جغرافي، قرأ التاريخ والأدب، وأصول الفقه. توفي سنة (٧٣٢هـ) . انظر: الدرر الكامنة (٣٧١/١) ، سير أعلام النبلاء (٣١٩/١).

(٢) فزارة، هم: بنو فزارة بن ذبيان بن غطفان بن سعيد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، من بطن عظيم من غطفان من العرب العدنانية، منازلهم، أرض نجد ووادي القرى. انظر: معجم قبائل العرب (٩١٨/٣).

(٣) تسور عليها: صعد على الحائط ليدخل الدار. انظر القاموس المحيط، مادة [سار].

(٤) خالد القسري، هو: ابن عبد الله بن يزيد بن أسد، من بجيلة، أبو الهيثم، أمير العراقيين، أحد خطباء العرب، من أهل دمشق، ولي مكة للوليد بن عبد الملك، ثم عزله هشام وحبسه، توفي سنة (١٢٦هـ) . انظر: الوفيات (١٦٩/١) ، ابن خلدون (١٠٥/٣) ، الأعلام (٢٩٧/٢).

(٥) عاتق: الجارية إذا بلغت ولم تتزوج بعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [عتق].

(٦) الكعبان ، مثنى الكعب : كل ما يوصف بالشرف والرخصة. انظر : القاموس المحيط، مادة [كعب].

ومنهم : محمد بن صالح العلوي^(١) .

قال: لما خرجنا على المتوكل^(٢)، أخذت أنا وأصحابي قافلة الحاج فجمعنا مالاً ومتاعاً لا يحصى، وكنت قد جلست على كرسي وأصحابي يجمعون إلى المال إذا أنا بامرأة قد رفعت سجاف هودج، فأضاء منها الموضع، ولا إضاءته بالشمس، فقالت: أين الشريف صاحب السرية فلي إليه حاجة، قلت: إنه يسمع كلامك، فقالت أنا حمدونية بنت عيسى ابن موسى تعلم مكاننا عند الخليفة، وأنا أسألك أن تأخذ مني ثلاثين ألف دينار مع أني أعطيتك ما في يدك، ولكني أسألك بفضلك أن لا يكشف لي أحد وجهها .

فناديت أصحابي، فلما اجتمعوا، قلت: من أخذ منكم من هذه القافلة عقلاً أذنته بحرب، فردوا حتى الأطعمة وخفرتهم إلى المأمّن. فلما ظفر بي الخليفة، وحبسني بسرّ من رأى^(٣)، دخل على السجنان يوماً، فقال: إن بالبواب امرأتين من أهلك تريدان الدخول عليك، ولولا أن دفعنا إلى دملج^(٤) ذهب ما أذنت لهما، فقد منع الخليفة أن يدخل عليك أحد .

فخرجت فإذا أنا بها مع امرأة وجارية تحمل شيئاً فلما بصرت بي قالت إى والله هو، وبكت لما أنا فيه، ثم قبلت قدمي، وقالت: لو استطعت أن أفديك بنفسى لفعلت، ولكني لا أقصر في خلاصك ودونك هذه النفقة، ورسولي يأتيك في كل يوم بما تريد حتى يفرج الله عنك، ودفعت إلى خمسمائة دينار وثياباً وطعاماً، وانصرفت وقد أضمرت بقلبي ناراً أقدحتها النظرة الأولى.

فأنشدت :

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه وتشعبت بشعابه أشجانه

(١) محمد بن صالح العلوي، هو: ابن عبد الله، الطالب القرشى، أمير، من الشعراء النبلاء. ولى المدينة للوائق العباسى، وعزله المتوكل، فخرج عليه في جماعة، فقبض عليه وحبسه، توفي سنة (٢٤٨هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣/١٥٤)، الأعلام (٦/١٦٢).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) سرّ من رأى: يعنى سامراء: مدينة في العراق على ضفة دجلة اليمنى، شمالى بغداد، بناها المعتصم العباس. انظر: معجم البلدان (٣/١٩٥).

(٤) دملج: حلى يلبس في المعصم. انظر: القاموس المحيط، مادة [دمل].

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى
يبدو كحاشية السرداء ودونه
فبدا لينظر أين لاح فلم يطرق
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه
ياقلب لا يذهب بملك باخل
واقنع بما قسم الإله فأمره
والبؤس ماض لا يدوم كما مضى
برق تائق موهناً لمعانه
صعب الذرى متمنعا أركانه
نظرا إليه وصده سجاناه
والماء ما سحت به أجفانه
بالنيل باذل تافه منانه
مالا يزال على الفتى إتيانه
عصر النعيم وزال عنك أوانه

ولم ينزل رسولها يعاودنى بالإحسان وملاطفة السجان إلى أن خرجت ،
وعظم أمرى عند الخليفة، فخطبتها فامتنع ، فكان سجن هواها أعظم على من
السجن، فلم أر إلا أن أتيت إبراهيم بن المقتدر فأخبرته بذلك وكان أبوها
صنيعته، فركب إليه فلم يفارقه حتى زوجنى بها. ولا بن صالح فيها وفى إبراهيم
مدائح كثيرة تركتها .

ومنهم : جعد بن مهجع العذرى .

قال عمر بن أبى ربيعة : إنه كان فتى مغرماً بمحادثة النساء، وحفظ طرف
الأخبار وملح الأشعار مع أنه غير عاهر الخلوة ولا سريع السلوة، وكان يحضر
الموسم فتقصده الناس لتسمع منه، فانقطع سنة، فسألت عنه العذريين، فقال لى
رجل تريد أبا المسهر ؟ قلت نعم إياه أعنى، فتنفس الصعداء، ثم قال قد أصبح
والله كما قال :

لعمرك ما حبى لأسماء تاركى صحيحاً ولا أقضى به فأموت

قلت: وما به ؟ قال: مثل ما بك من تيهكما فى الضلال. قلت فمن أنت ؟ قال
أخوه، قلت كأنك وإياه على طرفى نقيض.

ثم انطلقت أقول :

أرائحة حجاج عذرة روحهم ولما يرح فى القوم جعد بن مهجع
خيلان نشكو ما نلقى من الهوى متى ما أقل يسمع وإن قال أسمع
فلا يبعدنك الله خلا فإبنى سألقى كما لاقيت فى الحب مصرعى

فلما كان الموسم من قابل وأنا بعرفة رأيت شاباً لم تبق إلا رسومه، فعرفته بناقته فسلمت عليه وسألته عن حاله، فشكا إلى ما به، فقلت له: إن هذا يوم دعاء فادع الله أن يزيل مابك، فلم يزل يدعو حتى الغروب.

فسمعتة يقول :

يارب كل غدوة وروحه من محرم يشكو الضحى ولوحه^(١)
أنت حسيب الخصم يوم الدوحة

فقلت له: وما الدوحة؟ قال: إذا انصرفنا حدثك، فلما انصرفنا حدثني أن له أخوالاً من كلب وأنه حول ماله إليهم خشية التلف، فأقام معهم وأنه خرج يوماً على فرس وقد صحب شراً فاشتد الحر ورفعت له دوحة^(٢) فقصدها ونزل تحتها، فما استقر حتى بان له شخص عليه درع أصفر وعمامة سوداء، يطرد مسحلاً^(٣) وأتانا^(٤) فقتلها، وقصد الدوحة ونزل بها فحدثته فخلب عقلي لفظه فدعوته إلى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه، فتزحزح الدرع عن ثدي كحق العاج، فقلت: امرأة أنت؟

قالت: نعم، ولكن شديدة العفاف، حسنة الأخلاق والمفاكهة، فتحدثنا ساعة وأخذها النوم. فوالله لقد هممت بهجر العفة لما داخلني، ثم راجعت المروءة فلما انتبهت وعزمت على الذهاب سألتها عن الزيارة فذكرت أن لها إخوة شرسة وأب كذلك، ثم مضت وها أنا كما ترى فقلت ثبت نفسك، فإني موصلك إلى مطلوبك ثم قمت فشددت على ناقتي؛ وصحبت ألف دينار ومطرف^(٥) خز و قبة خضراء من آدم^(٦)، ومضينا حتى نزلنا بالشيخ، فأحسن ملقانا، فقلت له: قد أتيتك خاطباً، قال: فوق الكفاءة أنت والمرغوب في مثله،

(١) لوحه، من لوح : إذا ظهر الشيء وبان. انظر القاموس المحيط، مادة [لوح].

(٢) دوحة: الشجرة العظيمة، أو المظلة الكبيرة. انظر القاموس المحيط، مادة [داح].

(٣) المسحل : الحمار الوحشى . انظر : لسان العرب ، مادة [سحل] .

(٤) الأتان : أنثى الحمار الوحشى . انظر : القاموس المحيط مادة [أتان] .

(٥) مطرف: رداء من خز ذو أعلام . انظر : القاموس المحيط، مادة [طرف].

(٦) آدم، جمع أديم، الجلد الذى يغلف جسد الحيوان. انظر : القاموس المحيط، مادة [أدم].

فقلت: لم أخطب إلا لصاحبي هذا وهو ابن أختكم، فقال: الحسيب الكريم ولكن أخيرها بينكما قلت: ما أنصفتني، فأوما صاحبي إلى أن أدعه، فقلت: افعل، فخيرها ففوضت الأمر إلى، فحمدت الله، فزوجتها من صاحبي وأمهرتها ألفاً وكسوت الشيخ المطرف وسألته أن يبنى بها من ليلته، ففعل، وجتته من الغد، فقلت: كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك؟ قال أبدت لي كثيراً مما أخفته عني قديماً وسألتها عن ذلك.

فأنشدت :

كتمت الهوى إنى رأيتك جازعاً فقلت فتي بعد الصديق يريد
فإن تطرحنى أو تقول فتية يضر بها برح الهوى فتعود^(١)
فوريت عما بهى وفى الكبد والحشا من الوجد برح فأعلمن شديد

ومنهم : ما حكاه أسدى وهو من العجائب المستلطفة .

قال: ضلت لى إبل، فطلبتها فى قضاة^(٢)، حتى إذا دهمنى الليل أمسيت فى بيت تفرست أنه كفو للضيف، فناديت أهله، فلبتنى امرأة كالشمس جمالاً.
وقالت: انزل على الرحب، وأجلستنى عند نار فاصطليت، وأتتنى بعشاء كثير فأكلت، وهى تحادثنى، وإذا إبل كثيرة قد أقبلت إلى البيت وقد أقبل شخص، فبادرت إليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه، وأنا أظنه عبداً لقباحته حتى جلس إلى جانبها.

فقال لها: ممن الضيف؟

قالت: أسدى، فعلمت أنه زوجها، فجعلت أتأمل ما بينهما من المباينة، فقطن لذلك.

فقال: كأنك تعجب منا، قلت: إى والله وأى العجب.

قال: أحدثك بوصولها إلى .

قلت: ما أشوقنى إلى ذلك.

(١) طرح: ألقاه وأبعده. برح الهوى: أى مشقته وعذابه. انظر: القاموس المحيط، مادة [طرح]، [برح].

(٢) قضاة: شعب عظيم، اختلف النسابون فيه، فقيل: من حمير، من العرب القحطانية، وهم بنو

قضاة بن مالك. وقيل: من العرب العدنانية، وهم بنو قضاة بن معد بن عدنان. انظر:

معجم قبائل العرب (٣/٩٥٧).

قال: اعلم أنى كنت سابع سبعة إخوة إذا رأيتنى ظننتنى عبدهم وكاتوا
يطرحوننى للرعى ونحوه، فضل لنا بغير .

فقالوا: امض فى طلبه.

فقلت: ما انصفتمونى .

فقال أبى: اذهب يا لكع^(١) وإلا جعلته آخر أيامك وتهددنى بالضرب،
فمضيت وأنا على أسوأ حالة من البرد والجوع، فدفعتنى المساء إلى عجوز عليها
سمة الخير والشرف، وإلى جانبها هذه العزبة^(٢)، فجعلت تسخر بى وتقول: هل
لك إذا نام الناس أن تدخل علىّ فأحدث معك فإنى لم أر أحسن منك؟
فقلت: دعينى من هذا، وأقبل أبوها وإخوتها سبعة، فناموا بإزاء الخيمة،
فأغرانى الشبع والدفء فدخلت الستر، فلما شعرت بى.

قالت: من تكون؟

قلت: الضيف، قالت اخرج لا حياك الله ولا صباحك، فخرجت فزعاً،
فتلقانى كلبهم يريد أن يأكلنى وأنا أردته بعصاى حتى علق بجبة صوف على
فتجاذبنا حتى سقطت أنا وإياه فى حفرة لاماء فيها، وكانت الصبية شعرت
بذلك فأقبلت حتى إذا بصرت بى قالت:

وددت والله أن أجعلها قبرك لولا خشية الضرر، ثم أدلت لى حبلاً، وقالت
لى: ارق، فحين قاربت فم الحفرة إنهارت من تحت أقدامها، فسقطنا جميعاً .

فلما كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان أبوها عارفاً بما حصل، فأقبلوا
بالسيوف والأحجار على قتلنا. فقال أبوها: إنى لأعرف من ابنتى ما لاربية فيه،
فأمسكونا وأخرجونا فأقبل على أبوها، فقال: أفيك خير لأزوجك بها اتقاء
الشهرة، فقلت: حين شممت الحياة وهل عندى إلا الخير، فزوجنى بها على
خمسين بكرة وأمة وعبداً، ورجعت إلى أبى فأخبرته بذلك فأحضرها وأقبلت بها
إليهم فأخذوها وبنيت بها وها هى تسمع ما أقول .

(١) اللكع: الأحمق. انظر: القاموس المحيط، مادة [لكع].

(٢) العزبة: التى لا زوج لها. انظر: القاموس المحيط، مادة [عزب].

ومن الصنف الثاني ما حكى عن علي عليه السلام أنه كان له مؤذن شاب وكان عنده جارية، وكان إذا رآها المؤذن يقول لها: إني أحبك، فأخبرت علياً بذلك، فقال لها: قولي له وأنا أيضاً أحبك، فماذا تريد؟ فقالت له ذلك، فقال: إذا نصبر حتى يوفينا أجورنا من يوفى الصابرين أجرهم. ومضت وأخبرت علياً، فدعا به وزوجه منها.

وحكى عن عبد الله بن جعفر^(١) أنه كان يحب جارية فبلغه أنها تهوى عبداً من عبيده، فقال لها في ذلك فقالت أعيذك بالله من هذا، فأقسم عليها أن تصدقه، فأطرت ساكتة فزوجها منه، ثم داخله من حبها ما كاد أن يذهب عقله، فدعا الغلام، فقال له: هل تنزل بعشرة آلاف درهم. فقال: ولا مائة ألف. فقال: بارك الله لك فيها، فلم يكن إلا قليل ومات العبد، فأعادها ابن جعفر.

وقيل: إنه حين دخل بها أنشد:

وسلمت أمر الله فيه كما مضى

رضيت بحكم الله في كل أمره

وصبرني حتى انمحي الحب فانقضى^(٢)

بلائي وابلائي بحب دنيه

ولا كان حبي زائلاً فتقضا

لعمري ما حبي بحب ملالة

ويعرض أحياناً إذا الحب أعرضاً^(٣)

ولكن حبي معه دل يزينه

حكى الرياشي^(٤)، قال: اشترى بصري جارية على أرفع ما يكون من الجمال والفصاحة، فكلف بها وكان مثيراً، فأنفق عليها ما في يده حتى إذا أملق ولم يبق معه شيء أشارت عليه ببيعها شفقة عليه.

(١) عبد الله بن جعفر، هو: ابن أبي طالب بن عبد المطلب، الهاشمي، أبو محمد. أمه أسماء بنت عميس. ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، وهو أول من ولد بها من المسلمين، حفظ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وروى عنه مات سنة (٨٠هـ) في عام الجحاف. انظر: الإصابة (٣٥/٤).

(٢) دنية: أي قليلة الشأن ضعيفة. انظر: القاموس المحيط، مادة [دنا].

(٣) دل: حسن السيرة والوقار. انظر: القاموس المحيط، مادة [دلل].

(٤) الرياشي، هو: العباس بن فرج بن علي بن عبد الله، البصري، نحوي، لغوي، راوية للشعر، عالم بأيام العرب والسير. من آثاره: كتاب الخيل، وشعر. انظر: معجم الأدباء (٤٤/١٢)، معجم المؤلفين (٣٣/٢).

فلما حضر بها السوق أخذت إلى ابن معمر^(١)، وكان عاملاً على البصرة، فاشتراها بمائة ألف درهم، فلما قبض المال وهم بالانصراف.

أنشدت :

هنيئاً لك المال الذي قد حوته ولم يبق في كفى غير التذكر
أقول لنفسي وهي في غشى كرية اقلى فقد بان الحبيب أو أكثرى^(٢)
إذا لم يكن للأمر عندي حيلة ولم تجدى شيئاً سوى الصبر فاصبري

فاشتمد بكاء مولاها وأنشد :

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرقنا سوى الموت فاصبري
أروح بهم في الفؤاد مبرح أناجى به قلباً طويل التفكير
عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر للبصري : خذها ولك المال فانصرفا راشدين، فوالله لا

كنت سبباً لفرقة محبين .

وحكى عن ابن دأب: أنه مرض مرضاً شديداً وطال به الأمر، فدعوا له أطباء الروم فعالجوه بضروب من العلاج فلم يؤثر فيه شيء ، فأمروا أهله أن ياكلوا به امرأة تسقيه من الخمر دون السكر لعله يبوح بما عنده ، فأرسل إليه عمه جارية ، فلما سقته وغنت عنده ، أنشد يخاطب الجارية المغنية وحاضنة كانت له يقول :

دعوني لما بي وانهضوا في كلاءة من الله قد أيقنت أنى لست باقياً^(٣)
وإذ قد دنا موتي وحانت منيتي وقد جلبت عيني إلى الدواهيها
أموت بشوق في فؤاد مبرح فيا ويح نفسي من به مثل ما بيا

فأعلموا عمه بذلك فرحمه، وبعث إليه بجارية ظريفة كثيرة الأدب، فاستخرجت ما عنده بلطف ، فأخبرها أنه رأى جارية أخته في نومه فعشقها وأصابه هذا الحال ، فأعلمت أخته فوهبت له الجارية فبرئ من علته .

(١) ابن معمر، هو: عمر بن موسى بن عبيد الله، قائد من الشجعان. خرج مع ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان، وأسر في خراسان، فجيء به إلى الحجاج فقتله سنة (٨٣هـ) . انظر: ابن الأثير (٨٣) ، الأعلام (٦٨/٥).

(٢) كرية: من كرى، إذا نام. انظر: القاموس المحيط، مادة [كرى].

(٣) كلاءة من الله: أى حفظه ورعايته. انظر: القاموس المحيط، مادة [كلأ].

وحكى رجل ، قال: عشق عبد أسود لصديق لي بالمدينة جارية لرجل سوداء
أيضاً ، وكان يواصلها سرّاً، فلما علم مولاها جاء إلى مولى العبد فأخبره بذلك،
فضرب العبد وسجنه ، فتوله وطار عقله، فدخلت عليه يوماً فقلت له: ما هذا
الحال قد فضحتنا بهذه السوداء فهل عندها ما عندك فبكي .

وأنشد :

كلانا سواء في الهوى غير أنها تجلد أحياناً وما بي تجلد
لخفاف وعيد الكاشحين وإنما جنوني عليها حين أنهى وأوعد^(١)

فخرجت وأعلمت مولاها فحلف لا يبيت حتى يجمع بينهما، فاشتراها باثني
عشر ديناراً وزوجها منه .

وحكى عن ابن جعفر أيضاً أنه أحب جارية عنده، اسمها عمارة، حباً شديداً،
فكان لا يستطيع فراقها سفيراً ولا حضراً، فقدم على معاوية سنة من السنين لأخذ
حقه، فزاره يزيد^(٢) فغنت الجارية بحضرتة، فأخذت بمجامع قلبه وتمكن حبها من
نفسه و كان ذا دهاء فكتم أمرها .

فلما أفضت إليه، الخلافة استشار أهل سره في أمرها، وأنه لا يهنأ له قرار
بدونها، فقالوا له: إن ابن جعفر عند الناس بمنزلة، وتعرف ما كان عليه مع أهلك،
ولا نأمن عليك في ذلك، فالزم المهلة واجتهد في الحيلة فأخذ في تدبير ذلك
حتى ظهر له، فأحضر رجلاً عراقياً معروفاً بالدهاء والحيل، وأطلعه على أمره،
فقال له مكنى مما أريد، ولك على أن آتيك بها، فقال لك ذلك سترى منى ما
يسرك ، ثم أعطاه مالاً وثياباً وجواهر.

وخرج العراقي كبعض التجار حتى نزل بساحة عبد الله بن جعفر وبلغه،
فأحسن ملتقاه، وأخذ العراقي في التودد إليه، فأرسل إليه بقماش وجواهر وهدايا

(١) الكاشحين: جمع الكاشح، وهو العدو الخفي. انظر: القاموس المحيط، مادة [كشح].

(٢) يزيد بن معاوية، هو: ابن أبي سفيان، الأموي. ثاني ملوك الدولة الأموية، ولى الخلافة بعد
وفاة أبيه (٦٠هـ) وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، وفي عهده كانت
الفاجمة من قتل الحسين واستباحة المدينة المنورة والحرم، توفى سنة (٦٤هـ) انظر: الطبري
سنة (٦٤) ، جمهرة أنساب العرب (١٠٣) ، الأعلام (١٨٩/٨).

تزيد على ألف دينار وسأله قبولها، فقبلها ونقله إلى خواصه، فزاد في الهدايا إلى أن صار من ندمائه .

فأحضر الجارية، فلما غنت أعجب بها العراقي حتى قال : ماظنت أن في الدنيا مثل هذه.

فقال له: كم تساوى عندك ؟

قال: الخلافة .

قال عبد الله: تقول ذلك لتزين لي شأنها وتطلب بذلك سروري.

قال: ياسيدي أنا تاجر أجمع الدرهم إلى الدرهم ولو بعثنيها بعشرة آلاف دينار لأخذتها.

قال: قد بعثك .

قال: اشتريت ، وقام العراقي فرحاً بما ظفر به، وبات ابن جعفر متفكراً .

فما أصبح إلا وقد جاء العراقي بالمال، فقال له ابن جعفر: أنا كنت مازحاً، فقال له: ياسيدي أنت تعلم أن المزح في البيع جد وهذا لا يليق بمثلك وأنت معروف بالكرم والصلوات، فكيف ترضى أن يشيع عنك مثل هذا .

وطال بينهما الكلام إلى أن خدعه فأخرجها له وهو كالمجنون لا يملك نفسه، فرحل بها من يومه، وأقام ابن جعفر حزينا باكياً لا يقر له قرار. فلما دخل العراقي الشام وجد يزيد قد مات، فاجتمع بولده معاوية^(١)، فقص عليه الخبر وكان صالحاً، فقال له اخرج عني بها فلا ترني وجهك .

فخرج العراقي وكان قد قال للجارية، أنا لست من رجالك، وإنما أخذتك للخليفة فاستترت فلم ير لها وجهاً؛ فلما قال له معاوية ما قال، جاء إليها وقال: قد صرت لي، ولكن استترى فإني معيدك إلى مولاك، ثم رحل بها حتى دخل على ابن جعفر .

(١) معاوية بن يزيد، هو: ابن معاوية بن أبي سفيان، من خلفاء بني أمية، بويح بدمشق بعد وفاة أبيه (٦٤هـ) مكث بالخلافة أربعين يوماً، وكان صالحاً فلما شعر بالضعف تخلى عن الخلافة، توفي سنة (٦٤هـ) . انظر: الطبري (١٦/٧) ، ابن الأثير (٥١/٤) ، الأعلام (٢٦٣/٧) .

فلما تلاقيا أخبره بالقصة، وأنه لم يكن تاجراً ولكن كان مطلوبه الجارية ليزيد، وأنه حين رآه قد هلك لم ير نفسه أهلاً لها، فأعادها إليه ولم ير لها وجهاً، ثم أخذها فسلمها إليه، فلما تلاقيا وتعانقاً خرا مغشيين ساعة، ثم أدخلها ورفع منزلة العراقي حتى صار أعظم الناس عنده ووهب له المال، وانصرف، وأقاما على ما كانا عليه .

وحكى في الأغاني عن ابن أبي مليكة عن جده، قال: كان في المدينة رجل ناسك كثير العبادة، فمر يوماً بجارية تغنى شعر أعشى بنى قيس وهو :

بانت سعاد فأمسى حبها انقطعا واحتلت العود فالخدين فالفرعا

وانكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فهام حتى كاد أن يخرج عقله وذهب إليه عطاء وطاوس يلومانه فى ذلك.
فأنشد :

يلومنى فىك اقوام أجالسهم فما أبالى أطار اللوم أم وقعا

وسمع ابن جعفر بذلك فاشترى الجارية بأربعين ألف درهم، ثم أحضر الناسك وكان الصوت الذى سمعه من الجارية بتلحين عزة الميلاء، فأحضرها، وقال له: تحب أن تسمع الصوت من صاحبتة، قال: نعم، فأمرها فغنت، فسقط مغشياً عليه .

فقال ابن جعفر: قد أئمتنا فيه الماء الماء ، فأتى بالماء فجعل ينضح حتى أفاق.
فقال له: اسمعه من الجارية.

قال: قد رأيت ما وقع لى منه مع من لا أحبها فكيف منها.
فقال: أتعرفها ؟

قال: وهل أعرف غيرها، فأخرجها له وسلمها إليه.
وقال: هى لك والله مارأيتها.

فقبل يديه ورجليه، وقال: قد أعدت عقلى وأحييت نفسى، ودعا له.

فقال: يا غلام احمل معه مثل ثمنها مالاً وثياباً وطيباً يتطيب به، فأخذ ذلك وانصرف .
وحكى أنه كان ببغداد^(١) رجل من ذوى النعم، فعشق قينه على أوفر ما

(١) بغداد: عاصمة العراق على نهر دجلة، عاصمة الخلافة العباسية، أسسها المنصور العباسى .

انظر: معجم البلدان (١/٥٤١).

تكون من الجمال، والمعرفة بالغناء والضرب، فأنفق عليها ما معه حتى ضاق حاله، فأشار عليه بعض أصدقائه أن يأذن لها في الغناء عند الناس فإنها مطلوبة ويحصل له بذلك الثروة، فغم لذلك وأخبره أن الموت عنده أسهل من ذلك، وقالت له: الرأى ان تبيعنى فتحصل من ثمنى على غناك أو أكون أنا فى ثروة فإنه لا يشتري مثلى إلا غنى .

فحضر بها السوق ، فاشتراها هاشمى من أهل البصرة^(١) بألف وخمسمائة ديناراً، فلما قبض المال وتفارقاً ، صار كل منهما على أقبح حال من البكاء ، واجتهد فى الإقالة، قال: فخرجت لا أدري إلى أين أذهب إذ لا يمكننى الدخول إلى البيت وقد أوحش منها، فدخلت مسجداً فجعلت الكيس تحت رأسى، فما انتبهت إلا وشاب قد أخذ الكيس فقامت لأعدو خلفه، فإذا رجلى مشدودة فما تخلصت إلا وقد ذهب ، فاشتد ما بى فجئت فلففت وجهى وألقيت نفسى فى دجلة طالباً أن أغرق ، فأنقذنى الحاضرون ظانين أنى وقعت غلطاً، فلما أخبرتهم بقصتى فمنهم من عنف ، ومنهم من رحم ، فخلا بى شيخ منهم فوعظنى، وقال: لست أول من افتقر بعد غنى، أما كفاك ذهاب مالك حتى تذهب نفسك وتصير فى النار، فسكن ما بى قليلاً ثم عاودنى القلق، فأخبرت صديقاً لى فأعطانى خمسين درهماً، وأشار على أن أخرج من بغداد فعسى أن أجد من أكتب عنده من الأكابر لحسن خطى .

فعمت على واسط^(٢) لأن لى بها صديقاً من الكتاب فجئت فرأيت زللاً^(٣)، مهياً، فطلبت النزول معهم، فقالوا: نملك بدرهمين، ولكن الزلال لهاشمى لا يريد معه غريباً فتزى بزينا كأنك بعض الملاحين^(٤) فوقع بقلبى أن الزلال للذى اشترى جاريتى فأتسلى حينئذ بصوتها، فاشتريت الجبة ولبستها كالملاحين فما

(١) البصرة: مدينة فى العراق على شط العرب، تأسست فى عهد عمر بن الخطاب، وازدهرت فى أيام الدولة العباسية . انظر: معجم البلدان (١/٥١٠).

(٢) واسط: مدينة قديمة فى العراق، قاعدتها الكوت. انظر: معجم البلدان (٥/٤٠٠).

(٣) زلال : المركب لأنها تزل على الماء . انظر لسان العرب . مادة [زلزل] .

(٤) الملاحين، جمع ملاح: أى النوتى، أو البحار. انظر: القاموس المحيط، مادة [ملح].

وقفت إلا وجاريتي قد أقبلت ومولاها فضربت لها ستارة، فلما انحدروا وجاء العشاء وأكلوا وشربوا، قال للجارية: إلى كم هذا الحزن والمدافعة عن الغناء أنت أول من فارقت مولاها، وألحوا عليها فأخذت العود وغنت :

بان الخليط بمن علمت فادجوا عمداً لقتلك ثم لم يتخرجوا

وغدت كأن على ترائب لجرها جمر الغضى فى ساعة يتأجج^(١)

ثم غلب عليها البكاء ونهضت، فانتفضت وصرعت فنضحوا على الماء، وأذنوا فى أذنى فأفقت ولم يزالوا يتلطفون بها حتى عادت فغنت :

فوقفت أنشد بالدين أحبهم وكان قلبى بالشفار يقطع^(٢)

فدخلت دارهم أسائل عنهم والدار خالية المنازل بلقع^(٣)

فشهقت، فكادت تلتف وصرعت، فقالوا: كيف حملتم مجنوناً اطرحوه، فلحقنى أمر عظيم فتصبرت، فلما شارف القوم المنزل فى بعض الطريق، أوقفوا الزلال وصعدوا يتنزهون، وخلا الزلال فعمدت على غفلة إلى العود فأصلحته على طريقة معروفة بينى وبينها .

فلما رجعوا وكان الوقت مقمراً تلطفوا بها، وقالوا: ترين ما نحن عليه فى هذا الوقت فبا لله عليك إلا ما انشرحت معنا، فأخذت العود، فشهقت شهقة منكورة، ثم قالت: هذا العود على طريقة كان يجبها مولاى ويضرب معى ، وأنه لمعنا ، فقالوا لها: والله لو كان معنا ما امتنعنا عن عشرته ليخف ما بك ، فقالت: هو معنا لا محالة ، فقالوا للملاحين: هل حملتم أحداً؟ وأشفقت أن ينقطع السؤال . فقلت: أنا ياسيدى فأحضرنى، وقال: إنى والله ما واطتتها وأنا رجل قد وسع الله على، ما أخذتها إلا لسماع غنائها فكن معنا إلى منزلنا فأعتقها، وأزوجك بها ولا أريد منك إلا أن تحضرها كل ليلة وراء ستارة فنسمع غناءها ونصرف .

(١) الغضى: النار، أو الجمر المشتعل من أصل خشب يسمى الغضا، وهو أفضل أنواع الوقود عند العرب. انظر: القاموس المحيط، مادة [غصنا].

(٢) الشفار: السكين الحاد العظيم. انظر: القاموس المحيط، مادة [شفر].

(٣) بلقع: مهجور، مقفر. انظر: القاموس المحيط، مادة [بلق].

فقلت: كيف أمنع ذلك عنك وأنت سبب حياتي، فقال للجارية: أرضيت

بذلك؟

قالت: نعم، وشكرته وزاد سرورها فجعلت تغني وأنا أقترح عليها الأصوات، فتضاعف سرور الرجل، ودمنا على ذلك حتى بلغنا نهر معقل ليلاً ونحن ثملون، فصعدت حتى ربطت الزلال لقضاء الحاجة، فأخذني النوم ولم يدروا بي حتى سافر، فأفقت بحر الشمس فلم أجدهم، وعدت إلى المحنة، فجاز بي سمارية^(١) فنزلت معهم إلى البصرة فدخلتها لم أعرف بها موضعاً ولا أحداً، ولم أكن سألت الرجل عن اسمه ولا موضعه .

فرايت رجلاً من بغداد ماراً فقلت لأشكو إليه حالي، فقال: اتبعني، فتبعته حتى عرفت موضعه، وجئت إلى بقال فأخذت منه ورقة لأكتب عن حالي إلى الرجل، فاستحسن البقال خطي واسترق حالي وسألني عنه، فلم أشرح له أكثر من أنه لم يبق في يدي شيء، فقال: هل لك أن تكتب عندي في كل يوم بنصف درهم وما تحتاج إليه، فتضبط مالي، فأجبت، فرأى بعد شهر الزيادة بضبطي وحفظي ما كان يسرق له فزاد في إكرامي، فزوجني بعد حول بابنته وأشركني في ماله غير أني في خلال ذلك منكسر النفس حزين القلب .

فلما كان ذات يوم رأيت الناس يجتازين بأنواع الزينة، فسألت عن ذلك، فقبل: عيد الشعانين للنصارى، والناس تخرج للفرجة فوق في نفسي أن أخرج معهم وأن عسى أن أظفر بأصحابي، فاستأذنت الرجل فأصلح لي ما أحتاج إليه، وخرجت فما وصلت إلا والزلال بعينه في أوساط الناس، فلم أملك أن طرت إليهم فحين رأوني فرحوا بي وقالوا: نحن منذ فقدناك ما شككنا أنك غرقت، فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها فلما وصلنا البصرة خيرناها فيما تريد، فاختارت لبس السواد وتمثيل قبر تجلس عنده تبكي، ثم أخذوني وأدخلوني عليها وهي على تلك الحالة، فلما رأتنى شهقت شهقة ما شككت في موتها .

(١) سمارية: السُمَيْرِيَّة: ضرب من السفن . انظر : لسان العرب ، مادة [سمر] .

فلما أفاقت ، قال مولاها: قد وهبتها لك، قلت: لا ولكن افعل ماتقدم من العتق والتزويج، ففعل بالشروط السابقة ، وأعطاني ثياباً وخمسمائة دينار، وقال: هذا مقدار ما كنت أجريه عليك إلى اليوم وهو مستمر لك فجئت إلى البقال فأعلمته بذلك وطلقت ابنته وأقمت مع الجارية في أحسن حال.

وحكى أن جعفر بن يحيى^(١) حين قدم البصرة مع الرشيد، قال لإسحاق بن إبراهيم^(٢): قد بلغنى أن هنا جارية لم ير مثلها لكن لا يريها مولاها إلا فى بيته، فأخرج بنا ننظر إليها، فخرجنا والنخاس^(٣) مستخفين حتى طرقتنا الباب، فخرج شاب متغير اللون فى ثوب نحشن، فأدخلنا داراً خربة ، ففرش لنا حصيراً وأجلسنا ورحل، فخرجت جارية بذلك الثوب إلا أنها تفوق الشمس حسناً وجمالاً فأخذت العود وغنت:

أن يمس جيلك بعد طول تواصل خلقاً وبيتك موحشاً مهجوراً^(٤)
 فلقد أرايتى والجديد إلى البلا دهرًا بوصلك راضياً مسروراً
 كنت المنى وأعز من وطى الحصى عندى وكنت بذاك منك جديراً

ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء، فنهضت إلى البيت تعثر فى القميص، فسمعنا لهما بكاء وشهيقاً، ثم خفيت أصواتهما حتى ظننا أنهما قبضا، ثم خرج الشاب بالثوب بعينه، وقال: أشهدكم أنها حرة وأريد أن تزوجونى بها، ففعلوا، وغم جعفر لفواتها، وقال له: ما حملك على هذا، قال: حديثى طويل إن شئت حدثتك به، قال: قل، فقال: أنا ابن فلان، وقد كنا من ذوى النعم وهذا يعرف ذلك وأشار إلى النخاس .

(١) جعفر بن يحيى ، هو: ابن خالد البرمكى، أبو الفضل وزير الرشيد العباسى، أحد مشهورى البرامكة . استوزره الرشيد، وألقى عليه أزمة الملك، ولكن لما نقم على البرامكة، قتله وأحرق جثته سنة (١٨٧) . انظر: تاريخ الطبرى سنة (١٨٧) ، البداية والنهاية (١٨٩/١٠) ، الأعلام (١٣١/٢) .

(٢) إسحاق بن إبراهيم ، هو: ابن ميمون التميمى، الموصلى، أبو محمد بن النديم، من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة ، والموسيقى والتاريخ وعلم الكلام، وعلوم الدين. من آثاره: كتاب أغانيه. انظر: تاريخ بغداد (٣٣٨/٦) ، الأغاني (٢٦٨/٥) ، الأعلام (٢٩٢/١) .

(٣) النخاس : بائع الرقيق . انظر : لسان العرب ، مادة [نخس] .

(٤) خلقاً ، من خلق الشيء: إذا بلى وقدم. انظر: القاموس المحيط، مادة [خلق].

ثم قال : وكانت هذه الجارية لأمى فنشأت أنا وإياها فأدخلنا المكتب فبرعنا في الأدب وأخرجت هي لتعليم الغناء فلم أطق فراقها فصرت معها، فلما برعت فيه طلبت أمى بيعها فأيقنت بالموت فصدقتهما الخير فوهبتها لي وجهازها لي ودخلت بها بعد أن امتنعت من تزويج بنات الأكابر وأظهرت الزهد والعفة كل ذلك لقصور شهوتي عليها، والناس يظنون عفة. فأقمنا في أرغد عيش إلى أن مات أبي فلم أحفظ النعمة ، فأنفقت الأموال وأكثر من الهبة وأسرفت حتى لم يبق عندي إلا هذا الثوب أتناوبه أنا وإياها، فأشفقت عليها فقلت لها حين دخل الخليفة: الرأي أنى أبيعك وأعلم أنى هالك إثر ذلك، ولكنى أختار أن تعيشي بخير.

فلما عرضت عليكم ودخلت إلى، قالت: لو كان عندك منى ما عندي منك ما ذكرت بيعاً، فقلت: أتخين أن أعتقك وأتزوج بك وتقيمي معي على هذا الحال. فقالت إن كنت صادقاً في الحب فافعل، فخرجت وفعلت ذلك، فعذره جعفر، قال إسحاق: فلما ركبنا قلت له: أنت تبذل الأموال وتغني المحاويج أفلا ترق لهذا؟ قال بلى. ولكن قد غبت^(١) لفوت الجارية، ثم التفت إلى النحاس، وقال: كم صحبت من المال؟ قال: ثلاثمائة ألف دينار، قال ادفعها إليه، وأمره أن يأتيني غداً.

فلما أعطاه النحاس المال وأخبره أن الذي كان عنده جعفر وأنه يدعوك إليه كاد أن يطير فرحاً واقبل إليه من الغد وقد تزين فأخبر به الخليفة فأجرى عليه رزقاً وجعله من الكتاب، لما رأى عنده من الظرف والأدب، وأمر كلا من العسكر أن يهاديه، ففعلوا وأقام في النعم.

وأغرب من ذلك: ما حكى أن أندلسياً كان مغرمًا بجارية يحبها حبًا شديدًا، وأنه أراد بيعها لوحشة، فلما حقت الصفقة كاد أن يطير عقله فحكم المشتري في ماله، فأبى، فتشفع عنده بأكابر بلده فلم يجب، فمضى إلى الملك وأخبره بحاله، فأحضر المشتري وشفع عنده وبذل مالا كثيرا فامتنع وادعى محبتها.

(١) غبت: من غب في الأمر، إذا تأنى فيه. انظر: القاموس المحيط، مادة [غيب].

فلما رأى الأندلسي اليأس منها ألقى نفسه من شاهق ، فأبْهتَ الملك ، وأمر أن يتلقى، فقدر أنه لم يصب بشيء، وجرى به إلى الملك، فقال: الله أكبر قد ظهر الحكم في ذلك، ثم قال للمشتري: قد رأيت ما فعل هذا من حبها فإن كنت تحبها كما تقول فافعل كفعله فإن عشت فأنت أحق بها، فقال: أفعل ثم هم بذلك ، ورجع فأمر أن يلقي غصبا، فلما حقق ذلك، قال: أعطيته إياها فأخذت منه وأعيدت إلى مالِكها .

وحكى أن المأمون افتتن بجارية من جوارى أبيه الرشيد، وكان يكتنم أمره وكانت من خواص الخدمة، فبينما هي يوماً تصب على يديه وقد التفت، إذ أشار لها المأمون بقبلة، فغمزته مشيرة بحاجبها إلى أنها خائفة، ففترت بصب الماء، ففطن الرشيد، فحلف إن لم تخبره ليفتك بها، فأعلمته فنظر إلى المأمون وقد كاد أن يقضى من الخوف فضمه وسكن مابه، ثم قال له: أتحبها؟ قال: نعم. قال: قم، فاختل بها في هذه الخلوة، ففعل، فلما خرج قال له: أنشد في هذه.

فأنشد :

ظبي كنت بطرفي	عن الضمير اليه
قبلته من بعيد	فأعتل من شففيه ^(١)
ورد أخبرت رد	بالكسر من حاجبية
لما برحت مكاني	حتى قدرت عليه

وحكى أن إبراهيم بن المهدي^(٢)، زمن اختفائه من المأمون، مكث عند عمته علية بنت المنصور، وكان عندها جارية قد أحسنت تأديبها وتعليمها حتى صارت من ألطف أهل زمنها فوكلتها بخدمة إبراهيم، فعلقها وزاد به الوجد وهو يكتنم حياء حتى سكر يوماً.

(١) أعتل: اعتذر. انظر: القاموس المحيط، مادة [عل].

(٢) إبراهيم بن المهدي، هو: ابن محمد ابن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أخو هارون الرشيد، ولد ونشأ في بغداد وأقام بها، وولاه الرشيد إمارة دمشق، ولما بويغ المأمون، أراد الخروج عليه، فأهدر دمه ثم قبض عليه، وعفا عنه، توفي سنة (٢٢٤هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٤٢/٦)، الأعلام (٥٩/١).

فغنى :

يَا غَزَالًا لِي إِلَيْهِ شَاعِعٌ مِّنْ مَّقْلَبِيهِ
وَالَّذِي أَجَلَّلْتُ خَدْيِيهِ فَقَبَلْتُ يَدَيْهِ
بِأَبِي وَجْهَكَ مَا أَكْثَرَ حَسَادِي عَلَيْهِ
أَنَا ضَيْفٌ وَجَزَاءُ الضَيْفِ إِحْسَانِ إِلَيْهِ

فقطنت للطفها بما أراد، فأخبرت مولاتها فوهبتها له، فلما رآها مقبلة أعاد الصوت، فقبلت رأسه، فنهاها فأخبرته أنها له فقرت عينه .
وحكى أن رجلاً مكياً كان عنده جارياً، وكانت على أحسن صورة، والطف هيئة قد كملت فوق حسنها بالبراعة بالغناء والضرب، حتى أن الناس كانوا يقصدون الحج لينظروا إليها لأنه كان لا يخرجها إلا زمن الموسم يطلب فيها الزيادة .
وأنه كان بمكة فتى ناسك قد عرف عند الناس بالعبادة، فوقع عنده من حب الجارية ما غير حاله وهيج بلباله و أنحل بدنه وأهاج شجنه، فكان يقنع فى كل سنة بالنظر إليها زمن الموسم، ثم يمكث باقى السنة عليلاً فى بيته. فدخل عليه صديق له فعابن من حاله ما حير قلبه، وأطار لبه، فتلطف به حتى عرف أمره، وما هو عليه من أمر الجارية .

ورغب إليه أن لا يفشى سره، فخرج حتى أجمع بمولاها، فحدثه القصة، فزينها وخرج بها كيوم الموسم، فلما اجتمع الناس، قال: أشهدكم أنى وهبت هذه الجارية لهذا الفتى، فقيل له: كيف تفعل هذا وقد بذل لك فيها الأموال. قال: دعونى إنى أحييت كل من على الأرض، لأن الله يقول: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] .

وحكى عن الحارث بن سليمان ، قال: كنا بمجلس سليمان بن عبد الملك، فأتاه سعيد بن خالد ، فقال له: أنا شاك إليك من ظلمنى وانتقص حرمتى.

قال: من ؟

قال: موسى شهوات^(١) .

(١) موسى شهوات، هو: ابن يسار المدنى، أبو محمد، شاعر، من الموالى. نشأ وعاش بالمدينة، ونزل بالشام، فى أيام سليمان بن عبد الملك، فكان من شعرائه، توفى سنة (١١٠هـ) . انظر: الأغاني (٣/٣٥١) ، البغدادى (١/١٤٤) ، الأعلام (٧/٣٣١) .

قال: علىّ به فأحضر .

فقال له: أنت شتمت هذا ؟

قال: لا وأيد الله أمير المؤمنين إنما مدحت ابن عمه فاغتاظ .

فقال سليمان: وعلام مدحته؟

قال موسى: يا أمير المؤمنين، عشقت جارياً حتى كادت نفسى تتلف فى حبها، ولم أك أقدر على ثمنها، فشكوت حالى إلى أصدقائى، فلم يجبنى أحد، فشكوت إليه، فاستمهنى ثلاثاً، وأتيتهُ وهو جالس، فقال لـغلام عنده: أخرج الودیعة، فإذا بالجارية، فقال: هذه طلبتك.

قلت: نعم.

فقال: تسلّمها، ثم قال للغلام: أخرج ما عندى من النفقة، فأخرجها، فإذا هى مائة دينار، فصراها مع طيب فى ملحفة ودفع الكل إلىّ، فقال سليمان: وما قلت فيه؟

فأنشد:

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد	أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى ابن عائشة الذى	أبو أبويه خالد بن اسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى	فان مات لم يرض الندى بعقيد
دعوه دعوه انكم قد رقدت	وما هو عن احسانكم برقود

فأحضره سليمان وقال أحق مايقول عنك موسى.

قال: قد كان ذلك.

فقال: كم عليك من الديون ؟

قال: ثلاثون ألفاً.

قال: هى لك ومثلها وثلاث مثلها .

قال موسى: فلقيته صبيحة اليوم .

فقلت: كم عندك من المال؟

قال: والله لم يبق منه شئ.

قلت: فقيم أنفقتة ؟

قال: فى تفريج عن صديق و إعطاء محتاج وصلة رحم

وحكى عن الربيع^(١)، قال: سمعت الشافعي^(٢) يقول: اشتريت جارية
وكنت أحبها فأقول لها :

ومن السعادة أن تحب وأن يحبك من تحبه
ومن الشقاوة أن تحب ولا يحبك من تحبه

فتقول :

ويصدّ عنك بوجهه وتلح أنت فلا تغبه^(٣)

وحكى عن إبراهيم بن ميمون، قال: حججت فإذا أنا بسوداء قائمة ساهية
فأنكرت حالها فمكثت ساعة.

ثم أنشدت :

أعمرو وعلام تجبتني أخذت فؤادي وعذبتني
فلو كنت ياعمرو أخبرتني أخذت حذارى فما نلتني

فقلت لها: ومن عمرو؟

قالت: زوجي أوهمني أنه يحبني حتى تزوجته، وعندى من الحب له ما عنده
لي، فتركني ومضى إلى جدة.

فقلت: هل لك أن أجمع بينكما؟

قالت: ومن لي بذاك، فمضيت حتى وقفت بالساحل فصرت أنادي من
يخرج من المركب ياعمرو وكانت قد وصفته لي بأنه أحسن ما أرى فإذا أنا بفتى
على ما وصفت فأنشدته الشعر.

فقال: قد رأيتها؟

(١) الربيع، هو: ابن عبد الجبار بن كامل، الإمام، المحدث، الفقيه، الثقة، أبو محمد المرادي،
مولاهم المصري المؤذن، ناقل العلم عن الشيخ الشافعي، ثقة، توفي سنة (٢٧٠هـ) انظر: سير
النبلاء (٥٨٧/١٢) التهذيب (٢٤٥/٣).

(٢) الشافعي، هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان، أبو عبد الله، المكي، الإمام الكامل،
العالم العامل، صاحب المذهب المشهور. انظر: التاريخ الكبير (٤٢/١)، الحلية (٦٣/٩)، سير
أعلام النبلاء (٥/١٠).

(٣) تغبه، من غبت: إذا أتاه بعد أيام. انظر: لسان العرب، مادة [غيب].

قلت: فيما يمنعك منها؟

قال: والله عندي أضعاف ما عندها وإنما منعتي الاكتساب.

قلت: فكم يكفيك في كل سنة؟

قال: ثلاثمائة درهم فأعطيته ثلاثة آلاف درهم.

وقلت: هذه بعشر سنين، فإذا فويت أو قاربت فأتني أوجه إليك بمثلها، ثم

جمعت بينهما فكان أعظم عندي من الحج.

وحكى أن بعض التجار قدم لأصدقائه طعاماً وفيه ديك، وقال ابن الجوزي

سكباج^(١)، و أبى أن يأكل معهم فامتنعوا لأجله، فقال: كلوا فلو لا أذى

يلحقني منها لأكلت ثم عاود نفسه، وقال أتحمل وأكل.

فلما فرغو وجئ بالغسول غسل يديه أربعين.

فقالوا له: أبك وسواس؟

قال: لا، ولكن هذا الأذى الذي قلت لكم، وله حديث عجيب.

قالوا: وما هو؟

قال: أوصاني أبى وكان من ذوى النعم ولا وارث له غيرى أن أحسن

الإنفاق والتكسب وأن أسبق إلى السوق وأتجر فيه فحفظت ما قال. فبينما أنا

يوماً فى السوق سحرًا، وقد عرفنى الناس بذلك فكان ربما يأتى ذو حاجة فى

وقت لا يجد غيرى فأقضيها فاكسبت بذلك مالاً وجاهًا.

فبينما أنا يوماً جالس إذا بامرأة على حمار وخدام يمسكه فنزلت عندى،

فرحبت بها فرأيت نعمة وشكلاً بهراني، فقلت: ماذا تريدين؟

قالت: ثياباً صفتها كذا.

فقلت: اجلسى حتى يتكامل الناس وقد أذهبت عقلى وأطارت لبي، فجمعت

لها ثياباً بخمسة آلاف درهم، فأخذتها وانصرفت ولم تعطني شيئاً ولم أفق من

دهشتى أن أقول لها فى ذلك، ووقع عندى أنها محتالة. فقلت أبيع ما عندى

وأعطى الناس وألزم بيتى.

(١) سكباج: نوع من أنواع الطعام، انظر: القاموس المحيط، مادة [سكباج].

فمضى على ذلك أسبوع، فبينما أنا جالس إذا أقبلت على العادة فقممت وأجلستها ونسيت ما كان عندي. فقالت قد أبطأنا عليك، فقلت رفع الله قدرك عن هذا فأخرجت المال جميعه ودفعته لي فأعطيته لأربابه مع ما رجحت في ذلك، ثم طلبت ثياباً بألف دينار فأخذتها ومضت، فعاودني مامضى فأبطأت، فقلت: والله هذه حيلة أوفت خمسة آلاف درهم وأخذت ألف دينار، ثم طالت غيبتها شهراً وطالبني الناس فعزمت على بيع عقارى ومالى أو قال بعت وأوفيت، وإذا هى قد أتت على العادة ونزلت عندي فأنسيت ذلك فأخرجت المال جميعه وطلبت غيره.

فشاغلتها بإحضار التجار. فقالت: هل لك زوجة.

قلت: لا والله وطمعت فيها فأخذت خادمها على خلوة وأرغبته فى أن يكلمها، فضحك وقال: هى والله أعشق منك لها فرجعت وكلمتها فى ذلك، فضحكت.

وقالت: الخادم يأتيك برسالتى .

ومضت ولم تأخذ شيئاً إذ لم يكن بها حاجة من الأصل إلا العشق، فما كان بعد أيام حتى جاء الخادم فأكرمه وشرح لى أنها مملوكة لأم المقتدر، وقد رغبت فى جعلها قهرمانة. فلما تألفت بك مضت فشكت إليها حبك ورغبت إليها أن تزوجها بك، فأبت دون أن تراك وقد أخذوا فى حيلة يدخلونك بها إليها فإن تمت تم أمرك وهى أن تجلس الليلة بمسجد كذا فمضيت الليلة، فلما كان السحر أقبل خدام ومعهم صناديق فوضعوها وإذا أنا بالخادم والجارية فأدخلونى فى صندوق منها وجعلوا فى الباقي ثياباً وحملوها إلى الدار فكلما جازوا بطبقة من البوابين يريدون أن يفتشوا ذلك فتمنعهم، حتى عارض خادم، وقال: لا بد من تفتيش هذا الصندوق .

فأدركنى الخوف حتى انساب معه البول منى، فصاحت: أفسدت المتاع، وكسرت عليه أوانى ماء الورد.

فقال: اذهبى، فمضوا حتى أخرجونى فى خلوة وجعلت تطعمنى وتسقينى حتى أتتى يوماً فعرضتنى على السيدة فرضيتنى لها، فاحتالت فى خروجى

وأمرتنى بأن أتزين فى أحسن زينة إلى باب الخلافة ، ففعلت فأخذونى وأجلسونى فى بيت وجعلوا يدخلون ويخرجون ويذكرون أن هذا وقت زفاف فلانة على البزاز ويذكرون صاحبتى ففرحت فرحاً أطار عقلى غير أنى جعلت جوعاً أحرق أحشائى ، واستطعمت الخدام فلم يطعمونى لأنهم لم يعرفونى حتى جاء خادم يعرفنى فشكوت إليه الجوع ، فقدم لى ديكاً ، فأكلت وغسلت يدى غسلأً ظننت معه النقاء .

فلما خلوت بها رفستنى، وقالت: عجبت كيف تفلح وأنت عامى سفلة، وهمت بالخروج فتعلقت بها وأخبرتها القصة، ثم قلت: يلزمنى صوم الأبد والحج ماشياً والطلاق والعناق وصدقة مالى أن لا أكلها بعد اليوم إلا وأغسل يدى أربعين مرة، فضحكت، ودعت بطعام وشراب فأكلنا وشربنا، ولما مضى أسبوع أعطتنى مالا وأمرتنى أن أشتري به داراً فاشتريت وتحولنا وقد صحبت نعمة عظيمة فأقمنا على أحسن حال .

وحكى التنوخى فى المستجد ونقله فى نديم المسامرة ، قال: حمل المأمون من البصرة عشرة قد رموا بالزندقة، فلما اجتمعوا للنزول فى السفينة، جاء طفيلى فنزل معهم، وقال: ما أظن هؤلاء اجتمعوا إلا لوليمة، فلما قيدوا ندم وعلم أن لا خلاص له. فحين ضربت أعناقهم وكان المأمون يعرفهم، سأل عنه، فقالوا: لم نعرفه، فسأله فقال: زوجتى طالق إن كنت أعرفهم أو أحوالهم وإنما رأيتهم مجتمعين فظننت أنها وليمة .

فقال: المأمون يبلغ التطفل بأصحابه إلى هذا، عزروه لئلا يعود إلى مثلها فقال ابن المهدي: هبه لى يا أمير المؤمنين وأحدثك عن التطفل بحديث عجيب، قال: وهبته لك، فحدثنى، قال: يا أمير المؤمنين ركبت يوماً حتى مررت بموضع فشممت رائحة طعام وأبازير^(١) ما شممت مثلها قط، ورأيت معصماً من الشباك أخذ بقلبى أيضاً فاشتيت أن أكل منه وأخذت فى الحيلة إذ لم أكن أعرف أحداً من أهل المكان، فجئت إلى خياط قريب من المنزل فسألته عن اسم صاحب

(١) أبازير، جمع بزر: وهو التابل الذى يطيب به الغذاء . انظر: لسان العرب، مادة [بزر].

المكان فقال لي عن اسمه، وأنه تاجر يجب عشرة مثله، فقلت أي شرب الخمر؟ قال نعم. وأظن عنده اليوم جماعة من أصحابه.

فمكثت ساعة فإذا هم مقبلون، فقال لي: هؤلاء أصحابه، فحركت دابتي حتى لحقت بهم فقلت قد أبطأتم وفلان ينتظركم. ثم دخلنا وهم يظنون أنني من جماعة صاحب المنزل وهو يظن أنني معهم فأكرموني كل منهم، وقدم الطعام فأكلنا فقلت في نفسي هذا الطعام قد قضيت منه شهوتي وبقي الكف والمعصم، ثم رفع الطعام ووضع الشراب وجاءت جارية ومعها عود فغنت:

توهمها طرفي فأصبح خدها . وفيه مكان الوهم من نظري أثر^(١)

وصافحها كفي فألم كفيها . فمن ضم كفي في أناملها عقر^(٢)

فهيجت بلابلي وطربت لحسن شعرها ثم غنت أيضاً :

أشرت إليها هل عرفت مودتي . فردت بطرف العين إنى لي العهد

فحدث عن الاظهار عمداً بسرها . وحادث عن الاظهار أيضاً على عمد

فصحت وطربت وطرب القوم حتى لم تملك نفوسنا ثم غنت أيضاً :

أليس عجيباً أن بيتاً يضمني . واياك لا تخلو ولا تتكلم

سوى أعين تبتدي سرائر نفس . وتقطع أنفاس على النار تضرم

إشارة افواه وغمز حواجب . وتكسر أجفان وكف تسلم

فحسدتها على الخدق والإصابة غير أنني قلت: بقي عليك شيء، فرمت العود وقالت: متى كنتم تحضرون في مجالسكم البغضاء، فتألموا مني.

فقلت: قد فاتني ما أملت أن لم أتلف قلوبهم. فقلت هل عندكم عود؟

قالوا: نعم، وأحضروه فأحكمت إصلاحه وغنيت :

ما للمنازل لا تجيب حزينا . اصممن أم قدم البلا فلبينا

لا بل بلين فهجن داء ساكنا . لميتم وأثرن منه دفينا^(٣)

راحوا العشية روحة مذكورة . إن متن متنا أو حين حيننا

(١) توهمها: أي تمثله وتخيله. انظر: لسان العرب، مادة [وهم].

(٢) العقر: الجرح. انظر: لسان العرب، مادة [عقر].

(٣) الدفينا: المدفون المستور. انظر: لسان العرب، مادة [دفن].

فقبلت عند ذلك يدي، وقالت: معذرة إليك، وزاد القوم في إكرامى، فلما رأيت مزيد بسطهم اندفعت أيضاً .

فغنيت:

أفى العدل أن تمسين لالتدكريتنى وقد سجمت عيناي من ذراك الدما^(١)
إلى الله أشكو بخلها وسماحتى لها غسل منى وتبذل علقما
فردى مصاب لقلب أنت سلبتة ولاتركه ذاهل العقل مغرما
إلى الله أشكو أنها أجنبية وإنى لها ما عشت بالود محرما

فرايت من طرب القوم ما فارقوا به عقولهم، فأمسكت عنهم خشية أن يتلفوا ساعتئذ ثم غنيت :

هذا محبك مطوى على كمده وجدا مدا معه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته مما به ويد آخر على كبده
يامن رأى كلفاً فى حبة دنفاً كانت منيته فى عينه ويده

فقال الجارية: هذا والله الغناء لاما نحن فيه، وسكر القوم حتى غابوا، إلا صاحب المنزل لجودة شربه، فأمر بحملهم إلى منازلهم، وخالانى، فسألنى: من أنا، فأخذت أورى^(٢) فأقسم على إلا ما عرفته بنفسى، وقال قد ذهب أكثر عمري هدرًا إذا لم أعرف مثلك .

فلما عرفته بنفسى وثب قائمًا، وقال لا أقضى باقى ليلتى فى خدمتك إلا قائمًا، فأقسمت عليه أن اجلس، فجلس وأخذ يستخبرنى عن سبب مجيئى، فأخبرته القصة حتى انتهيت إلى أنه لم يبق على إلا المعصم، فقال تناله إن شاء الله تعالى .

وعرض على جواريه فلم أر الغرض، فقال ياسيدى لم يبق عندى إلا أمى وأختى.

(١) ذراك: من ذرت العين: إذا صبت دمعها. انظر: لسان العرب، مادة [ذرا].

(٢) التورية: فى الحديث: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا ورى بغيرة أى ستره وكنى عنه وأوهم أنه يريد غيره. انظر: لسان العرب، مادة [ورى].

فقلت : ابدأ بأختك فأتى بها فإذا هي الغرض .

فقلت : ها هي .

فقال : والله أقررت عيني ، ثم دعا بالشهود من ليلته فعقد لي عليها وأدخلني
بها ، فلما أصبحنا حول معها متاعاً لا يوجد مثله إلا عندك يا أمير المؤمنين وهذا
ولدي فلان منها .

القسم الخامس

في ذكر من وسوا بالفساق من العشاق

وهؤلاء هم الذين وقعوا في المعاصي أو هموا بها، فسموا الفساق لجلالة العشق وعظمته عند أهله ، فإنهم يرون تصور السلو معصية بل، تصور خطور غير المحبوب في الذهن كذلك ولا نعلم أحداً حقق هذ المناط للسالكين، وبينه حق البيان للمتمسكين أجل من العارف الجامع لحقائق المعارف سيدي عمر بن الفارض أعاد الله علينا من مدده حيث يقول :

وَلَوْ خَطَرْتُ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةً عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتُ بَرْدَتِي

فإن الخطور مجرد جواز الميل على القوى من غير أن يتمسك منه بشيء ، هذا عند العقلاء قسري لعدم احتياجه إلى مقدمات .

والإرادة: مجرد الميل ، والخاطر: باب الحدس، والسهو: استيلاء الطبيعة الثانية على المزاج البشري ، وهو صفة للخطور قسرية أيضاً، ومن ثم لم يحكم الشرع مع غاية شرفه واحتياطه في الإصلاح على الخارج به بشيء رحمة وتخفيفاً . فقد بان أن الأستاذ يقول: إن شرط المحبة مبنى على المراقبة المخالطة للقوى العقلية مخالطة نزل السهو فيها منزلة العمد ، فكأن المحبوب هو قوى المحب التي بها يعقل كما أشار إليه أيضاً في الدلالة على غاية المرتبة بقوله:

فَلَمْ تَهُونِي مَا لَمْ تَكُنْ فِي فَانِيَا وَلَمْ تَفْنِ مَا لَمْ تَجْتَلِي فِيكَ صُورَتِي

وهذا القسم هو الباب السادس من الكتاب وهو أصناف .

الصنف الأول : في ذكر من حمله هواه على أذية من يهواه وهؤلاء إما نساء أو رجال وكل من القسمين إما بالغ مناه أو مكفوف أذاه.

فمن الأول : ما حكى عن مرثد^(١) أنه شغف بصحبة عمرو بن قمنة^(٢) حتى صار يأكل معه ومع زوجته، فعلقته المرأة فأرسلت إليه على حين غفله من مرثد، تقول: إن عمك يدعوك، فجاء فلم يجده، فقامت إليه فراودته عن نفسه فأبى .

(١) مرثد، هو: ابن أبي حمران الحارث بن معاوية الجعفي، شاعر جاهلي، لقب بالأسعر. انظر: الأعلام (٢٠١/٧).

(٢) عمرو بن قمنة، هو: ابن فريح بن سعد بن مالك، البكري، الوائلي، النزارى. شاعر جاهلي. انظر: الأغاني (١٥٨/١٦) ، الأعلام (٨٣/٥).

فقلت: لئن لم تفعل ما أمرك لأوذينك .

فقال: إن الأذى أن أفعل ما تحبين، وخرج، فأمرت بجفنة فوضعت على موضع قدمه وكان ملتصق الأصابع، فلما جاء مرثد أخبرته أن رجلا من أقرب ما يكون إليك ساومني نفسي، فامتنعت، فجهد في أن تخبره، فأبت.

وقالت: أنا لا أصرح باسمه ولكن هذا قدمه، فعرفه وهجره.

فأنشد في ذلك :

لَعْمُرُكَ مَا نَفْسِي بِجِدِّ رَشِيدَةٍ تُوَامِرُنِي شَرَّ الْأَصْرَمِ مَرْتَدًا^(١)
عَظِيمٍ رَمَادَ الْقِدْرِ لَا مُتَعَبِسٍ وَلَا مُؤَيَّسٍ مِنْهَا إِذَا هُوَ أَحَدٌ
فَقَدْ ظَهَرَتْ مِنْهُ بَوَائِقُ جَمَّةٍ وَأَفْرَعٌ مِنْ لُومِي مَرَارًا وَأَصْعَدُ^(٢)
عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ أَنْ أَكُونَ جَنِيئُهُ سِوَى قَوْلِ بَاغٍ جَاهِدٍ فَتَجْهَدًا

وقيل: إنه حلف ليضربنه بالسيف، فهرب إلى الحيرة وأرسل بهذين البيتين :
رَمَتِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي فَمَا بَالُ مَنْ يَرُمِي وَلَيْسَ بِرَامِي
فَلَوْ أَنَّهَا نَبَلٌ إِذَا لَاتَقِيَتْهَا وَلَكِنَّمَا أَرْمِي بِغَيْرِ سِهَامِ

انتهى ما ذكره .

و في النزهة: أن مرثدا أتى يوما من سفره في الليل، وكان الظلام شديدا

فسمع زوجته وهي لا تشعر به تقول :

لَعْمُرُكَ إِنَّ الْقَلْبَ شَطَبَ بِهِ النَّوَى وَلَمْ تَسْعَفْ الْأَيَّامُ لِلْمَدْنَفِ الصَّبِّ
بُلَيْتُ بِمَنْ لَمْ يَسْذَرْ حَالِي بِجَبِّهِ أَلَا إِنَّ عَمْرًا فِي الْهَوَى قَاسِي الْقَلْبِ

فعلم أنها مولعة به وأن ذلك كان كيدا منها ؛ فقتلها وأرسل إليه فأصلح أمره معه فعلى هذا تكون هذه الحكاية من الرابع^(٣) .

(١) رشيدة: من رشد: إذا اهتدى واستقام على طريق الحق. توامرني: من ائتمر: إذا شاور غيره.

الأصرم: من صرم فلان: إذا هجره وانقطع عنه. انظر: لسان العرب، مادة [رشد]، [أمر]، [صرم].

(٢) بوائق، جمع البائقة: الشر. الجملة: معظم الشيء أو كثيره. أفرع: من فرع: إذا كثر شعره.

أصعد: من صعد: إذا اشتد في الشيء. انظر: لسان العرب، مادة [باق]، [جمم]، [فرع]، [صعد].

(٣) الرابع: أي من القسم الرابع .

ومن الثاني: قصة سوسن المشهورة وللناس فيها كلام كثير غير أن المصنف، رحمه الله، لشدة معرفته باختلاف الألسن واللغات، نقلها من نص الله عز وجل عليها في التوراة .

فذكر أن في سفر دانيال عليه السلام، من هذه القصة ما ترجمته : لما كان في السنة الثالثة من ملك يواكيم ، ملك يهوذا ، قدم بختنصر ملك بابل إلى اورشليم؛ يعنى بيت المقدس بالعبرية ، وأسلمها الرب فى يده ، ثم نزل بيت صنمه بشنعار، وهو موضع مشهور ببيت المقدس.

ولما استقرت آراؤهم على الشريعة الناموسية الموسوية حكم شخصان قاضيان، عرفا بالعبادة والزهد فى بنى إسرائيل، فكانا يحكمان فى الشعب ، ويأويان إلى بيت يواكيم.

وكان له زوجة يقال لها سوسن، وكانت فى أرفع رتبة من الجمال والحسن وبهجة المنظر والصلاح؛ لأن والديهما كانا صديقين فى بنى إسرائيل، وكانت فى كل يوم تنزل إلى بستانها تمشى للنزهة.

ورآها القاضيان فوقعت منهما واشتغلا بها عن النظر فى الحكومات، وكنتم كلٌّ عن الآخر، حتى إذا كان منتصف النهار من يوم شديد الحر، قال كل منهما لصاحبه : قد اشتد الحر، فليذهب كل منا فيستريح، وخرجا مضميرين العود رجاء الظفر بالجارية، فلما التقيا؛ فحص كل عن عود الآخر ، فأظهرا ما عندهما من حبها واتفقا عليها ، وأنها دخلت مع جاريتين البستان، فعزمت على الحموم، وقد استخفيا، فأرسلت الجاريتين ليأتيها بزيت وغسول، فظهرا وأغلقا الأبواب.

وقالا لها: لئن لاتبجيينا، وإلا قلنا إنا وجدنا معك شاباً، ومن أجل ذلك أرسلت الجاريتين وأنت تعلمين مكاننا من بنى إسرائيل .

قالت سوسن: والله لا أغضب الرب أبداً وصرخت، فصرخ القاضيان ومضى أحدهما ففتح الباب ، وجاء العبيد فأخبراهم بالقصة، فبقوا مبهوتين؛ لأنهم لا يعلمون عليها سوءا ، ثم أتى يواكيم فأعلموه بالأمر وأنهما لم يقدرتا على مسك الشاب، فجمع الشعب، وتقدم الشيخان فكشفا عن سوسن.

وقالا: نشهد على هذه أنها دخلت البستان و معها جاريتان فأرسلتهما وأغلقت الأبواب، فجاء حدث من وراء شجرة فضاجمعها، فحين رأينا المعصية صحننا ، فانفلت الشاب .

فبكت سوسن ورفعت طرفها إلى السماء.

وقالت: يا الله يادائم يا عالم الخفيات أنت تعلم أنهما كذبا على.

ثم أقامها للقتل وكان دانيال عليه السلام شاباً عمره ثلاث عشرة سنة، فجاء وصاح عليهم؛ أن قفوا فإنها بريئة مما رميت به، ثم أمر بالتفريق بينهما.

فقال لأحدهما: من تحت أى شجرة جاء الحدث؟

فقال: من تحت شجرة بطم.

فقال: كذبت وهذا ملاك الله شاهد عليك بالكذب . ثم أخره وقدم الآخر.

وقال له: من تحت أى شجرة جاء الحدث؟

فقال: من تحت شجرة زيت.

فقال: كذبت وأقامهما ، فنشرا ونزلت نار فأحرقتهما، وحفظ الله الدم

الزكى وعظم أمر دانيال عليه السلام .

ومن الرابع ما حكى فى نديم المسامرة: أنه كان بالبصرة رجل اسمه عباد،

وكان يدعى بالمخنت ؛ لما كان يظهر من التزين بزي النساء، فاجتمع ليل مع

قوم، وتذكروا الشجاعة.

فقالوا له هازئين به: هل تقدر أن تذهب فتدق هذا الوتد بالضريح الفلانى؟

وكان معروفاً بالوحشة بعيداً عن العمارة.

فمضى حتى صار فيه، فحين شرع يدق الوتد سمع صرير سلسلة تدنو كلما

دق حتى صار عنده، فإذا هو قرد قد ذهب من صاحبه، فأخذه وهم ليخرج إذ

سمع امرأة تخاطب رجلاً.

فتقول: ما الذى صنعت حتى تقتلنى ؟ فيقول : أقتلك وأموت خير من أن

تصيرى إلى زوجك وأموت غماً .

فخرج عباد حينئذ عليهما وصرخ على القرد فتعلق بالرجل فظنهما جنأ، فرمى

السلاح، فأخذه عباد وفك المرأة واستخبرها فأخبرته بأبيها ، فعرفه وأن هذا ابن

عمها كان يهواها، فخطبها إلى أبيها، فأبى وهم بتزويجها من غيره، وأنها خرجت

لمتزوج، فكبسها هذا مع جماعة، ففرق النساء اللواتي كن معها، وأخذها هو، فصيرها إلى هذه الحالة، فأخذها عباد إلى أهلها، وأخبر أصحابه بالقصة، فكذبوه، فأراهم ذلك فصار يعد من الشجعان .

ومن الثالث: ما حكى عن حبوبة بن حباب الطابخي أنه حين قتل أبوه رجلاً من كلب^(١) من فخذ وبرة، ووجبت عليه الدية رهنه صغيراً مع أمه، وخرج ليجمعها فمات فأقاما عندهم وأنه كان شاباً حسناً جميلاً فولع به النساء حتى شاع أمره فطردوه، فوقع بعدما قتل أختاً امرأة اشتهر بها إلى بلقين فأجاروه، ففعل عندهم ما فعل في كلب واشتدوا عليه، فجاء إلى أمه ليلاً فأخفته وأخبرت ظمراً لها.

فقالت: ادفعيه إلى فأخذته فجعلته في متاع لها خارج البيت ومرّ عدي رئيس بني كلب .

فقال: ما هذا؟

قالت: متاعى وأنا على سفر وأريد أن تجيره .

فقال: قد أجرته، وحمله إلى بيته، وقد أنكره، ففتش فرآه .

فقال: لآحياك الله، وخرج فأقام عنده زماناً فعلق ابنته وطال بينهما الأمر .
فأنشد فيها :

مَا زِلْتُ أَطْوِي الْحَيَّ اسْمِعْ جِنَّهْمْ	حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى رَيْبَةِ هَوْدَجْ
فَوَضَعْتُ كَفِي عِنْدَ مَقْطَعِ خِصْرِهَا	فَتَنَفَسْتُ صَعْدًا وَلَمَّا تَنَهَجْ ^(٢)
وَتَنَاولْتُ رَأْسِي لِتَعْلَمَ مَسَّةُ	بِمَخْضَبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْنَجْ ^(٣)
قَالَتْ وَعَيْشِ أَبِي وَحَرَمَةِ وَالِدِي	لَأُنْبِهَنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
فَخَرَجْتُ خَيْفَةَ أَهْلِهَا فَتَبَسَّمْتُ	فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ

وبلغ عدي بن أوس ذلك فقتله .

(١) بنو كلب بن وبرة: بطن من قضاة، من القحطانية. وهم: بنو كلب ابن وبرة، كانوا ينزلون

دومة الجندل، وتبوك، وأطراف الشام. انظر: معجم قبائل العرب (٣/٩٩١).

(٢) تنهج: من نهج: إذا تتابع نفسه وأخذ يلهث. انظر: لسان العرب، مادة [نهج].

(٣) مشنج: من شنج: إذا تقبض وتقلص. انظر: لسان العرب، مادة [شنج].

ومن الثالث: قصة وضاح اليمن^(١) المشهورة واسمه إسماعيل أو عبد الله أو عبد الرحمن ابن كلال .

وكان من أمره أنه كان يبرقع وجهه خوفاً من الفتنة بحسنه، وأنه نشأ مع أم البنين^(٢) بنت عبد العزيز صغيرين ، فكان لا يصبر أحدهما عن الآخر ، فلما بلغت حجبت فازداد شوقهما، فحين أفضت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك ، وقيل : ليزيد والصحيح الأول لما سبق في قصة حبابة، وذكر زوجات يزيد ؛ حجبتها، فازداد بوضاح الأمر حتى نحل.

فخرج إلى الشام فكان يطوف بالقصر إلى أن ظفر بجارية أم البنين ، فأخبرها بمكانه وأنه ابن عم مولاتها، فأخبرتها فأدخلته في صندوق ، فكانت إذا أمنت تمكث معه وإذا خافت أدخلته الصندوق، وجرى للوليد بجوهر نفيس فأمر خصياً بحمله إليها فحين دخل الخصى وجد وضاحاً فأدخلته الصندوق ، واستوهبها الخادم لؤلؤة ، فأبت فمضى وأخبر الوليد ، فدخل عليها فمآزحها واستوهب الصندوق ، فأبت فراجعها فوهبته إياه، واحتمله إلى مجلسه.

فلما جاء الليل أمر غلماناه فحفروا إلى الماء، ثم قال مشافها للصندوق خفية: قد بلغنا عنك أمر، فإن كان صحيحاً فقد كافأناك، وإلا فما علينا في دفن الخشب ، ورماه ورمى الخصى حياً، وقيل: ضرب عنقه حين أخبره وأهال التراب ولم يبين لها غيظاً.

وقيل: فارقها، وإنها كانت تأتي المكان فتبكي فوجدت ميتة فيه .
وقيل: إنه لم يقتله بذلك وإنما شب^(٣) بها حين رآها في طريق الحاج فبلغه تشبيهه بها فاستشار فيما يفعل به .

(١) وضاح اليمن، هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال، من آل خولان. من حمير، شاعر، رقيق الغزل، عجيب النسب، كان جميل الطلعة، قدم مكة حاجاً في خلافة الوليد، فرأى أم البنين بنت عبد العزيز، فتغزل بها ، فقتله الوليد سنة (٩٠هـ) . انظر: الأغاني (٣٠/٦) ، الأعلام (٢٩٩/٣).

(٢) أم البنين، هي: بنت عبد العزيز، زوجة الوليد بن عبد الملك، من ربات الفصاحة والبلاغة. انظر: أعلام النساء (١٥٠/١).

(٣) شب: مدحها في شعره وذكر جمالها . انظر: القاموس المحيط ، مادة [شيب].

فقيل له: أكرمه كما فعل معاوية بأبي دهب حين شيب بأخته، فأبى إلا قتله.
ومنه أيضًا: سحيم وهو حبشي نشأ في بني الحسحاس^(١)، وكان أعجميًا
غليظًا، ثم تخرج في الشعر وشاع ذكره حتى اشترى لعثمان.
فقال: لاحاجة لي بمن إذا شيب بالنساء، وإذا جاع هجا، فرده، فاشتراه
رجل منهم اسمه أبو معبد فعلق ابنته وإنهم خرجوا إلى سفر فتشوق أبو معبد إلى
ابنته.

فكان يتمثل بهذا البيت:

عُميرة ودغ إن تجهزت غاديًا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا
فأكمل العبد القصيدة بما يزيد على مائة بيت.

فمنها في التشبيب بابنة مولاه:

وبتنا وسادانا إلى علجانة
توسدني كفا وتثنى بمعصم
وهبت شمال آخر الليل قرة
فما زال ثوبى طيبًا من نسيمها
وحقف تهاداه الرياح تهاديًا^(٢)
على وتحوى رجلها من ورائيا
ولا ثوب إلا درعها وردائيا
إلى الحول حتى أنهج الثوب باليا

فذهب جندل به لبيعه.

فأنشد:

وما كنت أخشى جندلا أن يبيعي
أخوكم ومولى مالكم ورببيكم
أشوقًا ولما يمض بي غير ليلة
بشي ولو أمست أنامله صفرا
ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرًا
فكيف إذا سار المطى بنا عشرا

فرق له، فرده ولامه قومه وأرادوا قتل العبد فظن به ثم رفعه إلى الحاكم
فعزره ثمانين وانصرف به.

(١) بنو الحسحاس: الحسحاس بن مالك، بطن من بني النجار، من الخزرج، من القحطانية،
وهم: بنو الحسحاس بن مالك بن عدى بن النجار. انظر: معجم قبائل العرب (٢٧١/١).
(٢) علجانة: شجرة تنبت في الصحارى ذو رائحة عطرة. الحقف: ما استطال واعوج من الرمل.
انظر: لسان العرب، مادة [علج]، [حقف].

فأنشد :

أبا معبد بنس العراضة للفتى
كسوني غداة البين سمرا كأنها
فما السجن الا ظل بيت دخلته
أبا معبد والله ما حل جها
فإن يقتلوني يقتلوا ابن وليدة
غدا يكثر الباكون منا ومنكم
ثمانون لم ترك لخلقكم جلدا^(١)
شياطين لم ترك قراراً ولا عهدا
وما السوط الا جلدة خالطت جلدا
ثمانون سوطاً بل يزيد بها وجدا
وأن يركوني يركوا أسدا وردا^(٢)
وتزداد داري من دياركم بعدا

فلما علم مولاه إصراره أحرقه .

ومن الأول المتجردة وهي امرأة المنذر بن ماء السماء، وكانت من أعظم نساء العرب جمالاً، فلما مات عنها أخذها ولده النعمان فكان يجلسها مع نديميه النابغة والمنخل، فشغفت بالمنخل وامتزجا فأمر النعمان يوماً النابغة^(٣) أن يصفها.

فقال :

وإذا طعنت طعنت في مستهدف
وإذا نزعت نزعت عن مستحصف
رابي المجسة بالعبير مقرمد^(٤)
نزع الحزور بالرشاء المحصد^(٥)

ع

(١) العراضة: الهدية يهديها القادم من السفر. انظر: لسان العرب، مادة [عرض].

(٢) ابن وليدة: الخادم الشاب. وردا: ما كان أحمر ضارب إلى الصفرة. انظر: لسان العرب، مادة [ولد]، [ورد].

(٣) النابغة، هو: زياد بن معاوية بن ضباب، الذبياني، الغطفاني، أبو أمامة، شاعر جاهلي، من أعظم شعراء الجاهلية، كانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ فيحتكم في شعر الشعراء. كان أحد أشرف الجاهلية ومن ندماء النعمان بن المنذر. من آثاره: دواوين شعر. انظر: سير النبلاء أعلام (٥٥/٣).

(٤) طعنت: من طعن فلان إذا عاب عليه شيء، أو دخل في الشيء. مستهدف: من كان هدف لشيء. رابي: من ربي: إذا على وارتفع. المجسة: موضع الجس. مقرمد: من قرمده بالعطر، إذا طمخه به. انظر: لسان العرب، مادة [طعن]، [هدف]، [ربا]، [جسس]، [قرم].

(٥) نزعت: من نزع الشيء: إذا كف عنه وانتهى. الحزور: الرجل القوي. الرشاء: الحبل، أو حبل الدلو. المحصد: الشديد القتل. انظر: لسان العرب، مادة [نزع]، [حزور]، [رشا]، [حصد].

فقال المنخل^(١): هذا وصف معاين، وحرّض النعمان على قتله فهرب وكان عفيفاً، فلما خرج النعمان إلى الصيد رجع بغتة، فوجد المتجرّدة مع المنخل قد ألبسته أحد خلخالها وشدت رجله إلى رجلها فقتله وله فيها :

إن كنت عاذلتى فسيرى	نحو العراق ولا تحورى ^(٢)
ولقد دخلت على الفتا	ة الخدر فى اليوم المطير
والكعاب الحسناء تر	فل فى الدمقس وفى الحرير ^(٣)
فدفعتهما فتدافعنت	مشى القطاة إلى الغدير
ولثمتها فتفسنت	كتفس الظبى البهير
فرثت وقالت هل يجس	مك منخل من فتور
ما شف جسمى غير جب	ك فاهتدى وعنى وسير
وأجهها وتجننى	ويجب ناقتها بعيرى
ولقد شربت من المدا	مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فإنى	رب الخورنق والدير
وإذا صحوت فإنى	رب الشويهة والبعير
بأهد هل من ناهل	يا هند للعانى الأسير ^(٤)

ومن الرابع ما يحكى عن سليمان بن عبد الملك، وكان شديد الغيرة أنه خرج لغرض ومعه سنان وكان فارساً معروفاً بالشجاعة والمحبة لسليمان، وكان حسن الغناء وكان يتركه كثيراً لمعرفته بغيرة سليمان، فزاره ضيوف فأكرمهم فقالوا ياسنان لم تكرمنا ما لم تسمعنا الغناء وكان قد أخذت منه الخمر.

(١) المنخل، هو: ابن مسعود بن عامر، من بنى يشكر، شاعر جاهلى، كان ينادم النعمان بن المنذر، فشغقت به امرأة النعمان فعمدت إلى قيد فجعلت رجلها فى إحدى حلقتيه ورجله فى أخرى شغفاً به، فجاء النعمان فوجدهما على هذه الحالة فقتل المنخل سنة (٢٠٠ ق هـ) انظر: الشعر والشعراء (١٥٠)، الأغاني (١٥٨/٩)، الأعلام (٢٩١/٧).

(٢) تحورى: من حار: إذا رجع. انظر: لسان العرب، مادة [حار].

(٣) الدمقس: الحرير. انظر: لسان العرب، مادة [دمق].

(٤) العانى: الدليل. انظر: لسان العرب، مادة [عنى].

فأنشد :

محبوبة سمعت صوتي فأرقها
تشي على فخذها متشي معصفرة
لم يحجب الصوت حراس ولا غلق
في ليلة النصف ما يدري مضاجعها
لو خليت لمشت نحوي على قدم
يكاد من رقة المشي ينفطر

فلما سمع سليمان الصوت خرج فرعاً يتفهمه، وكانت عنده جارية اسمها عوان، وكان يحبها حباً شديداً وهي مشهورة بالجمال. فجاء إليها فرآها على صفة الأبيات، وكانت يقظانة، فلما فطنت به قالت: يا أمير المؤمنين قاتل الله الشاعر حيث قال :

ألا رب صوتي جاءني من مشوة
قبيح المخيا واضع الأب والجد^(١)
قصير نجاد السيف جمع بنانه
إلى أمه يدعى معاً وإلى عبد

فسكن ما به وقال : قد راعك صوتي، قالت: صادف مني يا أمير المؤمنين فحلف ليقتلني، فأرسلت عبداً يحذره، وقالت: إن لحقته قبل فلك ديتي وأنت حر، فسبقت رسل سليمان فجاءوا به فنظر إليه ملياً، ثم قال: أنت المجترئ ويملك؟ فقال: أنا فارسك فاستبقني، فقال: لا أقتلك ولكن أزيل تفحلك، وأمر به فخصى وألقى في دير الخصيان .

قالوا: وفي ذلك الوقت بلغ سليمان كثرة المخنثين المغنين بالمدينة، فكتب إلى عامله أن أحصهم يعني اضطبطهم لنظر في أمرهم . فسبقت نقطة على الحاء فأمر العامل بخصيهم، فقال: كل عند خصيه كلمة سارت مثلاً .

فقال طويس: ما هذا إلا ختان أعيد علينا . وقال دلال: بل هو الختان الأكبر. وقال نسيم السحر: بالخصي صرت مخنثاً حقاً . وقال نومة الضحى : بل

(١) لباتها، جمع اللبة: موضع القلادة من العنق. حصر: من حصره: إذا حبسه. انظر: لسان العرب، مادة [لبب]، [حصر].

(٢) مشوة: قبيح. انظر: لسان العرب، مادة [شاه].

صرنا نساء حقاً . وقال ابن الفؤاد: استرحنا من حمل ميزاب البول معنا . وقال
ظل الشجر: ما نضع بسلاح لا يستعمل .

ويروى: أن الذي سمعه سليمان لم يكن سنناً الكلبى بل كان سميراً الأيلى
وفى الرواية بدل: محجوبة، وعادة سمعت وبدل قوله: فى ليلة النصف، فى ليلة
البدر وهو أليق فى هذا المقام لأن القمر وإن لم ينقص ليلة النصف، فهو فى ليلة
البدر أبهج ولم يلهج الشعراء إلا به وإن سليمان قال حين روجع فى خصيه : إن
الفرس يصهل فتستودق^(١) الحجر^(٢) ، والفحل يخطر^(٣) فتضبع^(٤) الناقة والتيس
ينب^(٥) فتستحرم^(٦) العنز والرجل يغنى فتشبق^(٧) المرأة .

ومن الثانى ما حكى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل صالح يعمل بالمسحاة
لفقره وكان عنده امرأة مفرطة فى الجمال، وكان إذا قدم قامت لخدمته من فرش
وتقديم طعام ونحوه، وإن عجوزاً دخلت عليها فتأملت حسننها، وذهبت
فوصفتها للملك فعشقها ووعد العجوز بمال كثير على أن تخلصها له، فقالت لها
كيف تذهبين هذا الجمال مع رجل يعمل بالمسحاة، ولو طاوعتني لزوجتك
بالمملك وأمرتها أن تعصيه وترجع عن خدمته .

فجاء فلم تقم إليه على العادة، ولم تقدم له شيئاً، فقال: ما هذا ياهناه ؟

قالت: هو ماتراه .

فقال: أطلقك .

قالت: نعم . ففعل وتزوج بها الملك فحين نظر إليها كُفَّ ومد يده فشلت،
فرفع الأمر إلى نبي ذلك الزمان، فجاءه الوحي أن بعينى ما فعل بصاحب المسحاة

(١) تستودق: من ودق: إذا دنا منه وأمكنه منه. انظر: لسان العرب، مادة [ودق] .

(٢) الحجر: الفرس الأثنى لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر . لسان العرب، مادة [حجر] .

(٣) يخطر: من خطر: إذا اهتز فى مشيه وتبختر. انظر: لسان العرب، مادة [خطر] .

(٤) تضبع: من ضبعت الدابة: إذا أرادت الفحل. انظر: لسان العرب، مادة [ضبع] .

(٥) ينب: من نب التيس: إذا صاح. انظر: لسان العرب، مادة [نب] .

(٦) تستحرم: كل أثنى من ذوات الظلف خاصة إذا شتت الفحل انظر: لسان العرب، مادة [حرم] .

(٧) تشبق: من شبق الحيوان: إذا اشتدت شهوته. انظر: لسان العرب، مادة [شبق] .

وقد ساق هذه الحكاية فى النزهة فى باب من عشق بالسمع، وذكر أن المرأة أيضا فُلجَت وأنها ماتت بعد سبعة أيام .

ومنه الزرقاء جارية ابن رامي كانت من المشاهير بالجمال والحسن والغناء، وافتن بها غالب أهل زمانها، وكان الناس يقصدونها لسمع صوتها ويذلون لها مالا خطيراً. فاشتد ولوع يزيد بن عون الصيرفى بها، فدخل عليها ومعه لؤلؤتان، فقال لها: قد بذل لى فيها أربعون ألف درهم .

فقال: هبما لى .

فقال: افعل إن شئت .

قالت: شئت، فحلف لا يعطيها لها إلا من فمه إلى فمها .

فغمزت الخادم فخرج، وكان يزيد واقفاً منكسراً بين يديها، يعنى كاتفأ يديه، فجلس مقعياً؛ يعنى على رؤوس أصابعه وتقدم إليها فأقبلت لتتناولهما فجعل يزوغ بفمه ليستكثر من مقابلتها فانقضت عليه فأخذتهما وقالت: المغلوب فى استه^(١) عود فقال: أما أنا والله لا يزال طيب هذه الرائحة فى أنفى وفمى ماحيت أبداً، وإنها أفضت إلى جعفر بن سليمان ، وأبوه عامل المنصور، فدخل على ابنه يعتبه على شرائها واشتغاله بها فى هذه الأيام . وقد خرج عليهم خارجى فغمز جعفر الخادم فأخرجها إليه فقبلت رأسه واجتلبته فرضى ولم يعتب بعدها ، وأن جعفرًا قال للزرقاء يوماً: هل تمكن أحدٌ من محبك يوماً منك بشئ؟ فخشيت أن تكتمه ما عساه أن يكون بلغه فأخبرته بمواقعة الصيرفى، فاحتال عليه حتى اعترف بما نسب إليه فضربه حتى مات .

ومن الثانى ماحكى أنه كان فى بنى إسرائيل، رجل اسمه عبود كلف بابنة عمه حتى كان لا يبصر عنها ساعة، فتزوج بها وأقاما مدة فماتت فاشتد وجده وطار عقله، فمضى إلى المسيح عليه السلام وسأله أن يحييها له، فقال: لا يتيسر إلا أن تهبها من عمرك شيئاً فقال: قد وهبتها نصف عمري، فأخياها له ومضيا وقد لحق عبوداً تعب شديد فجلسا يسترحيان فوضع رأسه على ركبها فنام،

(١) استه: الاست : المقعدة . انظر: لسان العرب، مادة [أست].

فمر ملك الناحية فرآها فعلمت بقلبه وهو أيضاً فعرض عليها أن تكون معه، فأجابته فحملها في قبة، وانتبه عبود فلم يجد أحداً فقام مرعوباً، فوجد قومًا من المارة ينعتون حسنها، فسألهم فأخبروه بأنها مع الملك فلحقها وجعل يذكرها بما صنع وهي ساكنة .

فقال لها: قد كنت مت وسألت المسيح في إحيائك، ووهبتك نصف عمري على أن تكوني معي، فحيث لم ترضى فردي على ماوهبتك .

فقالت: قد رددته، فما خرجت الكلمة حتى ماتت.

ومن الثالث ما حكى عن لقمان بن عاد^(١)، الذي كان يضبط عمره بأن يمسك النسرين من حين خروجه من البيضة إلى أن يموت فيؤتى بالآخر كذلك حتى عاش عمر سبعة كل واحد على ما قيل مائة عام، أنه كان مغرمًا بالنساء ومع طول عمره وكثرة تزوجه كان شديد الاحتراس وهن يخنه، فتزوج جارية صغيرة وجعلها في بيت نقره في جبل لا يصعد عليه إلا بالسلاسل، وأن عمليقاً^(٢) نظرها فوقعت من قلبه، فأمر قومه فشده في حزمة سيوف واستودعها لقمان مدة فوضعها في بيته، فلما خرج تحرك العمليق فحلته الجارية فكان يكون معها إلى أن يأتي لقمان فتجعله في السيوف حتى انقضت المدة وطلبوا سيوفهم فدفعتها، ثم جلس فنظر إلى نخامة في سقف بيته، فسألها عن فعلها. قالت: أنا، فأمرها أن تفعل فقصرت لأن النساء لا يقدرن على رفع النخامة إلى الأعلى لضعف مزاجهن، فقال: يا ويلتاه والسيوف دهنتي، ثم رمى المرأة من أعلى الجبل ونزل فلقيته ابنته فضربها بحجر فكسر رأسها . فضربت العرب أمرها مثلاً لمن يؤخذ بلا ذنب فكان يقول المظلوم منهم، ما أذنبت إلا ذنب صخر يعني ابنة لقمان .

ومن الثاني ما حكى أن رجلاً عشق ابنة عمه حتى فنى في حبها، فتزوج بها فكان لا يبصر عنها ساعة، وكان يجالس الناس فلم يبصر إلى انقضاء غرض المجالس حتى يدخل فينظرها ثم يرجع .

(١) لقمان بن عاد، هو: ابن ملطاط، من بنى وائل، من حمير، معمر جاهلي قديم، من ملوك حمير في اليمن، يلقب بالرائش الأكبر، وهو غير لقمان الحكيم. انظر: الروض الأنف (٢٦٦/١)، الأعلام (٢٤٣/٥).

(٢) العمليق، تصغير عملاق .

وأن ابن عم لها غيره اكرى^(١) دارا إلى جانبها وراسلها، فوقع حب كل عند الآخر. فنزلت إليه، ودخل زوجها فلم يجدها وسأل أمها فقالت: تقضي حاجة، فطلبها مكان الحاجة فلم يجدها، وإذا هي قد أتت من الدار فعزم عليها أن تصدقه أين كانت.

فقالت: أما إذا عزمت على فإنني أصدقك، وحدثته القصة فرمى عنقها وعنق أمها وهرب، فكان كثيراً ما يمثل عند ذكر ذلك بشعر ديك الجن الآتي.

الصف الثاني: في ذكر من اشتدت به الغيرة إلى أن خامرتة الحيرة فجرتة إلى تهمة محبوبه فأثر قتله على نيل مطلوبه.

حكى أن عبد السلام بن رغبان الكلبي^(٢)، وقيل: عبد السلام المشهور بديك الجن الحمصي، كان أديباً حاذقاً، شاعراً لبيباً كأنما تنطق قريحته بالركة واللطافة، والغزل والظرافة إلا أنه كان من أعظم الفساق بين العشاق، وأجمعهم للقساوة والاشتياق.

وأنه عشق جارية وغلما واشتد بهما كلفه وتهالك في حبهما حتى حان تلفه فاشتراهما، وكان يجعل الجارية عن يمينه، والغلام عن شماله ويجلس للشرب فيلثمها ويشرب من يدها تارة والغلام أخري، ولم يزل كذلك إلى أن أحس نفسه من شدة الحب أنه سيموت ويصيران إلى غيره فذبحهما وحرقهما، وعمل من رمادهما برنيتين^(٣)، فكان يشرب فيهما ويقبلهما عند الاشتياق، وأشعاره في ذلك متضافرة.

ومن أحسن ما كان ينشده عند تقبيل برنية الجارية قوله:

يا طلعة طلع الحمام عليها فجنى لها ثمر الردى بيديها^(٤)

(١) اكرى، من كرى: إذا استأجر الشيء. انظر: لسان العرب، مادة [كرى].

(٢) عبد الله بن رغبان الكلبي، هو: شاعر مجيد، فيه مجون، من شعراء العصر العباسي، سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين، أصله من سلمية، ومولده ووفاته بجمص، توفي سنة

(٢٣٥هـ). انظر: وفيات الأعيان (١/٢٩٣)، الأعلام (٥/٤).

(٣) برنية: إناء من خزف. انظر: لسان العرب، مادة [برن].

(٤) الحمام: الموت. انظر: لسان العرب، مادة [حمام].

حكمت سبى فى مجال خناقها
رويت من دمها الثرى ولطالما
فوحق نعلها لما وطى الحصى
ما كان قتلها لأنى لم أكن
لكن بخلت على العيون بلحظها
ومن لطيف شعره أيضاً :

جاءت تزور فراشى بعدما قبرت
وقلت قرة عينى قد بعثت لنا
قالت هناك عظام فيه مودعة
وهذه الروح قد جاءتك زائرة
وعند تقبيل برنية الغلام :

أشفقت أن يرد الزمان بغدره
فمرقد استخرته من دجنه
فقتله وله على كرامة
عهدى به ميتاً كأحسن نائم
لو كان يدري الميت ماذا بعده
غصص يكاد تفيض منها نفسه

ومن لطيف شعره فى الدعاء على المحبوب :

كيف الدعاء على من جار أو ظلما
لا آخذ الله من أهوى بجفوه
ومالكى ظالم فى كل ما حكما
عنى ولا اقتص لي منه ولا ظلما

ومما أرخه الفرس عن أردشير^(٣) ملك الطوائف ، أنه لما حضر "ثرثار" ، وهى

(١) دجنه: من دجن: إذا أقام بالمكان. انظر: لسان العرب، مادة [دجن].

(٢) غصص، جمع غصة: ما غص به الإنسان، أو الحزن والهم. انظر: لسان العرب، مادة [غصص].

(٣) أردشير، هو: ابن بابك بن ساسان بن بابك، مؤسس سلالة الساسانيين فى فارس. انظر: تاريخ الطبرى (٣٨٩/١).

قلعة فى برستجار من مدن الشرق استعصم بها ملكها المعروف بالساطرون
وطال الأمر فصعدت ابنته يوماً على القلعة فرأت أردشير فعلقته فرمت إليه
بكتاب فى نشابة^(١) فيه إن أنت شرطت لى أن تتزوجنى ، عرفتك كيف تأخذ
القلعة، فراجعها أنى شرطت لك ذلك ، فدلته .

فلما أخذ القلعة وتزوج بها وأقاما مدة ضجرت ذات ليلة من شئ يؤالمها فى
الفراش فكشفوا فإذا هى باقة نرجس فتفكر فى رقة جلدها، فقال لها: ما كان
يطعمك أبوك؟ قالت: الشهد ومخ العظم والزبد .

فقال: إذا كنت غدرت بمن هو عليك بهذه الصفة من الشفقة والدلال فكيف
بى، واشتد عنده التخيل والغيرة والحساب فقتلها .

وحكى صاحب محاسن البلدان ونزهة الأزمان ، أن لكل إقليم اختصاصاً
بصفة وتمييزاً بحالة تغلب عليه من قبل ما تتغير به الكائنات الفاسدة من العلويات
وغيرها .

إن مصر وضعت فى طالع الجوزاء وهى تعرف عندهم بالتوأمين ، والعذراء
والمؤنثة ، ومقتضاها الرقة وسرعة التأليف واللفظ وعدم الانضباط على حالة
وقلة الغيرة وكثرة الغفلة . وقد ظهر أثر ذلك فى أفعالهم .

قال: ألا ترى إلى لطف العزيز وتغافله، وقد رأى زوجته متهيئة للخلوة من
غلق الباب ونحوه، ولم يكن عالماً بعصمة يوسف عليه السلام ليقال إنه استند إلى
ذلك، ومع هذا قال للرجل: أعرض عن هذا، وقال للمرأة استغفرى لذنبك .

وعكس ذلك الإقليم الخامس فقد وضع فى طالع المريخ ومقتضاه الغلظة
والبيس والقسوة وسفك الدم . ألا ترى أن ملكاً من ملوك الأندلس كان شديد
الكلف بجارية عنده حتى أنه كان لا يستطيع عنها صبراً . فجلس مع ندمائه يوماً
وغنت الجارية فاستعاد منها بعض خواصه صوتاً، فلما انقضى المجلس جئ بطست
فوضع بين يدي مستعيد الصوت ، وقال له الملك : اكشفه، فإذا فيه رأس
مقطوع، فقال له: استعد الصوت منها، فقام مريضاً، وقد نقل الحكاية أبو حيان
فى تفسيره ملخصاً .

(١) النشابة: السهم. انظر: لسان العرب، مادة [نشب].

الصنف الثالث : في ذكر من عانده الزمان في مطلوبه حتى شورك في محبوبه فصنع من الحيل ما أفضى إلى قتله وقتل من شاركه في فعله.

حكى لي رجل بحلب سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، أن رجلاً موصلياً علق امرأة فزاد بها وجده، فكان يصبر عنها ساعة، وتلطف بها حتى فارقت زوجها وتزوج بها وأقاما مدة . وجاء يوماً فوجدها تأكل في طعام لم يكن جاء به هو، فسألها عنه، فقالت: من بعض أهلي. فداخله من ذلك شيء قوى عنده، وتجنس عن أمرها فلم يقع على شيء فمضى وركب دواء سميًا، ثم جاء به إليها فقال: احتفظي بهذا فإنه باهي^(١)، فقالت: كل منه، فأكل ورفعت الباقي، ومضى فعالج نفسه من السم وعاودها بعد يوم ممرضاً فوجدها والرجل ميتين، فخرج وقد اتفق عليه الغم وباقي السم فمات من ليلته.

ورأيت في الشهنامه الفارسية ما ترجمته أن أبرويز^(٢) أحد ملوك الفرس تزوج امرأة صغيرة بديعة في الحسن وقد بلغ ثمانين سنة، فوجد بها وازداد عشقه لها وهي تظهر حبه وتخفي بغضه، وعلقت ولده واشتد ميلها إليه، وإن الملك دخل فرأهما على الحالة المنكرة فكادت نفسه أن تزهد، وعلم أنه إن أظهر أنه رآهما، أمرت المرأة ولده بقتله، فرجع وأخذ في تدبير الحيلة، فأخذ كتاباً، وسم ورقه، وجلده بالذهب ، ورصعه بالجواهر، وأودعه صندوقاً وجاء به إلى المرأة، فقال لها: قد علمت ما حوت يدي من الذخائر والنفائس ، غير أنه لم يكن يعدل نفسي إلا هذا الصندوق فاحتفظي به ، وعلم أنها ستطلع عليه. فلما خلت به أخبرته القصة، فقال: على بالصندوق ، فأحضرتة ففضه فلم يجد إلا الكتاب مطبوقاً، فحاول فتحه فوجد ورقه معتقاً بعضه ببعض، فجعل ييل أصبعه من ريقه ويتصفح الأوراق فلعب السم فيه ، وعلم بالحيلة فأخذ السيف وخرج فضرب أباه فسقطا ميتين .

(١) باهي : نسبة إلى الباه وهو النكاح . انظر لسان العرب ، مادة [بوه] .

(٢) أبرويز ، هو : كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان . كان من أشد ملوك الفرس بطشاً، وأنفذهم رأياً ، وأبعدهم غوراً. انظر: تاريخ الطبري (٤٦٤/١).

ووقفت في سنة خمس وستين وتسعمائة بمحروسة دمشق^(١) على كتاب لم أعرف مؤلفه، سماه درر الأفكار في التحريض على تزويج الأبقار، ذكر فيه ما ملخصه .

أن قدماء الفرس كانوا يمنعون التزوج بالثيب؛ لأن حكماءهم يقولون إن المرأة لا تلقى مقاليد^(٢) طاعتها، ولا تصدق لطائف شهوتها، ولا تظهر حسن مودتها إلا لمن يفض ختام بكارتها؛ لأنه القاطف لزهر محاسنها والمجتلى^(٣) على أول مطالع بدر مواطنها، فإن وقع منها لغيره ود فنادر لا يعتد به ونزر لا ينبغي التمسك بسببه . ولم تنزل هذه الوصايا عندهم محفوظة وبعين الكمال ملحوظة . وأن ملكًا تجاوز الستين ولم يرزق ولدًا، وكان ذا ملك عظيم، ومال ورزق جسيم، فكان يتأسف على خروج ذلك منه وانتقاله عنه . فجمع أهل التنجيم والخطوط وأمرهم بالنظر في ذلك، فرأوا أنه إن تزوج من الحبشة رزق ولدًا يكون له الملك .

فأرسل فجئ له بنت، فاختاروا له طالعًا بينى بها فيه وواقعها، فحملت وجاء بذكر صحيح سوى حسن الخلق، فأولم الملك أربعين صباحًا ونشأ الولد فحفظ الأدب والحكمة، وأن أباه طلب تزويجه ونادى بعرض البنات عليه، فوقع اختياره على واحدة ليست بالشريفة المناسبة للملك، فلأرادوا تحويله عنها فأبى، فزوجه بها على غضاضة^(٤) في نفسه .

ودخل فوجدها ثيبًا، فكتم أباه ذلك لشدة عشقه وشغفه بها، وأن أمه ودهاة النساء من خدمتها جعلن ينظرن في حب كل منهما لصاحبه فيجدنه أعظم حبًا لها، فكن يخبرن الملك، فيقول: إن صدق الحدس فإنها ثيب، ولا يستطيع أحد أن يكلمه في أمرها .

(١) دمشق : عاصمة سوريا ، تقع على نهر بردى ، في طرف بادية الشام ، عاصمة الخلافة الأموية . حاليًا مركز تجارى وسياحى . انظر : معجم البلدان (٥٢٧/٢) .

(٢) مقاليد: جمع المقلد: المفتاح . انظر: لسان العرب، مادة [قلد].

(٣) المجتلى: من جلى بنظره: أى نظر ورمى به . انظر: لسان العرب، مادة [جلى].

(٤) غضاضة: أى احتمال الشيء على كره ورفضه له . انظر: لسان العرب، مادة [غضض].

فلما أفضى الملكُ إليه بعد والده ، دخل يوماً فوجدها كالتى فرغت من الجماع وكان له مدة لم يتغشاها، وكان إذا جامعها تدمم حمرة وجهها مصفرة يوماً ، وهذه التى تغيب حال الفعل تسمى الربوخ، فسألها عن العلة، فأجابت أنها تشكر صداعاً وكان عارف بالطب فلم يرض بذلك ولكن كره أن يفضيها ، فأمسك وتكرر منه رؤيتها كذلك وكان قد برع فى الدهاء فصنع قارورة طيب نفيسة وأتى بها إلى بيتها فوضعها فى صندوق محرز^(١) فى خزانة سره، وأخذ مفتاحها وجعل كلما جامعها أخرج من الطيب ودهن مذاكيره وسرته وأمرها فتدهن فرجها وأخبرها أن ذلك ذخيرة لم يظفر بها سواه وأنه يقوى الأعضاء ويعين على الفعل ويحفظ الصحة والصبا والقوة.

وخرج عنها فجاء صاحبها فكانت تطيبه من الطيب إلى أن علم ثبوت ذلك عندها فجاء بسم قاتل لوقته فأوهمها الأخذ من الدهن ووضع ذلك فيه وأعلمها أنه خارج فى شغل يقيم فيه سبعة أيام، وخرج بعسكره من البلد، ثم عاد من الغد على غفلة مستخفياً ، فدخل عليها فوجدها والرجل فيهما رمق الحياة فرمى عنقهما وسأل عن الرجل فإذا هو جارها نشأ معها صغيراً، فعلم أنه الذى أزال بكارتها . ثم أقام مدة فكان يعاوده من حبها وهو على سرير ملكه ما يذهب عقله فيقوم إلى الخلوة ويذكر عشقها للسوقة عليه وإيثارها الأرزال ، فيسكن ما به، ويعود فلم يزل أياماً على ذلك حتى غلب الحب على التأسى فمات .

الصف الرابع : فى ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق

قد خلط المصنف هؤلاء بالعشاق وعقد لكل باب عقوبة الفساق، وأهل العشق الصحيح بريئون من الإثم خارجون عن التسمية بهذا الاسم . فمن أهل هذا الصنف ما حكى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه آلى أن لا يهدر دم مسلم . فأتى يوماً بشاب أمرد^(٢) مقتول، فعرف المكان الذى وجد فيه واستكتم من جاء به أمره ، وقال: أرجو أن لا يفوتنى، فلما كان بعد حول رأى

(١) محرز: محفوظ: انظر: لسان العرب، مادة [حرز].

(٢) أمرد: الشاب الذى بلغ خروج لحيته وطراً شاربه ولم تبد لحيته . انظر لسان العرب ، مادة [مرد].

طفلاً ملقى موضع الشاب فقال: قد أدركت ما أطلبه وأخذه فسلمه إلى من ترضعه وأجرى عليها ما تحتاج إليه، وقال لها إذا رأيت امرأة تقبله وتضمه فأعلميني بها . فجاءت جارية يوماً إلى المرأة، فقالت: إن سيدتى تطلب الغلام ساعة فمضت به إليها فرشفتة وضمته ثم دفعته إلى المرأة. فجاءت إلى عمر فأعلمته بذلك فأخذ سيفه ومضى إلى الباب، فإذا أبوها شيخ من الأنصار قد كبر، فقال: أين ابنتك، فقال: بالبيت، فقال: كيف سيرتها، فقال: على أحسن حال من طاعة الله ورسوله والقيام بحقى، فقال: مكانك حتى أدخل عليها وأعظها، فقال: افعل، فاستأذن عليها، فحين صار عندها، قال: أصدقيني ما فعلت وإلا رميت عنقك، فقالت: يا أمير المؤمنين إني والله محدثك بما كان لا أكذبك شيئاً، اعلم أن عجوزاً كانت تدخل على من الصغر وتخدمنى إلى أن صرت كما ترى وأنا أظنها سالحة، فقالت لى يوماً: قد عزمت على مكة وعندى ابنتى ولا آمن أن أتركها فى البيت، فأريد أن أجعلها عندك حتى أعود فقلت: كرامة، فمضت وأحضرت شخصاً مؤزراً^(١) مبرقعا^(٢)، فلما كان الليل ونمت آمنة وثب على صدرى فنال منى فعمدت إلى شفرة بالقرب منى، ففجرت بها بطنه وجعلناه حيث رأيت .

فبعد مدة رأيت أنى حامل ، فلما وضعت جعلته مكانه، فدعا لها وجزاها خيراً وأوصى أباهاً بها .

ومنهم : أعرابى من أسد .

خرج لحاجة فنزل على باهلة عند امرأة، فقدمت له ما يحتاج إليه، فلما لم ير عندها أحداً سامها^(٣) نفسها ، فقالت: على رسلك لأصلح من شأنى وغابت، ثم جاءت وقد أخفت مديّة فوثب ليعانقها، فضربته بها فى نحره فخر ميتاً، وسقطت حين رأت الدم .

وجاء بعض أهلها وهى على تلك الحالة، فأجلسها حتى سكن ما بها وحدثته

(١) مؤزراً : لابس الإزار، أى الملحفة، أو كل ما يستر الإنسان. انظر: لسان العرب، مادة [أزر].

(٢) مبرقعا: لابس البرقع، أى ما تستر به المرأة وجهها. انظر: لسان العرب، مادة [برق].

(٣) سامها: السوم أن تجشم إنساناً مشقو أو سوء أو ظلماً والسوم التكليف ، لسان العرب، مادة [سوم].

القصة، فشاعت حتى قال فيها شاعرهم قيل: جعفر بن أبي عليّة^(١)، وقيل صيفى بن سعيد الباهلى ، وقيل غيرهما هذه الأبيات :

لعمري لقد أخفت معاداة ضيفها وسوت عليه مهده ثم برت
فلما بغاها نفسها غضبت لها عروق نمت وسط الثرى فاستقرت^(٢)
وشدت على ذى مدية الكف معصما وضيئاً وعزت نفسها فاستمرت
فأمت بها لى لحره وهو يتنسى النكاح ومرت لى حشاه وجرت^(٣)
فبخ كان الفيل لى جوف صدره وأدركها ضعف النساء فخرت

ويقرب منه ما حكى أن رجلاً أضاف بنى هذيل، فحين خرج من البيت رأى جارية منهم، فراودها عن نفسها، فتعاسفا^(٤) فأخذت حجراً فضربت به ففضت كبده، وبلغ عمر فقال: هو قتيل لا يودى^(٥).

وغزا رجل فخرج جاره فرأى فى بيته مصباحاً وأنصت فسمع قائلاً يقول :
وأشعث غرة الإسلام منى خلوت بعروسه ليل التمام
أبيت على ترائبها ويضحى على جرداء لاحقة الحزام^(٦)
كان مواضع الربلات منها فقام يتمين إلى فقام^(٧)

فدخله فقتله، وكان فى عهد عمر أيضاً . فلما أصبح أعلمه فنشد عمر عن سيرة الرجل فلم يقل إلا خيراً، فقال له: اقتله . فقال: قد فعلت فجراه خيراً واقتدى به فى عدم إيذاء الفاسق عبدُ الملك بن مروان وقد حمل إليه رجل راود

- (١) جعفر بن أبي عليّة ، هو: ابن ربيعة الحارثى، أبو عارم. شاعر غزل مقل، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية. توفى سنة (١٤٥هـ). انظر: الأغاني (٣/٣) الأعلام (١٢٥/٢).
- (٢) بغاها: من بغى الشيء: طلبه. انظر: لسان العرب، مادة [بغى].
- (٣) فأمت: من أمه: أى قصده واتجه إليه. انظر: لسان العرب، مادة [أم].
- (٤) تعاسفا: من عسف الشيء: إذا أراد أخذه بقوة. انظر: لسان العرب، مادة [عسف].
- (٥) لا يودى: ليس له دية. القاموس المحيط، مادة [ودى].
- (٦) ترائبها، جمع تريبة: عظمة الصدر، أو أعلى الصدر. انظر: لسان العرب، مادة [ترب].
- (٧) الربلات، جمع ربله: أصل الفخذ. الفقام: الجماعة من الناس. انظر: لسان العرب، مادة [ربل]، [فام].

امرأة عن نفسها فأغلقت بينها وبينه، فأدخل رأسه فشدخته^(١) وقال: لا يودى .
وأما مصعب بن الزبير فأخذ دية رجل وجده رجل مع زوجته فقتله .

ومنهم : ما حكى عن عبد الله بن سبرة .

أن امرأة مغيبة يعنى غاب عنها زوجها أرسلت إليه، فلما جاء أخبرته أن رجلا يسومها نفسها، فقال: ابعتى إليه ، واختفى ، فلما جاء قام فقتله، وأمر الجارية فحفرت حفرة وألقاه فيها، وقتل الجارية وجعلها معه وأعطى المرأة سبعين ديناراً، وقال: اشتر بها خادماً وقال: كل حديث جاوز اثنين شائع .

وكان عبد الله هذا من أعظم الناس مروءة حتى قيل: إن شامياً اسمه فيروز خرج إلى العرب يبيع العطر فوضع يده على عجيذة امرأة، فقالت: يا عبد الله بن سبرة، وبلغه فخرج من أذربيجان^(٢) في طلب العطار إلى الشام حتى قتله .

منهم : ما حكى عن جويرية بن أسماء عن عمه .

قال: خرجنا نريد الحج فبتنا ليلة وبالقرب منا امرأة، فلما أصبحنا إذا حية قد التفت على عنقها، فحفنا من ذلك فلم تزل إلى أن دخلنا الحرم فانسابت .

فلما قضينا المناسك سمعنا الغريض^(٣) يقول للمرأة: أى شقية أين حيتك ؟ فقالت: فى النار . فقال: ستعلمين من فى النار، فلما أردنا الخروج عزممت على صديق لى وبينه وبين الغريض صداقة أن يمضى بنا إليه لنسمع من غنائه . فلما سرنا عنده أكرمنا وسأله صاحبي الغناء فغنى :

مرضت فلم تحفل على جنوب وأدنيت والممشى إلى قريب

فلا يبعد الله الشباب وقولنا . إذا ما صبونا صبوة سننوب^(٤)

(١) فشدخته: من شدخ رأسه: كسره. انظر: لسان العرب، مادة [شدخ].

(٢) أذربيجان: إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى سابقاً. تقع على بحر قزوين، وحدود إيران،

منطقة نطق. انظر: معجم البلدان (١/١٥٥).

(٣) الغريض ، هو: عبد الملك، مولى العبلاق، من مولدى البربر، من أشهر المغنيين فى صدر

الإسلام، ومن أحذقهم فى صناعة الغناء، توفى سنة (٩٥هـ) انظر: الأغاني (٢/٣٥٩)،

الأعلام (٤/١٥٦).

(٤) صبونا إليه: حننا له. انظر: لسان العرب، مادة [صبا].

واستعدناه الصوت، فغنى قول المجنون (عفا الله عن ليلى) الأبيات
السابقة، فتخيلنا أن الجبال ترقص طرباً، ثم استزدناه عند الوداع، فغنى أبيات أبي
الأسود الدؤلى^(١) التى أوصى بها ابنته عند الزفاف:

خذى العفو منى تستدينى مودتى ولا تنطقى فى ثورتى حين أغضب
فانى رأيت الحب فى الصدور والأذى إذا اجتمعنا لم يلبث الحب يذهب
فلما رجعنا إذا بالمرأة وقد جاءت الحية حيث انسابت فانطوت عليها، وإذا
بالوادي كله حيات فأقبلن ينهشنها حتى ماتت. فسألت جاريتها فقالت: بغت
ثلاث مرات كل مرة تلد ولدًا فتحرقه .

(١) أبو الأسود الدؤلى ، هو: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، الكنانى. واضع علم النحو.
كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء . توفى سنة (٦٩هـ). انظر: وفيات
الأعيان (٢٤٠/١) ، الأعلام (٢٣٦/٣).

القسم السادس

في ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الأحبة

وهو بالنسبة إلى من استدرك الغلط، واستقال ما فرط، وإلى من تمادى على نقض العهد واختلاف الوعد منحصر في صنفين أردفهما بثالث من هذا الكتاب، إذا لم يكن مناسباً للباب .

قد سبق لك في الخطبة أن المؤلف رحمه الله قد أكثر في كتابه من التخليط في تبويبه، وذكر غير المناسب لمطلوبه، ولكن لعمرى لم يقع له بهذه الأوصاف أكثر من الباب السابع حيث ترجمه بمن استخفه الملل والضجر لطول الزمان فغدر المحبوب وهجر، فإن الوقف على هذه الترجمة يفهم منها أنه يذكر متحابين نكث أحدهما عهد الآخر، ولم يذكر من ذلك إلا قصة كثير التي ترجم لها في الباب بمن تاب عن عقوقه ورجع إلى معشوقه فمات في نادى الهوى وسوقه . وها أنا أذكر ما وقع لي من ذلك على الشرط المتقدم إن شاء الله تعالى .

الصنف الأول: في ذكر من تاب عن الخلاف ورجع إلى حسن الائتلاف وكان محبوبه في الوجود فتراضيا على ضم شمل العهود

حكى المسعودى في جزء لطيف سماه اقتداح زناد الأشواق واسترجاع شوارد العشاق: أن المجنون أخبر بعد توحشه بزواج ليلى، فجاء ولبس أثوابه وأقام مدة يظهر انحلال العشق وأنه لم يبق له فيها أرب^(١) لما كان قد عاهاها وعاهدته أنها تدوم معه على المحبة ولا تنقض لعهد الصحبة .

فبينما هو ليلة نائم إذ رآها باكية فدنا منها فولت وجهها وقالت: أى غادر لو ملكت من أمرى ما تملكه أنت من أمرى ما فعلت وأيم الله إنى لم أكن معه إلا كمفترش النار فى الهواجر أو متوسد السعدان عاريا، فانتبه مرعوبا باكيا، ثم نزع ما عليه وعاد إلى التوحش .

وفيه أيضا أن قيس بن ذريح حين تزوجت لبنى خرج متصفحاً أحياء العرب حتى ظفر بامرأة اسمها لبنى فتزوج بها، وقال: عشق بعشق، وامرأة بامرأة وأقام معها، والصحيح أن ذلك لم يكن باختياره، وإنما وقع بحيلة ولم يقم معها وقد بسطت الخبر فى قصته .

(١) الأرب: الحاجة والغاية. انظر: لسان العرب، مادة [أرب].

وفيه نقله المصنف هنا أن عزة أرادت أن تعلم ما لها عند كثير فتنكرت ومررت به متعرضة، فقام إليها وكلمها، فقالت أين حبك لعزة ؟

قال : جعلت فداءك لو أنها أمة لو هبتها لك .

قالت : لاتفعل فقد بلغنى أنها لك مخلصه وفي المحبة صادقة .

فقال: دعيني منها فهل لك فى المخالاة ؟

قالت : وكيف تصنع بما قلت فيها ؟

قال : أديره فيك ، ثم أنشد يقول :

ما وصل عزة الا وصل غانية فى وصل غانية عن وصلها خلف

فكشفت عن وجهها فبهت ، فقالت إلى هنا يافاسق فهلا كنت مثل جميل .

حيث يقول :

لما الله من لا ينفذ الوعد عنده ومن حبله إن مد غير متين

ومن هو ذو وجهين ليس بدائم على العهد خلاف بكل يمين

ثم لم يزل يعتذر ويتنصل إلى أن قبلته .

ولا مناقضة بين هذا وبين ما تقدم من أنه أثبت من جميل لقوله هنيئاً مريئاً...

البيت . وقول جميل : رمى الله فى عيني بثينة... الأبيات . لأن تلك أدل على الأشفق وهذه على الأعشق .

وأما قصة ذى الرمة حيث عابت عليه المرأة تشبيهه محبوبته بالعنز فى الأبيات

التي منها :

أيا ظية الوعساء بين جلاجل وبين النقا أنت أم أم سالم^(١)

فتنصل واعترف حتى وهبها الراحلة فأعادتها وصفحته ، فليس من هذا

القبيل إذ ليس بنقض عهد وإنما هو غفلة عن مقام الحبيب المحبوب قاد إليه التوغل

فى التشبيب ونظيرها ما سبق فى قصة كثير من اعتراض العجوز عليه فى قوله :

فما روضة بالحزن... البيتين . وأما من رجع نادماً على الهفوات فوجد الحبيب قد

فات فجرعته الغصص من ذلك كأس الممات فقليل .

(١) الوعساء: رابية من رمل لينة، انظر : لسان العرب، مادة [وعس].

ومنهم : ما حكاه فى النزهة ونقله هنا مجهولاً .

أن كعب بن مسعدة الغفارى ، قال : خرجت أنا ومالك بن غفيلة العذرى
نمشى فى القمر إذا بنسوة تقول إحداهن : إى والله هو ، ثم قربن منا فقالت :
إحداهن قل لصاحبك :

ليست لياليك فى حاج بعائدة كما عهدت ولا أيام ذى سلم

فقلت : قد سمعت فأجب ، قال : قد انقطعت فأجب أنت .

فقلت : ولم يحضرنى غيره :

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

وانصرفنا فما استقرت^(١) إلا وجارية تقول : أجب المرأة التى كلمتك ، فلما
صرت إليها ، قالت : أنت المجيب ؟

قلت : نعم .

قالت : فما أقصى جوابك ؟

قلت : لم يحضرنى غيره .

فقالت : لم يخلق الله أحب إلى من الذى كان معك .

فقلت : على أن أحضره إليك .

فقالت : هيهات . فضمنتها فى الليلة القابضة ، ورجعت فرأيتها فى منزلى
فأخبرنى بالقصة كالمكاشف ، فقلت له : قد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة ،
فلما كان الوقت مضيئاً فإذا بالمجلس قد طيب ، وفرش فجلسنا فتعابتنا فأنشدته
أبيات أميمة امرأة ابن الدمينه :

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتني . وأشمت بى من كان فيك يلوم

وأبرزتنى للناس ثم تركتنى لها غرضاً أرمى وأنت سليم

فلو كان قولاً يكلم الجسم قد بدا بجسمى من قول الوشاة كلوم^(٢)

فأجابها :

غدرت ولم أغدر وخنث ولم أخن وفى بعض هذا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم صرمتنى فحبك فى قلبى إلى إزاء

(١) استقرت : وصلت توى إلى القرية . انظر : لسان العرب ، مادة [قرا] .

(٢) يكلم : يجرح . انظر : لسان العرب ، مادة [كلم] .

فالتفتت إلى وقالت: ألا تسمع، فغمزته فكف.

ثم أنشدت :

تجاهلت وصلّى حين لاحت عمائتي فهلا صرمت الجبل إذا أنا أبصر^(١)
ولى من قوى الجبل الذى قد قطعه نصيب ولى رأى وعقل موفر
ولكنما آذنت بالصرم بغتة ولست على مثل الذى جئت أقدر

فأجابها :

لقد جعلت نفسى وأنت احزمتها وكنت أعز الناس عنك نطيب
وفى روضة القلوب بدل هذا البيت : إذا وعدت بالنأى عنك نطيب
لقد كنت أنهى النفس عنك لعلها وفيها أنه قبلها وأنشد :

دمعى عليك من الجفون سكوب والقلب منك مروع مكروب
لاشى فى الدنيا الذ من الهوى إن لم يخن عهد الحبيب حبيب

فأجابته :

خلوتم بأنواع السرور هناكم وافردتمونى للصابية والحزن
وعدبتمونى بالصدود و إنسى لراض بما ترضونه لى من الغبن

والمشهور أنهما لم يأتلفا بعد بل حين أنشد: لقد كنت أنهى النفس... البيت.

قالت له: أو كنت تفعل؟ ما فيك خير بعدها، وافترقا.

فقال لكعب: كما قلت لك: إنك لا تفنى بضمائك، ولكن إذا كان السحر فأتنى.

قال كعب: فجئت فإذا أنا بالصباح، فسألت جارية فقالت: حين خرجت ما

جعلت فى عنقها أنشودة^(٢) وخنقت نفسها، فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة

تحدثنا وتفتكره فتقول: إنه لقاسى القلب، ثم شهقت فماتت . وبلغ الشاب فلزم

قبرها فجاءته فى النوم ، فقالت: هلا كان هذا قبل، فمات من وقته .

(١) عمائتي، العماية: الغواية. انظر: لسان العرب، مادة [عمى].

(٢) الأنشودة: العقدة فى الجبل. انظر: لسان العرب، مادة [نشط].

قال في النزهة: و أصل هذه الحكاية ، أن هذه المرأة كانت من عذرة ،
واسمها سعدى وكانت وهذا الفتى على أعظم رتبة من شدة تعلق كل منهما
بصاحبه، وكان في الحى رجل يحبها وهى لاتبه فغار منهما فوشى به إلى أهلها
فحججوها منه فتراسلا بالمحبة وبلغه، فأرسل زوجته عن لسانها إلى مالك بستم
وقطيعه ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل، ولم تدر الزوجة تفصيل الأمر،
وكانت عند مالك أنفة .

فخرج إلى مكة ناقضاً للعهد، فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة، وما
أخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم فخرجت على وجهها إلى مكة حتى
اجتمعت به وتم بينهما ما سمعته .

**الصنف الثانى: فى ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على إخلاف
الوعد**

أخرج فى اقتداح زناد الأشواق عن الأصمعى قال: نزل على رجل من بنى
هذيل فأكرمنى وأطرفنى بلطائف الأخبار، فكان يوم أقصر ما يكون بالسرور .
فلما كان الليل فرش لى موضعاً لطيفاً موطأ ونمت وجلس، فقلت: هل بقى
لك أرب فى السهر؟ قال: لا وعافاك الله، ثم ودعنى لما بى فحدثت أن له شأننا
فأوهمته النوم فقام وفتح مخدعاً فأخرج منه كلبة عليها الحرير وأطواق الذهب
فقدم لها طعاماً وشراباً، فلما اكتفت غسلها بماء الورد وبخرها بالعود، ثم مكث
ساعة ونزع ما كان عليها ورشها بالرماد والزيت وعاقبها طويلاً وهو مع
الفلعتين يبكى بشهيق أخال فيه أن نفسه زهقت ثم أعاد عليها وأدخلها المخدع.

وجلس يبكى وينشد :

أحبابنا لو تعلمون بحالنا	لما كانت اللذات تشغلكم عنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا	وابديتم الهجران ما هكذا كنا
وآليتكم أن لا تخونوا عهدنا	فقد وحياة الحب ختم وماخنا
غدرتم ولم نغدر وختمتم ولم نخن	وحلتم عن العهد القديم وما حلنا ^(١)
وقلتم ولم توفوا بصدق حديثكم	ونحن على صدق الحديث الذى قلنا

(١) حلتم، من حل العهد: إذا انحل عنه ولم يوف به. انظر: لسان العرب، مادة [حلل].

ودام كذلك حتى طلع الفجر، فجاء ليوقظني فرآني منتبهاً، فلما ودعته تفرس
 أن في وجهي كلاماً، فقال: أنشدك الله هل رأيت من حالتى شيئاً أنكرته؟
 قلت: اللهم نعم .

قال: أو تحب أن أطرفك به، قلت: أى والله، فتنفس الصعداء وكفكف^(١)
 دمه فلم يملك ذلك وحنقته العبرة فأرسلها.
 وأنشد:

أكفكف جفن العين والدمع سافح كشبه غدير فوق خدى جارياً

فيا ليت شعري ذا البكاء إلى متى وحتى متى ذا الحزن والجسم بالياً

ثم غيظ^(٢) دمه، وقال يا أبا العرب كانت لى ابنة عم لا أملك الصبر عنها
 فتزوجت بها فكانت بى أبر من أمى، وأقمنا مدة لم آل جهداً فى الإنفاق
 عليها، فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال. فلما أملت أنفت^(٣) منى فأخذت
 فى التحامل والتجنب فقلت: لها ماذا تريدین؟

قالت: أو فاعل أنت ما تقول؟

قلت: نعم .

قالت: تطلقنى، فخامرنى حبها، فقلت: قد فعلت.

فاعترلتنى وعارودنى القلق فأملت طويلاً وجئت وشكوت إليها ذلك وذاكرتها
 العهود والمواثيق، فطيبت نفسى وحلفت أنها لا تتزوج ولا تتزين لغيرى.
 فقامت وجثتها يوماً فوجدتها على أحسن ما يكون من أنواع الزينة فكلمتها
 فلم تجب، فسألت، فقيل لى: تزوجت فحلفت لها أن لا آخذ بدلها للبسها
 وزينتها التى عندى إلا كلبة وفعلت، فأنا الآن أمثلها بتزين هذه الكلبة وأذكر
 غدرها فاسلبها وأعاقبها كما رأيت .

قلت: فهل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات قط؟

قال: نعم قد كلفها الذى تزوج شططا^(٤) وسلمها نقصاً، فندمت فراسلتنى

فلم أجب مع أنه لم يكن على البسيطة أعز على منها ولكنها الغيرة تمنعنى .

(١) كفكف دمه: أى مسحه. انظر: لسان العرب، مادة [كفكف].

(٢) غيظ، من غيظ دمه: حبسه. انظر: لسان العرب، مادة [غيظ].

(٣) أنفت، من أنف: أى ترفع وتنزه عنه. انظر: لسان العرب، مادة [أنف].

(٤) شططا، من شط: أى بالغ فى ظلمه. انظر: لسان العرب، مادة [شط].

قال الأصمعي: فلم أر أغرب منها .

وأخرج في النزهة عن الرياشي، قال: اتجر صديق لنا فحمل الصندل إلى شهرزور وقد بلغه أنه نافقها^(١)، فلما حل بها صادف كساداً، فمكث مغموماً فيينا هو كذلك إذ مرت به عجوز فسلمت عليه بلطف وسألته عن حاله، فشكى إليها ما يجد من الغربة والوحدة وكساد متجره .

فقالت: أما الكساد فسيزول ، ولم تنزل الناس على هذا، وأما وحدتك وغربتك فلا أرى لهما دواء إلا أن تتزوج بمن تحفظك إذا غبت، وتؤنسك إذا حضرت وتفرج عنك إذا حزنت .

قلت: ومن أين لي بما ذكرت؟

قالت: أنا الضامنة لك ما تطلب ابتغاء لوجه الله تعالى، فشكرت صنيعتها وأمرتها أن تفعل. فما مضى إلا وقد جاء الدالون فاشتروا البضاعة بأحسن ربح إلى أجل فتوسمت فيها الخير، وجاءت فقالت: قد هيأت لك ما تطلب فقم لتنظرها.

فمضينا إلى دار لطيفة وقد فرش لي قطيفة بزر فجلست وجاءت امرأة تسر القلب وتملأ العين إلا أن عليها آثار الحزن وشعار الفرقة، فسلمت بحشمة وجلست.

فقالت العجوز: ها هي، فتراضينا . ودخلت بها ودمت أسبوعاً في أنعم حال غير أني أجدها تقوم من الصباح فتجلس في موضع يشرف على الأشجار وتبكي حتى ترتفع الشمس، فلم أسألها عن ذلك :

فلما كان يوم وقد أخذها النوم حتى طلعت الشمس، انتبهت مرعوبة ترتعد، ثم ذهبت إلى المشرف وعادت ومزقت أثوابها وجلست تبكي فلم تلهج يومها كله إلا بهذه الأبيات :

أيا عين نوحى بالدموع السواجم على طامس بالشرق خافي المعالم^(٢)

(١) نافق، من نفقت السوق: قامت وراجت تجارتها. انظر: لسان العرب، مادة [نفق].

(٢) السواجم، من سجم الدمع: أي سال وانصب. طامس، من طمس: درس وانمحي. انظر:

لسان العرب، مادة [سجم]، [طمس].

وسحى دما إن سح دمعك واسعفى
 حليف الهوى من قبل حمل التمام
 إذا ناحت الورقا على فقدانها
 ولم تك ذا عقل فما حال عالم
 حرام على النوم إذ فاتنى به
 زمان البكا والنوح قبل الحمائم

فضاق صدرى لحالها، وراجعت نفسى فى سؤالها، ثم غلب على عدم
 التصبر بعد أيام وهى تجالسنى كالمشغولة وتقوم بما أحججه حتى إذا نمت مكثت
 جالسة حتى يسفر الفجر فتروح إلى المكان الذى يشرف على الشجر كعادتها.
 فقلت: ياسيدتى قد ضاق صدرى لحالك، وأنا أعزم عليك إلا ما أخبرتني بما
 أنت فيه .

فقلت: أو لا بد.

قلت: إى والله.

قلت: قد كان أبى ذا ثروة وعزة، وكان لى ابن عم قد كفله أبى صغيرا
 فنشأت وإياه ليس عند أحدنا أعز من الآخر فزوجنى منه، فأقمنا لانستطيع صبورا
 ، وكان فى هذا البستان زوج حمام بيت فيه ويصبح ويغرد بأنواع التغريد فإذا
 اختفت واحدة فى شجرة دارت الأخرى عليها حتى تكاد أن تموت، فإذا التقيا
 تعانقا وغردا .

فلما كان يوم مر بهما حمام فطارت إحداهما إليه ومضت فلم ترجع فأقامت
 الأخرى تغرد كل صباح إلى ارتفاع الشمس، ثم تلقى نفسها كالميتة حتى ذهبت
 نضارتها وذوى ريشها، فقلت له يوما: لئن فارقتى لأكونن كهذه.

فقال: أنا لا أفارقك أو أموت.

فقلت له: قد تجد أحسن منى.

قال: معاذ الله أن يكون فى الدنيا مثلك، فأردت أن أعرف صدقه، وكانت
 لى صديقة قد احتوت على أرفع رتبة من الجمال، فاستحضرتها وأريته إياها من
 خلال السجف^(١)، فوقعت بقلبه، فراسلها فأجابته فتزوج بها فلم توافقه .

فرجع يطلب منى ما كنت عليه فأبت نفسى أن تطيع كما كانت، وتشفع
 فلم يفد.

(١) السجف: الستر الذى يرخى على البيت. انظر: لسان العرب، مادة [سجف].

فقال: أطلقك مرة.

قلت: نعم، ففعل وخرج، فلم أعرف خبره، وإنما أخذتك لأنك غريب
تفارقني، فإن رضيت هذا الحال وإلا فشأنك.

قلت: فلأى شيء هجرتك النوم.

قالت: كفارة لنومي عن مناوحة الحمامة وسبقها لي .

الصنف الثالث: في ذكر من أشبه العشاق في محبته وشاكلهم في موته فتعاهدا

لشدة كلفه بالمحبيب على عدم الفراق فنكت أحدهما عهد الآخر

بعد التلاق.

وهذا هو الذي عقد له المصنف الباب، ووعدنا بزيادته لأن الترجمة له خلاف
الصواب. وقصة عاتكة مع عبد الله وإن كان لها بهذا الباب اعتلاق إلا أنها بما
مضى الصق .

فمنهم : صخر بن عمرو^(١) .

وكان من أشجع العرب و أكرمهم وأجملهم، وكانت تحبه سلمى بنت عوف
بن ربيعة بن حارث الرياحي، وصخر هذا هو أخو الخنساء المشهورة فيه بالشعر.
وكان عاهد سلمى على أن لا تتزوج بعده وهو كذلك عاهدها ، وكان
يقول إذا نظر إليها: لا أكره الموت إلا أنه يفرق بيني وبين هذه. فلما كان اليوم
المشهور بيوم الكلاب وهو الذي تحارب فيه بنو عوف وبنو الحارث ، التقى
صخر مع ربيعة بن ثور العوفى الأسدى بعدما غلبت بنو الحارث على بنى أسد
ونهبتهم فطعن ربيعة صخرأ. وكان رمح صخر قصيرا فأصابه ربيعة في بطنه
حلقا من الدرع فمرض صخر سنة بالطعنة، فكانت أمه تلاطفه وقصرت سلمى
في خدمته، فسمع يوماً امرأة تقول لأمها: كيف حال صخر؟

فقالت: نحن بخير مادامنا نرى وجهه، وسألت امرأته أخرى فقالت: لا حتى
فيرجى ولا ميت فينعى، فغم لذلك.

(١) صخر بن عمرو، هو: ابن الحارث بن الشريد الرياحي السلمى، من بنى سليم بن منصور، من
قيس عيلان، أخو الخنساء، كان من فرسان بنى سليم. توفي سنة (١٠٠ هـ). انظر: جمهرة
الأنساب (٢٤٩) الأعلام (٢٠١/٣).

وأنشد:

فأى امرئ ساوى بأى حليمة فلا عاش إلا فى عنا وهوان
وحكى فى النزهة: أنه جلس يوماً ليسترىح وقد رفع سجف البيت فرأى
سلمى واقفة تحدث رجلاً من بنى عمها وقد وضع يده على عجيزتها فسمعه
يقول لها: أبيع هذا الكفل؟

فقلت: عن قريب .

فقال صخر لأمه: على بسيفى لأنظر هل صدئ أم لا، فأتته به فجرده وهم
بقتل سلمى، فلما دخلت رفع السيف فلم يستطع حمله.

فبكى وأنشد :

أهم بأمر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان^(١)

وهذا مثل يضرب للعجز والبيت والذى قبله من قصيدة لصخر وأولها :
أرى أم صخر لا تملى عيادتى وملت سليمانى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان
أهم بأمر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد نهت من كان نائماً وسمعت من كانت له أذنان
فلو مت خير من حياة كأنها محلة يعسوب برأس سنان
فأى امرئ ساوى بأى حليمة فلا عاش إلا فى شقى وهوان

ولما اشتد غمه وطال مرضه نتأت قطعة موضع الطعنة، فقبل له: اقطعها، فحموا
له حديدة فأدخلوها فيها فقبل: كيف صبرك؟

فأنشد :

فإن تسألنى هل صبرت فانى صبور على ريب الزمان أريب^(٢)

(١) النزوان، من نزي الذكر على الأنتى: جامعها. انظر: لسان العرب، مادة [نزوا].

(٢) ريب، ريب المنون: دواهى الدهر وصرفه. أريب: ماهر وبصير. انظر: لسان العرب، مادة
[راب]، [أرب].

ثم مات فتزوجت سلمى بعده، وقيل سبب موته أنه سكر مع بلعاء بن ربيعة
وكان الآخر جميلاً عند يهودى فحسدهما على الحس فسقاها في الشراب سما
والصحيح الأول .

ومن لطيف شعر الخنساء في صخر، قولها :

قذى بعينك أم بالعين أعور
كأن عيني لذكراه إذا خطرت
تبكى صخر هي العبرا وقد ثكلت
تبكى خناس على صخر وحق لها
وما عجول على بويحس له
ترتع ماغفلت حتى إذا ذكرت
يوماً بأوجع منى حين فارقتي
لابد من ميتة في صرفها غير
يا صخر وراذ ماء قد تبادره
يمشى السبنتى إلى هيجاء معضنة
وأن صخرأ لمولانا وسيدنا
وإن صخر التاتم الهداة به
لم تره جارة يمشى بساحتها
ولاتراه وما في البيت يأكله
طلق اليدين بفعل الخير ذو فخر
وقالت أيضاً :

ألا يا صخر إن أبكىت عيني
فقد ضحكتنى زمناً طويلاً

(١) السبنتى: الجرىء المقدام. الهيجاء: الحرب. انظر: لسان العرب، مادة [سبن]، [هيج].

(٢) المهار: المكثار الذى يكثر للأضياف من القرى. انظر: لسان العرب، مادة [همر].

(٣) الدسيعة: العطية الجزيلة. انظر: لسان العرب، مادة [دسع].

بكيتك لسي نساء معولات وكنت أحق منا أبدى العويلا
 رفعت بك الخطوب والت حى فمن ذا يرفع الخطب الجليلا
 إذا قبح البكاء على قيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا
 وأدركت الخنساء الإسلام، وحسن إسلامها، فقالت لها عائشة يوماً: أتبيكين
 صخرأوهو في النار؟

فقلت: هو أشد لجزعى عليه، وأدعى للبكاء . فعد من الأجوبة المسكتة .

ومنهم : هدية بن الخشرم^(١) .

وكان معروفاً بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروءة، وله أخ اسمه
 حوط ، وأخت اسمها سلمى ، تزوج بها زيادة بن يزيد الذبياني ، وهو رئيس
 قومه فراهنه أخو هدية يوماً على إطلاق جملين يوماً وليلة في القيظ وحملوا الماء ،
 فأخذت أخت هدية ماء زوجها إلى أخيها فقصرت لذلك إبل زيادة فسبها
 فغضب حوط فثار بينهما شر .

وعلم هدية ، بيت زيادة فقتله ، ورفع الأمر إلى سعيد بن العاص عامل
 معاوية على المدينة وقد هرب هدية فحبس عمه ، فجاء وسلم نفسه ومضى أخو
 زيادة فشكا إلى معاوية فأرسل إلى سعيد أن يقود^(٢) هدية إن قامت البينة ، فكره
 سعيد الحكم وأرسلهم إلى معاوية فسأل هدية عن الخبر، فقال: تريده نثراً أو
 نظماً فقال:

نظماً فأنشد :

ألا يا قومي للنواب والدهر وللمرء يردى نفسه وهو لا يدري
 وللأرض كم من صالح قد تراكمت عليه فوارته بلماعه قفز

إلى أن ذكر القصة التي ذكرناها، وأنه قتله.

(١) هدية بن الخشرم، هو: ابن كرز، من بني عامر بن ثعلبة، من سعد هذيم، من قضاة. شاعر،
 فصيح، مرتجل، راوية، من أهل بادية الحجاز. كان هدية راوية الخطيئة، وجميل راوية هدية. توفي سنة
 (٥٠ هـ). انظر: الأغاني (٢٥٧/٢١)، الشعر والشعراء (٢٤٩)، الأعلام (٧٨/٨).

(٢) يقود : من القود: القصاص؛ أى قتل النفس بالنفس بالنفس . لسان العرب ، مادة [قود] .

فقال معاوية: قد أقررت فهل للمقتول ولد، قالوا: نعم.
 قال: ردوه حتى يبلغ، فحبس ثلاث سنين. فلما كانت الليلة التي قتل في
 صبيحتها أرسل إلى زوجته، وكانت من أجمل النساء وكان بها مغرماً،
 فحضرت إليه في طيب وثياب فاخرة، فحادثها ليلة، وراودها عن نفسها
 فأجابته فحين تمكن وسمعت الحديد اضطربت فتنحى عنها.
 وأنشد:

أأدنتني حتى إذا ما جعلتني لدى الخصر أو أدنى استقلك راجف
 رأت ساعدي غول وتحت ثيابه . جآجىء يدمى حزها والحراقف
 وحين أخرج للقتل مرّ على زوجة مالك بن عوف، فقالت: في سبيل الله
 شبابك وصبرك وشعرك.

فأنشد ارتجالاً:

تعجب حبي من أسير مكبل صلب العصي باقٍ على الرصفان
 فلا تعجبنى منى حليمة مالك كذلك يأتي الدهر بالحدثان
 ونظر إلى زوجته فجزع وأنشد :
 أقلى على اللوم يا أم بوزعا ولا تجزعي مما أصاب فاجعا
 ولا تنكحي إن فرق الدهر بيننا اغم القفا والوجه أليس بانزعا^(١)
 كليلاً سوى ما كان من حد ضرسه لدى الزاد مبطن العشيات أروعا^(٢)
 ضروباً بلحييه على عظم زوره إذا الناس هشوا للفعال مقنعا^(٣)
 وتحلى بذى أكرومة وحمية وصبراً إذا ما الدهر عض فاسرعا^(٤)
 وكوني حيباً أو لا روع جماهد إذا ضن أعشاش الرجال تبرعا

(١) اغم، من غمّ: إذا سال شعر ناصيته على وجهه وقفاه. بانزعا، الأنزع: هو من انحسر الشعر
 عن جانبي جبهة. انظر: لسان العرب، مادة [نزع].

(٢) مبطن: عظيم البطن. أروعا، من روع: فزع وخاف. انظر: لسان العرب، مادة [بطن].

(٣) ضروباً، من ضرب الشيء: إذا خلطه ببعض. بلحييه، من اللحية: شعر الذقن والخدين. زوره،
 الزور: الكذب، الباطل. هشوا، من هش: تبسم وخف للمعروف. انظر: لسان العرب، مادة

[لحي]، [زار]، [هشش].

(٤) عض، من عضه الزمان: اشتد عليه. انظر: لسان العرب، مادة [عضض].

وجعل الناس يستخبرون خبره وهو يجيب كلاً عن سؤاله وينشد الأشعار وهم يتعجبون ، فقال له عبد الرحمن بن حسان: أتزوج هذه بعدك ؛ يريد زوجته. فقال: إن كنت بالشروط التي ذكرتها لها، وأنشد: ألقى على اللوم... الأبيات. ثم نظر إلى زوجة مالك وقد قالت له: كيف تصبر عن هذه؟
فأنشد:

وجدت بها ما لم تجد أم واحد ولا وجد حبى بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلا كما اشترطت من قوة وشباب^(١)

فمالت إلى شفرة جزار فجدعت بها أنفها وشفتيها.

قال ابن عساكر: وأذنيها وأقبلت عليه، فقالت: أهذا حال من تزوج؟
قال: لا الآن طاب الموت، ثم التفت إلى أبويه فرأهما فى أسوأ حال قد تهيئا للحزن.

فأنشدهما :

أبليانى اليوم صبرا منكما إن حزنا أن بدا ببادئ شر
لا أرائى اليوم إلا ميتا إن بعد الموت دار المستقر
اصبر اليوم فإنى صابر كل حى لقضاء وقدر
وأراد سعيد أن يفديه بمائة ناقة حمراء سليمة، فقال أخو زيادة: لو ملأت لى قبتك هذه مالا ما فديته لقوله:

لنجدعن بأيدينا أنوفكم ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فسلمه إليه ، فلما أراد قتله أرسل إلى عائشة لتستغفر له، ثم صلى ركعتين وأقبل على الناس وقال: لولا أن يقال جزع لأطلتها .

قال السيوطى فى شرح الشواهد: ثم قال للقاتل: أحد سيفك، وثبت جنانك، وباعد بين قدميك، وأجد الضربة، ثم قال: بلغنى أن القتيل يعقل فإن كان كذلك فإنى قابض رجلى وباسطهما ثلاثاً. فلما رمى عنقه فعل ذلك .

(١) شمردلا، من شمر: إذا مشى سريعاً متبخترًا . انظر: لسان العرب، مادة [شمر].

وفي شرح الشواهد أنه أول قتييل في الإسلام قودًا ، وخطبت بعد ذلك زوجته على ما بها من التشويه فتزوجت وتزينت ورؤيت ولها ولدان قد قاربا التزعرع.

ومنهم : حمزة بن عبد الله بن الزبير .

تزوج بفاطمة بنت القاسم^(١) بن جعفر بن أبي طالب، وكانت ذات جمال ففتن بها، فلما حضرته الوفاة أظهر أنه لم يكن جازعًا على شيء غير تزويجها بعده بطلحة بن عمرو، فحلفت له بصدقة مالها وعتق رقيقها إن تزوجت، فلما مات خطبها طلحة^(٢) فأخبرته، فقال: إن حثت وفيت عنك بضعف ما عليك. فتزوجته فوفى لها، فولدت له إبراهيم؛ وكان أوجه الناس، ورملة، فزوجها بمائة ألف دينار فقيل له: أنت أبحر الناس تزوجت فاطمة بأربعين ألف دينار وكفرت عنها بعشرين فربحت إبراهيم وأربعين ألفاً.

ومنهم : الحسن بن الحسن^(٣) .

خير عمه الحسين بن إحدى بنتيه سكينه وفاطمة فاستحيا وكان يحب فاطمة لأنها كانت منقطعة القرين في الجمال. فقال الحسين عليه السلام: قد اخترت لك فاطمة لأنها أشبه الناس بأمي، فزوجه بها. فلما حضرته الوفاة جزع جزعًا شديدًا. فقيل: علام هذا، وإنما تقدم على جدك وآبائك؟

(١) فاطمة بنت القاسم، هي: ابنة الطيب بن محمد بن جعفر بن أبي طالب. من ربات الفصاحة والعبادة والصلاح، سميت بالعيناء لحسن عينيها، وكانت شبيهة بالخور العين. انظر: أعلام النساء (٩١/٤).

(٢) طلحة بن عمرو، هو: ابن مرة الجهني. من أهل دمشق، روى عنه ابنه إبراهيم. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣٠/٢٥).

(٣) الحسن بن الحسن، هو: ابن علي بن أبي طالب، الهاشمي، العلوي، الإمام، أبو محمد. ابن سبط رسول الله ﷺ حدث عن أبيه، وعبد الله بن جعفر. كان قليل الفتيا والحديث مع فضله وجلالته، توفي سنة (٥٩٩ هـ) انظر: الطبقات (٣١٩/٥)، البداية والنهاية (١٧٠/٩)، سير أعلام النبلاء (٤٨٣/٤).

فقال: هو كذلك ولكنى أجد كرباً غير الموت، ثم قال لبعض أصحابه: كأنى بعبد الله بن عمرو بن عثمان^(١)، وقد جاء في ككببة^(٢) يظهر جزعاً على، وما هو إلا ليخطب فاطمة .

فلما سمعت حلفت ألا تتزوجه فإن فعلت لزمها عتق ما تملك، فما كان إلا أن مات، فأقبل عبد الله كما قال، فرأى فاطمة تضرب وجهها فأرسل إليها: أن ابقى عليك، فإن لنا فيك رأياً .

فلما خطبها ضمن لها التكفير بضعف ما عليها، وقيل: إن أمها التي أجبرتها أن تتزوجه، بأن وقفت في الشمس وحلفت لا تدخل حتى تجيب .

ومنهم : غسان بن جهضم .

وكان مفتوناً بآبنة عمه أم عقبة لأنها كانت من أجمل النساء وأحياهن وأفضلهن خصالاً. حضرته الوفاة فجعل ينظر إليها ويكي، ثم قال لها: إنى منشدك أبياتاً أسألك فيهن عن تصنعين بعدى، وأعزم عليك أن تصدقيني. فقالت: قل فوالله لا أكذبك.

فأنشد :

ما الذى تضميرين يا أم عقبة	أخبرى بالذى تريدن بعدى
كان منى من حسن خلق وصحبه	تحفظينى من بعد موتى لما قد
وأنا فى الزاب فى سجن غربة	أم تريدن ذا جمال ومال

فأجابته :

خفته يا خليل من أم عقبة	قد سمعنا الذى تقول وما قد
هن ماقد أوليت من حسن صحبه	أنا من أحفظ النساء وأرعا
ومراث أقولها وبندبسه	سوف أبكىك ما حيت بشجو

(١) عبد الله بن عمرو، هو: ابن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى، الأموى، حدث عن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، ورافع وأبيه عمرو بن عثمان، توفى بمصر سنة (٥٩٦هـ). انظر: الوفيات (٣٨٣/١٧)، سير أعلام النبلاء (٢٩١/٣١).

(٢) ككببة : جماعة من الناس. انظر: لسان العرب . مادة [ككب] .

فقال :

أنا والله واثق بك لكن
بعد موت الأزواج يا خير من عو
ربما خفت منك غدر النساء
اننى قد رجوت أن تحفظى العهد
شر فارعى حتى بحسن وفاء
فكونى أن مت عند رجائى

فلما مات خطبت من كل جانب، فقالت :

سأحفظ غسانا على بعد داره
وأنى لفى شغل عن الناس كلهم
وأرعاه حتى نلتقى يوم نحشر
فكفوا فما مثلى من الناس يغدر
سأبكى عليه ما حيت بعيره
تجول على الخدين منى فتكثر

فلما طالت الأيام قالت: من مات فقد فات، وأجابت الخاطب، فلما كانت
الليلة التى زفت فيها جاءها فى النوم.

فأنشد:

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة
ولم تصبرى حولاً حفاظاً لصاحب
ولم تعرفى حقاً ولم تحفظى عهداً
حلقت له يوماً ولم تنجزى وعداً
غدرت به لما ثوى فى ضريحه
كذلك ينسى كل من سكن اللحد

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها، فقالت النماء لها: ما دهاك؟

فقالت: ما ترك غسان فى الحياة أرباً ولا فى السرور رغبة. أتانى فى المنام
فأنشدنى هذه الأبيات، ثم جعلت ترددها وتبكى فشاغلنها بالحديث، فلما غفلن
أخذت شفرة فذبحت نفسها فتعجب منها. وقد نقل هذا فى مجلس هشام حين
تذاكروا غدر النساء فقضى منه عجباً.

ومثل هذا ما حكى عن موسى الهادى^(١):

أنه كان مفتوناً بجارية من جواريه اسمها غادر فرؤى يوماً يبكى.
فقال: علام تبكى يا أمير المؤمنين.

(١) الهادى، هو: موسى بن محمد بن أبى جعفر المنصور، أبو محمد، من خلفاء الدولة العباسية،
ولد بالرى سنة (١٤٤هـ)، وولى الخلافة بعد وفاة أبيه، فأراد خلع أخيه هارون من ولاية
العهد، وجعلها لابنه، فلم تر أمه ذلك، فزجرها فأمرت جواريتها أن يخنقنه، توفى سنة
(١٧٠هـ) انظر: ابن الأثير (٢٩/٦) تاريخ بغداد (٢١/١٣) الأعلام (٣٢٧/٧).

فقال: كآنى بى وقد مت وأخذ أذى هارون الخليفة، فتزوج بغادر.
 فقيل له: حاشاك من هذا الخاطر. فزاد فى البكاء وبلغ هارون فحضر وحلف
 له بالطلاق أنه لا يتزوج بها. وحلفت هى أيضاً فلم يمض شهر حتى مات
 وأفضت الخليفة إلى الرشيد فكفر عنه وعنهما، وتزوجها فلما كان ذات ليلة
 انتبهت من منامها مرعوبة وذكرت أنه أتاها فعاتبها.

وأنشدها :

أخلفت عهدى بعدما	جاورت سـكان المقـابر
ونكحت غادرة أذى	صدق الذى سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد	ولاتدر عنك الدوائر
ولحقت بى قبل الصباح	صرت حيث غدوت صائر

فقال لها الرشيد: لا بأس عليك، إنما هو أضغاث أحلام، وجعل يغمزها وهى
 تضطرب فى يده حتى ماتت .

فهرس الجزء الأول

الصفحة

الموضوع

٢٣

مقدمة

٣٣

مقدمة فيما جاء فى العشق من الأحاديث والآثار وفى حده ومراتبه

٤٩

فصل: فى الترغيب فى العشق والحث عليه

٥١

فصل: فى رسومه وحدوده وما جاء عن الحكماء وغيرهم

٥٦

فصل: فى بيان مراتبه وما ورد فى كيفية ترقيه حتى يستولى على الحواس النفسية

٦٦

فصل: فيما ذكر له من العلامات

٧١

الباب الأول: فى من استشهد من المحبين شوقاً إلى حضرة رب العالمين

٩١

فصل: من الباب فى ذكر من فارقت روحه من الأحباب

الباب الثانى: أحوال عشاق الجوارى والكواعب وذكر ما صدر لهم من

العجائب، فيه ستة أقسام

القسم الأول:

١٠٥

فصل: فىمن اشتهرت سيرته وظهرت فى الحب سريرته

١١١

فصل: جميل بثينة

١٢٦

فصل: أخبار كثير عزة

١٣٨

فصل: قيس ولبنى

١٥٤

فصل: أخبار المجنون وصاحبه ليلى

١٩١

فصل: أخبار عروة بن حزام وصاحبه عفراء

٢٠٢

فصل: أخبار عبد الله بن عجلان وصاحبه هند

٢٠٧

فصل: أخبار ذى الرمة وصاحبه مى

٢١٢

فصل: أخبار مالك وصاحبه جنوب

٢١٥

فصل: أخبار عبد الله بن علقمة وصاحبه حبيشة

٢١٨

فصل: أخبار نصيب وصاحبه زينب

٢٢٢

فصل: أخبار المرقش وصاحبه أسماء

٢٢٦

فصل: أخبار عتبة بن الحباب وصاحبه ريا

٢٢٩

فصل: أخبار الصمة وصاحبه ريا

٢٣٢

فصل: أخبار كعب وصاحبه ميلاء

القسم الثاني:

- ٢٣٦ فصل: فى من جهل اسمه أو اسم محبوبته أو شىء من سيرته أو مآل حقيقته
- ٢٣٦ منهم: أسامة بن لوى بن غالب القرشى
- ٢٣٦ ومنهم: عمرو بن عوف وبيا
- ٢٣٧ ومنهم: بشير الشهير بالأشتر وحيداء
- ٢٣٩ ومنهم: مسعدة بن وائلة الصارمى
- ٢٤١ ومنهم: ذرعة بن خالد العذرى
- ٢٤٢ ومنهم: شخص
- ٢٤٣ ومنهم: رجل من بنى كندة
- ٢٤٤ ومنهم: غلام
- ٢٤٦ ومنهم: قيس بن منقذ بن مالك الكنانى المشهور بابن الحدادية
- ٢٤٧ ومنهم: توبة بن حمير بن أسيد الخفاجى
- ٢٥٦ ومنهم: عامر بن سعيد بن راشد
- ٢٦١ ومنهم: عمرو بن كعب بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك العرب المشهور
- ٢٦٤ ومنهم: ما حكاه الأصمعى
- ٢٦٧ ومنهم: ما أخرج عن الحافظ ابن دريد عن عبيد النعالى غلام أبى الهذيل
- ٢٦٩ ومنهم: ما حكاه الكاتب
- ٢٧٠ ومنهم: ما حكاه فى "منازل الأحباب"
- ٢٧٠ ومنهم: ما حكاه ابن الجوزى
- ٢٧١ ومنهم: الحارث المشهور بابن الفرند من خزاعة
- ٢٧١ ومنهم: عياش الكنانى
- ٢٧٢ ومنهم: ما رواه أعرابى أو هو جبلة بن الأسود
- ٢٧٣ ومنهم: كامل بن الرضين
- ٢٧٣ ومنهم: مرة النهدى
- ٢٧٤ ومنهم: رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف
- ٢٧٥ فصل: فى من أناخ به الحب حتى أذهب عقله
- ٢٧٥ منهم: ما أخرجه مغلطائى عن الأديب
- ٢٧٥ ومنهم: ما ذكره ابن المرزبان فى "الذحول والنحول" عن سعيد بن ميسرة

- ٢٧٧ ومنهم: ما حكاه الوراق عن الصوفى
- ٢٧٧ ومنهم: ما حكاه السامرى
- ٢٨٠ ومنهم: ما حكاه الأسدى عن أبيه
- ٢٨٠ ومنهم: ما حكاه ابن غنيم
- ٢٨٠ ومنهم: ما حكاه أبو الحسن المودب
- ٢٨١ ومنهم: الفويرك وهو من المشاهير فى عقلاء المجانين
- ٢٨٢ ومنهم: خالد بن يزيد
- فصل فى ذكر من جرع كأس الضنى، وصبر على مكابدة العناء، واتصف بذلك كله من النساء، وثبت بعد فراق محبوبه على النوى أو كان منها داعية الاعتداء
- ٢٨٥
- القسم الثالث:**
- فيمن خالسته عيون الإمام، فأسلمته إلى الفناء وكادت أن تقضى عليه لولا المداركة بالوفاء
- ٢٩١
- منهم: أبو عبد الله الحبشاني
- ٣٠٠
- ومنهم: شاب بصرى
- ٣٠١
- ومنهم: الشريف البياضى
- ٣٠٢
- ومنهم: ما أخرجه ابن الجوزى فى "تنوير الغيش" عن التنوخى والثورى يرفعانه إلى إسماعيل بن جامع
- ٣٠٣
- ومنهم ما أخرجه ابن إسحاق
- ٣٠٤
- ومنهم شخص كان يهوى مغنية عند عبد الله بن جعفر
- ٣٠٤
- القسم الرابع:**
- فصل: فى ذكر من حظى بالطلاقى بعد تجرع كأس الفراق وهو صنفان:
- ٣٠٥
- فمن الصنف الأول: عبد الله بن أبى بكر الصديق
- ٣٠٥
- ومنه: ما حكاه معبد المغنى
- ٣٠٧
- ومنه: رجل عذرى
- ٣٠٨
- ومنه: ما حكاه فى "منازل الأحباب" عن بعض الحمدونية
- ٣١٠
- ومنه: الشحمى
- ٣١٣
- ومنه: محمد بن صالح العلوى
- ٣١٤
- ومنه: جعد بن مهجع العذرى
- ٣١٥

٣١٧	ومنه: ما حكاه أسدى وهو من العجائب المستلطفة
٣١٩	ومن الصنف الثانى: ما حكى عن على <small>عليه السلام</small> :
٣١٩	وما حكى عن عبد الله بن جعفر
٣١٩	وما حكاه الرياشى
٣٢٠	وما حكى عن ابن دأب
٣٢١	وما حكاه رجل
٣٢٣	وما حكى فى الأغانى
٣٢٣	وما حكى عن رجل من ذوى النعم
٣٢٧	وما حكى عن جعفر بن يحيى
٣٢٨	وما حكى عن رجل أندلسى
٣٢٩	وما حكى عن إبراهيم بن المهدي
٣٣٠	وما حكى عن رجل مكى
٣٣٠	وما حكاه الحارث بن سليمان
٣٣٢	وما حكاه الربيع
٣٣٢	وما حكى عن إبراهيم بن ميمون
٣٣٥	وما حكاه التنوخى
	القسم الخامس:
	فى ذكر من وسعوا بالفساق من العشاق وهو أصناف:
٣٣٩	الصنف الأول: فى ذكر من جملة هواه على أذية من يهواه
٣٣٩	قصة مرثد
٣٤١	قصة سوسن المشهورة
٣٤٢	قصة عباد المخنث
٣٤٣	قصة حبوبة بن حباب الطائفى
٣٤٤	قصة وضاح اليمن
٣٤٥	قصة سحيم
٣٤٦	قصة المتجرده
٣٤٧	ما حكى عن سليمان بن عبد الملك
٣٤٩	قصة رجل صالح فى بنى إسرائيل

- ٣٥٠ قصة الزرقاء جارية ابن رميم
- ٣٥٠ قصة عبود في بني إسرائيل
- ٣٥١ ما حكى عن لقمان بن عاد
- ٣٥١ ما حكى أن رجل عشق ابنة عمه
- ٣٥٢ الصنف الثاني: في ذكر من اشتدت به الغيرة واتهم محبوبه فأثر قتله على نيل مطلوبه
- ٣٥٥ الصنف الثالث: في ذكر من عانده الزمان في مطلوبه حتى شورك في محبوبه
- ٣٥٧ الصنف الرابع: في ذكر من عوقب بالفسق ولم يشتهر بالعشق
- ٣٥٨ منهم: أعرابي من أسد
- ٣٦٠ ومنهم: عبد الله بن سبرة
- ٣٦٠ ومنهم: جویری بن أسماء
- القسم السادس:**
- ٣٦٢ في ذكر من حل عقد المحبة وخالف سنن الأحبة
- ٣٦٢ الصنف الأول: في ذكر من تاب عن الخلاف ورجع إلى حسن الائتلاف
- ٣٦٤ منهم: ما حكى في النزهة
- ٣٦٦ الصنف الثاني: في ذكر من تمادى على نقض العهد ومات على إخلاف الوعد
- ٣٧٠ الصنف الثالث: من أشبه العشاق في محبته وشاكلهم في مودته
- ٣٧٠ منهم: صخر بن عمرو
- ٣٧٣ ومنهم: هدبة بن الخشرم
- ٣٧٦ ومنهم: حمزة بن عبد الله
- ٣٧٦ ومنهم: الحسن بن الحسن
- ٣٧٧ ومنهم: غسان بن جهضم
- ٣٧٨ ومنهم: ما حكى عن موسى الهادي

بَيِّنَاتُ الشُّوْاقِ

بِتَفْصِيلِ أَشْوَاقِ الْعُشَّاقِ

تأليف

العلامة الأديب داود بن عمر الأنطاكي

المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

القدس

للدراسات والبحوث

أيمن عبد الجابر البحيري

دار البيان العربي

القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



في ذكر عشاق الغلمان
وأحوال من عدل إلى الذكور
عن النسوان وتفصيل ما جرى عليهم
من تصارييف الزمان

فى ذكر عشاق الغلمان وأحوال من عدل إلى الذكور عن النسوان وتفصيل ما جرى عليهم من تصارييف الزمان

اعلم أن أصل هذا وقد نشأ فى قوم لوط زينه لهم الشيطان فأخرجهم به إلى
العدوان.

وحكى بعضهم أن أصل ذلك من يأجوج ومأجوج ونقله بعض المفسرين فى
قوله عز وجل ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤] فيجب
على كل ذى نفس شريفه وهمة منيفة الزجر والردع عن هذه الفعلة الخبيثة التى
ضجت الملائكة إلى الله منها ، وحسم المادة الموصلة إلى ذلك كالنظر، فلذلك
حرمه النووى^(١) رحمه الله تعالى مطلقاً وقد ورد أنه قدم على رسول الله ﷺ
وقد وفيهم أمرد فأجلسه وراء ظهره ونهى أن يحد الرجل النظر إلى وجه الأمرد.
وعن ابن المسيب^(٢) إذا رأيت الرجل يلح بالنظر إلى وجه الأمرد فاتهموه.
وأخرج الخطيب عن أنس موقوفاً اتجالسو أولاد الملوك فإن الأنفس تشتاق
إليهم مالا تشتاق إلى الجوارى العواتق. وحرص النخعى والثورى على عدم مجالستهم .
وعن الخدرى^(٣) قال: رأيت إبليس فى النوم، فقلت له: تعال.

(١) النووى ، هو: يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى، الشافعى، أبو زكريا، علامة الفقه
والحديث مولده ووفاته فى نوا من قرى حوران. تعلم فى دمشق. من تصانيفه: المنهاج فى
شرح صحيح مسلم، التقريب والتيسير، رياض الصالحين، توفى سنة (٦٧٦هـ). انظر:
الطبقات الكبرى (١٦٥/٥)، النجوم الزاهرة (٢٧٨/٧)، الأعلام (١٤٩/٨).

(٢) ابن المسيب ، هو: ابن حزن بن أبى وهب المخزومى القرشى، أبو محمد. سيد التابعين، أحد
الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. توفى بالمدينة سنة (٩٤هـ)
انظر: أعيان الوفيات (٢٠٦/١)، حلية الأولياء (١٦١/٢)، الأعلام (١٠٢/٣).

(٣) الخدرى ، هو: سعد بن مالك بن سنان ، الأنصارى ، الخزرجى ، أبو سعيد . صحابى
جليل، من ملازمى الرسول ﷺ روى عنه كثيراً ، غزا مع الرسول . وروى عن أبى بكر،
وعمر، وعثمان ، وعلى ، وزيد بن ثابت وروى عنه من الصحابة: ابن عباس و ابن عمر
وجابر من أفضله وأفضل الصحابة. توفى سنة (٧٤هـ) انظر: الإصابة (٦٥/٣)،
الصفوة (٢٩٩/١)، حلية الأولياء (٣٦٩/١).

فقال: لا حاجة لي بمن رمى الدنيا ، وإن لي فيكم لطيفة.

فقلت: وما هي؟

قال: مجالسة الأحداث، فأخذت العصا لأضربه، قال: أنا لا تخوفني العصا

وإنما يخوفني نور القلب.

وعن الموصلي قال: نهاني ثلاثون من الأبدال^(١) عن صحبة الأحداث.

وعن بعضهم قال: نظرت إلى شاب جميل، فقلت: أيعذب الله هذه الصورة.

فقال لي أستاذي: أو رأيتك ؛ سوف ترى غبتها ، فأنسيت القرآن بعد عشرين

سنة. والآثار في هذه المعاني كثيرة ، والله در من قال: في المتصفين بهذا الشأن

من هذا الزمان:

فإن لم تكونوا قوم لوط حقيقة	فما قوم لوط منكم بعيد
وأنهم في الخسف ينتظرونك	على مورد من جهلكم وصيد
يقولون لا أهلا ولا مرحبا بكم	ألم يتقدم ربكم بوعيد
فقالوا بلى لكنكم قد سنتم	صراطاً لنا في الفسق غير حميد
أتينا به الذكران من عشقنا بهم	فأوردنا ذا العشق شرورود
فأنتم بتضعيف العذاب أحق من	يتبعكم في ذاك غير رشيد
فقالوا وأنتم رسلكم أنذرتكم	بما قد لقيناه بصدق ووعيد
فما لكم فضل علينا فكلنا	نذوق عذاب الهون غير مزيد
كما كلنا قد ذاق لذة وصلهم	ويجمعنا في النار غير بعيد

وقد انتظم شمل هذا الباب بما يتبعه من الأحكام منقسماً في ثلاثة أقسام :

(١) الأبدال : الأولياء والعباد، وسماوا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر . انظر:

لسان العرب ، مادة [بدل] .

القسم الأول

فيمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى أسلمه رسمه^(١)
وهو نوعان

النوع الأول: فيمن عرف اسمه، واشتهر في العشاق رسمه.

أخبار محمد بن داود^(٢) وصاحبه محمد الصيدلاني:

هو: أبو بكر محمد بن داود بن علي المعروف بالفقيه الأصفهاني، كان ليبيًا حاذقًا وفقيرًا شاعرًا، وله في فقه الظاهرية والأحاديث والتواريخ اليد الطولى. قال الخطيب: إنه كان ملازمًا للهوى ومتعلقاته منذ دخل المكتب، وإنه شرع في كتاب جمع فيه ظرائف العشاق ولطائفهم وسماه كتاب [الزهرة] وسائر به عمره. وصاحبه هذا هو: محمد بن جامع الصيدلاني كان يبيع العطر ببغداد، وكان من أجمل أهل زمانه فعلقه محمد بن داود فكان له ألوفًا وعليه عطوفًا وبه رؤوفًا، واشتهر أمرهما فلم ينكراه، واتضح فلم يخفياه.

وقيل: إنه لم يعمل الكتاب المذكور إلا بسبب عشق هذا، وإن إليه الإشارة في أول الكتاب المذكور بقوله: وتنكر من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه، ومن جفاء الإخوان وأنت المقدم فيه، ومن عجيب ما يأتي الزمان ظالم يتظلم، وغابن يتندم ومطاع يستظهر وغالب يستنصر.

ومن أدلة عطفه عليه: أنه خرج من الحمام يومًا فنظر في المرأة فأعجبه وجهه فبرقعته، وأتى ابن داود فلما رآه غشى عليه، فقال له: لا بأس عليك إنني لم أبرقع وجهي لسوء أصابه، ولكن رأيتك غب حمام فأعجبني فأحببت أن لا أمتع به أحدًا قبلك فغداه وسر بذلك.

قالوا: ولم يعلم فيما سلف معشوق ينفق على عاشق سوى ابن جامع، ومن لطف ابن داود ورقته أنه كان يدخل الجامع من باب الوراقين فهجره أيامًا فسئل في ذلك.

(١) الرسم: القبر. لسان العرب، مادة [رسم].

(٢) محمد بن داود، هو: ابن علي بن خلف، الظاهري، أبو بكر، أديب، مناظر، شاعر، من أذكى العالم. أصله من أصبهان، ولد وعاش ببغداد، وتوفي بها مقتولاً سنة (٢٩٧هـ) من آثاره: الوصول إلى معرفة الأصول، الزهري. انظر: تاريخ ابن خلكان (٤٧٨/١)، تاريخ بغداد (٢٥٦/٥)، الأعلام (١٢٠/٦).

فقال: دخلت يوماً فرأيت متحابين يتحادثان فترقا مذ رأيتني، فأليت أن لا أدخل مكاناً فرقت فيه بين محبين .

وكان يجتمع مع ابن شريح الشافعي في مجلس الوزير ابن عيسى فسبقه ابن داود يوماً فسأله حديث الشافعية عن العود الموجب للكفارة في الظهر، فقال: هو إعادة القول ثانياً، فطالبه بالدليل ودخل ابن سريج ، فحين وقف على القصة قال لأبي بكر: قول من هذا من المسلمين غيركم؟

فقال له وقد استشاط غضبه: غاية أمرنا أن نعد قول من خالفنا خلافاً، فغضب ابن شريح وقال له: أنت أعزك الله بكتاب (الزهرة) أمس من غيره فقال: أبكتاب (الزهرة) تعيرني؟ والله لا تصلح للنظر فيه . ألم أقل فيه :

أنزه في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال المحرماً
واهل من ثقل الهوى ما لو أنه على جامد الصلد الأصم تهديماً
ويظهر سرى عن مترجم خاطري فلولا اختلاس الطرف عنه تكلمنا
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم وما أن أرى جأً صحيحاً مسلماً

فقال له ابن شريح: بم تفتخر على ولو شئت لقلت :
ومسامر بالشهد من نغماته قد بت أمنعه لذيذ سناته
صبابه وبجسسه وحديثه وأنزه اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده ولي بخاتم ربه وبراته

فقال ابن داود: ليحفظ مولانا الوزير قوله حتى يقيم بينة بالبراءة، فقال: يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك: أنزه في روض المحاسن... فقال الوزير: لقد حويتما ظرفاً وعلماً.

وقيل: كانت المناظرة في مسألة في الإيلاء وأن ابن شريح قال: أنت بقولك: ((من كثرت لحظاته دامت حسراته)) ، أحذق .

ومن لطف ابن داود أنه سئل يوماً:

يا ابن داود يافقيه العراق افتنا في فواتك الأحداق
هل عليها القصاص في القتل يوماً أم مباح لها دم العشاق

فأجاب :

عندي جواب مسائل العشاق
لما سألت عن الهوى أهل الهوى
أخطأت في نفس السؤال وأن تصب
لو أن معشوقاً يعذب عاشقاً
فاسمعه من قلق الحشى مشتاق
أجريت دمعاً لم يكن بالراقي
بك في الهوى شفقاً من الاشفاق
كان المعذب أنعم العشاق

وقيل له وهو في مرض موته: ماذا تشكو ؟

فقال: حب من تعلم صيرني إلى ما ترى.

فقال: ما منعك وقد كنت قادراً على ذلك.

فقال: التمتع إما نظر مباح وقد أخذت منه بحظ ، وإما تلذذ بالمحرم فمنعني
منه قوله عليه الصلاة والسلام: ((من عشق...)) الحديث السابق في المقدمة.
وأنشد :

ماهم أنكروا سوادا بخديه
ولا ينكرون ورد الغصون
إن يكن عيب خده بذر الشعر
فيعيب العيون شعر الجفون

فقال: له أنكرت القياس في الفقه وأثبتته في الشعر.

فقال: غلب الحب. وتوفي نهار الاثنين تاسع رمضان، أو لأيام بقين منه،
أوسابع شوال سنة سبع وتسعين ومائتين.

ومن لطيف أشعاره في محبوبه :

يا يوسف الحسن تمثيلاً وتشبيهاً
من شك في الحور فلينظر إليك فما
ما للبدور للتحريف يا أملى
أن الزنانير لا تجلى وإن عتقت
ياطلعة ليس إلا البدر يحكيها
صيغت معانيك إلا من معانيها
نور البدور عن التحريف يغنيها^(١)
ولاتزاد على النقش الذي فيها^(٢)
ومنها:

أشكو عليل فؤاد أنت متلفه
سقمى تزيد مع الأيام كثره
الله حرم قتلى في الهوى سفها
شكوى عليل إلى إلف يعلله
وأنت في عظم ما ألقى تقلله
وأنت يا قاتلي ظلماً تحلله

(١) التحريف، من حرف إذا ذهب عنه ما كان له. انظر: لسان العرب، مادة [حرف].

(٢) الزنانير، جمع زنار: ما يشد على الوسط. انظر: لسان العرب، مادة [زنر].

ومنها:

حملت جبال الحب فيك وأنسى
وما الحب من حسن ولا من سماحة

ومنها :

سقى الله أياما لنا وليالينا
إذا العيش عض والزمان بغزه

ومنها:

انظر إلى السحر يجري في لواحظه
وانظر إلى شعرات فوق عارضه

وانظر إلى دعج في طرفه الساجي^(٢)
كأنهن نيل دب في عاج

(١) بغزه : ضربه بالعصا . عاثب ، من عثه : إذا ثبطه وصرفه عن الأمر . انظر: لسان العرب، مادة [بغز]، [عاث].

(٢) الدعج: سواد العين مع سعتها . الساجي: الساكن اللين . انظر: لسان العرب ، مادة [دعج]، [سجا]

فصل

أخبار القاضي شمس الدين بن خلكان^(١)

وصاحبه المظفرى

هو: قاضى القضاة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن خلكان ، وصاحبه أحمد بن مسعود بن الملك المظفر وصاحب حماة، وله معه حكايات غريبة ، وهو ما اشتهر به، أن أباه دعاه ليلا فجلسا يتحدثان ، وخرج الغلام وعليه ثوب أسود وقد شد وسطه بمنديل مطرز بالذهب، وفى يده شمعه ومعه دينار فجلس ليتناول من أبيه سكرجة^(٢) كانت معه فسقط الدينار فأقام الشمعة لينظره، فانطفأت الشمعة فنظر إلى وجهه فرأى الدينار تجاهه فى الأرض فالتفت نار عشقه فى قلبه، وخرج فكنتم ذلك أياماً فمرض واشتد به الحال ، فبينما هو كذلك إذ أرسل المظفر ولده يعود ، فحين رآه وثب قائماً كأن لم يكن به مرض ، وكان الغلام حاذقاً فعرف ذلك منه فأخبر أباه بذلك فحجبه ، فقال من رأى القاضى بعد ذلك : إنه كان يبيت الليالى إلى الصباح لا يعرف النوم وهو يقول :

أنا والله هـالك آيس من سلامتى
أو أرى القامة التى قد أقامت قىامتى

وقيل: مات وهو ينشدهما.

وحكى أنه كان بعد حجبه لا يركب إلا يوم الموكب، وإن القاضى كان يقصده مستخفياً فينظر إليه فبلغ أباه فمنعه الموكب فكتب إليه ابن خلكان :

ياسادتى إنى قنعت وحقكم فى حككم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعظفا ورأيتم هجرى وفرط تجبى

(١) شمس الدين بن خلكان ، هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر ، البرمكى ، الإربلى، الشافعى، أبو العباس ، فقيه ، مؤرخ ، أديب ، شاعر . تولى قضاء دمشق ، وتوفى بها سنة (٦٨١هـ). من تصانيفه : وفيات الأعيان . انظر: البداية والنهاية (٣٠١/١٣)، طبقات الشافعية (١٤/٥)، معجم المؤلفين (٢٣٧/١) .

(٢) السكرجة: الصفحة التى يوضع فيها الطعام. انظر: لسان العرب، مادة [سكر].

لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي
لرحمتي ورثيت لي من حالة
قسما بوجهك وهو بدر طالع
وبقامة لك كالقضيب ركبت من
لو لم أكن في رتبة أرعى لها العهد
لهتكت سرى في هواك ولذلي
لكن خشيت بأن يقول عواذلي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت
لاتفضحن بعبك الصب الذي

يوم الخميس جمالكم في الموكب
ألقاه من كمد إذا لم تركب
لولاك لم يك حملها من مذهبي
وبليل طرتك التي كالغيب^(١)
أخطارها في الحب اصعب مركب
القديم صيانة للمنصب
خلع العذار و لو ألخ مؤنبي
قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
كشف القناع بحق دياك النبي
جرعته في الحب أكدر مشرب

(١) الطرة: الجبهة. الغيب: الظلمة. انظر: لسان العرب، مادة [طر] ، [غهب]

فصل

أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم

هو: أحمد بن قزمان الشهير بابن كليب الكاتب كان أندلسياً شاعراً نحويّاً متفقها قرأ على محمد بن خطاب النحوى واجتمع بالمزنى وبأبى عبد الله محمد بن الحسن وغيرهما.

وأسلم هذا هو: ابن سعيد بن خلف، كان جده وزير السلطان المظفر المعروف بالناصر. ولى أسلم القضاء بالأندلس بعدما كان حاجباً، وله يد فى الأدب وديوان شعر معروف ترجمه فى [الإحاطة بتاريخ غرناطة]، معروف بالرياسة والفضل والعرافة، فعشقه من مجلس ابن خطاب واشتد به كلفه فنظم فيه الأشعار الكثيرة وهو يكتم ذلك.

فلما غلب عليه حبه فشا أمره واشتهر فيه على ألسنة شعره، وقيل: إن أول ما اشتهر من ذلك وسمع زامر السلطان يغنى به قوله:

أيسلمنى فى هوا ء أسلم هذا الرشاشاً^(١)
غزال له مقلنة يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسد سيسئل عما وشا
ولو شاء أن يرتشى على الوصل روحى ارتشى^(٢)

فحين بلغ أسلم هذا الأمر انقطع فى داره عن جميع الأشياء فصار يجلس على بابه أحياناً، فجعل أحمد لا يمر إلا على بابه فانقطع وصار يجلس ليلاً عند العشاء فمضى أحمد وأخذ دجاجاً وبيضاً وتزياً بزى بعض فلاحى أسلم وأقبل فقبل يده وتسلم الهدية وجعل يسأله على الضياع فاستلغاه^(٣) فحين عرفه، قال: أمايكفيك قطعى عن الطلب والخروج حتى تبعتنى إلى هنا؟ ثم حلف لا يخرج من بيته. ومضى أحمد حزيناً فكان يماجن، فيقال له: ذهب دجاجك وبيضك.

(١) الرشا: الظبى. انظر: لسان العرب، مادة [رشاش].

(٢) ارتشى: أخذ الرشوة. انظر: لسان العرب، مادة [رشاش].

(٣) استلغى فلان: استنطقه واستمع لفته. انظر: لسان العرب، مادة [لغو].

فيقول: أود لو قبلت يده قبلة وأذهبت كل ليلة مثل هذا. ولما طال عليه الأمر انقطع.
 قال ابن خطاب: فعدته فوجدته مشرفاً على التلف، فقال: لو سعت في أن
 تجمع بيني وبينه لأثابك الله على ذلك ثواباً عظيماً.
 فمضيت إليه ، فقلت له تعلم حرمتي عليك وحرمة ما ضمك مع ابن كليب
 من الطلب.

فقال: نعم، ولكن قد رأيت ما فشا من أمرنا.
 قلت: ما عليك أن تزوره فتنقذه من التلف، فامتنع، فلم أزل به حتى أجاب
 أن يمضي من الغد ، فلما جاء الميعاد ذهبنا حتى صرنا بإزاء بيته ، فتغير وقال :
 في هذه الساعة أموت، ورجع بعدما جاذبته الرداء وقطع منه في يدي قطعة،
 ودخلت على أحمد وقد بشره غلامه بقدمه، فلما لم يجده معي تغير واختلط
 عقله فقامت عنه فأبت نفسه إليه.

فقال لي: اسمع وأنشد .

أسلم ياراحمة العليل رفقاً على الهائم النحيل
 وصلك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

فقلت له: استعد من ذلك .

فقال: قد كان فلم أخرج عنه إلا وقد قام الصراخ عليه، ومن شعره فيه .
 وقد أهدى له فصيح ثعلب^(١) :

هذا كتاب الفصيح بكل لفظ مليح
 وهبته لك طوعاً كما وهبتك روحى

ومنه وقد كتب إلى ابن خطاب شعراً في أسلم يعرضه عليه، فقال: إنه
 ملحون^(٢)، فراجع ابن خطاب ، فكتب :

أحرق لي التنوين في مطعم فإني أنسيت إلحاقه
 لاسيما إذا كان في وصل من كدرني في الحسب أخلاقه

(١) [فصيح ثعلب] : هو كتاب له .

(٢) ملحون: اللحن: ترك الصواب في القراءة والتشديد ونحو ذلك . لسان العرب ، مادة [لحن] .

فصل

أخبار مدرك^(١) وصاحبه عمرو

هو: مدرك بن علي الشيباني نسبة إلى بني شيبان عرب ببادية البصرة، دخل بغداد صغيراً ونشأ بها، فتفقه وأحسن العربية والأدب والخط .

وعمره هذا، هو: ابن يوحنا النصراني البغدادي، كان بدير الروم من الجانب الشرقي، وكان لمدرک مجلس علم لا يحضر فيه إلا الأحداث وكان إذا دخله شيخ يخرج به، وكان عمرو يحضره، فعشقه وزاد فيه وجده فألقى إليه يوماً رقعة فيها :

بمجالس العلم التي بك تم حسن جموعها
ألا رثيت لقلبة غرقت بماء دموعها
بيني وبينك حرمة الله في تضييعها

فاطلع الحاضرون عليها فاستحيا عمرو من ذلك وانقطع المجلس فكان مدرك يلزم دار الروم ويتبع عمراً، وزاد به الوسواس حتى اختلط عقله ولزم الفراش، ودخل الناس عليه يعودونه، فقال: أما بينكم وبينى حرمة وعشرة؟ أما فيكم من يرحمني بالنظر إلى عمرو؟

فمضوا إليه، فلما أعلموه بحاله وما صار إليه من أجله مضى معهم، فحين سلم عليه أغمى عليه، ثم أفاق وأخذ بيده وأنشد :

أنا في عافية إلا من الشوق إليك
أيها العائد ما بي منك لا يخفى عليك
لا تعد جسماً وعد قلباً رهينا في يديك
كيف لا يهلك مرشوق بسهمى مقلتيك

ثم شهق شهقة فمات، ومن أشعاره المشهورة قصيدته المعروفة بالمزدوجة، وللطفا بتخميس الحلبي لها أوردناه معها غير أن المصنف أبدل أبياتاً يسيرة من

(١) مدرك، هو: ابن محمد بن علي، الشيباني، أبو القاسم، شاعر، له أقوال في الغزل والمديح والرثاء. انظر: تاريخ بغداد (٢٧٣/١٣)

التخميس وزاد آخر زعم أن الحلوى لم يقف عليها، وهذه القصيدة بالشرط
المذكور غير أنى أقول فى أبيات المصنف: له ، وهى هذه :

من عاشق ناء هواه دان ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان معذب بالصد والهجران

طليق دمع قلبه فى أسر

من غير ذنب كسبت يده غير هوى نمت به عيناه
شوقاً إلى رؤية من أشقاه كأنما عافاه من أضناه

إذا كان أصل نفعه والضر

ياويح من عاشق ما يلقى من أدمع منهلة ما ترقا^(١)
ناطقاً وما أجادت نطقاً تخبر عن حب له استرقا

أخبار من يعلم أخفى السر

لم يبق منه غير طرف يركى بأدمع مثل نظام السلك
تطفيه نيران الهوى وتذكى كأنما قطر السماء يحكى

هيات هل قيس دم بقطره

إلى غزال من بنى النصارى عذار خديه سبى العذارى^(٢)
وغادر الأسد به حيارى فى ربة الحب به اسارى

تنشد قول مدرك فى عمرو

ريم بدار الروم رام قتلى بمقلة كحلاء لا عن كحل
وطرة بها استتار عقلنى وحسن وجهه وقبيح فعل

وعظم ردف ونحيل خصر

ريم به أى هزبر لم يصد يقتل باللحظ ولم يخشى القود
متى يقلها قالت الأحاظ قد كأنه ناسوته حين اتحد

أفديه من ريم ومن هزبر

(١) ترقا: من رق: حنّ عليه. انظر: القاموس المحيط، مادة [رق].
(٢) العذار: جانب الحية، أى الشعر الذى يحاذى الأذن. انظر: القاموس المحيط، مادة [عذر].

ما أبصر الناس جميعاً بدراً ولا رأوا شمساً وغصناً نضراً
أحسن من عمرو فديت عمراً ظبى بعينه سقاني خمراً
فما أفقت ساعه من سكرى

ها أنا ذا بقدة مقدود والدمع في خدى له أخذود^(١)
ما ضر من فقره موجود لو لم يقبح فعله الصدود
فديته لقد أطال هجرى

إن كان ذنبى عنده الإسلام فقد سعت فى نقصه الآثام
واختلت الصلاة والصيام وجاز فى الدين له الحرام
ياخيبتى إن لم أفر بغفر

ياليتنى كنت له صليماً أكون معه أبداً قريباً
أبصر حسنا وأشم طيباً لا واشياً أخشى ولا رقيباً
ولا أخاف أبداً من غدر

ياليتنى كنت له قرباناً أثم منه الثغر والبناناً
أو جاثليقا كنت أو مطراناً كيما يرى الطاعة لى إيماناً
فلا يزال الدهر طوع أمرى

ياليتنى كنت لعمرو مصفحاً يقرأ منى كل يوم أحرفاً
أو قلما يكتب بى ما ألفاً من أدب مستحسن قد صنفاً
ويجعل الريق بديل الخبر

ياليتنى كنت لعمرو عوده أو حلة يلبسها مقدودة
أوبركة باسمه محدودة أو بيعة فى داره مشهودة
يدلج فى أرجائها ويسرى

ياليتنى كنت له زناًراً يديرنى فى الخصر كيف داراً

(١) المقدود: الهزيل الضعيف. انظر القاموس المحيط، مادة [قد].

حتى إذا الليل طوى النهار صرت له حينئذ إزارا
أضمه إلى طلوع الفجر

قد والذي يقيه له أفناني وابتز عقلي والضنى كسانى^(١)
ظبي على البعاد والتداني حل محل الروح من جثمانى
فليس لى عن قربه من صبر

واكبدي من خده المخرج واكبدي من ثغره المفلج
لاشئ مثل الطرف منه الأدعج اذهب للنسك وللتحرج
إلا جمال ثغره بالدر

إليك أشكو ياغزال الأنس مابى من الوحشة بعد الأنس
يا من هلالى وجهه وشمسه لا تقتل النفس بغير النفس
وجد بوصول لسقام يبرى

جد لى كما جدت بحسن الود وارع كما أرعى قديم العهد
واصدد كصدى عن طويل العهد فليس وجد بك مثل وجدى
وليس ذكر لك مثل ذكرى

ها أنا فى بحر الهوى غريق سكران من حبك لا أفيق
محترق ما مسنى حريق يرثى لى العدو والصديق
من حر صدرى وعظيم ضرى

فليت شعرى فيك هل ترثى لى من سقم لى وضنى طويل
أم هل إلى وصلك من سبيل لعاشق ذى جسد نحيل
انحله حبك طول الدهر

فى كل عضو منه سقم و ألم ومقلبة تكى بدمع وبدم
شوقا إلى بدور شمس وصنم منه اليه المشتكى إذا ظلم
أفديه من شمس ضحى وبدر

(١) ابتز: سلب الشئ قهراً. انظر: لسان العرب، مادة [بز].

أقول إذ قام بقلبي وقعد ياعمرو ياعامر قلبي بالكمد
أقسم بالله يمين المجتهد ان امر أو أصلاته لقد سعد
وكان من أشفيتها في حر

ياعمرو ناشدتك بالمسيح الا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح باح بما يلقي من التبريح
كسير قلب ماله من جبر

ياعمرو بالحق من اللاهوت والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت عوض بالنطق من السكوت
وأنشر الميت بطن القبر

بحق ناسوت بطن مريم حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قنوم الأقدم فكلم الناس ولما يفظم
مصرحاً عن أمه بالعدر

بحق من بعد الممات قمصا ثوباً على مقداره ما قصصا
وكان لله تقياً مخلصا يشفى ويبرى أكمها وأبرصا
بما لديه من خفي السر

بحق محيي صورة الطيور وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الأمور يعلم مافي البر والبحور
وما به صرف القضاء يجري

بحق من في شامخ الصوامع من ساجد لربه وراكع
يبكى إذا مانام كل هاجع خوفاً من الله بدمع هامع
ويهجر اللذات طول العمر

بحق قوم حلقوا الرؤوسا وعالجوا طول الحياة بؤساً
وقرعوا في البيعة الناقوسا مشمعلين يعبدون عيسى
قد أخلصوا في سرهم والجهر

بحق ماري مريم وبولس بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيال بحق يونس بحق حزقيل وبيت المقدس
وكل أبواب رحيب الصدر

ونينوى إذ قام يدعو ربه مطهراً من كل سوء قلبه
ومستقيلاً فأقيل ذنبه ونال عند الله ما أحبه^(١)

إذ رام من مولاہ شد الازر

بحق ما فى قلة الميرون من نافع الأدواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شعرون من بركات الخوص والزيتون

خصب البلاد فى السنين الغبر

بحق أعياد الصليب الزهر وعيد أشمونى وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر وعيد مرمارى الرفيع الذكر

مواسم تمنع حمل الاصر

وعيد شعياء وباهيياكل والدخن اللاتى بكف الحامل
يشفى بها من جبل كل خابل ومن دخيل السقم فى المفاصل

لكونها من كل داء تبرى

بحق سبعين من العباد قاموا بدين الله فى البلاد
وأرشدوا الناس إلى الرشاد حتى اهتدى من لم يكن بهادى

وحقق الحق بكشف السر

بحق إثنى عشرة من الأمم ساروا إلى الأقطار يتلون الحكم
حتى إذا صبح الدجى جلا الظلم ساروا إلى الله ففازوا بالنعم

ثم استداموها بفطر الشكر

بحق ما فى محكم الانجيل من محكم التحريم والتحليل
وخير ذى نبأ جليل يروية جيل قد مضى عن جيل

يسند زيد علمه عن عمرو

بحق مر عيد الشفيق الناصح بحق لوقا ذى الفعال الصالح
بحق تملیخا الحكيم الراجح والشهداء بالفلا الصحاح

الراغبين فى عظيم الأجر

(١) مستقيلاً: من أقاله ، إذا صفح عنه. انظر: القاموس المحيط، مادة [قيل].

بحق معمودية الأرواح والمذبح المشهور فى النواحي
ومن به من لابسى الأسماع وعابد باك ومن نواح
ينثر عقداً من دموع حمر

بحق تقريتك فى الأجساد وشربك القهوة كالفرصاد^(١)
بما بعينيك من السواد وطول تقطيعك للأكباد
وسلبك العشاق حسن الصب

بحق ما قدس شعياً فيه بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه عن كل ناموس له فقيه
متبع فى نهيه والأمر له

شيخان كانا من شيوخ العلم وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم موتهما كان حياة الخصم
وعنهم أخبر كل حبر

بحرمة الأسقف والمطران والجثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى والبرك الأكبر والرهبان
والمغربانى ذى الخصال الزهر

بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل ومار قولاً حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمة الأولى وبالسليح المرتضى بما فعل
وما أتاه من فعال البر

بحرمة الأسقفى والبيرم وما حوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الأعظم وحق كل بركة ومحرم
من شرف سام عظيم الفخر

بحق يوم الذبح ذى الاشراق وليلة الميلاد والتلقى
والمذهب المذهب للنفاق والفصح يا مهذب الأخلاق

(١) الفرصاد: عجم العنب. انظر القاموس المحيط، مادة [فرصد].

وكل ميقات جليل القدر

بكل قداس على قداس قدسه القس مع الشماس

وقربوا يوم الخميس الناسى وقدموا الكاس لكل حاسى

توقد فى راحته كالجمر

ألا رغبت فى رضا أديب باعده الحب عن الحبيب

فذاب من شوق إلى المذيب أعلى مناه أيسر التقريب

من بسط أخلاق وحسن بشر

فانظر أميرى فى صلاح أمرى محتسباً فى عظيم الأجر

مكتسباً فى جميل الشك فى نثر الفاظ ونظم شعر

ففيك نظمى أبداً ونثرى

قلت: قد أودعت هذه القصيدة غالب مصطلحات دين النصرانية، لكن باعتبار مطلق الملة النصرانية لم يسلك فيها مصطلح الفرقة التى عمرو منها، وظاهر أنه كان رومياً، ولكن مدرك لم يكن خبيراً بتفاصيل فرقهم وأقل منه معرفة بذلك من خمس حيث تسلقوا على مناسبة الشعر دون زيادة الأحكام، ولولا وجود هذا الباب فى الأصل والتزامى ذكر ما فيه لحذفته أصلاً لعدم الرغبة اليه لكن سأذكر لك البعض المناسب فى فصل المناسبة.

قوله: (عن حب له استرقا) بتشديد القاف: أى جعل الناس رقاً والفاعل الحب.

قوله: (فى ربة) بكسر الراء والموحدة التحتية، فى الأصل حبل يجعل فيه حلق

صغار يدخل فيه رقاب صغار الضأن، فاستعاره تخيلاً كأن ربة العشق جعلت

المحبين فى سنن الاستقامة كالمنتظمين فى هذه الربة .

وقوله: (ريم) يعنى غزال ، (والروم): الفرقة الأصلية من النصارى التى تلت

عن المسيح عليه السلام ورئيسهم شمعون عليه السلام.

وفى البيت من البديع التجنيسُ فى ريم ورام والروم ويسمى الاشتقاق ، (واهزبر):

الأسد، يقول: إن أشجع الوحوش الأسد، فلو كان العاشق أسداً لصاده هذا

الغزال مع أنه خلاف القياس.

والناسوت واللاهوت: ألفاظ وقعت فى الإنجيل فتأولها لوقا وهو البطريرك الأكبر الناقل عن بولس عن يوحنا عن شمعون عن المسيح عليه السلام وهو أول من قسم الفرق وتأول الرسائل والإنجيل وذكر الأب و الابن والروح القدس وقسم المثلثات .

فقال: إن عيسى تدرع الناسوت يعنى الحصة البشرية وأخذ اللاهوت يعنى الحصة الإلهية فى ناسوته كالمصباح فى الزجاجة وهذا جيد لولا أنه قال فيستحيل تارة إلى اللاهوت لأن حصة العذراء يعنى مريم تفى وفى هذا كلام طويل ذكرناه فى الفرق .

والصليب: شئ ذو خطوط أربعة تخرج على استقامة يجمع أصلها المحور، وأصل تبرك النصارى به أنهم لعنهم الله اعتقدوا أن الذى أخذته اليهود بصقلية وصلبته هو المسيح وكان صلبه على شئ هذه صفته وأنهم سقوه الخمر فى حنك الخنزير، فلما قام بعد ثلاث حلل الخمر ولحم الخنزير وحرض على حمل الصليب وقد كذبوا فى ذلك كله خصوصاً، ومدلول هذا أن الخمر حرام فى الإنجيل وقد ذكر نسطوريون فى كتاب سماه (تقسيم الصفائح) ، وهو مرجع المتفقهة فى الملة النصرانية وقد طالعت، أن الخمر حلال فى الأصل .

والقربان: رغيى مستدير عليه صلبان كثيرة يخبز فى كل بيت كل يوم أحد من الصوم الكبير ويحمل إلى الكنيسة فإذا فرغت الصلاة أخذ القسيس بعضه وفرق بعضه فتصرف به النصارى فيفطرون عليه كل يوم إلى الجمعة، وهكذا.

والجاثليق: الرئيس بالنسبة إلى السلطنة الظاهرة .

وأما المطران: فهو الفقيه الورع المستصحب للبس الصوف الأسود، وأصل هذا الترتيب عندهم أن القارئ للإنجيل من أول وهلة شماس ، فأن تأوله و أتقن حفظه صار قسيساً ويدوم كذلك مادام عنده زوجة، وأن بلغ فى العلم ما بلغ فإن ماتت زوجته وتزوج خرج عن مراتب العلم ويسمى صالح القسوسية و إلا صار مطراناً فإن تنزه عن الذفر وما يخرج من الأرواح صار بطريراً فى مذهب الأرمن .

وأما الروم واليعاقبة والنسطورية فيرون أنه لا يجوز أن يكون بطركاً الا من تنزه
عن النساء وأكل الأرواح وما يخرج منها من أول عمره إلا العسل والسّمك ،
لأنه خليفة المسيح وطاعة هؤلاء فرض على النصارى .

وأما الأسقف والميرون والراهب: فأسماء للمتعبدين خاصة، فالماكت فى
القلة: ميرون، وكثير السياحة: أسقف وتارك النساء فقط: راهب، وشرط الروم
ملازمته لبس المسوح وخدمة الدير وأن لا يصلى خارج الكنيسة ولو خمس قوله
"كيما يرى الطاعة لى إيماناً" بقوله "يكشف الرأس إذا ويجرى" لكان أليق لما فيه
من ذكر الحكم الدينى الواجب فعله مع المذكورين .

والمصحف: المراد به المعنى اللغوى .

والبيعة: معبد صغير غير مرتفع.

والدير: المعبد الكبير الكثير المرافق والمخاريب.

والكنيسة: ما اشتملت على عواميد الأناجيل ولم يرتفع بناؤها طبقات.

والصومعة: مكان رفيع رقيق الأسفل.

والقلة: مثلها إلا أنها لاتسع أكثر من واحد.

والزنار: منطقة تشد فى الخصر وقت الصلاة مشتملة على صليب إذا شدت
كانت على السرة، ومن هنا إلى آخر ما شرح مؤخر.

والمغربانى: الخادم الملازم للبطرك ، وباقى البيت تقدم استطراداً.

والمحبوس فى رأس الجبل: هو الراهب نقولا وكان بأنطاكية فى بيعه البرتز
فأرسله لوقا نذيراً لأهل السد فحبسه شعياً اليهودى فى جبل الغمام وضربه على
أن يرجع عن النصرانية، فأبى ومات جوعاً عند الأرمن .

واليعاقبة تقول: إن المسيح أخذه واصطفاه وتوقفت فيه الروم، ومرقولا: أول
بطرك بعد لوقا وهو الذى قسم الكنائس بين الأرمن والروم.

والسليح بالمهملة: رجل أقامه مرقولا فى خدمة الكنيسة الرومية. ولو أحسن
المخمس لقال (ووضعه البخور فوق الجمر) لأنها وظيفته.

والأسقوفيا: هو الأسقف وقد تجوز فيها مدرك، كما زاد الألف فى مرقولا.

والبيرم: الفراش في الدير، وأشار بمغفرة رأس مريم: إلى بولس الذي نحر عن مريم يوم صورت في القمامة ألف رأس وفرض خمسة عشر يوماً صوماً مبدؤها خامس عشر أيلول وهو تاسع عشر توت، والصوم الكبير هو الصوم الذي تستفتح به السنة اليونانية وأوله من أول آذار يعنى برمهاث وقد يتقدم أو يتأخر بخمسة عشر يوماً، وأصله في الإنجيل ثلاثون يوماً ثم زاده لوقا عشرة أيام لأجل خلاص النصارى من ولاية اليهود بإفرنجة ثم زاده الوزير بولس عشرة لسلامة ابنته، وكانت زمنا فأصبحت صحيحة وزعمت أن المسيح مسح عليها وكان ذلك ليلة العيد فأمر بزيادة عشرة ففرضها على النصارى فكمل خمسين إلى الآن.

والبركة: محل ماء الغطاس، والمحرم: تكميل، ولو أحسن الخمس لقال (وبلسان عندها وعطر) لأن بركة الغطاس لا بد أن يحضر عندها القسيس ومعه شئ من دهن البلسان^(١) وأنواع الطيب لأنهم يقولون إن مريم كانت تصنع ذلك في تغسيل عيسى.

ويوم الذبح: يريدون به يوم فراغ يختصر من اليهود وذبحهم على دم يحيى بن زكريا وهو يفور حتى سكن.

وليلة الميلاد: هي ليلة ميلاد المسيح وهي سابع كانون الأصم أعنى ثالث عشر طوبة.

والفصح، بالمهملة وبعدها معجمة: العيد الأكبر وهو ختام الصوم الكبير المعروف في مصر بالخماسين.

والقداس: هو المولود يأخذه القسيس حين يولد فيقدسه في المعمودية يعنى يحطه في الماء ومن هنا إلى عند (وقدموا) تقدم.

والأقنوم: لفظة رومية ويراد بها المعنى، وعندهم الأقانيم: ثلاثة الله والمسيح ومريم ويعنون بها الآلهة، وهو اصطلاح كازدشت عند الجوس، وخاخان عند اليهود، وأزدان عند الثنوية وآل شلع عند الصابئة إلى غير ذلك مما استقصيناه في الفرق والذي قمص بعد موت المسيح كما سبق.

(١) البلسان: شجر له زهر أبيض، بهيئة العناقيد، يستخرج منه دهن عطر الرائحة. انظر: القاموس المحيط، مادة [بلس].

والذين حلقوا الرؤوس وتشمعنوا يعنى اتبعوا شمعون وهم: لوقا ويوحنا وإمليخا وجرجس وروبييل وبتيايل وبولس ولهم قصة طويلة ذكرناها فى الفرق وحاصلها أنهم تعاهدوا على مدارس الإنجيل والانفراد فى رؤوس الجبال بالعبادة، ولقد رأيت بعض بيعهم بالدير الكبير فى الجبل البحرى بالقرب من أنطاكية وللنصارى فيهم أقوال عجيبة لايساعها هذا المحل، وما بعد ذلك أسماء أنبياء من بنى إسرائيل .

والدواء: الذى فى قلة الميرون: هو دهن البلسان وغسالة أرجل البطاركة فى القمامة ليلة الغطاس يجمعها البطرک ويجعلها فى الزجاجات عند أهل القلل فيبرئ به المصروع والمبرسم وصاحب المالىخوليا، فإن صح ذلك، فلما فيها من دهن البلسان وكذلك عدم تغيره مدة الدهر، ولقد قلت للبطرك يوماً: أنا أغسل رجلى بالماء و أرفعه فلا يتغير أبداً فتبطل مزيتكم، ثم ذكرت له العلة فاعترف ، والمأثور عن شمعون من الخوص والزيتون، هو أن شمعون دخل الكنيسة يوم أحد خامس من يوم الصوم الأكبر ومعه غصن من شجرة الزيتون وشئ من خوص النخل. فلما فرغ من الصلاة وعنده جماعة منكروين فى الباطن رفع إليهم من ذلك شيئاً وأمرهم بادخاره فبقى رطباً إلى القابل فدانوا للملة العيسوية فاتخذ ذلك سنة فيهم يأتون به الآن فى اليوم المذكور، ويطرح فى الكنائس، فإذا فرغت الصلاة توزعوه فيكون عندهم إلى القابل ولو عَرَفَ الْمُخَمَّسُ لقال (ونخالص الكندر والمقر) يعنى الميعة^(١) بلسانهم فإنهم يأخذون من الكندر^(٢) والميعة وورق الزيتون ويعجنون الكل بخوراً للكنائس وغيرها ، ويداؤون به أمراضاً كثيرة كالحميات، نعم يأخذون ورق الزيتون ليلة عيد الصليب فيدفنونه فى الأرض أسبوعاً ثم يخرجونه فان وجد أخضر حكموا أن السنة مخصبة وإن كان غير هذا فبالعكس وله أحكام طويلة ذكرناها فى كتاب الفلاحة .

(١) الميعة: صمغ عطر، يسيل من شجرة، و يتطيب به. انظر القاموس المحيط، مادة [ميع].

(٢) الكندر: صمغ شجرة كالأس. انظر: لسان العرب، مادة [كند].

وعيد الصليب: معروف، وعيد أشمونا: عاشر نيسان . وعيد الشعانين هو الذى يأتى فى الصوم الكبير ويعقبه عيد الفطر السعيد . وعيد مار مارى هو الذى يأتى بعد صوم بولس وقد سبق. وعيد شعياى يكون فى صوم الميلاد بـشباط يعنى أمشير ، والأرمن تسمى عيد الشعانين عيد شعياى .

واليعاقبة: تسمى يوم الزيتون أيضا كذلك، والعمدة على كلام الروم.

والهياكل: الأماكن التى فيها قبور مثل البطارقة والمطارنة.

والدخن: المراد بها حصى اللبان الذكر.

والسبعين من العباد: هم المختارون من القوم الذين أكلوا المائة والاثنا عشر من الأمم المراد بهم السبعة السابقة، وشمعون وسمعان وبطرس ودانيال ويحى وهؤلاء حواريون وأتباع افترقوا للدعوة لما اختصوا به وعملوه ولسبب خروجهم أحكام ليس هذا محلها وبسطناها فى الفرق .

ومر عيد: عابد كان بدير سمعان.

وشعياى ونسطورون: شيخا التفسير أول من حل الإنجيل، ولهما كتاب ذكر فى الصحف المنزلة على الأنبياء وعددها مائة وثمانية عشر وجمعا بين أحكامها وأحكام الإنجيل والزبور والتوراة، ومواعظ وجعلاه قسمين وهو كتاب عزيز الوجود وقفت عليه وطالعتة إلى هنا انتهى الغرض منه .

النوع الثاني: في ذكر من جهل حاله وكان إلى الموت في الحب مآله وقد رأينا أن

نبدأ منهم بعشاق النصارى تبعاً للقصة المشهورة.

فمنهم: سعيد الوراق وكان بالرها^(١) يبيع الورق، يجلس إليه الشعراء وأهل الأدب فيتحدثون عنده في الشعر كالصنوبري^(٢) والمعري^(٣) وغيرهما، فلازمهم غلام نصراني اسمه عيسى يكتب ما عندهم من الأدب، فعلقه سعيد وزاد به وجده فأنشده يوماً :

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي وهاك فابري عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه يدي فان ذلك لي براء من السقم
تري المعلم لا يدري بمن كلفى وأنت أشهر في الصبيان من علم

ثم اشتهر أمرهما، فلما شب الغلام طلب التهرب فأجابه أهله بعد جهد إلى دير زنكي وأقام به، وكان سعيد يأتيه ويجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالخروج من الدير فمنعه، أي صارت الرهبان تغلق باب الدير في وجه سعيد إذا أتى .

فلما أيس مضى فأحرق داره وثيابه وخرج عارياً ينشد الأشعار ويطوف بالدير ويبيت في ظله، وأن الصنوبري أتاه يوماً وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه.

فقال يا أبا بكر : ألا ترى إلى هذا الطائر الذي على شرفة الدير.

(١) الرها: مدينة تركية في ما بين النهرين، قرب الحدود السورية، هي الرها القديمة عاصمة الأداب السريانية. انظر: معجم البلدان (١٢٠: ٣).

(٢) الصنوبري، هو: أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد، الضبي، الحلبي، الأنطاكي، أبو بكر. شاعر، سكن حلب ودمشق، من آثاره: ديوان شعر. توفي سنة (٣٣٤هـ). انظر: تاريخ دمشق (٥٧/٢)، الكامل في التاريخ (٦١/٢)، معجم المؤلفين (٢٥٨/١).

(٣) المعري، هو: أحمد بن عبد الله بن سليمان ابن الحارث بن ربيعة، التنوخي، أبو العلاء. شاعر، أديب، حكيم، لغوي، نحوي، ولد بمعرة النعمان بالشام. من آثاره: رسالة الغفران، رسالة الملائكة، ديوان شعر. توفي سنة (٤٤٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٥٤/١)، تاريخ بغداد (٢٤٠/٤)، معجم المؤلفين (١٨١/١).

قلت: نعم.

قال لي: اسأله حمل رسالتى إلى عيسى فأبى ثم قال: هل عندك لوح؟
قلت: نعم، فدفعته إليه فكتب:

بدينك يا حمامة دير زنكى
قفى وتحملنى منى سلاماً
حماء جماعة الرهبان عنى
وقالوا رابنا إلام سعد
وقولى سعدك المسكين يشكو
فصله بنظرة لك من بعيد
وإن أك مت فاكتب حول قبرى
رقيب واحد تنفيس عيش
وبالانجيل عندك والصليب
إلى قمر على غصن رطيب
فقلبى ما يقر من الوجيب^(١)
ولا والله ما أنا بالمريب^(٢)
لهيب جوى أحر من اللهب
إذا ما كنت تمنع من قريب
محب مات من هجر الحبيب
فكيف بمن له ألفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتاً فأراد العامل يومئذ وهو العباس بن
وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فاقتدوه بمائة ألف درهم وصار الغلام إذا
دخل المدينة لزيارة أهله تضربه الصبيان بالأحجار، ويقولون له: يا قاتل سعيد،
فانتقل إلى دير سمعان.

ومنهم: شرف العلاء علق غلاماً نصرانياً فلبس المسوح لأجله وتبعه إلى
الكنائس والبيع، وهام به فبلغ ذلك الظاهر بن أيوب فاستحضره، فلما دخل عليه
تلقاه بقدر من خمر فشربه.

وأنشد:

جمعت بالكأس شلى
بحق رأسك دعنى
الله يجمع شلىك
حتى أقبل نعلك
وصار على ذلك هائماً حتى مات.

ومنهم: ما أخرجه ابن الجوزى عن سعيد قال: كنت بخان التجار بالبصرة إذا
بغلام يصيح وفى يده مدية فاجتمع الناس إليه.

(١) الوجيب: خفقان القلب و رجفته. انظر: القاموس المحيط، مادة [وجب].

(٢) إلام: زيارة. انظر: لسان العرب، مادة [لم].

فأنشد :

يوم الفراق من القيامة أطول والموت من الفرق أجهل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي ترحل
ثم بقر بطنه بمديته فسألت عنه، فقيل عشق غلاماً لبعض الملوك فحجب عنه
يوماً واحداً ففعل هذا .

ومنهم: **ماحكاة الثوري^(١) في [روضة القلوب].**

قال: كان بحمص^(٢) مؤدب، يقال له ابن الدورى عشق غلاماً وكلف به،
فلما علم أبوه بذلك نقله إلى مؤدب آخر عدو له فضعف واشتد غمه، فكتب إلى
أبي الغلام يستعطفه فأجابه بأنه إن لم يرجع رفع أمره إلى الحاكم فتغير من وقته
ووتقياً الدم، وحمل إلى بيته وجاءه الطبيب فأخبر أن كبده تفترت فمات فى الرابع .

ومنهم: **ماحكاة فى [ديوان الصبابة] وهو نظير العشق المسلسل السابق فى الباب الثانى.**

قال: عشق شاب بدمشق غلاماً، فلما اشتد به وجده قتله فحمل إلى الحاكم
فأنكر فهدد بالضرب، فجاء شاب كان يعشقه، فقال إن هذا لم يقتل الغلام وإنما
أنا قتلته فكتبوا عليه بذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطن القصة وكان
متأدباً فأمسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان أول ما حكم الحاكم
الجديد أن شنق الشاب المذكور، وقال شهاب الدين الحاجبى: كان شاباً لطيفاً
جيد القريحة ذا نثر ونظم من العجائب الدالة على أن له اليد الطولى فى الأدب،
وكان من أولاد الجند عشق شاباً من أولاد الحسينية وأفرط فى حبه حتى كان
لا يصبر عنه ساعة، فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبى لمرضه فدخل أصحابه
عليه ليعودوه، فقال: أريد من يوصل هذه الدراهم إلى فلان يعنى صاحبه.

(١) الثورى، هو: سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن منقذ بن ثور،
شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ، وسيد العلماء. أخذ العلم عن ما يقرب من ستمائة شيخ، كان
لا يقدم عليه أحد فى زمانه فى الفقه والحديث والزهد. توفى سنة (١٢٦هـ) انظر: الحلية
(٣٥٦/٦)، سير أعلام النبلاء (٢٢٩/٧) .

(٢) حمص: مدينة سورية على نهر العاصى، بين دمشق وحماة، مدينة سياحية وصناعية. انظر:
معجم البلدان (٣٤٧/٢) .

فقيل له: قد مات، فتغير من وقته واختلط عقله، وجعل يقول: قد مات.
ثم قال: احملوني من هنا، وألح عليهم، فأخذوه من حارة بهاء الدين إلى قناطر
السباع فمات بها من يومه والتقت جنازته وجنازة محبوبه فصلى عليهما معاً.
ومن شعره :

ملأت فؤادي من محبة شادن أميل اليه وهو كالظبي رائع
وقلت لقلبي قم لعشق شادنا سواء فقال القلب ما أنا صانع
ومنها :

إن السـيوف كلها قاطعة إذا انجلت
الا سـيوف لحظـه إذا تصدّت قتلت
ومنها :

وصفت خصـره الـذى أخفاه ردف راجح
قالوا وصف جينـه فقلت ذاك واضح
ومنها :

له عين لها غزل وغزو مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى فيالك مقله غزلت وحاكت
ومنها :

عودا لصب بكى عليكم ياجيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه صار بحراً وقلبه ما له قرار
ومنها :

لاتبعثوا غير الصبا بتحيةة ما طاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت نشرًا فى الله ما أذكاهما^(١)
ومنها :

لم أنس ليلة بتنا والحب قد غاب عنا
وقد روى عنه لفظ حتى حسبناه معنا

(١) تضوع : إذا انتشرت الرائحة وفاحت. انظر: لسان العرب، مادة [ضوع]

وقال :

لم أنس أيام الصبا والهوى لله أيام النجا و النجاح^(١)
ذاك زمان مرّ حلوا الجنى ظفرت منه بجيب وراح
ومنها وهى من قصيدة طويلة ذكر ابن حجة فى شرح بديعته أنه مدح بها
صاحب حماة:

ثانى المعاطف كنت أول عاشق فى جبه ولكل ثان أول
يدنو فيحلوا للمتيم لحظه إذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
وتيس منه شمائل لم أدر من مشمولة أو حركتها شمائل^(٢)
متلون الأوصاف سيف لحاظه ماض ولكن هجره مستقبل

(١) النجا : العصا. انظر: لسان العرب، مادة [نجو].

(٢) تيس ، من يميس: إذا مشى وهو يتمايل ويتبختر. انظر: لسان العرب، مادة [ميس].

القسم الثاني

فيمن اشتهر في العشق حاله ولم يدر مآله

فمنهم ما حكاه من له اعتناء بظرائف الأخبار، قال: نزلت داراً فوجدت مكتوباً على حائط :

دعوا مقلتي تبكي لفقد حبيها ليطفي برد الدمع حر كروبها
ففي جبل خيط الدمع للقلب راحة فطوبى لنفيس تمتع بحبيها
بمن لو رآته القاطعات أكفها لما رضيت إلا بقطع قلوبها

فسألت، فقيل: كان بها تاجر يهوى غلاماً وإنه أنفق عليه ثلاثين ألف دينار حتى نفذ ما معه فلم يدر ماتم من أمرهما .

ومنهم ما حكاه بعضهم، قال: دخلت درب الزعفراني ببغداد، فرأيت غلاماً قد طرح شيخاً على التراب وهو يعضه ويضربه، فقلت: لا تفعل ذلك بأبيك وأنا أظن أنه أبوه، فقال: حتى أفرغ أكلمك. فلما فرغ أقبل عليّ، وقال: هذا الشيخ يزعم أنه يهواني وله ثلاث ما رأني.

ومنهم ما حكاه الأصمعي^(١) عن أبي نواس^(٢)، قال: رأى غلاماً بمكة فعلقه، وقال لأقبلنه عند الحجر.

قلت: اتق الله في ذلك.

قال: لا بد منه. فدنا وقبله حين أراد أن يلثم الحجر وأنا أنظره، فلما عنفته.

قال: إن الله رحيم، وأنشد :

وعاشقان التف خداهما عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأمنا كأنما كانا على موعد

ومنهم رجل بإفريقية كان يهوى غلاماً وازدادت محبته له حتى استغرقه الحال وإنه انفرد ليلة يشرب، فذكر تجنى الغلام عليه وهجره له، فأخذ قبساً فأحرق بابه ورآه بعض جيرانه فحين أصبحوا رفعوه إلى القاضي وكان لطيفاً، فقال: لأي شيء فعلت هذا؟

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

فأنشد :

لما تبادى على بعادى واضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدًا ولا معينًا على السهاد
حملت نفسى على وقوفى ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبى أكبر فى الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمى ولم يكن ذاك من مرادى

فاستظرفه القاضى وحمل عنه ما أفسده .

القسم الثالث

فى ذكر من ساعده الزمان فى المراد
حتى بلغه ما أراد

فمنهم ما حكى أنه كان ببغداد رجل صوفى معروف بالزهد والعبادة فهوى
غلاماً جندياً حتى امتزج حبه بلحمه ودمه واشتهر أمره عند غالب غلمان الغلام لأن
الصوفى كان يتقصده فى الطرق والمواكب لينظره، فبينما الصوفى ليلة يصلى على
سطحه إذ سمع صوت الغلام ماراً فسقط من على السطح فرآه الغلمان فضحكوا.

فقال مولاهم: ما لكم؟

فقالوا: لاشيء، فأقسم عليهم فتقدم إليه بعضهم وأسر الخبر إليه وأعلمه أنه يهواه.

فقال: منذ كم؟

قالوا: من زمان طويل.

فقال: بشئ المرء الذى لا يعرف من أحبه، ثم نزل فأقعه ونفض عنه التراب
فنقطت الشمعة على وجه الشيخ ففتح عينيه فرأى صاحبه.

فأنشد:

يا محرقاً بالنار وجهه محبه رفقا فإن مدامعى تطفئه
حرق بها جسدى وكل جوارحى واشفق على قلبى فإنك فيه
فحمله إلى بيته ولم يفارقه بعدها وساق الحجازى فى روض الآداب الحكاية
عن الخياط الدمشقى .

منهم البحترى^(١) المشهور كان يهوى غلاماً اسمه نسيم فاشتراه حين اشتد به
بلاؤه. فلما اشتهر حاله مازحه أبو الفضل يوماً وقال: هل تبيعه؟
قال: لا .

قال: خذ فيه ألف دينار، فأبى، وكان لا يساوى أكثر من مائة .
فقال: خذ ألفين.

فقال: أحضرهما، فأحضرهما واشتراه ومضى به، فلم يلبث البحترى أكثر من
يوم حتى ذهب عقله وأكثر التردد إلى أبى الفضل فلم يجبه وزاد به الوجد.
فكتب إليه:

أبا الفضل فى تسع وتسعين نعمة غنى لك عن ظبى بساحتنا فرد

(١) تقدمت ترجمته.

أتأخذه منى وقد أخذ الهوى فؤادى له فيما أسر وما أبدى
وتغدو عليه صبوتى وصبابتى ولم يعده وجدى ولم ياله جهدى^(١)
وقلت اسل عنه فالمنية دونه وكيف بسلوان الظمآن عن الورد

فقال: أبيعك إياه بجميع ما تملك فى سائر البلاد.

فقال: أفعل، فباعه بذلك فلما أصبح أقاله وقال: إياك وهجر الأحرار فإن لهم مكائد.
ومنهم ما حكى: عن الصاحب بدر الدين^(٢) وزير اليمن أنه كان له أخ جميل
فاختار له معلماً ذا هيبة ووقار وأدب فكان يعلمه فى بيته فامتحن الشيخ بحب
الغلام وزاد به الحال فشكا يوماً إلى الغلام أمره، فقال: ما أصنع وأخى لا يفارقنى
ليلاً ولا نهاراً.

فقال الشيخ: إن دارى ملاصقة لحائطكم فإذا كان الليل أتناولك فتجلس
معى لحظة لطيفة ثم تعود، فأجاب، فلما كان الليل أظهر الشاب أنه نائم فنام
أخوه، ففتح الباب النافذ إلى الحائط فوجد الشيخ واقفاً فأخذه ومضى، فرآه قد
هياً مجلساً لطيفاً ما بين فرش وسماط ومشروب ومشهوم فجلسا يتعاطيان الكأس
وكانت ليلة البدر، وأفاق الوزير فلم ير أنجاه، ورأى الباب مفتوحاً فاطلع فرآهما
على تلك الحالة والكأس فى يد الشيخ وهو.

ينشد :

سقانى شربة من خمرفيه وحييا بالعدار وما يليه
وبات معانقى خد الخد مليح فى الأنام بلا شبية
وبات البدر مطلقاً علينا سلوه لا ينم على أخيه

(١) يعده : من عدا عن الأمر : صرفه وشغل عنه. ياله، من يأل: إذا قصر وأبطأ. انظر: لسان
العرب، مادة [عدا]، [أله].

(٢) الصاحب بدر الدين، هو: الحسن بن على بن رسول، الرسول، بدر الدين، من أمراء بنى
رسول، أصحاب اليمن، كان فارساً شجاعاً لا نظير له فى عصره. مات سجيناً سنة
(٢٦٢هـ). انظر: الأعلام (٢/٢٠٣).

فكان من لطفه أن قال: والله لا أنم عليكما وانصرف. وذكر الحجازى بذكر هذا الاتفاق مناسبة لطيفة وذلك أن شخصاً كان يهوى غلاماً فمات فجلس يكيه، فطلع البدر فنظر إليه فلم يقدر أن يملأ عينه منه.

فأنشد :

شقيقك غيب فى لحده وتطلع يا بدر من بعده
فهلا خسفت وكان الخسوف لباس الحداد على فقده

فخسف من وقته .

ومنهم الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسى وكان أديباً ظريفاً عارفاً بالشعر والأدب وكان شيعياً وكان السيد المرتضى الموسوى نقيب الأشراف بالعراق والشام وغالب الممالك وكان بينه وبين مهذب الدين مودة.

قال ابن سعد فى [الطبقات]: لأن السيد كان رئيس أهل هذا المذهب وغيرهم وكان مهذب الدين من أجلاء طرابلس^(١) فبعث إلى الشريف بتحف مع عبد أسود، فأرسل الشريف يعاتبه فى ذلك وكان معروفاً بالشهامة، فمما قال له: أما رأيت شراً من السواد حتى ترسله إلينا.

وحكى قاضى القضاة ابن البراج أن مهذب الدين لم يرسل إلى الشريف إلا العبيد فقط فكتب إليه أما بعد فلو علمت عدداً أقل من الواحد أو لوناً شراً من السواد لبعثت به إلينا والسلام، وكان مهذب الدين يهوى مملوكاً له اسمه تتر وكان لا يفارقه فى نوم ولا يقظة وكان إذا اشتد غمه أو رمى بمحنة نظر إليه فزال ما به، فحلف لا يرسل إلى الشريف الهدايا إلا مع أعز الناس عنده فجهزها مع مملوكه وأخذ يقاسى مشاق فرقة.

فلما جاء المملوك إلى الشريف توهم أنه من جملة الهدايا تعويضاً من ذنب العبد فأمسكه وطال الأمر، فلم ير ما ينكى^(٢) به الشريف ويبعثه على إرسال المملوك

(١) طرابلس: مرفأ فى شمال لبنان، مدينة صناعية، وزراعية، وقاعدة صيد، وبها آثار عديدة.
انظر: معجم البلدان.

(٢) نكأ: نكأته حق أى قضيته . لسان العرب ، مادة [نكأ] .

إلا إظهار التورع عن التشيع والدخول في مذهب أهل السنة . وإن دليل ذلك أمر عظيم أخرجه عن العقل حتى فارق مذهبه فأرسل إليه بهذه القصيدة يذكر فيها وجده بالملوك وخروجه من المذهب وتلبسه بالتستر وهي:

عذبت طرفي بالسهر	وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي	من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثمانى الضنى	وكحلت جفنى بالسهر
وجفوت صبأ ماله عن	حسن وجهك مصطبر
يا قلب ويحك كم	تخادع بالغرور وكم تفر ^(١)
والام تكلف بالأغن	من الظباء وبالأغر
ريم يفوق أن رما	ك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها	من بأسهن على خطر
ورمت فأصمت عن	قسي لا يناط بها وتر ^(٢)
جرحتك جرحاً لا	يخيط بالخيط ولا الإبر
تلهو وتلعب بالعقو	ل عيون أبناء الخفر
وكانهن صواج	وكانهن لها أكر
تحفى الهوى وتسره	وخفى سرك قد ظهر
أهل لوجدك من مدى	يفضى إليه فينظر
نفسى الفداء لشادن	أنا من هواه على خطر
عذل المعذول وما رآ	ه فحنين عاينه عنذر
قمر يزين ضوء الصبح	جبينه ليل الشعر
ترمى اللواحظ خده	فيرى لها فيه أثر
هو كالللال ملثماً	والبدر حسنا إن سفر
ويلاه ما أحلاه فى	قلبي الشقى وما أمر
نومى المحرم بعده	وربيع لذاتى صفر

(١) الغرور: ما يسبب الإخداع. انظر: لسان العرب، مادة [غر].

(٢) يناط، من ناطه: يعلق عليه. الوتر: الانتقام. انظر: لسان العرب، مادة [نوط]، [وتر].

والبيت أقسم والحجر
 ف به ولبى واعتمر
 ابن الشريف أبى مضر
 يرد إلى مملوكى تتر
 الطهر الميامين الفرر^(١)
 وعدلت عنه إلى عمر
 بة بين قوم واشتهر
 ثم صاحبه عمر
 آل النبى ولا شه
 ل عن الثراث ولا زجر
 شق الكتاب ولا بقر^(٢)
 بكاء نسوان الحضر
 جنح الظلام المعتكر
 برارة والزم
 بكل شعر مبتكر
 جر من لى أو عذر
 إحدى الكبر
 من بينها فى زمر^(٣)
 المسلمين على غرر^(٤)
 حسامه وسطا وكر
 وبعير أمهم عقر

بالمشعرين وبالصفاء
 وبعن معنى فيه وطا
 لئن الشريف الموسوى
 أبى الجحود ولم
 وآليت آل أمية
 وجحدت بعة حيدر
 إذا جرى ذكر الصحا
 قلت المقدم شيخ تيم
 ما سل قط ظبى على
 كلا ولا صد البتو
 وأثابها الحسنى ولا
 وبكى عثمان الشهيد
 وشرحت حسن صلته
 وقرات من أوراق مصحفه
 ورثيت طلحة والزبير
 وأزور قبرهمنا وأز
 وأقول أم المؤمنين عقوقها
 ركبت على جبل لتصبح
 وأنت لتصلح بين جيش
 فأتى أبو حسن وسل
 وأذاق إخوته الردى

(١) آليت: آلى، حلف. انظر: لسان العرب، مادة [اله].

(٢) بقر: شق الشيء. انظر: لسان العرب، مادة [بقر].

(٣) زُمُر، جمع زمرة: الجماعة. انظر: لسان العرب، مادة [زمر].

(٤) الغرر: التعرض للهلاك. انظر: لسان العرب، مادة [فرر].

ما ضره لو كان كف
 وأقول أن إمامكم
 وأقول إن أخطأ معاً
 هذا ولم يغدر معاً
 بطل بسوءته يقا
 وجنيت من رطب النوا
 وأقول ذنب الخارجين
 لا ثائر بقتالهم
 والأشعري بما يؤور
 قال انصبوا لي منبراً
 فعلا وقال خلعت صا
 وأقول إن يزيد ما
 وجيشه بالكف عن
 والشمر ما قتل الحسين
 وحلقت في عشر المحرم
 ونويت صوم نهاره
 ولبست فيه أجل ثور
 وسهرت في طبخ الحبر
 وغدت مكتحلاً أصبا
 ووقفت في وسط الطر
 واكلت جرجير البقو
 وجعلتها خير الماء
 وغسلت رجلى كله

وعرف عنهم إذ قدر
 ولي بصفين وفر
 وية فما أخطأ القدر
 وية ولا عمرو مكر
 تل لا بصارمة الذكر
 صب ما تتمر واختمر
 على على مغلغلة
 في النهروان ولا أثير
 ل إليه أمرهما شعر
 فأننا البرئ من الخطر
 حاكم وأوجز واختصر
 شرب الخمر ولا فجر
 أبناء فاطمة أمر
 ولا ابن سعد ما غدر
 ما استطال من الشعر
 وصيام أيام آخر
 ب للملابس يدخر
 ب من العشاء إلى السحر
 فح من لقيت من البشر
 يق أقص شارب من عبر
 ل بلحم جوني الجفر^(١)
 كل والفواكه والخضر
 ومسحت خفي في السفر

(١) الجوني: الأدهم شديد السواد من الإبل. الجفر: ولد الشاة. انظر: لسان العرب، مادة

[جون]، [جفر].

ة كمن بها قبلى جهـر
 ر لكل قبر محتفر^(١)
 أقول ما صح الخبر
 ما اضمحل واندثر
 بهم وإن كانوا بقـر
 بالفاشـريا قد فـشـر
 وفتـيرتى فيها قصـر
 طيش الظليم إذا نفر^(٢)
 وصواب قولهم هـذر
 خبثت وقـدت من حجر
 يد البلابل فى السحر
 ر له البصيرة والبصر
 والنار ترمى بالشرر
 بعد الهداية والنظر
 الا الشريف أبو مضر
 يف فمستقر كما سقر
 تبقى عليه ولا تذر^(٣)
 إذا تنصل واعتذر
 واحتذر كل الحذر
 رقت لرقتهـا الحضـر
 قس الفصاحة لافتخر
 بحر وألفاظى درر

وأمين أجهـر فى الصلا
 وأسـن تسنيم القبـو
 وإذا جرى ذكر الغدير
 ولبست فيه من الملابس
 وسكنت جلق واقتديت
 وأقول مثل مقالهم
 مصطحتى مكسورة
 بقـر تـرى برئيسهم
 وخفيفهم مسـثقل
 وطباعهم كجبـالهم
 ما يدرك التشبيب تفر
 وأقول فى يوم تحـا
 والصحف ينشر طيهـا
 هذا الشريف أضلنى
 ما لي مصل فى الورى
 فيقال خذ بيد الشر
 لواحة تسطو فـما
 والله يغفر للمسئى
 فاخش الإله بسوء فعلك
 واليكهـا بدويـة
 شامية لـو شامها
 ودرى وأيقن أننى

(١) تسنيم: من سنم القبر، ضد سطحه. انظر: لسان العرب، مادة [سنم].

(٢) الظليم: الذكر من النعام، انظر: لسان العرب، مادة [ظلم].

(٣) تسطو: تثب عليه وتقهره. انظر: لسان العرب، مادة [سطا].

حبرتها ففدت كزهر
وبديعة كبديعة
وإلى الشريف بعثها
رد الغلام وما استمر
وأثابني وجزيتيه
شكراً وقال لقد صبر
الروض بأكره المطر
عذراء ترفل فى الحبر
لما قراها وانبهـر
على الجحود ولا أصـر

فلما وصلت القصيدة إلى الشريف ضحك، وقال: قد أبطأنا عليه فهو معذور
وجهز المملوك مع هدايا حسنة، فمدحه مهذب الدين، فقال:
إلى المرتضى حثّ المطى فإنه إمام على كل البرية قد سما
ترى الناس أرضاً فى الفضائل عنده ونجل الزكى الهاشمى هو السما

وذكر ابن حجة أن مهذب الدين حين هادى الشريف كان ببغداد.
قوله: (وأقول مثل مقالهم)، يفسره ما بعده من الكلمات المهملة التى
تستعملها أهل دمشق فى الخلاعة والمصطيحة خشبة فى الأصل تجعل تحت دود
القر، وأهل دمشق يسمون الصولجان المنقوش مصطيحة ويكون معهم فى المواسم
وقد تظرف فى المبالغة فى الجحون والخلاعة حيث قلب اللفظ فنسب القصر إلى
الفطيرة والكسر إلى المصطيحة والمستعمل العكس فإنهم يضعون الصوالج قائمة
فى لعبة، فمن جاء صولجانه قصيراً أخرج من اللعبة فيقول مصطيحتى قصيرة
وكذا فى لعب الفطير يُردُّ من فطيرته مكسورة.

وقوله: (وإلى الشريف بعثها) إلى آخر القصيدة: قد يتوهم أنه ملحق بعد رد
المملوك وليس كذلك وإنما قاله تفاعلاً وحسن ظن بالشريف واعتماداً على
شهامته وهذا من مكر مهذب الدين لعلمه بسجايا الشريف .

القسم الرابع

في ذكر من منعه الزهد والعبادة
أن يقضى من محبوبه مراده

قد رأينا أن نجعل هذا القسم كالاستغفار بعد الذنوب، والكفارة لمن عزم أن يتوب لاشتماله على ذكر أقوام عصمهم الله من الوقوع في الخطأ وأسبل عليهم الغطاء، وهو نوعان :

النوع الأول: فيمن سلم من القضاء الجارى فعصم عن الجوارى.

في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال: بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذا أصابهم مطر فأوروا إلى غار فانطبق عليهم.

فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه.

فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق^(١) من أرز فذهب وتركه، وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أنى اشتريت منه بقرًا وراعيها وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقها .

فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز .

فقلت له: أعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلى وعبالي يتضاغون^(٢) من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي ، فكرهت أن أوقفهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

(١) الفرق: النبات الصغير، الذى لم يغط الأرض. انظر: لسان العرب، مادة [فرق].

(٢) يتضاغون، من تضاغى: إذا تضور من الجوع. انظر: لسان العرب، مادة [ضغا].

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلى
وإني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت عليها
فأتيها بها فدفعتها إليها فأمكنني من نفسها. فلما قعدت بين رجلها قالت: اتق
الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقامت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت
ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم، فخرجوا .

وحكى أن رجلاً افتتن براهبة فتسور إليها وراودها فلم تمكنه إلا بعد جهد ،
فلما قدر عليها جعلت يدها في بحمة فاحترقت. فقال: لأي شيء فعلت هذا ؟
قالت: خفت أن أشاركك في اللذة فأشاركك في المعصية، فحلف لا يعصى
الله بعدها وتاب .

وحكى أن رجلاً عشق جارية فزاد حبه لها ولم يتمكن منها، وإن أهلها
أرسلوها لحاجة فتبعها وراودها. فقالت: إني أحب لك منك لي، ولكنني أخاف الله.
فقال: أتخافينه ولا أخافه؟ ورجع فناله عطش كاد أن يأتي عليه، فلقبه رسول
لبعض الأنبياء فشكا ذلك إليه فقال له: هلم ندعو الله أن تظلنا سحابة حتى نصل القرية.
قال: ليس لي عمل.

فقال الرسول: أنا أدعو وأنت أمن ، وفعلاً ، فأظلتها سحابة حتى انتهيا
إلى القرية فدعاه الرسول إلى بيته فتبعتهما السحابة .
فقال له: تقول: ما لي عمل وقد تبعتك، أخبرني ما فعلت، فأخبره، فقال: إن
التائب عند الله أحسن من العابد .

وحكى أن عمر بن عبد العزيز^(١) عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد
الملك^(٢) وزاد فيها غرامه فطلبها منها، فأبت عليه، فلما أفضت إليه الخلافة زينتها

(١) عمر بن عبد العزيز، هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، القرشي، أبو حفص.
الخليفة الصالح، الملك العادل، خامس الخلفاء الراشدين. من ملوك الدولة مروانية الأموية بالشام ولي
الخلافة بعهد من سليمان سنة (٩٩هـ) ولم تطل مدة خلافته. توفي سنة (١٠١هـ). انظر: الطبري
(١٣٧/٨) ، سير أعلام النبلاء (٢٤) حلية الأولياء (٢٢٥٣/٥) الأعلام (٥٠/٥) .
(٢) فاطمة بنت عبد الملك، هي: فاطمة بنت عبد الملك بن مروان. من فواضل نساء عصرها،
كانت تحت عمر بن عبد العزيز، فحكمت عنه، وروى عنها عطاء بن أبي رباح، ومزاحم ،
وغيرهم. انظر: أعلام النساء (٧٥/٤).

بأنواع الزينة، ثم قالت: يا أمير المؤمنين قد كنت أمسكت هذه عنك والآن فقد وهبتها لك، فسر بها سروراً بالغاً.

ثم قال لها: اخلى ثيابك فحين همت أجلسها، ثم قال لها: من أين بجى بك فى الأصل؟

قالت: اغتصب الحجاج مال عامل فاصطفانى منه و أرسلنى لعبد الملك فوهبنى لابنته.

فقال: أحي هو؟

قالت: لا.

قال: هل له ورثة؟

قالت: ولد. فأحضره وأمره أن يذكر ما أغرم الحجاج أباه وأعطاه عمر ذلك مع الجارية، وقال له: احذر أن يكون أبوك نالها.

فقال: هى لك يا أمير المؤمنين، فأبى، فقال: أتبيعها؟ فأبى.

فقالت الجارية: أين وجدك بى.

قال: قد زاد ولكنى أنهى النفس عن الهوى.

وحكى أن امرأة كانت فى بنى إسرائيل قد حازت ثلث الحسن، وكانت لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار، فأعجبت شخصاً فمضى فجمع مائة دينار وجاء إليها.

فقالت: ادفعها إلى الجهبذ؛ يعنى الناقد، ففعل، فلما نقدها تهيأت وجلست على سرير من ذهب فحين تمكن منها أخذته الرعدة فقالت: خل عنك ولك المائة، فقال: أجبتك.

فجمعت المال وجاءت به، وقالت: لئن صدقت فليس لى زوج غيرك، فخرج فباع متاعها وجاءته فحين رآها شهق شهقة فمات. فقالت: أما هذا فقد مات فهل له أحدا.

قالوا: له أخ فتزوجت به إكراماً له. قال ابن عباس: فجاء منها سبعة أنبياء .
وأما قصة بشر وهند فقد آلت بها الشهرة إلى أن أفردت بالتأليف وحاصلها أن بشراً؛ رجل من أسد، ذكره الحافظ ابن حجر فى القسم الأول من [الإصابة]،

وهند جهنية. قيل: ذكرت في حديث ساقط وكانت بالمدينة في ممر بشر إلى رسول الله ﷺ فعلقته وتعرضت إليه بمراسلات بأشعار أظنها موضوعة لأهملها فلذلك حذفها .

فلما رأى بشر إلحاحها هجر الممر وصار يأتي من غيره فلزمت الوساد وهم زوجها أن يدعو لها الأطباء فنهته وقالت: أنا أعرف علتى ، فلما علمت الطريق التي يمر منها بشر أخبرت زوجها أنها رأت في نومها أنها متى سكنت في موضع كذا شفيت فنقلها من وقتها فكانت تنظر إليه فبرئت، وأطلعت عجوزاً على أمرها فوعدها أن تجمعها به، ثم وقفت له فسألته أن يقرأ لها كتاباً أو يكتبه ففعل وهند تسمع ، ثم قالت له العجوز: أراك مسحوراً وما قلت لك إلا عن يقين ثم وعدته أن يأتيها يوماً لتنظر له فيما يصلح له، وقالت لهند: قد سمعت فتبهى .

فلما خرج زوجها إلى بعض القرى وقد وعدت العجوز بشراً فجاء فحين جلس أدخلت هنداً عليه وأغلقت الباب فجاء زوجها فحين رآه، طلقها ثم مضى به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله سل هذا لم دخل بيتى .

فقال بشر: والذي بعثك بالحق ما كفرت منذ أسلمت، ولا زنت منذ عرفتك، ولكن القصة كذا وكذا، فأدب العجوز وقال: أنت أصل البلية وانصرفوا فلم يمكث بشر حتى ابتلى بحب هند وراسلها فامتنعت فلم يزل حتى مات، فجاءت فحين رآته سقطت ميتة ودفنا معاً، فجاءت العجوز إلى النبي ﷺ معذرة فأخلصت توبتها .

وفى (امتزاج النفوس) عن رجل من أصحاب الحديث، قال: دخلت ديراً كنت أعرف فيه راهباً معروفاً بالأخبار فوجدته مسلماً وجميع من فى الدير، فسألته عن السبب، فقال: عشقت جارية منا غلاماً عابداً وافتنت به ودعته إليها فأبى، فلما زاد بها الوجد أعطت مصوراً مالا فنقش لها صورته فكانت تقبلها وتبكي كل يوم إلى الغروب وتنصرف، فبلغها موت الغلام فعملت مأتمه ثم التزمت لثم الصورة ، فلما أصبحنا وجدناها ميتة إلى جانبها وعلى يدها مكتوب:

ياموت دونك روحى بعد ميدها
 أسلمت وجهى للرحمن مسلمة
 أخذها اليك فقد أودت بما فيها^(١)
 وموت حبيب كان يعصيها
 يوم الحساب ويوم البعث باريها
 مات الحبيب وماتت بعده كمدا
 محبة لم تنزل تشفى محبتها

قال: فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين، فأخذوها ودفنوها إلى جانبه، فرأيتها فى النوم.

فقلت: ما فعل الله بك؟

فأنشدت :

أصبحت فى راحة مما جنته يد
 مح الإله ذنوبى كلها وغدا
 وبت جارة فرد واحد صمد
 قلبى خلياً من الأحزان والكمد
 ولما قدمت على الرحمن مسلمة
 وقلت إنك لم تولد ولم تلد
 أنابنى رحمة منه وأسكنى
 مع من هويت جناها آخر الأبد

فعلمت أن الإسلام حق، فأسلمت وأسلم أهل الدير بسببها .

وحكى الشيزرى^(٢) فى روضة العشاق: عن راهب أسلم ، وكان اسمه عبد المسيح، قال: سئل عن سبب إسلامه ؛ فحكى أنه كان عندهم جارية نصرانية تباع الخبز أحبها شاب مسلم واشتد حاله فى حبها فسلطت عليه الصغار فضربوه، فلما علمت صدقه عرضت عليه نفسها فى الحرام فأبى ، فعرضت عليه التنصر فأبى فأمرت الصغار بضربه حتى مات وهو يقول : اللهم اجمع بيننا فى الجنة فرأته فى النوم وقد انطلق بها إلى الجنة فمنعت لأجل الإسلام فأسلمت، ودخل بها فأراها قصراً من اللؤلؤ، وقال: هذا لى ولك وستأتى بعد خمس ليال، فاستيقظت ولزمت قبره حتى ماتت بعد خمس ليال فأسلمت لذلك .

وحكى ابن عاصم قال : قال لى بعض أصحابى بالكوفة: هل لك أن تنظر

(١) أودت: هلكت. انظر: لسان العرب، مادة [ودأ].

(٢) تقدمت ترجمته.

إلى عاشق؟ فقلت: نعم. فإني أسمع الناس يذكرون العشق فمضى بي إلى دار
فرأيت شاباً مطرقاً ساكناً يكلمه الناس ولا ينطق وعلى يده وردة حمراء، فقال
صاحبي: كأن فلانة أرسلتها إليك. فحين سمع ذكرها رفع رأسه.

وأنشد:

جعلت من وردتها	قيمة في عهدي
أشهباً من جها	إذا علاني كمدى
فمن رأى مثلي فتى	بالحزن أضحى مرتدى
أسقمه الحسب وقد	صار حليف الأود
وصار سهواً دهره	مقارناً للكمد

فنهضنا فما بلغنا الباب حتى مات، فرجعنا لنشهده فحين دفناه أقبلت جارية
مسفرة مارأيت أحسن منها، فما تركت تراباً على القبر حتى جعلته على رأسها
فجاء قوم فجروها، فقلت: ارفقوا بها. فقالت: دعهم يبلغوا همتهم، فوالله
لا ينتفعون بي، فما انقضى اليوم حتى ماتت. فسألت عن القصة، فقالوا: إنه كان
يعشقها فبذل في شرائها ملكه فأبوا. عليه حسداً أن يكون عنده مثلها، فأرسلت
إليه تقول: مرني بما شئت، فأرسل إليها: أن الزمى طاعة ربك ومولاك وأقبل
على الزهد وهو مع ذلك لا يفتقر عن ذكرها حتى بلغ إلى ما رأيت.

النوع الثاني: في ذكر من بلغه زهده الأمان فعصمه عن الغلمان

وهؤلاء قوم جرت عليهم خصبال البشر حتى افتتنوا باستحسان بعض الصور
ثم عند إرادة النزوع ومقاربة الوقوع كشفت لهم حقائق الأحوال عن قبيح
عواقب الأفعال فرجعوا إلى أنفسهم فذكروها خشية الله فزجر كل نفسه حتى
غلب على هواه.

قال بعضهم: مررت بمدائن قوم لوط، فأخذت منها حجراً الحاجة، فحين
نزلت في دار جعلته في طبقة، فجاء رجل ومعه غلام ولم يشعر بي فقضى منه
وطراً فسقط الحجر عليه فمات فتعجبت من ذلك.

فمن المذكورين صوفى يسمى المهرجان كان مجوسياً ثم حسن إسلامه. قال من شاهده: رأيت بيت المقدس ومعه غلام جميل ينام إلى جانبه، ثم يقوم فزَعاً فيصلى ماشاء وينام وكان يفعل ذلك مراراً كل ليلة فإذا طلع الفجر، قال: اللهم أنت تعلم أن الليل قد مضى على سليمان لم أقترف فيه فاحشة، ولا كتبت الحفظة على فيه معصية، وأن الذى أضمره فى قلبى لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت^(١)، ثم يا ليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعى خوف الله عز وجل عن طلب الحرام والتعرض للآثام، ثم يقول: سيدى أنت جمعت بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع الأحباب، فقلت له: قد سمعتك تقول كذا وكذا، فما الذى يدعوك إلى عشرة من تخاف على نفسك منه؟ فبكى وذكر أن مقصوده بذلك امتحان نفسه .

وعالج بعضهم نفسه فى صحبة الأحداث بالهجر، قال أبو حمزة^(٢): رأيت صوفياً يصحب غلاماً دهنراً طويلاً ثم هجره، فسألته عن ذلك، فقال: وجدت نفسى عند الخلوة به تحدثنى بما يسقطنى من عين الله ففارقته ليشينى الله ثواب الصابرين عن محارمه ويجمع بيننا فى دار الكرامة .

قال: ورأيت أيضاً رجلاً ومعه غلام يصحبه فمات الرجل فلم يبرح الفتى محزوناً. فقلت له: ما أراك تسلو عن صاحبك، فقال: كيف أسلو عن شخص أحسن تأديبى وعصمنى من الفسق.

وحكى أبو حمزة الصوفى، قال: نظر رجل صوفى إلى غلام جميل فافتن به، فأقعد، فكنا نأتيه ونسأله عن حاله فلا يخبر به، وبلغ الغلام حاله فعاده، فهش له وضحك فأكثر من زيارته، فقام وذهب مرضه، فعزمه الفتى يوماً، فأبى أن يذهب معه، فقلت له: لأى شئ امتنعت .

فقال: لست معصوماً، وأخاف أن تحدثنى نفسى عند الخلوة بما يحجبني عن الله.

(١) لتدكدكت: تهدمت. انظر: لسان العرب، مادة [دك].

(٢) أبو حمزة، هو: محمد بن إبراهيم البغدادي، الصوفى، شيخ الشيوخ جالس بشراً الحافى، والإمام أحمد، وصحب السرى بن المغلس، توفى سنة (٢٦٩هـ) انظر: طبقات الصوفية (٢٩٥)، الحلية (٣٢٠/١٠)، سير أعلام النبلاء (١٦٥/١٣).

وحكى أيضاً، قال: صحب محمد بن قطن الصوفي غلاماً زمناً طويلاً، فلما مات الغلام نحل حتى بدا عظمه، فرأيته يوماً وقد وقف على قبره يبكي والسماء تمطر فما برح حتى جئت في الغد فوجدته ميتاً فدفنته إلى جانبه .
 وصحب أبو الحسن غلاماً كأنما خلق الحسن على صورته أو خلق من نفس من ينظر إليه، فكان يأتي به إلى بيته فتحدث الناس فيهما، فمنع الغلام أهله من صحبة أبي الحسن فنحل حتى شارف الموت.
 فأنشد :

يا من بدائع حسن صورته	تثنى إليه أعنة الحـدق
لى منك ما للناس كلهم	نظر وتسليم على الطرق
لكنهم ساعدوا بأمنهم	وشققت حين أراك بالفرق

ولم يزل حتى مات.

وغالب هذا الباب من رواية أبي حمزة عنهم والكل متقارب مكرر.
 انتهى ما أردنا تحريره من أحوال العشاق على اختلاف أنواعهم .

خاتمة

فى ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو عن الهوى

وهو الباب الرابع من الكتاب، قد سبق فى صدر الكتاب أنه لا علاج للعشق على الأصح إلا دوام الوصال ما لم يتمكن أو يوقع فى الجبال، فمن العلاج ما ذكر عن عمر رضي الله عنه أنه عالج بالتغريب وتشويه الخلقة، وذلك أنه مر ليلة فى المدينة فسمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أو من سبيل إلى نصر بن حجاج
أو إلى فتى ما جد الأعراق مقتبل سهل الحيا كريم غير ملجاج^(١)
فته أعراق صدق حين تنسبه أخى حفاظ عن المكروب فراج

فقلت لها امرأة معها: من نصر؟

قالت: رجل أود لو كان معى طول ليلة ليس معنا أحد، فدعا بها عمر فحفقها بالدره، ودعا بنصر فحلق شعره فعاد أحسن ما كان، فقال له: لاتساكنى فى بلدة يتمناك النساء بها، وأخرجه إلى البصرة، وخافت المرأة فكتبت إلى عمر تستعطفه :

قل للإمام الذى تخشى بواده ما لى وللخمير أو نصر بن حجاج
إنى غيت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف غيره ساجى
إن الهوى ذمة التقوى فقيده حتى أقر بالجام وإسراج
أمنية لم أطر فيها بطائرة والناس من هالك فيها ومن ناجى
لا تجعل الظن حقاً أو تبينه إن السبيل سبيل الخائف الراجى

وكان عمر قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف، فأرسل إليها: قد بلغنى عنك خير فقري، ومضى على نصر^(٢) مدة بالبصرة، فأراد عاملها إرسال بريد إلى المدينة، فدى نصر بن حجاج كتاباً يستعطف فيه عمر ويسأله العود.

(١) الملجاج: الشديد اللجاجة: وهى العناد فى الخصومة. انظر: لسان العرب، مادة [لج].

(٢) نصر بن حجاج، هو: نصر بن حجاج بن علاط السلمى، البهزى، شاعر، من أهل المدينة،

كان جميلاً، ففتنت به النساء، فنفاه عمر خارج المدينة. انظر: الأعلام (٢٢/٨).

وفيه يقول:

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني
أئن غنت الذلفاء يوماً بمنية
ظنت بي الظن الذي ليس بعده
فاصبحت منفيًا على غير ريبة
ويمنعني مما تظن تكرمي
ويمنعها مما تظن صلاحها
فهذان حالنا فهل أنت راجعي
وما نلت من شتمى عليك حرام
وبعض أمانى النساء غرام^(١)
بقضاء فما لي في الندى كلام^(٢)
وقد كان لي في المكتين مقام
وآباء صدق سالفون كرام
وحوال لها في قومها وصيام
فقد جب منى كاهل وسنام^(٣)

فقال عمر: أما ولي سلطان فلا، وبعث إليه، فأقطعه بالبصرة ما يعيش به،
وقيل: نزل نصر على مجاشع بن مسعود السلمى^(٤) من بنى عمه، فأكرمه ورفع
محلّه وسمى نصر بها المتمنى، وكان تحت مجاشع شميلة بنت أبي حياء بن أبي بهر،
وكانت من أجمل النساء، فتولعت بنصر وتولع بها وزاد حبهما فأخفياه، وكان
مجاشع أمياً، فكتب لها نصر يوماً في الأرض أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك
أو تحتك لأقلك.

فكتبت هي: وأنا، وقيل: قالت ذلك بلفظ خفي.

فقال مجاشع: ما قال؟

قالت: يقول ما أحسن داركم.

فقلت: وأنا.

قال: ما هذا لهذا، وجعل على الكتابة صحيفة فحين أصبح دعا غلاماً فقراها،

فقال: هي طالق ألفا يا ابن أخي.

(١) الذلفاء، المرأة ذات الأنف الصغيرة المستوية. انظر: لسان العرب، مادة [ذلف].

(٢) الندى: المجلى. انظر: لسان العرب، مادة [ندا].

(٣) جُبّ: قُطِع. انظر: لسان العرب، مادة [جيب].

(٤) مجاشع بن مسعود، هو: ابن ثعلبة السلمى، صحابي، من القادة الشجعان، استخلفه المغيرة بن

شعبة على البصرة، في خلافة عمر، كان مع عائشة يوم الجمل، أميراً على بنى سليم، فقتل فيه، قبل

الوقعة، سنة (٣٦هـ). انظر: الإصابة (٥/٥٧٩)، تهذيب التهذيب (١٠/٣٨)، الأعلام (٥/٢٧٧).

فقال نصر: وهى طالق إن تزوجت بها.

وقيل: ضعف نصر من حبها، فأرسلها مجاشع إليه بطعام فمضت به، فمضت نصرًا إلى صدرها وأطعمته بيدها، فشفى من وقته، فقال بعض الحاضرين: قاتل الله الأعشى حيث يقول:

لو أسندت ميتًا إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

وقيل: لما عادت عنه مات. وعاشت شميلة طويلاً وقتل مجاشع يوم الجمل.

وقيل: اسمها خضراء، وأنها من بجيلة، وأنها أول من لبست الشفوف.

وقيل: إن مجاشعًا حين طلقها أخبر أبو موسى بالقصة وكان عاملاً على البصرة.

فقال لنصر: ما أخرجك أمير المؤمنين من خير، اخرج عنا، فأتى فارس فعلقته

دهقانة^(١)، فبلغ عثمان بن أبي العاص، فقال: أخرجته إلى الشام.

وقيل: إنه حين عزم على إخراجه قال: إن أخرجتمونى لحقت بالشرك،

فكاتبوا عمر، فأمر بجز شعره وتشمير ثيابه وإلزامه المسجد.

والمتمنية هى: فريعة بنت همام كانت إذ ذاك تحت المغيرة بن شعبة ثم تزوج

بها يوسف الثقفى فأولدها الحجاج، وبها كان يضرب المثل، فتقول العرب: أصبأ

من المتمنية وأدنف منها.

(١) الدهقانة: كلمة فارسية تعنى تاجرة. انظر القاموسى المحيط، مادة [دهقن].

فصل

ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب والخوض

فى المشاجرات ونحو ذلك مما سبق

ومنه رقوات^(١) وكتابات

قيل: وجد على قبر أحد ملوك حمير صحيفة ذهب مكتوب عليها:

ما أحسنت سلمى إليك صنيعها تركت فؤادك بالفراق مروعا

قيل: استخبرت كاهنة عن البيت، قالت: كانوا يكتبونه مقلوبًا، ويسقونه

العاشق فيسلو.

ومن الشائع بين العرب: أن تراب قبر العاشق إذا شرب منه فى خشب

الظرفاء^(٢) يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس أحدث السلو.

وأخبرنى من أثق به بدمشق سنة خمس وستين وتعمائة بالجامع الأموى، قال:

عشق صديق لنا امرأة وازداد ولوعه بها حتى أنفد ما معه، وهى تكثر التجنى

عليه، ومرض من حبها حتى أيس من حياته وعزم على أن يشرب السم ليموت،

فشكا ذلك إلى صاحب له، فكتب فى كفه يوم الثلاثاء، عشر صادات، وأربع

عينات، وثلاث باءات، وخمس هاءات، وعشرين كافًا، وأمره أن يلحس ذلك

وكرر الفعل ثلاثًا، فكأن الله لم يخلق حبها عنده.

ورأيت فى كتاب للبونى^(٣) سماه (خزائن الأسرار فى علم الحروف والأصفار)

(١) رقوات: جمع رقية. لسان العرب، مادة [رقا].

(٢) الظرفاء: فرع من الشجر.

(٣) البونى، هو: أحمد بن على بن يوسف القرشى، أبو العباس أحد علماء الحروف، توفى سنة

(٦٢٢هـ). انظر: كشف الظنون (١/٨٢، ١١٨)، والأعلام (١/١٦٩).

أنه من كتب سورة يس في نحاس ومحاهها بماء المطر وشرب البعض واغتسل
بالبعض سلا.

وقيل: إن عين البوم اليسار، وأظفار الخفاش إذا جعلت في جلد حمار وحش
وحملت على العضد الأيسر أحدثت السلو.

ويقال: إن حجر الجزع^(١) إذا علق فعل ذلك ولكن قد جرب أن حمله
يورث الهم .

(١) الجزع : ضرب من الخرز، وقيل هو الخرز اليماني وهو الى فيه بياض وسواد تشبه به الأيمن .
لسان العرب ، مادة [جزع] .



في ذكر ما سوى البشر وما لقوا من العبر

فى ذكر ما سوى البشر وما لقوا من العبر

النوع الأول فى الجنة:

أسند المصنف، عن الحافظ ابن حجر العسقلانى يرفعه إلى البيهقى، أنه قال: تزوج سعد بن أبى وقاص امرأة فرأى عندها على الفراش ثعباناً فهم بقتله. فقالت: هذا كان يتبعنى وأنا فى بنى عذرة عند أهلى.

فقال له سعد: هذه امرأتى تزوجتها على كتاب الله وسنة نبيه فماذا تريد منها، فانساب حتى دخل مسجد النبى ﷺ وصعد فى السقف فلم ير بعدها . ويحكى عن الربيع بنت معوذ بن عفراء^(١) من طرق مختلفة كثيرة حكاية حاصلها أن جنياً أتاها فى هيئة ثعبان أسود، فعالجها فأتى بكتاب أو قال: رق، أو نحاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من رب الكير^(٢) إلى الكير، أو قال: من رب كعب إلى كعب ليس لك على بنات الصالحين، أو قال على أمتى بنت عبدى الصالح سبيل فقرصها قرصة بقيت إلى الموت، أو قالت: جعل يده فى حلقي فاسود، وأخبرت بذلك عائشة.

وحكى عن رجل أنه سافر فجاء جنى إلى زوجته فى زيه، فلما جاء، قال له: لك ليلة ولى ليلة وإلا قتلتك فإنى أحبها، فاتفقا على ذلك فجاء الجنى ليلة، فقال: إنا نسترق السمع بالتوية وهذه ليلتى فهل لك أن تكون معى؟ قال: نعم، قال: فحملنى حتى لصق بالسما، فسمع قائلاً يقول: ماشاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فوقع وراء قاف^(٣)، فصرت أقولها إذا جاء، فيذهب إلى أن مضى ولم أره، وعندى فى هذه بعد لأنه كان راكبه فكيف جاء إلى أهله حين سقط الجنى فى الخراب .

(١) الربيع بنت معوذ بن عفراء، هى: صحابية أنصارية جليلة، صحبت الرسول ﷺ وغزت معه، فكانت تداوى الجرحى، وترد القتلى إلى المدينة. روت عن الرسول ﷺ أحد وعشرين حديثاً. توفيت سنة (٤٥هـ)، انظر: الإصابة (١٣٢/٨).

(٢) الكير: السيد باليونانية. انظر: لسان العرب، مادة [كير].

(٣) قاف: يريد جبل قاف يزعمون أنه فى آخر الدنيا ولعله جبال أرارات.

وأما حكاية الديك، فقد أورد المصنف بعضها، وأصل ذلك: أن رجلاً خرج
لحاجة له، فرأى شخصاً يمشى، فتحدثا إلى أن قربا من القرية، فقال الشخص
للرجل: أنا جنى وقد صار بيننا صحبة، ولى إليك حاجة، فهل تقضيها لي؟ قال: نعم.
فقال: امض إلى بيت فلان فإن عندهم ديكاً أبيضاً معشراً، فاشتره بما عساه أن
يكون واذبحه.

فقال له: كرامة، ولكن أيضاً لي إليك حاجة.

فقال: وماهى؟

قال: تخبرنى إذا لبستم الأنس مالذى يخرجكم؟

فقال الجنى: إني مقيدك ذلك بشرط أن تكتمه، فلما وافقه، قال: خذ عنى :
من أخذ من بين عيني حمار وحش قطعة كالسير فجعلها فى عضده الشمال
ولبس من حافره خاتماً لم يقربه جنى، فمضى الإنسى فاشترى الديك وكان
عندهم جارية لم ير أحسن منها، فحين ذبح الديك صرعت فجاءوا إليه وتعلقوا
به، فقال على برؤها، فمضى وصنع لها الخاتم والسير، فحين دنا بهما منها صاح
الجنى وقال له: أو على نفسى علمتك، والله إن فارقتها مت فلم يلتفت إليه و
ألبسها ذلك فذهب عنها .

النوع الثانى : فى ذكر من كلف وهو غير مكلف وأوهن العشق قواه حتى

تلف أو كاد أن يتلف.

قد أسلفت لك فى صدر الكتاب كيفية ارتباط العالمين فى التكليف وتداخل
اللطف فى الكثيف واختلاف القوابل والفواعل ، وقد رؤى استعداد كل لصاعد
أو نازل، وأن العشق سر يودعه الله فى الأرواح عند صفائها وسهولة انقيادها،
ثم يختلف باختلاف البواعث والدواعى وميل النفوس بحسب مرادها فعلى هذا لا
يخص نوعاً دون نوع من أحد الأجناس كما ترشد إليه أدلة التجربة والقياس،
غير أنه مختلف الرتب كما لا يخفى على ذوى الأدب، وقد صح كما سبق أن
الإنسان أفضل الموجودات لعلمه بأحكام المختلفات فلذلك كان واسطة نظام هذا
الشان ثم ما يليه الأقرب فالأقرب من أنواع الحيوان حتى ينتهى القول إلى الاجرام
العنصرية وما بينهما وبين الطبقات السماوية، وحيث أنهينا الكلام فى هذا المقام
على ما يتعلق بالإنسان فلنبين كيفية دخول العشق فى باقى أنواع الأعيان فننظم
هذا النوع فى خمسة أصناف.

الصف الأول: فى الطيور.

هى أطف الحيوان مزاجا لانحلل كئيفها بخرق هوا وذهب فضلاتها فى نحو الريش، فلذلك داخلها التألم بالنوى.

حكى الحافظ عن بعض الثقات أنه تفرد فى معبد منقطع فوجد فيه حمامتين قبلتين^(١) فإذا برق الفجر ذهبتا فلا يأتیان إلى الليل، قال: وكنت أشهد إحداهما تتخلف فتأتيها الأخرى بقوتها وداما على ذلك مدة . فلما كان يوم من الأيام خرجتا فإذا بياشق^(٢) انقض فأخذ الواحدة، فرأيت الأخرى تتبعه حتى غاب وأيست فعادت إلى المبيت وفيه ريش فلقد رأيتها تتميز^(٣) ريش المخطوفة حتى جمعتها وجعلت تضرب بجناحها الأرض وتتمرغ على الريش وتضرب نفسها، حتى نتفت ما أمكنها من ريش نفسها فقدمت لها أكلاً وماء، فلم تلتفت لشيء. فلما طلع الصبح رأيتها ميتة والريش فى فمها.

ورأيت فى كتاب لا أعلم مؤلفه سماه [لطائف الأسرار وكيفية جريان الأقدار]، طالعه سنة تسع وخمسين ولم يكن لى إذ ذاك اعتناء بهذه الأشياء ، أن غراباً كان يأوى إلى حائط فيقيم به فجاء يوماً فوجد حية قد استولت على محله فذهب فجاء بحجر صغير فرماه عليها فماتت ، فقال من رآه إن رمى به وأخذ الحجر فتبعته، فمضى حتى ألقاه فى عش خطاف ثم صار يأخذ الماء والأكل فيمضى بهما إلى أفراخ الخطاف مدة طويلة ولم أشعر يوماً إلا وقد أقبل ومعه اثنان من الخطاطيف فباتا معه ودام على ذلك أياماً فبينما أنا يوماً إذا بالواحد منهما سقط فنزل الغراب فحمله فسقط فحمله عشر مرات فلم يستقر ساعة حتى رأيت الغراب يمزق نفسه حتى مات، فقممت إلى العش فرأيت الخطاف ميتاً والآخر إلى جانبه يضطرب فمات وأنا أنظره.

(١) قبلتان، من القبلة؛ أى تأوى إلى المساجد ودور العبادة. انظر: لسان العرب ، مادة [قبل].

(٢) باشق: أصغر طائر من الجوارح. انظر: لسان العرب، مادة [باشق].

(٣) تتميز: من ميزه، إذا فرز الشيء عن غيره. انظر: لسان العرب، مادة [ميز].

قلت: ولم أزل أفكر في هذا الحجر حتى وقفت على خواص الأحجار فرأيت أن داخل الصين أغوارا يسيل الماء فيها فينعدد حجراً إذا ترك مد وغزل خيوطاً كالحرير تنسج منه أهل تلك البقعة ثياباً إذا اتسخت ألقيت في النار فيذهب ما فيها، وأنه قبل أن ينزل إذا أخذ نفع من اليرقان^(١) والحصية وسائر السموم، وأنه يقتل الحيات بمجرد الرؤية وحذاق الحكماء تعمد إلى أعشاش الخطاطيف فتدهن فراخها بالزعفران فتظن أمهاتها أن اليرقان اعترأها فتمضى إلى أماكن هذه الأحجار فتأتى بها فتأخذها الحكماء فسبحان من أهم كل شئ رشده .

وفي الكتاب المذكور أن رجلاً اشترى زوج بط، فلما ذبح الواحد جعل الآخر يضطرب تحت المكبة^(٢) حتى رفعت عنه فجاء إلى الدم فلم يزل يتمرغ فيه حتى مات .

وقالوا: إن أوفى الطيور في المحبة القمري والشقني، أعنى الفاخت، وأنه إذا مات أحد الزوجين تعذب الآخر فلم يأنس حتى يموت، وكثيراً ما سمعنا عن البلبل والشحرور الحنين إلى الغناء والملاهي والأصوات الحسنة وإن بعض الطيور نزل على يد بعض الوعاظ حتى مات .

وحكى عن سفيان: أن بلبلاً كان لولده وأنه أقام يرعى ويأتى البيت حتى قيل إنه مضى مع الناس يوم موته إلى القبر ورجع فاضطرب حتى مات .
وأما قصة الزاغ^(٣) فمشهورة جداً، وهى أن السعدى^(٤) قال: وجه إلى يحيى بن أكثم^(٥) - بالمثلثة - فدخلت وإذا عن يمينه قمطر جلد، يعنى قفصاً، فقال: اكشفه،

(١) اليرقان: آفة الزرع. انظر: لسان العرب، مادة [يرق].

(٢) المكبة: القفص. انظر: لسان العرب، مادة [كبب].

(٣) الزاغ: طائر يشبه الغراب، أصغر منه. انظر: لسان العرب، مادة [زاغ].

(٤) السعدى، هو: محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الله، البغدادي، الإمام البارع، القاضي، الفقيه الشافعي. سمع: أبا الفضل الزهري، وحامد بن إدريس، وغيرهم. وحدث عنه: سهل بن بشر

الإسفرائيني. توفي سنة (٤٤١هـ). انظر: الوفيات (٦٥/٢)، شذرات الذهب (٢٩٧/٣)، سير

الأعلام النبلاء (١٨/٥).

(٥) تقدمت ترجمته.

فكشفته، فخرج شخص نصفه الأعلى إنسان والأسفل زاغ، فقال لي:
كلمه، فاستسميته.

فأنشد:

أنا الزاغ أبو عـجـوه أنا ابن الليث واللبوة
أحب الراح والريحـا ن والنشوة والقهوة
فلا عدوان لي يخشى ولا يحذر لي سـطـوة
ولي أشياء تسـتـظر ف يوم العرس والدعوة
فمنها سلعة في الظهر لا تسـتـرها الفـرـوة
وأما السلعة الأخرى فلو كانت لها عـرـوة
لما شكت جميع النا س فيها أنها ركـوة

ثم قال: يا كهيل، أنشدني غزلاً، فقال يحيى: قد استنشدك، فأنشده.
فأنشدته:

أغرك أن اذبت ثم تابعت ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب
وأكثر حتى قلت ليس بصارمي وقد يصرم الإنسان وهو حبيب

فجعل يقول: زاغ زاغ، ونزل القمطر، فقلت ليحيى، أصلحك الله أو عاشق
أيضاً، ثم سألته عنه، فقال: لا أعرف منه إلا مارأيت، وقد وجه به صاحب
اليمن إلى أمير المؤمنين ولم يره بعد، ومعه كتاب لم أفضه أظن فيه أمره، ورويت
هذه القصة عن سوى السعدى وأنه كان عند أحمد بن أبي داود^(١) وأن الأبيات
التي أنشدتها للزاغ هي:

وليل في جوانبه فضول من الإظلام أطلس غيهان^(٢)
كان نجومه دمع حيس ترقرق بين أجفان الغواني

(١) أحمد بن أبي داود، هو: ابن حريز الإيادي، البصري، البغدادي، أبو عبد الله، القاضي الكبير،
ذو كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم. عدو أحمد بن حنبل، كان داعية إلى خلق القرآن. توفى
سنة (٢٤٠هـ) انظر: تاريخ الطبرى (١٩٧/٩)، تاريخ بغداد (١٤١/٤)، سير أعلام النبلاء
(١٦٩/١١).

(٢) الأطلس: ما كان أسود إلى غيرة. الغيهان: الظلمة. انظر: لسان العرب، مادة [طلس]، [غهب].

الصف الثاني: في ذكر بعض ما وقع للحيوان.

حكى الشيخ، قدس الله سره: أن أعظم الحيوان إدراكاً من ذوات الأربع الخيل، وأنها أقرب من غيرها إلى مزاج الإنسان وقد بسطنا أحوال الحيوانات وما بينها من الاختلاف والاتفاق والقرب والبعد في كتب الزردقة^(١).

والخيل أحسن الحيوانات مزاجاً وإدراكاً حتى إنها لاتنزو على محرم أبداً.

قال الشيخ: جرى لحصان بأخته مبرقة، فلما نزل عنها انكشف الثوب

فعرفها، فجعل يجرى حتى ألقى نفسه من جبل شاهق فتقطع.

وفى [لطائف الأسرار] أن رجلاً من أصفهان ولدت عنده فرس حصاناً

وأخرى أنثى فأتلفا فكان إذا فرق بين واحدة وأخرى لاتمشى كل منهما ولا

تأكل ولا تشرب وتصيح حتى تجتمعا، قال: وربما كان يطرح الأكل للواحدة قبل

الأخرى فلم تذقه حتى يطرح للأخرى، قال: وشاهدت إحداهما تدفع بيدها

حشيشاً إلى الأخرى، وإن إحداهما مغل^(٢) ففصدها البيطار، فلما رأت

الأخرى الدم قطعت الرباط فجاءت فمرغت نفسها فيه حتى سقطت ميتة، فلما

رأتها المفصودة طرحت نفسها عليها فإذا هي ميتة.

وحكى فيه أيضاً: أن ملك الهند بعث إلى صاحب بخارى^(٣) بفيل فأحسن

خدمته، فلما كان يوم حرب بينه وبين "قندهار" وهم يركبون الأفيال يقاتلون

على ظهورها، خرج به فحين اصطفوا نظر الفيل إلى فيل آخر في ذلك العسكر

فغلم^(٤) حتى طرح ما عليه واخترق الصفوف حتى جاءه فانطرحا إلى الأرض

وجعل كل منهما فنطيسته^(٥) على الآخر وجاء الناس ليفرقوا بينهما فإذا هما

ميتان.

(١) الزردقة: علم سياسة الخيل.

(٢) مغل: إذا أكلت التراب مع البقل، فأصابها وجمع في بطنها. انظر: لسان العرب، مادة [مغل].

(٣) بخارى: مدينة في أوزبكستان من دول الكومنولث. مركز ثقافي سياحي اشتهر منذ القرون

الأولى. انظر: معجم البلدان (٤١٩/١).

(٤) غلم: إذا انقاد للشهوة. انظر: لسان العرب، مادة [غلم].

(٥) الفنطيسة: الخطم أى خرطوم الفيل. انظر: لسان العرب، مادة [فنطس].

وفى اللطائف أيضاً أن غزالاً كان يأوى إلى محل فى جبل، وأن شخصاً رآه يتردد إلى ذلك المحل فتبعه، فرأى وعلاً فى غار وبيده ألم لا يمكنه المشى ورأى مع الغزال قطعاً من عنب وهو يلقيه فى فم الوعل فانصرف عنهما .

وحكى فيه: أيضاً عن شخص بغدادى خرج فى بعض أسفاره، فبينما هو جالس فى القيلولة وقد بسط سفره لياكل، وإذا بكلب أقبل فأخذ رغيفاً، فقام وتبعه حتى انتهى إلى غار فإذا فيه كلبة قد عطلت عن الحركة فجعل يكسر الرغيف ويضع فى فمها ويترضاها فتعجب التاجر وانصرف .

وحكى الجاحظ: أن ملكاً من أقيال اليمن اعتنى بكلب فكان يلبسه الحرير ويطوقه الذهب ويجعله معه حيث كان، فألفه الكلب حتى كان إذا غاب عنه لا يستقر فاعتراه يوماً ضعف فخرج الملك إلى الصيد وتركه فى المطبخ وكان قد أوصى أن يطبخ له أرز بلبن، فجعل الطباخ اللبن فى القدر وخرج لياتى بالأرز فخرجت حية من السقف فسقطت فى اللبن والكلب ينظر وجاء الطباخ فرمى الأرز ولم يشعر حتى تهرت^(١) وخشى الطباخ سطوة الملك وقد فاجأه بطلب الأرز، ونزل وطلب أن يأكل فى المطبخ فحين شرعوا فى وضع الطعام جعل الكلب يصرخ ويضطرب .

فقال الملك: ما له ؟

فقالوا: لا نعلم، فقدم له طعام فامتنع وجئ بالأرز إلى الملك، فصاح الكلب واشتد وجده حتى قطع السلسلة، وعاجل الملك قبل أن يأكل فوضع فمه فى الطعام وأكل فتفرز^(٢) جلده لوقته ومات، فضرب الملك الطباخين واستنهرهم، فأقروا فعلم أن الكلب فداه بنفسه لمحبهته فكفنه فى حرير وبنى عليه قبة .

قال الجاحظ: وهى الآن باليمن تسمى قبة الكلب .

وحكى عن أبى العيرانة: كان عنده حمار فمات فراه فى النوم ينشده شعراً يقول فيه: إنه مات عاشقاً، فسأله المتوكل: ما الذى كان من شأنه؟

(١) تهرت: تقطعت ونضجت . انظر: لسان العرب ، مادة [هرا] .

(٢) تفرز: تشقق وتفسخ . انظر: لسان العرب، مادة [فرز] .

قال: يا أمير المؤمنين كان أعقل من القضاة ليس له هفوة ولا زلة فاعتل على حين غفلة، فمات فرأيته في النوم فقلت له: ألم أتق لك الشعير وأبرد لك الماء فما سبب موتك.

فقال: أتذكر إذ وقفت بي على الصيدلاني يعنى العطار.

قلت: نعم .

قال: مرت إذ ذاك أتان فافتنت بها ومت .

فقلت: وهل قلت في ذلك شيئاً؟

قال: نعم وأنشد :

هـام قلبى بأتان	عند باب الصيدلانى
تيمتى يوم رحا	بشناياها الحسان
وبخى ذى دلال	مثل خلد الشيقران
فيها مت ولو عشت	إذا طال هوانى

فقلت له: يا أبا معاذ وما الشيفران؟

فقال: أنا مشغول بما أنا فيه، وهذا كلام تعرفه الحمير، فإذا رأيتم حماراً أو من كان أولاً حمار فسألوه، فضحك المتوكل حتى سقط وأمر له بعشرة آلاف درهم. وتنسب القصة فيما حكاه صاحب نديم المسامرة إلى بشار، فهذا ما أردنا تلخيصه من أمور الحيوانات.

الصف الثالث: في ذكر ما جرى من القوة العاشقية والعشوقية بين الأنفس النباتية

نقل في [لطائف الأسرار] وبه جزميت الحكماء أن أصح النبات وأعدله وأكمله خلقاً جمع أمور تسعة: الورق، والعود، والتمر، والنوى، والصبغ، والدهن، والليف، والقشر، والأصول، وقد كمل في النخل ذلك، فهذا أعدل النبات وفي الأخبار أنه من طينة آدم وورد «أكرموا عماتكم النخل»، وفي الصحيحين «أعرفون شجرة هي كالرجل المسلم» الحديث، وفي الفلاحة النبوية أن النخلة تخاف وتفرح وتعشق نخلة أخرى، فقد صح أن النخلة إذا لم تحمل ضرب في أصلها بفاس، ويقول شخص آخر: لأى شئ هذا.

فيقول الضارب: دعنى أقطعها فإنها لم تحمل.

فيقول: دعها في ضمانى العام فإن لم تحمل فاقطعها، فإنها تحمل . وقد جرب ذلك.

وحكى فى النفائس قال: زرع شخص أربع نخلات متقابلات فحسن ثمهن سنين ثم أصيبت واحدة فيست فلم تحمل التى فى مقابلتها .

وحكى أيضاً أن شخصاً كان له نخل وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد وربما تثمر وتسقط قبل البلوغ ، فشكا ذلك إلى حاذق ، فجاء حتى نظرها، فقال: إنها عاشقة، ثم دعا برصاص فصنع شريطاً وربطه منها إلى نخلة أخرى هناك فحسن ثمها تلك السنة، ودامت كذلك، وإن صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر، فأعاده فصلحت .

وحكى بعض ذلك فى الخريدة^(١)، و أما ما بين الفلفل، والكافور، والتين، والنفط، والزنجبيل ، والازدارخت ، فأشهر من أن يحكى، وغاية الأمر أن يُدعى الخواص، فيقال: إن شدة الائتلاف بين العاشق والمعشوق، من قبيل الخواص .

الصف الرابع: فيما بث من أسرار بين أصناف الأحجار

اعتلاق المغناطيس والحديد مما لا يشك فى وجوده، وهذا لكثرة وجود المغناطيس وإلا فسائر المنطرقات أحجار من الجمادات تجذبها المشاكلة بينهما فى الزئبقية والكبريتية وهذا ظاهر التعليل .

وأغرب منه ما حكى فى [اختصار الكائنات] للمعلم أن بالبحر دابة كالأرنب يتولد فى رأسها حجر إذا أخذ وأشير به إلى اللحم أو الحيوان انجذب حتى يلصق بالحجر. وفيه أيضاً أن شخصاً نزل بأرض اللؤلؤ^(٢) مما يلى جزيرة رامهرام فوجد الشمس إذا أشرقت على أرضها ترتفع منها أشعة، ثم تتراقص أحجارها وتضطرب حتى تجتمع فإذا غربت الشمس افتزقت الأحجار .

(١) الخريدة: اللؤلؤة التى لم تنقب. انظر: لسان العرب، مادة [خرد].

(٢) أرض اللؤلؤ: محلة كبيرة كانت بدمشق خارج باب الجابية، وبها قطعة من الجبل تشرف على البحر، بها قصور. انظر: معجم البلدان (٣١/٥).

الصف الخامس : فيما بث من الأسرار الملكية بين الأجسام والأجرام الفلكية
وهذا منتهى الكائنات وسر الموجودات ومن حيث بدئ الشيء
عاد عند مفارقة الفساد.

اعلم أن الأيام والأجرام والبروج والكواكب والأجسام والدوائر متطابقة
التأليف متوافقة التكييف قد تربعت جهة وريجًا وأقطابًا وطبعًا، وتشعبت قوى
وجوانب ونقصًا وزيادة إلى غير ذلك، فمثالها في الإنسان اثنا عشر مخرجًا:
عينان، وأذنان، وفم، ومنخران، وسرة، وثديان، وسبيلان، قد قيست بالبروج،
ونفس بالشمس إذ لا تزيد ولا تنقص، وعقل بالقمر في قبول الحالتين، والخمس
الحواس بالخمس البواقي وهكذا إلى درج في العروق ومفاصل بالجوزاهرات
والكل خدمة بلسان الشرع ملائكة، ولسان الحكمة نفوس وعقول مجردة،
وفرع أهل الرياضة والروحانيات والأرصاد على ذلك الاستخدام واستنزال
الكواكب وتكليمها والطيران إليها وتحريك الجمادات إلى غير ذلك مما بسطناه في
كتبنا الحكمية وجارينا فيه أهل كل فن على مقتضى قواعدهم مما لا يليق بهذا المحل
وهل ذلك إلا قوة عاشقية فليعتبر أولو الأبصار وعليتهم أولو الأبواب فسبحان من
أوجد ذلك واستغنى عنه وأثر فيه ومنه لا تغيره الأزمان ولا تفنيه الأوقات
ولا يعجزه اختلاف الأكوان .



يفتقر إليها الناظر في هذا الكتاب
ويحسن موقعها عند أولي الألباب

تتمات

يفتقر إليها الناظر في هذا الكتاب ويحسن موقعها عند أولى الألباب

فذلك هو المشروع الجامع لما ذكر في المصارع وينحصر في فصول مختلفة وإن كانت في الجنس مؤتلفة .

في تحقيق معنى الحسن والجمال وما استلطف في ذلك من الأقوال :

الأصل في المحاسن والمطلوب عند العقلاء في كل المواطن إنما هو إصلاح السرائر وتهذيب البواطن لا الظواهر، وإنما ضم إصلاح الظاهر إلى ما ذكر طلباً لتحصيل الكمال ودلالة في الأغلب على الاعتدال ، ويتم الأول بتحسين المقاصد وإصلاح العقائد وقصر القلب على عتبات الحق في تلك المواقف مستمداً بالمراسد مستعداً للأوامر الإلهية وتلقى ما في تلك الصحائف وذلك كما قال محقق المقول ومهذب الفروع والأصول وجامع المراتب الباطنة والظاهرة، وقطب دائرة الكائنات في الدنيا والآخرة .

(إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) وصلاحه استعداده لقبول ما يجب فعله وترك ما يجب تركه وذلك متعذر إلا بعد الأخذ بالحظ الأوفر من أمهات الأخلاق، وهي الحكمة والشجاعة والمروءة والعدالة، فإنها لهذا المورد كالأخلاط للمزاج إفراطاً واعتدالاً، وخير الأمور سلوك الاعتدال للسلامة من الإفراط والتفريط اللاحقين لكل من هذه كالتهور والجبين . ولازم مما ذكرنا المتخلق بالعفاف والزهد والصدق والورع والتسليم إلى غير ذلك ، وعد قوم العفة أصلاً بدل المروءة لأنها تدرج في العدالة ، وبعض المتصوفة جعل التسليم أصلاً أيضاً، وبالجملة فهذه الخصال الداعية إلى حفظ ما به النظام من النفس والعقل والعرض والمال ، فإن المتخلق بها محال أن يقع منه قتل أو أخذ ما يزيل عقله أو زنا أو تناول غير ما هو له فهذه أصول السياسة ونظام المدنية وموضع بسطها الحكمة ، بل ملازمة الشريعة المطهرة ، فقد أغنت عنها ، فهذه الأخلاق التي لا أجدر من وصف المتخلق بها بالحسن والجمال .

وأما المحاسن الظاهرة اللائق ذكرها بهذا المحل - وإليها إشارة المترسمين وفيها غالب النثر والنظم - فالعبارات عنها كثيرة، والألفاظ فيها غزيرة.

قال بعضهم: الحسن الصريح ما استنطق بالتسبيح، أو هو تناسب الخلق، واعتدال البشرة، وصفاء المادة، أو مركب من الوضوء والتناسب والصباحة .

وقيل: لحسن بياض اللون، وسواد الشعر وكل منهما شطره، والصباحة كالملاحه، والبياض والجمال ما أخذ بالبصر أو هو السمن اشتقاقاً من اسم الشحم .

والصحيح أنه معنى لا يدرك ويختلف باختلاف الأشخاص ودقة الأنظار وصحة التأدى إلى الأفكار، وهذا معنى قوله: الحسن ما زين الزينة واستحسن دونها.

وإلى ذلك كله أشرت بقولي :

جميلة الأوصاف لطيفة منظر	مليحة عطف طاب منها المغارس ^(١)
يدق عن الألباب إدراك حسنها	وجلّت فزلت عن علاها المقاييس
منعمة لم تلبس الوشى زينة	ولكن أحبت أن تزان الملابس
غرست بلحظى الورد فى وجناتها	ومن دمي المسفوك تسقى الغرائس
وجئت لأجنى ما غرست فصدنى	من الجفن أسياف هناك وحارس

فلو لم يكن الحسن فى نفس الأمر كذلك، ولكل ذى نظر دقيق مالك ، ماختلفت فيه العبارات ولا كثرت فيه الاستعارات، ولا بالغ كل فى تحصيله بجده واعتقد التقصير عن حده، والخلاف إنما هو بالألفاظ ، والمعنى المطلوب واحد كما هو رأى أهل التحقيق من سائر الموارد.

ومن ثم قال بعضهم :

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

و لله در أستاذ عطر الوجود فيض وجوده، واستمدت الكائنات من بحر فضله وجوده حيث حقق هذا المعنى وسبكه فى أحسن مبنى بقوله :

فكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمال تنازع

هذا هو الحسن العام وقد خصوا كل عضو بصفة.

(١) المغارس ، جمع المغرس : موضع الفرس . انظر: لسان العرب، مادة [غرس].

فقالوا: الحلاوة فى العين، والملاحة فى الفم، والجمال فى الأنف، والظرف فى اللسان.

وقالوا: إذا حسنت العين فتمامها الدَّعَجُ^(١)، والفم فتمامه الفَلَجُ^(٢)، يعنى فى الثَّغْرُ، وطلاوةُ الجبين البَلَجُ^(٣)، وبريقُ الوجنة الضَّرَجُ^(٤).

وأحسن ما تكون المرأة إذا طال منها: الأطراف، والعنق، والشعر، والقامة، وقصر منها العين، واللسان، واليد، والرجل، والمراد بالقصر القصر المعنوى كعدم الطموح بالعين، وأخذ شئ فوق الحاجة، والخروج من بيتها.

وابيض منها: اللون، والفرق، والثغر، وبياض العين، والمراد بالثغر الأسنان، أما اللثة فقد مدحت العرب سوادها.

وإلى ذلك أشار طرفة^(٥) بقوله :

سقته آيات الشمس إلا لثاته أسف ولم تكدم عليه بأثمد^(٦)

واسود منها: الهدب، والعين، والحاجب، والشعر.

واحمر منها: اللسان، والشفة مع اللعس يعنى يسير السواد، والخد وتشريب البياض بيسيره .

ودق منها: الحاجب، والأنف، والسنان، والخصر.

وغلظ منها: المعصم، والعجيزة، والفرج، والساق.

واتسع منها الجبين، والجبهة، والعين، والصدر، وضاق منها: المنخر، والأذن،

والفم، والفرج.

(١) الدعج : شدة سواد العين . انظر: لسان العرب ، مادة [دعج] .

(٢) الفلج : مُفَلَّجُ الثنايا أى منفرجها . انظر: لسان العرب ، مادة [فلج] .

(٣) البلج : التباعد ما بين الحاجبين . انظر: لسان العرب، مادة [بلج] .

(٤) الضرج : التشبع بالحمرة . انظر: لسان العرب، مادة [ضرج] .

(٥) طرفة بن العبد، هو: ابن سفيان بن سعد البكرى، الوائلى، أبو عمرو. شاعر جاهلى، من

الطبقة الأولى. ولد فى بادية البحرين، وتنقل فى أرض نجد، واتصل بالملك عمرو بن هند،

الذى أمر عامله على البحرين بقتله، عندما بلغه أنه هجاه، توفى سنة (٦٠ ق هـ). انظر:

الشعر والشعراء (٤٩)، أشعار العرب (٣٢)، الأعلام (٢٢٥/٣).

(٦) تكدم، من كدم: عض عليه بمقدم فمه. انظر: لسان العرب، مادة [كدم].

فهذه أوصاف بها جماع الحسن إذ كل ما خرج عن ذلك كجعودة الشعر وإستدارة الوجه ونعومة البدن راجع إليها، وإنما العبارات الكثيرة تفنن في الأوصاف وأهل الفراسة تجعل الجمال الظاهر دليلاً على اعتدال المزاج .
وقال بعض الحكماء: من نعم الله على العبد تحسين خلقه، وخلقته، واسمه، قيل: وصوته.

حكى بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٣٥]
 يعنى حسن الصوت.

وقال سقراط^(١): إذا حسن الله وجهك فلا تضيف إليه قبيح المعاصي، أو قبحه فلا تجمع بين قبيحين .

وقال عليه الصلاة والسلام «**إن الله جميل يحب الجمال**» وكان يختار لحاجته صبيح الوجه، حسن الاسم، طلباً لاجتلاب القلوب، ومن ثم كانت الأنبياء عليهم السلام أكمل الناس لأن غاية بعثتهم الاتباع وعدم النفور فيجب انتقاء موجبهما فيهم. وأوتى يوسف شطر الحسن، وأما نبينا فكل جمال بالنسبة إلى حسنه بِلالة^(٢) وإلى نوره ذبالة^(٣) فقد اتفق له صلى الله عليه وسلم محاسن الأخلاق والشيم وهذا هو المطلب الذي تكل^(٤) عنه البصائر، ويقصر عنه كل ذى حد جائر ، وإذا لم يتفق للعبد حسن السيرة والخلقة فالأولى الأول فإنه من مطالب الحكمة التي غايتها السعادة ، وهى من الأعراض اللازمة، والثانى من مطالب الشهوة وقد توقع فى المحنة ولا بد وأن تفارق .

تنبيه : قد وقع لهم تشبيه بعض الأعضاء بالحروف: كالحاجب بالنون، والعين بالعين والصدغ بالواو، والفم بالصاد والميم ، والثنايا بالسين، والطررة^(٥) بالشين، والقامة بالألف، وربما شبهوا العين بالصاد أيضاً.

(١) سقراط: فيلسوف يونانى، ولد بأثينا، وعلم فيها، فأحدث ثورة فى الفلسفة بأسلوبه وفهمه.

(٢) البِلالة : قدر ما يميل به الشئ، والمقصود هنا القدر القليل . انظر: القاموس المحيط ، مادة [بلل] .

(٣) ذُبالة : الفتيلة التى تسرج والمراد قدر فتيلة . انظر: لسان العرب، مادة [ذبل] .

(٤) تكل، من كل البصر: لم يحقق المنظور. انظر: لسان العرب، مادة [كل] .

(٥) الطررة: الجبهة. انظر: لسان العرب، مادة [طرر] .

وبالفواكه: كالخدود بالتفاح، والشفة بالعُنَاب، والثدى بالرمان.
 وبالمشمومات: كالوجنة بالورد، والعين بالترجس، والعدار^(١) بالآس.
 وبالمعادن: كالشفة بالعقيق، والأسنان باللؤلؤ، وقد وقع تشبيه الشفة بالمرجان أيضا.
 وبأشياء مختلفة: كالوجه بالبدر، والفرق بالصبح، والشعر بالليل، ومرسله
 بالحية، والصدغ بالعقرب، والوجنة بالماء والنار، والريق بالخمير، والثدى والسرة
 بِحُقِّ العاج إلى غير ذلك .

وللشعراء في ذلك على اختلاف مراداتهم وتخييلهم المقدمات الشعرية كلام
 كثير فمن أبدع ما رأيت في التشبيه بالحروف وبعض الأشياء كلام الأديب
 الحاذق علاء الدين الشاهيني^(٢) من قصيدة طويلة كلها محاسن أولها :

فم العذار بعارضيه وسللا وتضمنت تلك المرأشف سلسلا
 ومنها وقد حذف أداة التشبيه قصد المبالغة وهو من أساليهم المشهورة قوله :
 صباحا مع الجوزاء لاح لناظري متلجأ فأزاح ليلا البلا
 من لي بغصن نقا تبدى فوقه قمر تغشى جناح ليل فانجلي^(٣)
 ومنها :
 كتب الجمال على صحيفة خده براء معناه البهيج ومثلا
 فبدأ بنونى حاجبيه معرفا من فوق صادى مقلتيه واقفلا
 ثم استمد فمد أسفل صدعه ألفا آفت به العذاب الأطولا
 فاعجب له إذ هم ينقط نقطة من فوق حاجبه فجاءت أسفلا
 فتحققت فى حاء حمرة خده خالا فعم هواه قلبى المتلى
 قسما بفاء فتور جيم جفونه لأخالفن على هواه العذلا

(١) العذار: الخد. انظر: لسان العرب، مادة [عذر].

(٢) علاء الدين الشاهيني، هو: خليل بن شاهين الشينخي، الصفدى، مؤرخ، أديب، شاعر. من
 آثاره: ديوان شعر. انظر: كشف الظنون (٩٧)، معجم المؤلفين (٦٨٤/١).

(٣) نقا، النقاوة: نوع نبات من الحمص. انظر: لسان العرب، مادة [نقو].

وللشواء من الأسلوب المذكور وقد
 أرسل فرعا ولوى هاجرى
 فخلت ذا من خلفه حية
 ذى ألف ليست بوصل وذى
 وقال آخر :

لا تقولى لا فمكتوب على
 بحروف خلقت من قدرة
 نوتها الحاجب والعين بها
 نكتة:

اعلم أن الأساليب فى هذا الباب دائرة بين التشبيه المجرد وبين جعل الحروف ونحوها من المشبه به فى العادة مشبهاً ، ومقابله فى المحبوس مشبهاً به ، وفى كل ذلك إما أن تبقى الأداة أو تحذف ، وفى كل إما أن يرشح المعنى بأوصاف تزيده حسناً أو لا ، وأرفع الكل جعل الممدوح مشبهاً به محذوف الأداة مرشحاً بلطائف الأوصاف وقل سالكه وعكسه معلوم.

ولى من الفن الثانى :

بروحى أقى من خلتها حين أقبلت
 قضينا من الكافور يمطر لؤلؤا
 ومنه وقد زدته على ما يلزمه التحسين
 شمس الضحى كجيبك الوضاح
 على أثر حزن تنثر الدمع فى الخد
 من النرجس الوضاح فى فرش الورد
 أف لمن جعلوه كالمصباح
 داعى الهوى كالغصن بالأرياح
 أبدا وإن أظهرت فعل الصاحي
 قول النصيح وخننى يا صاح
 ومما لم يعرج فيه على ذكر تشبيهه ، بل أشعر فيه باحتياج المشبه به فى العادة إلى المشبه ما قلت :

يهناك يا قلب من زارتك فى السحر
 حسناء لو لم تعاین نور طلعتها
 ووجهها لو رآه البدر واحتجبت
 ولم تخف ثم من واش ولا ضرر
 شمس الضحى ما بدت يوماً على بشر
 عنه ذكاً لم تخف نقصاً على القمر

فصل

في خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين

اعلم أن مدار تلوين البدن إما على الخلط ، أو شدة الحرارة ، أو ما تركب منهما .
والأول: يلزم حالة واحدة إما البياض في البلغم ، أو حمرة في الدم ، أو صفرة في الصفراء ، أو لسواد في السواد ، وما تركب بحسبه مع مراعاة الطوارئ كقرب الشمس أو جبل أو سد جهة وهذا المبحث هو المعروف عند الأطباء بالألوان ، وعند العامة بالسحنة ، وموضع تحقيق الطب .

والثاني: يلزم السمرة وإن غلب البلغم .
وأما الثالث: فهو الذي تناط به أمثال هذه الأحكام ، وحاصل القول فيه: أن الجلد شفاف يحكى ما تحته وأن الباعث إليه الأخلاط وهو الحرارة ، فهي كالنار إن اشتدت صعّدت ما لاقته ، وموضعها القلب ، ومحركاتها مختلفة ما بين غضب وحياء وقهر وغيرها إما إلى داخل دفعة أو تدريجياً ، أو إلى خارج كذلك أو إليهما كذلك .

وموضع بسطه الحكمة والذي يخلصنا من ذلك هنا أن نقول إن استيلاء سلطان المحبة والعشق من المعشوق على العاشق أعظم إستيلاء من سلطان القهر والعظمة والناموس السلطاني ، حتى قال بعض الحكماء: لكل مرتبة من مراتب المحبة حد إلا محبة العشق فلا حد لها .

وقال بعضهم: إن تعلق روح العاشق ببدنه كتعلق النار بالشمعة إلا أنه لا يطفئها كل هواء .

إذا تقرر هذا وجمع إلى ما قررناه من مراتب تحريك الحرارة ظهر علة اصفرار لون العاشق ، وارتعاد مفاصله وخفقان قلبه ، لأن الاستبشار بالاجتماع الموجب للفرح المنتج لحركة الحرارة إلى خارج لتؤثر الحمرة وصفاء اللون بعارضه لشدة الشفقة والخوف من نحو واش وسرعة تفريق ، واليأس الموجب لإخماد الحرارة أو جذبها إلى داخل هو المنتج لصفرة اللون أو الموت فجأة ، ومن ثم إذا أمن من ذلك لم يقع تغير كما قيل .

فلا تحسبن كل اجتماع مغيراً فان اجتماعي بالأمان أمانى

وأما حمرة المعشوق فهي: إما حياء، وإما خجل، وكل منهما باعث للحرارة إلى خارج، ونتيجته احمرار الألوان وصفاءها، فأفضل الألوان: الأحمر الصافي المشرق مطلقاً، حتى في الثياب: كاللؤلؤ، والمشروب والمشموم: كالورد و شقائق النعمان، والحيون: كالخيل، والمعادن: كالذهب والياقوت، إلى غير ذلك. ومنه: أهلك الرجال الأحمران، يعني الخمر واللحم، والنساء الأحامرة يعني الذهب والزعفران والخمر واللحم.

ولبعض الشعراء:

أن الأحامرة الثلاثة ضيعت
الخمر واللحم السمين كذا الطلا
وقال المتنبي^(١):

مالي وكنت بهن قدما مولعا
بالزعفران فلا أزل مروعا

من للجآذر في زى الاعاريب
وأحب ما يكون إليهم منه ما كان في الوجنات والشفاه.
قال أبو نواس:

يا قمر أبصرت في مآتم
تبكى فتذرى الدر من نرجس
تندب شجوا بين أتراب
وتلطم الورد بعناب

وأما وصفهم الموت بالاحمرار، والدمع الناشئ عن شدة الحرقه بالحمرة، فليس طعنا فيهما بل مدح، لأنهم أرادوا أنهما من المطالب التي لاتنال إلا بالمشاق والصعوبة.

ومن أطف ما وصف به الدمع، قول عماد الدين:

أرى العقيد في ثغره محكما
وتكلمة الحسن أيضا حها
ومشور دمعى غدا أحمرًا
وبعت رشادى بغى الهوى
يرينا الصحاح من الجوهر
روناه عن وجهك الأزهر
على آس عارضك الأخضر
لأجلك يا طلعة المشتري

(١) المتنبي، هو: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي، الكوفي، أبو الطيب، شاعر، حكيم، ولد بالكوفة ونشأ بالبصرة، وطلب الأدب، وفاق أهل عصره في الشعر، توفي سنة (٣٥٤هـ). من آثاره: ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١٩٥)، معجم المؤلفين (١/١٢٦).
(٢) الجآذر، جمع الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. انظر: لسان العرب، مادة [جذر].

ومن أطف ما يعجبني في وصف المعشوق بالاحمرار والعاشق بالاصفرار، قول
بن أبي الحديد^(١) من قصيدته التي أولها :

الصبر إلا عن فراقك يجمّل والصعب إلا من ملالك يسهل
يصفر وجهي حين أنظر حسنه خوفاً ويدركه الحياء فيخجل
فكأن ما بخدوده من حمرة ظلت إليها من دمي تنقل

وقال بعض المتأدبين: لم يقع في هذا المعنى أطف من البيتين المنسوبين إلى

إبليس وهما :

وجمراء قبل المزج صفراء بعده بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكمت وجنة المعشوق صرفاً فسلطو عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

وقيل: أنشدهما لابن دريد في النوم، فاعترضه بأنهما من اللف والنشر

المشوش، فقال له: وما هذه المشاحنة في هذا الوقت يا بغيض.

تنبيه: قد توسع الناس في هذا المبحث فخرجوا منه إلى التفضيل بين السمر
والبيض وخاضوا بسبب ذلك في كلام عريض، فمن قائل: بتفضيل السمر
مطلقاً، وقوم: البيض، وآخرون فصلوا.

فقالوا: إن كلا يميل إلى عكس لونه، وهذا تحكم وحكم على الطبائع
والأمزجة بلا دليل، والصحيح أن الميل إما بداعية الشهوة أو النفع، ولا ضبط
للأول لاختلافه باختلاف الأشخاص.

وأما الثاني: فالقول فيه إما بحسب معتدل المزاج، فالروميات حينئذ في نحو
الحجاز أنفع، كما أن الحبشيات في نحو الروم أجود؛ لأن حرارة الأبدان تختبئ
في الأغوار زمن البرد وبالعكس، وأما بحسب المرضى، فالسود للمبرودين
أجود، والبيض للمحرورين كذلك.

(١) ابن أبي الحديد، هو: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني، أبو حامد. أديب،
كاتب، شاعر. ولد بالمدائن، ورحل إلى بغداد، فكان أحد الكتاب في ديوان الخليفة. توفي
ببغداد سنة (٦٥٥هـ). من آثاره: القصائد السبع، ديوان شعر. انظر: الوافي (١٦)،
البداية والنهاية (١٣/١٩٩)، معجم المؤلفين (٦٦/٢).

وعندى أن عكس هذا أجود لما سمعت من التعليل ، والصحيح أن الحبشة
ألطف مما عداهم مزاجاً، وأرق بشرة، وأعدل حرارة، فلذلك هن أوفى مطلقاً
ولكنهن فى معرض التغيير ، وموضع تحقيق ذلك فى الطبيعيات .

وأما الحكم على المصرين بأنهم إلى السمير أميل، فمن قبيل ماقررناه من التحكم.
ومن ألطف الأشعار المقولة فى التفضيل، قول على بن الجهم^(١) :

وعائب للسمير من جهله مفضل للبيض ذى محك^(٢)
قولوا له عنى أما تستحي من جعلك الكافور كالمسك
وقال أبو جعفر^(٣) الشطرنجى :

أشبهك المسك واشبهته قائمة فى لونه قاعده
لاشك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحد
وقلت فى ذلك :

أرى السمير أشهى منظرًا عند عارف وأشرف مطلوبًا سما فى المطالب
فقل للذى قد فضل البيض جاهلاً رويدك لا ترغب لغير مناسب
فكم بين قيراط من المسك قيمة وقنطار ثلج بارد من مراتب
وقلت فى عكس ذلك :

بيضاء تجلوهم عن ناظرى بعين حق لا بعين انتقاص
فقل لمن يرغب فى أسمر ما الفضة البيضاء مثل الرصاص

وإذا أحكمت ما قررناه من علة اصفرار الألوان علمت أن خفقان القلب
عند الاجتماع أو الرؤية من لازم ذلك الشأن، وقد لهج الشعراء بالاعتذار عن
ذلك وأكثروا فيه من التشعب والمسالك.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) محك: تمادى فى اللجاجة والخصومة. انظر: لسان العرب، مادة [محك].

(٣) أبو جعفر الشطرنجى، هو: عمر بن عبد العزيز، أبو حفص. شاعر عليه بنت المهدي، كان
منقطعاً إليها. كان غزلاً، أديباً، ظريفاً. شغف بالشطرنج، فنسب إليه. توفى سنة (٢١٠هـ)
انظر: الأغاني (٦٩/١٩)، الأعلام (٥٠/٥).

فمن أطف ما قيل فيه قول الوراق^(١) :

يقول لي حين وافى قد نلت ما ترتجيه

فما لقلبك قد جا بحففة تعزیه

فقلت وصلك عرس فالقلب يرقص فيه

وأطف منه قول البهاء زهير^(٢) :

لاتنكروا خفقان قلبي والحبيب لى حاضره

ما القلب إلا داره دقت له البشائر

وتظرف ابن عنين^(٣) بزيادة ظرافة على الاعتذار عن الخفقان حيث قال :

إن كان لابد من رقادي فاضلعي هاك كالوساد

فم على خفقها هدوا كنومة الطفل فى المهاد

وكثيراً ماتتبعت كلامهم فلم أر من جمع بين الاعتذار عن تغير اللون

والخفقان .

فقلت فى ذلك :

قالت أراك إذا عاينتى وجلا عديم لون بهيج كنت تملكه

والقلب منك خفوق لا يسكنه شئى فىاليت شعرى مايجركه

فقلت ما تدر أن الشمس إن جمعت بالبدر بعد تمام النور تنهكه

والطير إن ألف الفصن الرطيب وقد ماتت به الريح هل يخفى تحركه

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) بهاء الدين زهير، هو: زهير بن محمد بن على بن عاصم الأزدي، المهلبى، العتقى، أبو العلاء،

أبو الفضل، أديب، ناظم، ناظر، برع فى مجال الأدب وتفوق فيه، توفى سنة (٦٥٦هـ)، من

آثاره : ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٠/١٣)، معجم المؤلفين (٧٣٧/١).

(٣) ابن عنين، هو: محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن، الأنصارى، الكوفى، الحورائى،

شرف الدين، أبو المحاسن. شاعر، أديب، مؤرخ، لغوى، أصله من الكوفة، وولد فى دمشق،

وترحل فى البلاد، ثم عاد إلى دمشق، وتولى الكتابة لى المالك العادل . توفى سنة

(٦٣٠هـ) من آثاره : ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٠/١٣)، معجم المؤلفين

(٧٥١/٣) .

وفى الأبيات مع ما ذكر وصفها بالشمس فتكون هي المفيدة للمحاسن والآخذة لها كما بين الشمس والبدر ثم جعلها أغصاناً يميل مع الهواء ، والقلب طائر عليه وكل ذلك زيادة على المطلوب ، وأما وصف خفقان القلب من غير نظر إلى الاعتذار عنه فكثير.

قال ابن سنا الملك^(١).

أما والله لولا خوف سخطك هان على ما ألقى برهطك
ملك الخافقين فتهمت عجباً وليس هما سوى قلبى وقرطك

وقال معين الدين :

لم أنسه إذ قال ابن تملنى حذراً على من الخيال الطارق
فأجبت فى قلبى فقال تعجباً أرايت عمرك ساكناً فى خافق

وقد نسب ابن تقي إلى الجفوة فى قوله :

ومهفهف مال به سنة الكرى زحزحته شيئاً وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشنقه كى لاينام على وساد خافق

فقليل: أنه لو قال باعدت عنه أضلعاً لكان أولى بالمقام .

(١) ابن سنا الملك، هو: هبة الله بن جعفر بن المعتمد، السعدى، المصرى، أبو القاسم، أديب، شاعر، نثر، ولد بمصر، ورحل إلى الشام، توفى سنة (٦٠٨هـ) ، من آثاره : ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (١١٠/١٣) ، معجم المؤلفين (٥٤١٤) .

فصل

فى مراتب الغيرة وما توقعه بالمحب من الحيرة

وهى باعثة نفسية مادتها المروءة والمحبة ثم تزيد وتختلف بحسب الدواعى والأشخاص، والمحمود منها ما كان واقعاً عند مشاهدة نقص فى ناموس إلهى وحكم دينى ونمط شرعى، فتبعث المتانة فى الدين والمروءة على إصلاح مانقص باليد ما أمكن ثم اللسان ثم القلب، وهذا هو الذى ترجمه الشارع بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم توسع الناس فيها فأضافوا إليها سوء الظن، فوقعوا بذلك فى مفاصد كثيرة، كنهى بعض جهلة المتصوفة عن ذكر الله غيرة عليه، والحج والصلاة وغير ذلك مدعيًا أنه ليس بأهل لها، وقتل بعض العشاق من يتوهم منه ميل إلى محبوبه بل نفسه بل معشوقه، ولهم فيها كلام كثير فى قوالب شتى فبعضهم يغار من السواك والشربة والثوب وأمثال ذلك، غير أنى لم أر من غاص على لطائف هذا المعنى وتظرف فى هذا المبنى ألطف من بهاء الدين زهير حيث غار من التلفظ بالحروف التى فى اسم محبوبه، فله دره من غائص على نفائس الجواهر الفكرية ومستخرج لها من بحور الأذهان إلى بحور الألفاظ الرسمية.

وذلك قوله :

وأنزّه اسمك أن تمر حروفه من غيرتى بمسامع الجلاس
فأقول بعض الناس عنك كناية خوف الوشاة وأنت كل الناس

إلا أن فيه بحسب ما يظهر مناقشة فإن ظاهر كلامه أنه يجوز التلفظ باسمها من فم نفسه بمسامع الجلاس وذلك غير جيد، وأدق منه وأسلم - وإن كان هذا أسجماً - قول يزيد بن معاوية^(١) :

ألا فامل لى كاسات خمر وغن لى بذكر سليمى والرباب وتنعم
وياك ذكر العامرية أنسى أغار عليها من فم المتكلمى
أغار على أعطافها من ثيابها إذا لبستها فوق جسم منعم
وأحسد كاسات تقبل ثغرها إذا وضعتها موضع اللثم فى الفم

(١) تقدمت ترجمته.

ومن لطيف كلام ابن أبي الحديد^(١) في هذا المعنى :
 فإرب بغضها إلى كل صاحب
 وبغض إليها الناس غيري كما أرى
 فإجنة فيها العذاب ولم أخف
 ومما ينسب إلى قيس^(٢) :

أرى الإزار على اليلى فاحسده
 وقال أبو تمام^(٣) :

بنفسى من اغار عليها منى
 ولو أنى قدرت طمست عنه
 حبيب بث فى قلبى هواء
 فروحى عنده الجسم خال

ومما سنح لى فى ذلك قولى :

نظرت إليها والسواك قد ارتوى
 تردده من فوق در منضده
 فقلت وقلبى قد تفتطر غيره
 فقالت أما ترضى السواك اجبتها

بريق عليه الطرف منى باكى
 سناه لأنوار البروق يحاكى
 أيا ليتنى قد كنت عود أراك
 وحقك مالى حاجة بسواك

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أبو تمام، هو: حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائى ، شاعر ، أديب ، ولد بجاسم من قرى حوران بسوريا، ونشأ بمصر، وجالس الأدباء، وأخذ منهم، توفى بالموصل سنة (٢٣١هـ) من آثاره: فحول الشعراء، ديوان الحماسة، ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٨)، تاريخ بغداد (١٢٤٨/٨)، معجم المؤلفين (٥٢٤/١).

فصل

في أحكام أسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الأجابة

قد اختلفت آراء الحذاق وتشعبت مرادات العشاق، فمن ذاهب إلى أن الأفضل خزن الأسرار وأن ذلك من فعل الأحرار، ومن قائل إن إفشاءها يسر القلب ويسرى الكرب، ومن قائل بالتفصيل وإن الإذاعة إلى المحبوب مطلوبة إذ هو الطيب وكنم العلة عنه تعذيب، وأما الإباحة لغيره فغير جائزة في مذهب المحبين وفاعلها ممقوت ومن أكبر المذنبين، وهذا الطريق قد ادعى في ديوان الصبابة أنه الكاشف عن وجهه نقابه ولا والله ماله فيه ذرة، ولم يكن ارتضع من هذه اللقح^(١) ذرة.

وأنا أنبه على من استنتج هذه الآراء المحررة ودون هذه المذاهب المحيرة فأقول: اعلم أن الطرق الثلاث موجودة في كلام صاحب النفحات القدسية والألطاف الربانية المعطر بنفثات فيه^(٢) الأقطار القائم بأعباء المحبة والأسرار قطب دائرة الوجود على رغم كل معارض سيدي عمر بن الفارض، أفاض الله علينا من إمداداته، وشمطنا باللطاف عناياته.

فمن كلامه في المذهب الأول وهو الحقيق بالنصرة وعليه المعول :

وللحب أقوام كرام نفوسهم منزهة عما سوى الحب يا خلى
إذا أودعوا سرا رأيت صدورهم قبور الأسرار تنزه عن نقل

ومن قوله في المذهب الثاني، وهو صريح في استيفاء الشروط المذكورة :
وابتثها ما بى ولم يك حاضرى رقيب بغى سرى بخلوة جلوتى^(٣)

ومن قوله في المذهب الثالث بل هو أعم من هذا المشرب وقابل لكل مطلب:
ويحسن إظهار التجلد للعبداً ويقبح غير العجز عند الأجابة

ثم لهج الناس بهذه الطرق فمن قول بعضهم في المذهب الأول :
باح مجنون عار بهواه وكنمت الهوى فمت بوجدى
فإذا كان فى القيامة نودى من قتل الهوى تقدمت وحدى

(١) اللقح : مفرد اللقحة وهى الناقة الحلوب الغزيرة اللبن . انظر: لسان العرب، مادة [لقح] .

(٢) فيه : يقصد فمن .

(٣) جلوتى : من جلا العروس على زوجها: عرضت عليه . انظر: لسان العرب، مادة [بغى]، [جلا] .

وأما كلام السهروردي^(١) فكأنه وقف عن كلا الطرائق وتردد وحيرة للعاشق وهو :

وارحمة للعاشقين تحملوا
بالم إن باحوا تباح دماؤهم
وإذا هم كتموا تحدث عنهم
وللوائق في المذهب الثاني :

ظهر الهوى وتهتكت أستاره
فاعص العواذل في هواك مجاهراً
ولبعضهم فيه :

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى
ولبعضهم في المذهب الثالث :

إليك أشكو الذى بى من هواك فقد
يا موقد النار إلهاباً على كبدى
ومن ظريف قول بعضهم :

وقائلة ما بال جسمك لا يرى
فقلت لها قلبى بجمك لم يبح
وللمعري في نصرة الأول :

فظن بسائر الأخوان شرا
وألطف منه قول أبى جعفر الشطرنجى :

فلا تخبر بسرك بل أمته
فما أودعت مثل النفس سرا
ولقد أحسن بعضهم وتلطف وأبدى ما هو أدق وألطف حيث قال :

ومستودعى سراً تقصيت سره
وما السر فى قلبى كميت بحفرة
ولكننى كنت أخفيه حتى كأنه
ولبعضهم :

يا ذا الذى أودعتنى سره
لم أجره بعدك فى خاطرى

ولا تأمن على سر فؤادا
وصير من حشاك له حجابا
ولا أغلقت مثل الصدر بابا

فأودعته من مستقر الحشا قبراً
لأنى أرى المدفون ينتظر الحشرا
من الدهر يوماً ما احطت به خبراً
لاترج أن تسامعه منسى
كأنه ما مر فى ذهنى

(١) السهروردي، هو: يحيى بن حبش بن أميرك، الشافعي، أبو الفتوح. أديب، شاعر، ناثر، حكيم، متكلم، ولد في سهرورد من قرى العراق، ونشأ بالمراغة. توفي سنة (٥٨٧هـ) من آثاره: التلويحات في الحكمة، ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٨/١٣)، وفيات الأعيان (٣٤٥/٢)، معجم المؤلفين (٩٠/٤).

فهذا وأمثاله من أكبر الدوال على أن المذهب الأول هو الصحيح المعتبر. وما اتهم به بعضُ الشراح عارفَ الزمان ولسان الحضرة الإلهية وموضع الأسرار الربانية سيدى عمر ابن الفارض من أنه نصر المذهب الثانى بقوله :

وليسوا بقومى ما استعابوا تهتكى فأبدوا قلى واستحسنوا فيك جفوتى^(١)
وأهلى فى دين الهوى أهله وقد رضوا فيك عارى واستباحوا فضيحتى

فممنوع لأن التهتك الذى أرادته هو الاشتهار بالعشق لا إذاعة الأسرار، بدليل قوله: رضوا فيك عارى، يعنى أن أهل الهوى عندهم هم الراضون بعشقه العادون، عاره فى ذلك خصلة حميدة، فأين هذا مما نحن فيه وقد أسلفت فى المقدمة أن دقائق هذا الأستاذ ليس فى طوق البشر - من حيث هو بشر - الإحاطة بها فإذا استدلينا بشئ منه فهو استئناس لأهل الترسم فى مشربهم، وفيما ذكرت من قصة المنام كفاية للمتأمل، وبالجملة إفشاء السر بلاء عظيم ومذلة لا يرتضيها عاقل، وأغرب بعضهم ففسر قول بعضهم: وكل حديث جاوز اثنين شائع بأن المراد بالاثنين الشفتان.

وقلت من الأول:

لقد أودعتنى سرها فكتمته ولا والهوى ما غير البعد خاطرى
ولكن جوى الكتمان سعد مهجتى وقطرها دُمعاً جرى من محاجرى
فشف لطول السقم جسمى من الذى كتمت فأبدته هناك سرائرى
فتم به الواشون بينى وبينها فصدت وقالت لا وفاء لغادرى
فقلت وقد ضاقت هناك مذاهبي ومن كان قدما عاذلى صار عاذرى
فمن شافعى يوماً إليها ومالكى هواها وعن سرى يحدث ظاهرى

ومن الثالث:

يامعشر العشاق أوصيكم بكتم أسرار الهوى والغرام
الآ مع المحبوب فى خلوة فتم كتم السر عندى حرام
ومنه أيضا:

بوصلك والود الذى كان بيننا حلفت ولا والله ما أنا غادر
لانت أعز الناس عندى وسرك بقلبي باق يوم تبلى السرائر
فإن لم يجد لى الدهر منك بخلوة ففى الحشر تشكوه إليك الضمائر

(١) القلى: البغض. انظر: لسان العرب، مادة [قلى].

فصل

فى ذكر المغالطة والاستعطف واستدراك

ما صدر عن المحبوب من الانحراف

وهو عبارة عن احتيال بلطافة على المحبوب يبلغ من الحكمة غاية المطلوب، وموضوعه عود الألفة بعد النفور، ومادته أقيسة شعرية غالبها الزور، وغايته الوصول إلى المطلوب واستمالة قلب المحبوب.

وألف ما قيل فيه لابن الأحنف:

والم يك موصولاً بجلكم حلى
يحدث عنكم بالملافة والمطل

وقال آخر:

أتنسب لى ذنباً ولم أك مذنباً
وما طلبى للوصل حرص على البقاء

وقال ابن أبى حجلة:

لم أطلب الوصل من أجل فديتك يا
لكن خشيت بأن تبلى بحب رشا

وقال جميل:

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا
نعم صدق الواشون أنت جيبة

وقال ابن سنا الملك:

وغانية لم تعد عشرين حجة
عليك زكاة فاجعلها وصالنا

وقال بعضهم:

قم بنا يا نور عيني
فإلى كم يا حبيبي

نجعل الشك يقينا
يأثم القائل فينا

وقلت:

تملكت أوصاف المحاسن واليها
فمذ أعجز الحساد شئ تقوله
فلا تثبى بالهجر زور كلامهم
ولا تمطلى بالوعد قلبًا معذبًا
وزينت أرباب اللطافة والعقل
رموك بأوصاف القطيعة والبخل
ولكن صلينى وابطلى الزور بالنقل
وإن صح أن الشئ يعذب بالمطل

فصل

في ذكر الرسل والرسائل وتلطف الأحباب بالوسائل

وهو باب قد لهج به لسان كل عاشق وترجمه كل رائق، وموضوعه الاستعطاف بالإنصاف، ومادته زخرفة القول، وغايته طلب الائتلاف.

ومن أطف ما وقع فيه كلام الوأواء الدمشقي^(١) :

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فإن تبسم قولاً في ملاطفة ما ضر لو بوصول منك تسعفه
وإن بدا لكما في وجهه غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه
وقال آخر:

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتى سليمى وعرض بى كأنك مازح
فإن أعرضت عنى فموه مغالطا بغيرى وقل ناحت بذاك النوائح
وقال القاضى مجد الدين:

شكراً لنسمة أرضكم كم بلغت عنى تحية
كم قد أطالت بل أطابت فى رسائلها الذكية
لاغرو أن حفظت أحاديث الهوى فهى الذكية

وهو مأخوذ من كلام الصلاح الصفدى^(٢):

ياطيب نشر هب لى من أرضكم فأثار كامن لوعتى وتهتكى
أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم وروى شذاكم إن ذا ربح ذكى

(١) الوأواء الدمشقي، هو: محمد بن أحمد الغسانى، أبو الفرج، شاعر. توفى سنة (٣٨٥هـ). من آثاره: ديوان شعر. انظر: كشف الظنون (٧٧٣)، الأعلام (٢٠٤/٩)، معجم المؤلفين (٩٠/٣).
(٢) الصلاح الصفدى، هو: خليل بن أيبك بن عبد الله، الشافعى، أبو الصفاء. مؤرخ، أديب، شاعر، لغوى، أخذ الأدب عن ابن نباتة، وعن شهاب الدين محمود. توفى (٧٦٤هـ) من آثاره: الوافى بالوفيات، غيث الأدب. انظر: شذرات الذهب (٢٠٠/٦)، معجم المؤلفين (٦٨٠/١).

ويجب اختيار الرسول وأن يكون ذا عفة وصيانة ومروءة وديانة لئلا ينقلب عند مشاهدة المحبوب عاشقاً ويخلص من سلطان المحبة ، والمطلوب أن يكون بالحجة ناطقاً، وللعشاق في هذا المساق كلام لا تحصره الأوراق.

قال ابن سنا الملك:

راح رسولاً فجاءني عاشقاً وعاقبه عن رسالتي عائق
وعادلاً بالجواب بل بجوى أخرسه والهوى به ناطق

وقال أيضاً:

راح الرسول إليه وهو مفند رجع الرسول إلى وهو متمم

وما أطف قول الأرجاني^(١) في هذا المعنى :

قسماً لقد رجع النسيم عليلاً لما سرى مني إليك رسولاً
ودرى بجبك أنه قد خانني فغداً يجر من الحياء ذيولاً

ومن أطف ما وقع في الرسائل من النكت العجيبة، والطرف الغريبة الناشئة عن فرط الذكاء الذي يغلب نوره على ابن ذكاء:

أن ابن السلطان صلاح الدين افتتن بقينة حتى يملك حبها قلبه، فعلم أبوه أمره، فمنعه عنها، فازداد غمه، فأرسلت إليه كرة عنبر فلما كسرهما وجد فيها زراً^(٢) من ذهب فلم يدر ما أرادت بذلك فأطلع على سره القاضي الفاضل.

فقال:

أهدت لك العنبر في وسطه زر من التبر قليل اللحام
فالزر والعنبر معناهما . زر هكذا مخفياً في الظلام

ومثله أن رجلاً دعا محبوبته إلى النزهة فأرسل إليها بمروحة، وبقا نرجس، وسكر نبات، وشرابة، وعود، فأرسلت إليه بخيط أحمر، وصبارة، وثلاث كمونات سود، وغاسول، وزر.

(١) الأرجاني، هو: أحمد بن محمد بن الحسين، ناصح الدين، أبو بكر، شاعر، فقيه. تولى القضاء بتستر، وتوفي بها سنة (٥٤٤هـ) من آثاره: ديوان شعر. انظر: وفيات الأعيان (٥٩/١)،

كشف الظنون (٧٧٥)، معجم المؤلفين (٢٦٠/١).

(٢) الزر: واحداً الأزرار. اللسان، مادة [زرر].

وفى ذلك من لطيف الإشارة ما يدق عن الأفهام ، فإنه أراد بالمروحة نروح، وبالترجس إلى الزهر، وبالسكر النبات نبيت ليلة، وبالشراب نشرب، وبالعود الغناء، وأرادت بالخيط الأحمر أنها حائض، وبالصبارة أن تصبر، وبالثلث كمونات ثلاث ليال، وبالغاسول الاغتسال، وبالزر الزيارة بعد ذلك.

وقلت ولم أسبق إلى هذا المعنى فيما أظن:

رسولى تلتف وأجر ذكرى لها فإن	رأيت الرضا فى وجهها فأبسط الشكوى
وإن أعرضت فاطو الذى قد نشرته	ودعنى بنيران الهوى فى الهوى أكوى
فقد صرت أرضى كل ما ترضى به	واستعذب التعذيب فى السر والنجوى
فعاد رسولى بعد عقل وحكمة	بأضعاف ما عندى من العشق والبلوى
ولم أرض ارسال النسيم لأنه	يرى البث فى التدبير من سائر الادوا
فخفت عليه عشقها أن يعله	فأجل وزر ألت فى حمله أقوى

ويمكن تنزيل كلام عارف الوقت فى هذا المنوال وسبكه فى قالب هذا المثال.
حيث يقول:

وتلتف واجر ذكرى عندهم عليهم أن ينظروا عطفًا إلى

فإن فى قوله تلتف غاية الخضوع المستجلب لرضا المحبوب بعد نفور القلوب، وما أحسن قوله: واجر ذكرى ، فإنه ألطف من: واذكرنى لهم ؛ لأنه طلب مطلق إجراء الذكر وهو يحتمل معانى كثيرة وكذا قوله: عندهم أى ولو على سبيل الهديان أو محادثة غيرهم فإنى لست أهلاً لمقابلتهم بذكر، ولهذا لم يقل: واجر ذكرى لهم إلى غير ذلك مما لو أخذنا فى بيان دقائقه لم تسعه دفاتر ولم تقم بحمله خواطر وما من مشرب للعشاق باطن أو ظاهر إلا ويوجد فى مطاوى كلامه بلسان أهله .

فصل

فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال

وهو أمر مهم عند أهل الغرام يتوصل إليه بالنام وإنما تدعو الحاجة إليه عند طول الهجرة وشدة الضجر ومقاساة نار الملل والسهر ولم أر فيه ألطف من كلام أستاذ الوجود وقطب مراتب أهل الشهود سيدى عمر بن الفارض، نفعنا الله بمدده بل أظنه السابق إلى هذا المنوال والفتاح فيه باب الاحتيال حيث قال :

نصبت على عيني لتحصيل غمضها لزورة زور الطيف حيلة محتمل
فما اسعفت بالغمض لكن تعسفت على بدمع دائم الصب هطال

ففى البيتين مع ما طلبه من التحسين البديعى مالا يخفى .

وقال ابن النقيب^(١) فى المعنى:

نصبت فى جفونى للخيال جبالا لعل خيالا فى الكرى منه يسبح
وكيف إذا أغمضتهن أصيده ومن عادة الاشرار للصيد تفتح

وتلطف ابن نباتة^(٢) فى أخذه فقال:

وأقسم لو جاد الخيال بزورة لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

وتلطف ابن السروجى بقوله:

أنعم بوصلك فهذا وقته يكفى من الهجران ما قد ذقته

أنفقت عمرى فى هواك وليتنى أعطى وصالاً بالذى أنفقته

يا من شغلت بجمه عن غيره وسلوت كل الناس حين عشقته

أنت الذى جمع المحاسن وجهه لكن كنز تصبرى فرقته

(١) ابن النقيب، هو: أحمد بن محمد، البغدادي، الشهرستاني. شاعر له نظم ومصنفات. ولد

بتكريت، وقدم بغداد، توفى سنة (٥٣٧هـ). انظر: معجم المؤلفين (١/٣٠١).

(٢) ابن نباتة، هو: عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل، الفاروقى، أبو يحيى، أديب، كان خطيباً

بجلب لسيف الدولة، توفى سنة (٣٧٤هـ) من آثاره: ديوان خطب. انظر: سير أعلام النبلاء

(١٠/٢٢٧)، معجم المؤلفين (٢/١٣٥).

قال العواذل يدعى بك نسبة
 بالله إن سألك عنى قل لهم
 أو قيل مشتاق إليك فقل لهم
 بأحسن طيف من خيالك زارنى
 فمضى وفى قلبى عليه حسرة
 وابن السروجى هذا ذكره فى [منازل الأحباب فى عشاق الغلمان] وفى
 [ثمرات الأوراق] سماه تقى الدين ونقل عنه بعض هذا الشعر ولم يسم معشوقه
 والشاهد من شعره هنا البيتان الأخيران وإنما ذكرناه كله لحسنه ، ومن المكثرين
 من ذكر الخيال حتى ضربت به الأمثال البحرى.
 ومن قوله فيه :

ولم أنس اسعاف الكرى بدنوها
 إذا الليل اعطانا من الوصل بلغة
 ومن قوله:

وليلة هو منا على العيش أقبلت
 فلولا بياض الصبح طال تشبثى
 فكم من يد ليل عندى حميدة
 وقال عبد الصمد^(١):

واصل النوم بيننا بعد هجر
 غير أن الأرواح خافت رقبيا
 منظر كان لذة القلب إلا
 وقال ابن القطان^(٢):

زار الخيال نجلاً مثل مرسله
 ما زارنى قط إلا كى يواقفنى

(١) عبد الصمد، هو: ابن منصور بن الحسن بن بابك، أبو القاسم، شاعر مجيد مكثر، من أهل بغداد، توفى ببغداد سنة (٤١٠هـ) انظر: الوفيات (٢٧٧/١)، الأعلام (١١/٤).

(٢) ابن القطان، هو: هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن على البغدادي، أبو القاسم. شاعر، عروضى، طبيب. ولد ببغداد، ونشأ بها، وتوفى بها سنة (٤٩٨هـ) من آثاره: ديوان شعر. انظر: الوافى (١٢٧/٢٧)، وفيات الأعيان (٢٤٥/٢)، معجم المؤلفين (٥٩/٤).

وقد أنشدهما يوماً عند الوزير الزينى، وادعى أنه لا يمكن تثليثهما فأنشد
الحيص بيص^(١) بديهة .

وما درى أن نومي حيلة نصبت لطرفه حين أعياء اليقظة الحيل
وقال ابن العفيف^(٢):

ياحبذا طيفك من قادم ياأحسن العالم فى العالم
طيف تجلى نوره ساطعاً حتى رآته مقلبة النائم
ياغائباً يحكم فى مهجتي على طابت غيبة الحاكم
عار على حسنك أن يشتكى خطى منه أنه ظالمى
وأحسن كشاجم^(٣) حيث قال:

لقد بخلت حتى بطيف خيالها على وقالت رحمة لنحيبى
أخاف على طيفى إذا جاء طارقاً وسادك أن يلقاه طيف رقيب
وقال آخر:

وزارنى طيف من أهوى على حذر من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحاً وكأد يهتك سر الحب بى شغفا
ثم انتهت وآمالى تجنبنى نيل المنى فاستحالت غبطينى أسفا

(١) الحيص بيص : وقع القوم فى حيص بيص أى فى ضيق وشدة . اللسان ، مادة [حيص].
(٢) ابن العفيف، هو: محمد بن سليمان بن على بن عبد الله، المعروف بالشاب الظريف، شمس
الدين، أبو عبد الله، شاعر، ولد بالقاهرة، وولى عمالة الخزانة بدمشق، توفى سنة (٦٨٨هـ)،
من آثاره: ديوان شعر. انظر: معجم المؤلفين (٣/٣٣٤).
(٣) كشاجم، هو: محمود بن الحسين بن السندى بن شاهيك، أبو الفتح، أبو النصر. أديب،
شاعر، منجم، من كتاب الإنشاء. فارسى الأصل، من أهل الرملة بفلسطين، وتنقل بين
القدس ودمشق وحلب وبغداد، توفى سنة (٣٦٠هـ). من آثاره: ديوان شعر، أدب النديم،
خصائص الطرب. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٢١٨) كشف الظنون (٤٩)، معجم المؤلفين
(٣/٨٠٣).

وقال بن المعتز^(١):

أبصرته فى المنام معتذراً
ولان حتى إذا هممت به
إلى مما جناه يقظاناً
أنهت عند الصباح لا كانا

وقلت:

مليكة الحسن ما شئ يقال له
هل تسمحين بشئ منه يطرقتى
نوم فان جفونى ليس تعرفه
فيه خيالك أن القلب يألفه
يحيا به ميت عشق لا حراك به
لطول هجر كاد الشوق يتلفه

ثم تشعبت آراءهم فى التفنن فى الخيال فمنهم من رده مللاً وضجراً أو يشبه هذا ما سبق من حمله الضجر على ترك من هجر فمنهم طرفة ويقال: إنه أول من ذكر الخيال. وفى ديوان الصبابة: أن أول من ذكره عمر بن قمئة، وأن طرفة أول من طرده. فقال:

فقل لخيال الخنظلية ينقلب
إليها فإنى واصل جبل من وصل

وتلاه جرير فقال:

طرتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجمى بسلام

وسياتى لهذا البيت حكاية فى الخاتمة بذكر هناك من رد عليه ومنهم من اعتذر عن عدم بعث الخيال بقوله:

سامحت كتبك فى القطيعة عالماً
وعذرت طيفك فى الجفاء لأنه
أن الصحيفة أعوذت من حامل
يسرى فيصبح دوننا بمراحل

ومنهم من ذم النوم فى قالب الاعتذار عن طيف الخيال كأنه يقول: إن المنغصات فى الدنيا لاتنك عن الإنسان حتى فى النوم، ألا ترى أن من يحلم بمحبوبه أو شئ من مطلوبه ينتبه فلا يرى إلا الأسف والقلق وزيادة الحرق وإن حلم أنه أحدث أو ضرب رأى ذلك فى الصباح.

(١) ابن المعتز، هو: عبد الله بن محمد بن المتوكل، جعفر بن المعتصم، البغدادي، أبو عباس، أديب، شاعر، أخذ الأدب عن فصحاء العرب، وسموه بالأمير، توفى سنة (٢٩٦هـ) انظر: سير النبلاء (١٤٨/٩) معجم المؤلفين (٣٠٠/٢).

ولما كان خيال المحبوب من التلذذات لم يأت النوم به جرياً على عوائد الزمان
فى الإتيان بغير الملائم للإنسان.

وما أحسن قول المتنبي فى هذا المعنى:

وأحسب أنى إذ هويت فراقكم أفارقكم والدهر اخبث صاحب
فيا ليت بينى وبين أحببى من البعد ما بينى وبين المصائب

ومن ذم المنام والرؤية فيه قول بعضهم:

أرى فى منامى كل شئ يسوءنى ورؤياى بعد الصبح أدهى وأقبح
فإن كان خيراً فهو أضغاث حال وإن كان شراً جاءنى قبل ان أصبح

وقال المعرى:

إلى الله أشكو أنى كل ليلة إذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فإن كان شراً فهو لا شك واقع وإن كان خيراً فهو أضغاث أحلام

وقال الأحنف العكبرى:

وأحلم فى المنام بكل خير فأصبح لا أراه ولا يرانى
ولو أبصرت شراً فى منامى لو افعى الشر من قبل الأذان

وقلت:

لك الحمد إنى لم أبت ليلة من الدهر خلواً من أليم الغوائب
وفى النوم أن أحلم بشئ يسوءنى من الصبح يأتينى بسوء العواقب
وإن كان خيراً لا أرى منه ذرة لسوء مزاج أو قران كوكب

ومنهم من تظرف فوصف النوم وإبليس بالقيادة.

قال ابن المعتز:

ألم الخيال بلا حمده وأبدلنى الوصل من صده
وكم نوممة لى قوادة أتت بالحبيب على بعده

وقال آخر:

تركت هجا إبليس ثم مدحته وذاك لأمر عز عندي سلوكة

يقرب من أهواه جيناً فإن أبى حكاة خيالاً فى الكرى فأنيكه

ومما يصلح إيرادها هنا للمناسبة أن بعض المغفلين أحب امرأة وأجهد نفسه

حتى اجتمع بها فنام فقالت له: لم تفعل ذلك؟

قال: من شوقى إليك لعلى أراك فى النوم.

فقالت: أنا عندك بنفسى فقم فانظرنى .

فصل

في أحكام الليل والنهار ودم قصرهما عند الوصل وطولهما
عند الهجر والنفار وتمنى طول زمن الوصل والرضا

وقصر الهجر وقطعه أسرع من القضا وما تشعب في ذلك بين العشاق وذهبوا
كل مذهب على اختلاف الأذواق .

فمما قال متحمسهم بعد الجهد والغلبة ومرارة الصبر بعد فراق الأحبة :

ياليل طول أو لاتطول لا بد لي أن أسهرك
لو بات عندي قمرى ما بت أرعى قمرى

وما أطف قول بعضهم في طول الليل وهجر المحب:
رقدت ولم تثرث للساھر ولیل المحب بلا آخر

وقال آخر:

مات الظلام بلیل أحييته حين عسعس^(١)
لو كان الليل صبح يعیش كان تنفس
وقال ابن منقذ^(٢):

لما رأيت النجم ساه طرفه والقطب قد ألقى عليه ثباتا
وبنات نعش في الحداد سوافره أيقنت أن صباحهم قد ماتا
وقال بعضهم:

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها وهجره النار يصلينا بها النارا
فالشمس بالقوس أمست وهى نازلة إن لم يزرني وبالجوزاء إن زارا

(١) عسعس الليل: إذا أظلم. انظر: لسان العرب، مادة [عس].

(٢) ابن منقذ، هو: علي بن مقلد بن نصر الكنانى، أبو الحسن، سيد الملك، أمير، من الشعراء،
أول من ملك قلعة سيزر بين المعرة وحماة من بنى منقذ، توفى سنة (٤٧٩هـ) من آثاره:
ديوان شعر. انظر: الأعلام (١٧٦/٥)، معجم المؤلفين (٥٣٤/٢).

حكى أن محدثاً سئل عن معنى هذين البيتين، فقال: هذا راجع إلى النجوم ،
وقام مستحياً وآلى على نفسه أن لا يجلس فى حلقة حتى ينظر فى النجوم .
وقال بعضهم فى قصر ليل الوصال:

باليلة كاد من تقاصرهما يعثر فيها العشاء بالسحر

وقال بعضهم وقد جمع وصف الزمانين:

عهدى بنا ورداء الليل مشتمل والليل اطوله كاللمح بالبصر

والآن ليلى مذ بانوا فديتهم ليل الضرير فصبحى غير منتظر

وقال الشريف ابن الهبارية^(١):

لقد ساهرتنى عيون الدجى وقد نام عنى عيون الملاح

إذا اشتكى الليل هجر الصباح شكوت إلى الله هجر الصباح

وقال الفاضل^(٢) فى زمن الوصل:

بتنا على حال يسر الهوى وريمنا لايمكن الشرح

بواننا الليل وقلنا له إن غبت عنا هجم الصبح

وقال الأرجانى معتذراً على طول ليل الهجر :

لا أدعى جور الزمان ولا أرى ليلى يزيد على الليالى طولا

لكن مرآة الصباح تنفسى اللهم اصداً وجهها المصقولاً

وقال امرؤ القيس:

وليل كوج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليتلى

(١) الشريف ابن الهبارية، هو: محمد بن صالح بن حمزة العباس، أبو يعلى، شاعر توفى بكرمان سنة (٥٠٤هـ) من آثاره: نظم كليلة ودمنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٩٢/١٢)، معجم المؤلفين (٣٥٣/٣).

(٢) الفاضل، هو: فضل الله بن عبد الحميد، الزوزنى الأصل، الصينى المولد، أديب، نحوى. من آثاره: كفاية الكافية فى شرح كافية ابن الحاجب. انظر: هدية العارفين (١٢١/١)، معجم المؤلفين (٦٢٦/٢).

وقال المتنبي:

كم زورة لك فى الاعراب خافية أزهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنشى وياض الصبح يفرى بى
فى هذا البيت من الأنواع: حسن المقابلة، وفيه مقابلة خمسة بخمسة ولكن نقد
عليه فى مقابلة الصبح بالليل لأن الجزء لا يقابل بالكل فلو قال: النهار كان أولى.
وللمتنبي دقائق لطيفة ألا ترى إلى قوله :

وكم لظلام الليل عندى من يد تخبر أن المانوية تكذب

فإن المانوية فرقة تقول: إن الآلهة اثنان ؛ إله الظلمة وإله النور، والأول لا يفعل
إلا الشر والثانى لا يفعل إلا الخير فيقول: إن زيارة المحب أعظم خير فعلته الظلمة
وقد كذبوا فى قولهم .

وقال ابن رشيق^(١):

أيها الليل طل بغير جناح ليس للعين راحة فى الطباح
كيف لا أبغض الصباح وفيه بان عنى نور الوجوه الملاح

وإنما أكثروا من ذكر الليل دون غيره لأنه محل سكون الحواس، وهدو
الأنفاس، ونخلو النفس بعد انطباق مسالك الشمعات عنها فتستجلب الأفكار
الخفيات فيما مضى وما هو آت ، وأما النهار فالأفكار فيه منتشرة، والشواغل
مستكثرة، فهو محل الاستغراق، وقلة الاعتلاق ، ومحل التسلية عن الأشواق اللهم
إلا شخصاً قد ملك الحب قيادة فلا يلهيه شئ ولا ينسيه مراده.

وقلت جامعاً لغالب هذه المعاني:

يذكرك يا من هواها ضنى حالى شغلت فما منه أرى أبداً خالى
فبيت عن الغيار فيك صباية فغيرك لم يخطر مدى الدهر فى بالى
ولو زارنى طيف الخيال لقال لى لا انعم صباحاً أيها الطلل البالى

(١) ابن رشيق، هو: الحسن القيروانى ، أبو على، شاعر، أديب، نحوى، لغوى، مؤرخ، ناقد، ولد
بالمهدية ورحل إلى القيروان وتوفى بها سنة (٤٥٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢١/١١)،
معجم الأدباء (١٠/٨).

دقيقة هجران تقطع أوصالى
ووالده بالخزن فى الدهر أوصى لى
وفى ضدة يومًا على رغم عذالى

ضيا الصبح فى تفريق شمل الحبانب
يفيض الضيا فى شرقها والمغرب
إذا شتم طول احتباك الغياهب

سوى قصر أعوام الوصال وصداهها
فيا من لها بالحسن يوسف قد حبا
متى تنعمى والشمس بالقوس ليلة
وقلت أيضًا مخترعًا فيما أظن:

ألوم جميع العاشقين لدمهم
وما الصبح بل ما الشمس لولا جبينها
وهلا سألتم شعرها ستر وجهها

فصل

فيما ذكر واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذي أوقعه
في الفضول، وكيف أدخل نفسه بين الاحباب حتى انتقمت منه
أهل الآداب، فوجهوا اليه سنان اللسان والأقلام، فامتحن طعناً
بكل نثر ونظام.

فقد قيل: ليس من العدل كثرة العذل.

ومن تكلم بما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه.

ومن لم يمسك عما استغنى عنه من الكلام فهو أحق بالملام.

وليس في هذا الباب أطف من كلام سيدي عمر بن الفارص نفعنا الله

ببركاته حيث قال :

دع عنك تعنيفي وذوق طعم الهوى

فإذا عشقت فبعد ذلك عنف

وقال بعضهم :

يا عاذلي في هـواه

إذا بدأ كيف أسـلو

يمر بي كل وقت

وكلمـا مر يحـلو

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

يا من إذا باعت الأبصار أسودها

بجنة فوق خديه فقد رجحت

يزيد في العذل تبريحاً أسر به

فليت عذال حبي فيك ما برحت

وقال ابن العفيف التلمساني:

أسرفت في اللوم ولم تقتصر

وزدت في عذلك يا ذا العذول

قد رضيت نفس بمحبوبها

وإنما المولى كثير الفضول

وقال والده:

ولي على عاذلي حقوق هوى

شكري عليها من بعض ما يجب

لام فلما رآه هام به

فكنت في عشقه أنا السبب

وقال بعضهم :

قد اقتصر الملاحى وجاء يلومنى
وقال أسل عن هذا وعد عن غرامه
وأنشد ابن وكيع وقد عشق غلامًا نصرانيًا ولامه عليه صاحبه، فمر بهما
المعشوق ولم يدر العاذل أنه هو فقال له: لو عشقت هذا ما لمتك عليه.
فأنشد :

أبصره عاذلى عليه
فقال لى لو عشقت هذا
قل لى إلى من عدلت عنه
فظل من حيث لىس يدرى
وقال شيخ الشيوخ بحماسة :

زعموا أننى هويت سواكم
قد علمتم بصدق مرسل دمعى
قال لى عد لى متى تبصر
وقال بعضهم:

إن قومًا يلحون فى حب سعدى
سمعوا وصفها فلاموا عليها
وقال آخر:

من منصفى من عاذل جاهل
إن قلت ما نصحك إلا أذى
وقال محمد بن شرف الدين القيروانى :

يقول لى العاذل فى لومه
ما وجه من أحبته قبله
وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

أيها العاذل الغبى تأمل
وتعجب لطرة وجبين

وزخرف لى زور الكلام يمينه
فقلت له هذا الفضول بعينه
فمر بهما

ولم يكن قلبهها رآه
ما لامك الناس فى هواه
فليس أهل الهوى سواه
يأمر بالحب من نهاه

كذبوا ما عرفت إلا هواكم
فسلوه إن كان قلبى سلاككم
الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

لا يكادون يفقهون حديثًا
أخذوا طيبًا وأعطوا خبيثًا

يخون باللوم لمن لا يخون
قال وما عشقك إلا جنون

وقوله زور و بهتان
قلت ولا قولك قرآن

من غدا فى صفاته القلب ذائب
إن فى الليل والنهار عجائب

وقال ابن عبد الظاهر^(١):

ذاك تكبيرة وذا تهليلة
أين من يتغى إلى الوسيلة
فحياتي وحقه تقيله

كم على عاذلى وكم لحبيبي
ياثقاتى وأين منى ثقاتى
أنا إن مت قبلونى إليه
وقال قابوس:

يلوم فى حسب رشا
قال كفى بالدمع شاهدا

من عاذرى فى عاذل
إذا طلبت وصله
وقال الوداعى:

أفرطت فى اللوم جهلا
ولا الصبابة إلا

يا لأثمى فى هواه
ما يعلم الشوق إلا
وقال البهاء زهير:

فما باله لم يحكه فى التلفت
فياليت له لو كان يدفع بالتي

وظبى حكى ريم الفلا فى نفاه
يدافعنى عن وصله بتهجم
وقال شيخ الشيوخ بحماسة:

لم أبع فى حبه رشدى بغي
قلت كى تذهب روحى قال كى

أبغض العشاق منه أنسى
قلت قد أضيت جسمى قال قد
وقال أيضاً:

وفيكم الموت والحياة
فأنسوا مقلتى ولاتو (حشوا)

إليكم هجرتى وقصدي
أمنت أن توحشوا فؤادى
وقال ابن مطروح^(٢):

ما دمت فى قيد الحياة ولا إذا

والله ما خطر السلو بخاطرى

(١) ابن عبد الظاهر، هو: على بن محمد بن عبد الله، ابن نشوان الجذامى، المصرى، السعدى، علاء الدين، أديب، ناظم، ناثر، كتب فى الدولة المنصورية، توفى سنة (٧١٧هـ) من آثاره: المفاخر بين السيف والرمح. انظر: الوافى (١٧١/١٢) معجم المؤلفين (٥١٣/٢).

(٢) ابن مطروح، هو: يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الخحسين المصرى، الصعيدى، جمال الدين، أديب، شاعر، كاتب. ولد بأسيوط، وتوفى بالقاهرة سنة (٦٤٩هـ)، من آثاره: ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٩/١٣)، معجم المؤلفين (١٠٩/٤).

وقال آخر:

لو رأى وجه جينى عاذلى

وقال آخر:

قل للعدول اطلت اللوم فى قمر

إن كنت تزعم ما فى حسنه عجب

وقال محبى الدين البغدادى :

إن لامنى من لا رآه فقد

وإن نهانى من رآه فقد

وقال البهاء زهير:

أنت الحبيب الأول

عندى لك الود الذى

القلب فىك مقيد

يا من يهدد بالصدود

قد صح عذرك فى الهوى

قل للعدول لقد اطلت

عاتبت من لا يرعى

غضب العدول أخف من

وقال ابن أبى حجلة:

وعاذل بالغ فى عدله

بعارض المحبوب ما تنتهى

وقال آخر:

وشادن مبتسم عن شنب

يلومنى العاذل فى حبى له

لتفارقنا على وجه جميل

يزيد فى كل يوم حسنه نورا

قم فانظر الورد فى خديه منشورا

جار على الغائب بالحكم

أضلة الله على علم

ولك الهنا المستقبل

هو ما عهدت وأكمل

والدمع فىك مسلسل

نعم تقول وتفعل

لكننى أتعلل

لمن تقول وتعذل

وعذلت من لا يقبل

غضب الحبيب وأسهل

وقال ماهاج بلبالى

قلت ولا بالشبيب والوالى

مورد الخد مليح الشنب

ومادرى شعبان أنى رجب

المراد بشعبان : العاذل ، ورجب : الأصم ، وهى أسماء كانت مشهورة فى الجاهلية.

وقال السراج الوراق:

قلت إذ جرد لحظا حده يدنى الأجل
ياعذولى كف عنى سبق السيف العذل

هذا مثل سائر، أصله: أن سعداً وسعيداً ابنى ضبة خرجا لحاجة فرجع سعد دون أخيه، فكانت العرب إذا عاد الرجل منهم من سفر يقولون له: سعد أم سعيد؟ فيقول: سعد إن رجعت بغرض ، وإن عاد بدون غرض يقول: سعيد. وأن أباهما خرج مع رجل حتى بلغا موضعاً فقال له الرجل: قد قتلت هنا رجلاً وأخذت منه هذا السيف وناولته ضبة فعرفه فجرده وضرب الرجل فعذل، فقال ضبة: سبق السيف العذل .

وقال شيخ الشيوخ بحماسة:

أعاذلى ليس مثلى من تفنده
مادمت خلوا فما تنفك متهمًا
وليس منك مأمونا على عذل
اعشيق فقولك مقبول على ولى

وقلت:

لقد ضلت العشاق عن سنن الهوى
أما عذر المجنون مع ذى جهالة
للمهم العذال وهو عجيب
وما عاقل ذاق الهوى فيذمه
لدى الشرع حتى يرعوى ويتوب
ويعذل صبا إن جفاء حبيب

فصل

فى أحكام الزيارة وما جاء فى فضلها من البراعة والعبارة
وتفنن العشاق فى فضل زيارة الحبيب وإيثار
أنفاسه على نفائس الطيب

قيل: كان الشافعى رحمته الله يكثر من زيارة أحمد، وكان أحمد يُقِلُّ من زيارته هيبة له.
فقيل للشافعى: إنك لتزوره أكثر وهو المحتاج إليك.
فأنشد:

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زارنى ففضله أوزرته فلفضله فالفضل فى الحالين له

وقد أبدع لسان الحقيقة وواسطة عقد الطريقة سيدى عمر بن الفارض أفاض
الله علينا من مدده فى هذا الباب حيث يقول:

ولما توافينا عشاء وضمنا سواء سبيلى دارها وخيامى
فرشت لها خدى وطاء على الثرى فقالت لك البشرى بلثم لثامى

جعل الزيارة تفضلاً منها، ثم أشار إلى أخذه فى أسباب السعى إليها بل
شروعه فى ذلك رفعاً لجانبها عن التكليف الكلى كأنه يقول: إنه ليس أهلاً لها،
ثم فرش خده فى مقابلة السعى ولم يُقِلُّ لها فقط بل أطلق فى جعله على الثرى
المحتمل أنها وطئته وانها لم تطأه وفى ذلك غاية رفع شأنها لمن يتأمل فلذلك عقبه
أيضاً بغاية رفع شأنه منها بأكثر مما كان يؤمله ولذلك لم تسمح نفسه بما سمحت
له به غيرة كما صرح به هضماً لجانبه عن هذا المقام كما أشار إليه. ولما أعطى
المقام حقه ونقلته العناية إلى محل الكرامات، والحظوة بنيل المرادات، أشار إلى
ذلك بقوله: بعد البيت الذى تضمن ما ذكرناه.

عبت ولم تعتب كأن لم يكن قلبى وما كان إلا أن أشرت وأومت

فانظر إلى هذا الانتقال وصريح هذا المقام بعد ما قال:

ومنت وماضنت على بوقفة تعادل عندى بالمعرف وقفتى

حيث عد زيارتها منة عليه لئلا يتوهم مما يأتى هضم جانبها، ثم نفى عنها
البخل، ثم عتب بعد ذلك، فأين هذا مما سبق، فسبحان واهب الفضل لمن
أحسن فى خدمته وقام بحقوق محبته.

ومن أطف ما قيل فى الزيارة والعجلة قول العكوك :

بأبى من زارنى مكتما خائفاً من كل شئ فزعا
زائر نم عليه عرفه كيف يخفى الليل بدرأ طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى الساهر حتى هجعا
ركب الأخطاء فى زورته ثم ما سلم حتى ودعا

وقال ابن المعتز:

زارنى والدجى أحم الحواشى والثريا فى الغرب كالعنقود
وكان الهلال طوق عروس بات يجلى عن غلائل سود
ليلة الوصل ساعدنا بطول طول الله فىك غيظ الحسود

وقال آخر:

زارت على غفلة الرقيب كظيعة روعت بطيب
وكان وقت الوصال منها أقصر من جلسة الخطيب

وقال عبد العزيز^(١) ويقال: إنه أصدق ما قالت الأواخر:

يقولون لى بالله ما انت فاعل إذا زارك المحبوب قلت أنيكه

وقال ابن النبيه^(٢):

قلت ليل إذ جبانى حيبى بعتاب يسبى النهى وعقارا
أنت ياليل حاجبى فامنع الصبح وكن أنت يادجى برد دارا

(١) عبد العزيز، هو: ابن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن العريض السنبسى،
الحلى، صفى الدين، أديب، شاعر. ولد فى الحلة، وتعاطى الأدب، فمهر فى فنون الشعر:
توفى فى بغداد سنة (٧٥٢هـ) من آثاره: ديوان شعر، الكافية البديعية. انظر: كشف الظنون
(٢٣٣)، الدرر الكامنة (٥٥/٢)، معجم المؤلفين (١٦٠/٢).

(٢) ابن النبيه، هو: على بن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيى المصرى، كمال الدين، أديب،
شاعر، كاتب، مدح آل أيوب، وانقطع إلى الملك الأشرف، توفى سنة (٦١٩هـ)، من آثاره:
ديوان شعر. انظر: الوافى (١٤٨/١٢)، معجم المؤلفين (٥٠٠/٢).

وقال ابن العفيف:

ومليح كالبدر زار بليلى
ما درى منزلى ولكن قلبى
وعجيب منه فقيه ذكى
فجلى حسنه الدجى إذ تجلى
بلهيب الجوى هواء ودلا
بمحل النزاع كيف استدلا

وقال بشار^(١):

يا أطيب الناس ريقاً غير مختبر
قد زرتنا زورة فى الدهر واحدة
الا شهادة أطراف المساويك
عودى ولا تجعلها بيضة الديك

إنما قال ذلك لأنه قد اشتهر أن الديك يبيض فى عمره مرة، ولم يذكر الطبيعىون ذلك. وأقول إن القياس لا ياباه لما تقرر فى الطبيعة من أن البيض الريحي فضلات غليظة هيأتها الحرارة، و الذكور يتوفر فيها ذلك على نحو المنى الفاضل و لولا الحرارة الحلاله لكثير ذلك فيهم، والممنوع يبيض يولد النوع لعدم الزرع النامى، ومن له يد فى الفلسفة سهل عليه علم هذا .

وقال ابن أبى حجلة:

زار الحبيب ووجه الورد خجلان
قد كان ما كان من هجرانه زمناً
ما ضرني ضيق عيشى حين واصلنى
فاصفر حين تثنى قده البان
وقد وفى الآن فالعدال لا كانوا
سم الخياط مع الأحباب ميدان
وقال ابن سكرة^(٢):

أهلاً وسهلاً بمن زارت بلا عدة
تسرت بالدجى عمداً فما استترت
ولو طواها الدجى عنا لأظهرها
تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
وناب إشراقها ليلاً عن القبس
برق الثنابا وضوء البرق فى الغلس

ومما تدرجوا إليه من ذكر زيارة الحبيب وصف ممره بالطيب.

(١) بشار بن برد، هو: العقيلي بالولاء، الضرير، أبو معاذ، شاعر مشهور، كان سمح القريحة، قليل التكليف، نظم فى كثير من ضروب الشعر، كان شاعراً راجزاً وشجاعاً وخطيباً، وله رسائل معروفة، توفى سنة (١٦٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٦)، معجم المؤلفين (٤٢٦/١).

(٢) ابن سكرة، هو: محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي، البغدادي، أبو الحسن، أديب، شاعر. توفى سنة (٣٨٥هـ) من آثاره: ديوان شعر. انظر: كشف الظنون (٧٦٦)، هدية العارفين (٥٥/٢)، معجم المؤلفين (٤٥٩/٣).

قال ابن النبيه:

إن جاء من يغى لهم منزلاً
وقال الطغرائي^(١):

فسر بنا فى ظلام الليل معتسفاً

وقال آخر:

لو كان يوجد ريح مسك فائحاً

وقال المتنبى:

ويفوح من طيب الثناء روائح

ومما ينخرط فى سلك الزيارة وينتظم فى عقد الإشارة ذكر العيادة وما ينجز
إلى المحب فيها من الإفادة وهى فى الحقيقة زيارة بحيلة تستعطف بها النفوس البخيلة.

قال الطغرائي:

خبروها أنى مرضت فقالت

وأشاروا بأن تعود وسادى

وأتنى فى خفية وهى تشكو

وراتنى كذا فلم تمالك

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

وملولة فى الحب لما ان رأت

قالت تعيرنا فقلن لها نعم

وقال آخر:

لا تهجروا من لا تعود هجركم

ورفعتموا مقداره بالابتداء

وهو الذى بلبان وصلكم غذى

حاشاكم أن تقطعوا صلة الذى

(١) الطغرائي، هو: الحسين بن على بن عبد الصمد، الأصبهاني، الليثي، مؤيد الدين، أبو إسماعيل، أديب، ناثر، شاعر، خبير بصناعة الكيمياء، توفى سنة (٥١٣هـ)، من آثاره: ديوان شعر، مفاتيح الرحمة ومصايح الحكمة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠٦/١٢)، معجم المؤلفين (٦٢٨/١).

وعلى ذكر الذى والصلة قيل: كتب ابن عنين وقد مرض إلى الملك المعظم :
انظر إلى بعين مولى لم يزل يولى الندى وتلاف قبل تلافى^(١)
أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر إليه وصحبته ثلاثمائة دينار، فقال: أنت الذى، وهذه الصلة وأنا العائد.
وما أطف قول البهاء زهير فى المعنى:

يقولون لى أنت الذى شاع ذكره فمن صادر يثنى عليه ووارد
فقلت له هبنى الذى ذكرته فأين صلاتى منكم وعوائدى
وقال ابن عباد^(٢):

مرضت فأشفقت الزيارة عامداً ولكننى أشفقت من أن أزورك
وما عن قلى أمسكتها لا ولا هجر فأبصر آثار الكسوف على البدر
الشهاب محمود:

رأتنى وقد نال منى النحول وفاضت دموعى على الخد فيضا
فقلت بعينى هذا السقام فقلت صدقت وبالخصر أيضا
وقال الأرجانى:

غالطتى إذا كسا جسمى الضنى كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندى فى الهوى مثل عيني صدقت لكن سقاما
وقال ابن أبى حجلة:

شكوت إلى الحبيبة سوء حظى وما قاسيت من ألم البعاد
فقلت أنت حظك مثل عيني فقلت نعم ولكن فى السواد

(١) الندى: الجود والفضل. التلاف: الشديد الإتلاف. انظر: لسان العرب، مادة [ندو]، [تلف].
(٢) ابن عباد، هو: إسماعيل ابن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقانى، المعروف
بالصاحب، أبو القاسم، كاتب، شاعر، أديب، فصيح، بليغ. من مشاهير الوزراء، أخذ الأدب
عن أحمد بن فارس. توفى سنة (٣٨٥هـ) من آثاره: ديوان رسائل، ديوان شعر، جوهرة
الجمهرة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٥/١٠) وفيات الأعيان (٩٣/١)، معجم المؤلفين
(٣٦٧/١).

وقال ابن النقيب:

وما بى سوى عين نظرت لحسنها
وقالوا به فى الحب عين ونظرة

والكل مأخوذ من قوله:

وجاؤا إليه بالتعاويد والرقى
وقالوا به من أعين الجن نظرة

وقال شمس الدين بن العفيف:

اسم حبيى وما يعانى
قالوا على فقلت قدراً

وقال ابن الوكيل^(١):

وبى من قسا قلباً ولان معاطفا
أقر برق إذ أقول أنا له

ومما أورده صاحب الدمية له:

عذيرى من شاطر اغضبه
وقال أنا لك يا ابن الوكيل

وتشبهاته فى نوع الزيارة كثيرة ذكرنا منها ما سمعت إذ لا يمكن استيعاب ذلك.

وقلت فى أصل الزيارة:

زارت وقد أخفى نهار جينها
فوئبت إجلالاً أقبل نعلها

ليل الشعور مخافة الرقباء
بل تربه للبرء من أدوائى

(١) ابن الوكيل، هو: محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد بن عطية، المصرى الأصل، الشافعى، العثمانى، المعروف بابن المرحل، صدر الدين، أبو عبد الله، شاعر، أديب، فقيه، محدث، أصولى، ولد بمصر، ونشأ بدمشق، وتفقه ودرس العلم، وناظر ابن تيمية. وتوفى بمصر سنة (٧١٦هـ) من آثاره: الأشباه والنظائر، ديوان شعر. انظر: تراجم الرجال

(٢) (٤٨/٢)، الدرر الكامنة (١١٥/٤) معجم المؤلفين (٥٦٧/٣).

(٢) عذيرى: النصير. الشاطر: المتصف بالدهاء والمكر. انظر: لسان العرب، مادة [عذر]، [شطر].

أوليت من نعم وحسن وفاء
شوقى وما صنع الهوى بحشائى
مع لينها ومحاسن الحسناء
سحراً فأحيا ميت الأحياء
معها بثوبى عفة وحياء
عوضتها بالعمر كان منائى

قالت لك البشرى فطب نفساً بما
بتنا وكل جوارحى تشكوها
فسكرت من الفاظها ورضابها
ونسىما أنفاس لقلبى أرسلت
لله من وطىر قضيت مؤازرا
ياليلة غلط الزمان بها ولو
وقلت أيضاً:

فى غفلة الواشين والجانى
ما لمستها راحة الجانى
وهى بسيف اللحظ ترعانى
قالت حديد يمنع الجانى

أفدى التى زارت بلا موعد
والوجه منها روضة اينعت
قمت لأجنى الورد من خدها
فقلت ما هذا وقد راعنى

وأما كلام سيدى عمر بن الفارض فى وصف طيب الحبيب فغاية لا يدركها اللبيب.
وذلك قوله :

ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها وفى الغرب مزكوم لعادله الشم

فإنه مع ذكر البعد فيما بين الجهتين مرصع بلطائف لايهتدى إليها إلا من
خص بالعناية، ألا ترى إلى وصفه الشام بالزكام المانع من الشم عادة وجعله فى
الغرب الذى يكثر الهواء منه لا إليه كما فى القرينة الثانية، وجعل المحبوبة فى
القطر الحار الذى تبنى فيه الرائحة إذا عبقت لشدة تحليل الشمس لما يحملها الهواء
من تصعيد البخار ومع ذلك .

يشم ومنه أخذت فقلت:

وكانت بأقصى الشرق شم نسيمها

لو اشتاقها فى الغرب فاقد شمه

وقلت فى العيادة:

مريضاً كواه البين بالهجر والسقم

أقول لها هل تسعفى بعيادة

لأن محال جمع روحين فى جسم

فقالت إذا مفارق الروح زرته

ومما يتخرج على الزيارة تخريج الفروع على الأصول ويهتدى إلى إلحاقه بها أهل العقول ماجرى على ألسنه الأحباب من أحوال العتاب وانقسام الناس فيه إلى مادح له لتأكيد المحبة، وذام له بين الأحبة والصحيح إنما كذب عنه الناقل، وميز الحق من الباطل، وأكد الصحبة بعد النفور، وبين للحبيب الزور، فهو أحق بأن ينصر ومنه يستكثر.

قال في إحياء علوم الدين: مامعناه أن العتاب شأن أولى الألباب وقاطع لقطيعة الأخلاء والأصحاب وكان الرجل إذا وقع في نفسه من أخيه شيء لم يهجره حتى يوضح له ذلك فإن انتهى وإلا هجره، وأما عتاب يفضى إلى المقاطعة ويحدث الهجر والممانعة، فتقريع يجب اجتنابه عقلاً ونقلاً وتركه فصلاً ووصلاً وفيه.

قيل: من سوء الآداب كثرة العتاب .

ومن أمثالهم في الأول: العتاب مفتاح الوصال، قاطع للهجر والملال وإلى سلوك الطريقة الحسنة فيه أشار من أمر بقلته وهو سعيد الكاتب^(١) بقوله:

أقل عتابك فالبقاء قليل والدهر يعدل تارة ويميل
ولعل أيام الحياة قصيرة فعلام تكثر عتبا وتطيل

وقال آخر:

وبعض العتاب إذا مارفت ياعد هجر أو يدنى وصالا
فعتاب أخاك ولا تجفنه فإن لكل مقام مقالا

وإلى مكث التقاطع أشار بالترك من قال:

لاتقر عن سماع من تهوى بتعداد الذنوب
ماناقش الأحباب إلا من يعيش بلا حبيب

(١) سعيد الكاتب، هو: ابن سعيد، أبو عثمان، من الشعراء، من الكتاب. أصله من النهروان الأوسط، ومولده ببغداد. قلده المستعين العباس ديوان الرسائل. توفى سنة (٢٥٠هـ) من آثاره: ديوان شعر وديوان رسائل. انظر: الأغاني (٢/١٧)، المورد (٢/٣).

وإلى تأييد الأول أشار من قال:

فلا عيش كوصل بعد هجر

فلا هذا يمل حديث هذا

وقال آخر:

ولم أحسن أيام الهوى يومك الذى

إذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا

وقال ابن سنا الملك:

وأملى عتاباً يستطاب فليتنى

ومن غرتى ذكر العذيب وبارق

وقال أبو نواس:

أساء فزادته الإساءة خطوة

تعد على الواشيات ذنوبه

وقال الحكم بن قنبر^(١):

كأنما الشمس فى أعطافه طبعت

مستقبل بالذى يهوى وإن عظمت

فى وجهه شافع يحو إساءته

وقال أبو فراس^(٢):

قل لإحبابنا الجناة علينا

أحسنوا فى عتابكم أو أسيتوا

ولاشئى ألد من العتاب

ولا هذا يمل من الجواب

تروع بالهجران فيه وبالعتب

فأين حلاوات الرسائل والكتب

أطلت ذنوبى كى يطول عتابه

وما هو إلا ثغره ورضابه

حبيب على ما كان منه حبيب

ومن أين للوجه المليح ذنوب

حسناً أو البدر من أزارره طلعا

منه الإساءة معذور بما صنعا

من القلوب وجيه حيثما شفعا

درجوننا على احتمال الملال

لاعدمناكم على كل حال

(١) الحكم بن قنبر، هو: ابن معمر الحضرى. شاعر، من خضر محارب، كان معاصراً لابن ميادة، وعده الأصمعى من طبقتة. توفى سنة (١٥٠هـ) انظر: سمط الآلى (١٦) الأصمعيات (٢٢) الأعلام (٢٦٧/٢).

(٢) أبو فراس، هو: الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان الحمدانى، العلوى، التغلبى، أبو فراس. أديب، شاعر، فارس، جواد. توفى سنة (٣٥٧هـ) من آثاره: ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩٥/١٠)، وفيات الأعيان (١٥٨/١)، معجم المؤلفين (٥١٨/١).

وقال آخر:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتىكم فنعتذر

وقال آخر:

حججى عليك إذا خلوت كثيرة لا أستطيع أقول أنت ظلمتى
وإذا حضرت فإننى مخصوم الله يعلم أننى مظلوم

وقال آخر:

ولو كان هذا موضع العتب لا شتفى فؤادى ولكن للعتاب مواضع

وقال ابن المعتز:

اقبل معاذير من يأتىك معتذراً فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
إن بر عندك فيما قال أو فجرا وقد أجلك من يعصيك مستترا

وقد قيل: إن أفضل العتاب ما غرس العفو، وأثمر المحبة، وعتب يوجب العفو والصفاء أفضل من ترك يعقب الجفاء. وجاء فى تفسير قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] عن على: يعنى اعف واصفح بلا عتاب .

وورد عنه من لم يقبل من متصل عذراً صادقاً أو كاذباً لم يرد على الحوض .
وما أحسن قول القائل :

ذنبى إليك عظيم وأنى أعظم منه
فجد بحقك أولاً واصفح بفضلك عنه
إن لم أكن فى فعلى من الكرام فكنه

وقال آخر:

ما أحسن العفو من قادر لا سيما عن غير ذى ناصر
يا غاية القصد وأقصى المنى وخير مرعى مقلبة الناظر
إن كان لى ذنب ولا ذنب لى فماله غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا إن يفسد الأول بالآخر

وقال آخر:

وزعمت أنى ظالم فهجرتنى ورميت فى قلبى بسهم نافذ
ونعم ظلمتك فاغفر لى زلتى هذا مقام المستجير العائد

وقال ابن زيدون^(١):

ياقمر مطلعك المغرب
الزمتي الذنب الذي جنته
فإن من أغرب ما مر بي
قد ضاق في حبك المذهب
صدقت فاصفح أيها المذنب
إن عذابى فيك مستعذب

وقلت:

رأيت أساليب للعتاب كثيرة
إذا ما خلونا لم أجد ما أقوله
ومن ذكر المحبوب شيئاً منفراً
ومن ير ذنباً من حبيب فمدع
والطفها ما أكد الحب في القلب
يلذ سوى الشكوى إليها مع العتب
عقوبته المهجران في مذهب الحب
وما الحب إلا أن تنعم بالذنب

وهذا مستمد من قطب هذا الوجود وإنسان عين أهل هذا الشهود سيدى
عمر بن الفارض حيث قال: وكل الذي ترضاه ، البيت السابق.

وقد قال بعضهم: عتاب المحبين الذلة فى الأعتاب وخدمة الأبواب،

وقال بعضهم: كن إذا قابلت الحبيب مرآة ينتقش فيها ذنبك ، فتراه منك
وتطلب صفحه عنك، ولم يوضح هذا الطريق أحد أجل من لسان العارفين
وترجمان المحبين سيدى عمر بن الفارض، حيث يقول :

ولو عز فيها الذل ما لذى الهوى ولم تك لولاك الذل فى الحب عزتى

(١) ابن زيدون، هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب المخزومى، الأندلسى، القرطبى، أبو الوليد، وزير، شاعر. توفى سنة (٤٦٣هـ) من آثاره: ديوان شعر، رسالة ابن زيدون. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠١/١١)، وفيات الأعيان (٥٣/١)، معجم المؤلفين (١٧٧/١).

فصل

ومما يلحق بالعتاب ويصلح أن يكون معه فى باب

الصبر على تعنت المعشوق وتجنیه على الضب المشوق ، والصفح عن التجنى حين يذوق جناه، ونسخ سخطه، وظلمه بظلمه ورضاه ، وهو أصل عند العشاق يبنى عليه ويرجع فى قواعد مذهب المحبين إليه.

كما قيل :

شرط المحبة عند أرباب الهوى أن المليح على التجنى يعشق
لا يصدهم صد ولا يقفون من سيوف اللحظ عند حد ولا تأخذهم فيه لومة
لائم ولا يعدون جور ما يرد من الظلم من المظالم .

ابن النبيه:

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلواً فقد جهل المحبة وأدعى

ولقد تلطفت عليه بنت المهدي فى هذا المعنى حيث تقول:

جبل الحب على الجور فلو أنصف المحبوب فيه أسمع

ليس يستحسن فى شرع الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج

وقال بعض الأعراب:

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبى أراح الله قلبك من حبى

فلما كتمت الحب قالت تعنتا صبرت وما هذا بفعل شجى القلب

وأدنو فتقصينى فأبعد طالبا رضاها فتعتد التباعد من ذنبى

فشكواى يؤذيها وصبرى يسبؤها وتنفر من بعدى وتجزع من قربى

فيا قوم هل من حيلة تعرفونها أشيروا بها تستوجبوا الأجر من ربى

ولما كان التجنى من المحبوب وتعنته الذى يكاد أن يفوت الغرض المطلوب يشتبه بالهجر والقطيعة ويعسر التفريق بينهما على من لم يخض لجة هذه الشريعة وجب بعد أن أشرنا إلى حقيقة الأول أن نشير إلى الثانى ونذكر ما له من الأقسام والمباني سالكين فى ذلك مسلك ديوان الصباية إذ لا مزيد فى هذا المحل على تقسيماته المستطابة فنقول: وقد قسم الهجر عند أهل المحبة بعد الاستقصاء إلى أربعة أقسام :

القسم الأول: هجر الدلال

وهو الممدوح الصفات، المقصود بالذات، وسببه علم المحبوب بمكانته عند المحب وأنه يتلذذ بالإساءة كما يتلذذ بالحسنة، ولا تغيره الحوادث على اختلاف الأزمنة، ولهذا إذا صفت مرآة أهل المحبة اتحدوا في كل رتبة، فيقع لأحدهم بعد المبالغة في هذا الصفاء أن يعتقد ارتفاع الخلاف، واتصاف كل أحد بما عنده من الأوصاف.

فانظر إلى قول بهاء الدين زهير في قوله:

عتب الحبيب فلم أجد سبباً لذاك العتب حادث
ما كنت أعلم أنه ممن تغيره الحوادث

فهو وإن لم يقع منه ما يوجب التغير كما أفهمه البيت الأول، لم يعتقد تغير المحبوب بما يقع منه؛ لأنه هو كذلك.

وفي هذا الأصل كلام للعارفين، وكل يأخذ ما يناسبه من الإشارات، والبهاء زهير لا يكثر عليه مثل هذا فلقد سمعت مولانا عارف الوقت، الشيخ شمس الدين البكرى^(١) أدام الله مدده يقول إنه كان إماماً عارفاً، أو ذا لسان عارف، وعلامة هذا القسم الإسعاف بالمطلوب وإن لم يكن كل آن، والتلطف بالعاشق ورفع محله في غصون الهوان، وهم يرون اليسير خطيراً، والقليل كثيراً.

قال أستاذ الوجود في هذا المعنى:

ففي نظرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائعاً ولك الحكم

وفوق ذلك قوله رضى الله عنه:

وإن لم أفز يوماً إليها بنظرة لغزتها حسبي افتخاراً بتهمتي

ودون اتهامي أن قضيت أسى فما اسأت بنفس بالشهادة سرت

(١) شمس الدين البكرى، هو: ابن أبي السرور بن محمد بن علي بن عبد الرحمن، الصديقي، الشافعي، مؤرخ، توفي سنة (١٠٦٠هـ)، من آثاره: عيون الأخبار ونزهة الأبصار. انظر: فهرس التيمورية (٣/٣٦)، معجم المؤلفين (١/٨٢٠).

فانظر كيف ارتضى بأن يموت محباً وإن لم يعلم به أحد، ويكون شهيداً مع ذلك، فائزاً بالسعادة، في غاية الرضا بذلك بعد إذ سأل الوصل أولاً، ثم نظرة ما في يوم ما، ثم التهمة بالمحبة الصادقة على العدم، ثم هذه الرتبة. وما أحسن التكميل بعزة النظرة في هذا المقام، وعلاج هذا القسم ينحصر في الصبر المقرون بالرضا، ثم التسليم الخالي عن الشوائب المكدره ومعنى قوله رضى الله عنه: ولو عز فيها الذل، يحقق ذلك.

وأما قوله:

ونفس ترى في الحب أن لا ترى عنا . متى تصدت للصبابة صدت
فزجر ينفي ويمنع غير النفوس الزكية والهمم العلية عن سلوك هذه المرتبة السنية.
رجع إلى كلام المترسمين قال بعضهم: هجر الدلال أعذب من الوصال .
ويبدل هجركم على أنى خطرت ببالكم
وقال آخر:

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة لقد سرنى أنى خطرت ببالك
ويستحب لمن وسم بالجمال وأخذ بقلوب النساء والرجال أن يكون كثير
التدلل، قليل التبذل؛ فإن ذلك أدعى للسلامة، وأبعد عن الملامة.
وقال ابن وكيع^(١):

قالوا عشقت كثير التيه ممتنعاً
لو جاد هان وقلت الجود عادته
وقال العباس بن الاحنف:
يا قوم لم أهجركم لماللة
لكنى جربتكم فوجدتكم
وقلت:

فقلت هيات عنكم غاب أطيبه^(٢)
وإنما عز لما عز مطلبه
منى ولا لقال واش حاسد
لا تصبرون على طعام واحد
عدى واضمرى خلفاً يلد بخاطرى
فعدى موتى فى هواك وعلمك
كوصلك وعد منك غايته الخلف
بذلك وصف لا يعادله وصف

(١) ابن وكيع، هو: الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن خلف بن حبان بن صدقة بن زياد، الضبي، أبو محمد، شاعر، توفي سنة (٣٩٣هـ) من آثاره: ديوان شعر، المصنف في الدلالات على سرقات المتنبي. انظر: وفيات الأعيان (١٧١/١) معجم المؤلفين (٥٦٥/١).
(٢) التيه: الصلف والكبر. انظر: القاموس المحيط، مادة [تیه].

القسم الثاني: هجر الملل

هو: هجر منشؤه الملازمة مع اختلاف الخصال، وتكون المحبة فيه عريقة بل منشؤها علة على الحقيقة، وسببه ما ذكر من الاختلاف وتحري النفس طلب الاعتساف^(١).

وعلامته: تأثير مباحدة المكان وطول الأزمان.

وعلاجه: التحبب والتخلق بخلق المراد، وسلوك كل ما أراد، وربما مَحْتَه الهدية، والملاطفة بالأخلاق المرضية، والصفح مع حسن الصبر، والمجاورة عن الزلة وإن عظم الأمر.

وبعض العشاق من المترسمين صرح في علاجه بتباعد المكان والغيبة الممتدة إلى مدة من الزمان.

وفيه أنشد:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

هذا لا يحسن على إطلاقه إلا بعد تحقيق وثاقه، وهو أن يكون للمحبة أصل، وإنما ضعف بالملازمة، وإلا فالبعد مع عدم ذلك غاية مطلوبة، وصفة محبوبة.

(١) الاعتساف: السير بغير هداية. انظر: القاموس المحيط، مادة [عسف].

القسم الثالث: الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة

هو: هجر سببه، وقوع في ذنب ولو خطأ.

وعلامته: قبول الأوبة^(١) عند صدق التوبة.

وعلاجه: تصديق الحبيب في دعواه، والنزول على حكمه و الرضا بما يهواه، والاعتراف بالذنب وإن لم يكن صدر، وطلب العفو ممن قدر. وإلى هذا المشرب وسلوك هذا المأرب^(٢) أشار سيدي عمر بن الفارض رحمته الله بقوله:

عبد رق مارق يوماً لعتق . لو تخليت عنه ما خلا كما

فقد حقق في هذا الباب أن لا محيص له عن هذا الجناب، وأنه يطلبه بكل حال، ولا ينحيه عنه في سائر الأحوال سوى طلب أو منع أو جلب أو دفع، ثم دل على صدق كلامه وانعقاد قلبه على مطاوعته في مرامه^(٣). فقال:

وما شئت في هواك اختبرني فاختباري ما كان فيه رضاك

ثم ارتفع عن هذه المرتبة إيضاحاً لمراتب السالكين، ودلالة على التنقل الموصل للناسكين حيث قال:

وقد صرت مستدع قضاك وما به رضاك ولا أختار تأخير مدتي

فإنه أبلغ من قوله:

وإن هددوا بالهجر مانوا مخافة وإن أوعدوا بالقتل حنوا إلى القتل

خلافاً لبعض الشراح لعموم ما في الأول بالنسبة إلى هذا وبيانه يستدعى طولاً.

أما قوله:

وما غدرت في الحب إذ هدرت ذمي بشرع الهوى لكن وفت إذ توفت

فأصرح من جميع ذلك فيما نحن فيه، بل ربما تمشى على القسم الأول، أو هو

له حقيقة .

(١) الأوبة: الرجوع. انظر: لسان العرب، مادة [آب].

(٢) المأرب: الحاجة. انظر: لسان العرب، مادة [أرب].

(٣) مرامه: مطلبه. انظر: القاموس المحيط، مادة [رام].

القسم الرابع: الهجر الخلقى

وسماه بعض الصوفية: الأزلى.

يقال: إن الجنيد^(١) رحمه الله فسر قوله صلى الله عليه وسلم «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» بأن الله حيث أخرج عالم الذر^(٢) جعله فى كفه، ثم أخذ العهد عليه ثم بذره ، فوق بعضه متقابلاً وهؤلاء هم المشتركون فى نسب أوجبت الصحبة، وحققت المحبة.

وتدابير الآخر، فحققت بين أفرادها المقاطعة، وجبلوا على الممانعة. وهذا التقابل والتدابير يجوز حمله على حقيقته، ويجوز أن يراد به أمر معنوى غايته الاختلاف وأسباب هذا كثيرة: أعظمها عند المتمسكين بالشرائع، اختلاف الأديان، وعند مطلق العالم يستند إلى الإرادة الإلهية، حيث صرح بعجز أكمل مخلوقاته، وعين أعيان سر صفاته عن قيام الناموس بدونها فقال عز وجل من قائل ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الأنفال: ٦٣].

وهذا القسم والذي قبله لاتعلق للعشاق بهما على ما اخترناه ، وبعضهم يرى أن الثلاثة الأول من متعلقات العشق، ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب؛ فإن من بلغ إلى قول الأستاذ رحمه الله وكل الذى ترضاه... البيت. لم يكن القسم الثانى فضلاً عن الثالث من متعلقاته وإذا عرفت ماقررناه ثبت عندك أن هذا القسم لا علاج له أصلاً إلا بالإرادة الإلهية، ثم الهجر من المحب الصادق قد يؤول الأمر فيه بالعاشق إلى أن يخرج كلامه مخرج الدعاء عليه، ويكون فى الحقيقة ثناء لديه، وقد يُستخير عند تمادى الهجر ، وحكم الغرام حلول رمسه فيجعل ذلك الدعاء على نفسه.

وألطف ما سطر فى الأول وعليه عند الظرفاء يعول قول الشاب الظريف المعروف بابن العفيف^(٣) :

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الذر: من الذرية أو من ذررت الحب أى فرقتة . اللسان ، مادة [ذرر] .

(٣) تقدمت ترجمته.

أعز الله أنصار العيون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا
وخلد دولة الأعطاف فينا
وأسبغ ظل ذاك السعد يومًا
وصان حجاب هاتيك الثنايا

وقال أيضًا :

أدام الله أيام الوصال
واسبغ ظل أغصان التدانى
ولا زالت ثمار الأنس تجنى
ولا برحت لنا فيها عيون

وقال آخر :

يا رب إن قدرته لمقبل
وإذا قضيت لنا بصحبة ثالث
وإذا حكمت لنا بعين مراقب

وقال شهاب الدين بن العائم:

والله ما أدعو على هاجرى
حتى يرى مقدار ما قد جرى

وقال آخر :

أيها المعرض صفحًا
لا أراك الله عمـنـرى
رب فاجعله دعاء
رق قلبى إن يـرى

وخلد ملك هاتيك الجفون
وإن تك أضعفن عقلى ودينى
وإن ننت الفؤاد إلى الشجون
على قد به هيف الغصون
وإن جارت على الفذ الطعين^(١)

وخلد عمر هاتيك الليالى
وزاد قدودها حسن اعتدال
تريد لطافة فى كل حال
تغازل مقلتى خشف الغزال^(٢)

غبرى فللمسواك أو للكؤوس
يا رب فليك شمعة فى المجلس
يا رب فلتك من عيون النرجس

إلا بأن يمحـن بالعشـق^(٣)
منه وما قد فى حقى

عن خطابى وجوابى^(٤)
أو يرينى بك ما بى
خائبًا غير مجاب
قلبك فى مثل عذابى

(١) الفذ: المتفرد فى مكانته. الطعين: الرمح. انظر: القاموس المحيط، مادة [فذّ]، [طعن].

(٢) خشف: ولد الظبى أول ما يولد. انظر: لسان العرب، مادة [خشف].

(٣) يمحـن : يجرب . انظر: القاموس المحيط، مادة [محـن].

(٤) صفحًا: معرضًا. انظر: القاموس المحيط، مادة [صفح].

وقال آخر :

كم جفاني فرمت أدعو عليه
لا شفى الله طرفه من سقام

وقال ابن وكيع^(١) :

إن كنت تعلم ما بى
فصار قلبك قلبى
بل عشت فى طيب عيش
دعوت إذ ضاق صدرى

وقال آخر :

لما بدا لى أنه غير رائدى
تميت أن يهوى ويحيا لعله

وقلت :

لى طلعة الحسن واللفظ ناضرة
لقد بظنت فى كل معنى وصورة
تضن على العشاق بالقتل فى الهوى
ولكننى أرجو تبدل ما بنا
فتطلبنى من بعد ما أنا طالب
فيا رب خذ منها بحقى وانتصر
ولاتستجب منى وسلطان عزها

فتوقفت ثم ناديت ذاهل
وأرانى عذاره وهو سائل

وأنت بى لا تبلى
وصرت فى مثل حالى
تفديك نفسى ومالى
عليك ثم بدا لى

وأن هواه ليس عنى بمنجلى
يذوق مرارات الهوى فيرق لى

أرى كل أرباب المحاسن ناظرة
من الكون لما أصبحت فيه ظاهرة
فما طلبى للوصول إلا مكابرة
من الميل واستكشاف حجب المساترة
ها وتحينى بحسن المحاضرة
لنفس غدت فى أبحر الشوق حائرة
أدمه وإن كانت على الناس جائرة

ثم قد يتمادى الهجر، ولا يسمع الدعاء، ويعز الوصل، ويصعب الرضا، فيأخذ العاشق فى مسح الدموع والانحطاط من أوج الارتفاع إلى حضيض الخضوع، ولقطب هذه الدائرة وبدر سماء هذه الكواكب السائرة ذى المرتبة التى لا تلحق، وقصب السبق التى لا يدرك والجواد الذى لا يسبق قوله :

(١) تقدمت ترجمته.

ومن درجات العز أمسيت مخلداً إلى دركات الذل من بعد نخوتى
فلا باب لى يغشى ولا جاه يرتجى ولا جار لى يحمى لفقد حميتى

فقد أشار فى هذين البيتين إلى طرح حظوظ نفسه التى قد تكون مانعة من الوصول بإشارة يدق إدراك كنهها عن العقول، فقد أثبت له رتبة رفيعة بين أن تركها بعد علاج عظيم، ومن ثم كان تدريجاً لعدم إمكان طرحها دفعة كما أفهمته الدرجات والإضافة إلى العز وعكس الحكم فى الطرف الآخر لأنه فى غاية المقابلة، وأكد ذلك بالإشارة إلى غاية المحو الذى به حقق إثباته، كما أشار بعده بقوله: والفقد مثبتى.

وأما إشارته إلى الدموع وانسكابها فالغاية التى لا يدرك منها الناس إلا القشور.
فمنها قوله:

فسهدى حى فى جفونى مخلد ونومى بها ميت ودمعى له غسل^(١)
فانظر إلى غرابة هذه الاستعارات، ولطف هذا التركيب، وصحة هذا السبك الخالص من الزيف مع بلوغ المقصود.

ثم بالغ فى تحقيق هذا المرام، وارتقى فى مسالك هذا المقام بقوله:
وأدمع هملت لولا التنفس من نار الجوى لم أكد أنجو من اللجج^(٢)
وأبلغ منه قوله:

فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى وإيقاد نيران الخليل كلوعتى
فلولا زفيرى أغرقتى مدامعى ولولا دموعى أحرقتى زفرتى
لعكس التشبيه كما سبق فى صدر هذا الباب وتكافؤ الضدين هنا، ومن قال بتساوى المعنيين فى القصيدتين لم يعرف معنى الطوفان بالنسبة إلى اللجج فى الأول لأنه انقلاب العناصر كلها إلى واحد وهذا فى الدقة كقوله رضى الله عنه وإن لم يكن مما نحن فيه.

وتحفت أخفافها فهى تمشى من جواها فى مثل جمر الرماد^(٣)

(١) السهد: الأرق والسهر. انظر: القاموس المحيط، مادة [سهد].

(٢) هملت العين: فاضت وسالت بالدمع. اللجج، جمع لجة: معظم البحر وتردد أمواجه انظر: القاموس المحيط، مادة [همل]، [لجج].

(٣) أخفاف، جمع خف: ما يلبس فى الرجل من جلد رقيق. انظر: القاموس المحيط، مادة [خفف].

حيث نسب تخفية الأخفاف إلى حرارة الجوى التى شأنها الصعود ، عكس
الأخفاف، فكأنه يقول: لشدة هذه الحرارة استوعبت الأجاز كلها، وأما قوله :
لو بكى فى قفار خلتها لججا وإن تنفس عادت كلها يسا^(١)
وغيره فكثير لا يمكننا إدراك أقله، وأنى للبشر من حيث إنه بشر إدراك دقائق
الفيوضات الإلهية، والكرامات التى خلفت المعاجز النبوية كما صرح به رضى
الله عنه حيث قال :

فعلنا منهم نبى ومن دعا إلى الحق منا قام بالرسالية
وأصرح منه قوله :

فما كان منه معجز اصار بعده كرامة صديق له أو خليفة
رجع إلى كلام المترجمين قال القاضى الفاضل :

قد استخدمت بالأفكار سرى وما أطلقت لى بالوصل أجره
ولم أرها على الأيام إلا عقدت مودة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين إلا وصرت بأدمعى فى الشمس عصره
وقال ابن عبد الظاهر^(٢):

لا تسلى عن أول العشق إنسى أنا فيه قديم هجر وهجره
من دموعى ومن جينك أرخت غرامى بمستهل وغره
وقال المتنبى^(٣):

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة فى الأماقى
وله أيضاً :

وهبت السلو لمن لامنى وبت من الشوق فى شاغل
كأن الجفون على مقلتى ثياب شققن على ثاكل^(٤)

(١) قفار، جمع قفر: الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلاً. انظر: القاموس المحيط، مادة [قفر].

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ثاكل: الولد أو الحبيب المفقود. انظر: القاموس المحيط، مادة [ثكل].

وقال آخر :

ولم أنس لا أنس ذاك الخضوع
وخدى يضاف إلى خدها

وقال إبراهيم بن المعمار :

وبى غضبان لا يرضيه إلا
فما عطفت معاطفة بوصل

وقال آخر :

وقال مبال عينك مذرات
فقلت زنت عيني بنظرة طلعة

وقال السرى الرفاء^(١):

بروحى من رد التحية ضاحكا
وحالت دموع العين بينى وبينها

وقال آخر :

وقائلة ما بال دمعك أسودا
فقلت لها إن الدموع تجففت

وقال ابن وكيع :

وسحاب إذا همى الماء فيه
مثل ماء العيون لم يجر إلا

المسعودى شارح المقامات :

قالت عهدتك تبكى
فلم تعوضت عنها
فقلت ما ذاك منى
لكن ضلوعى شابت

دمًا حذار التنائى
بعد الدماء بمنائى
ولم يكن بمنائى
من طول عمر التنائى

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) همى: سال وفاض. انظر: القاموس المحيط، مادة [هما].

وقال آخر :

فمذ نأوا قصرتها بعدهم حرقى
فاستقطر البين ماء الورد من حرقى

كانت دموعى جمرًا يوم بينهم
قطفت باللحظ وردًا من خدودهم

وقال ابن الناشئ الأكبر:

بكاء الحبيب لفقد الديار
بقية طل على جلنار^(١)

بكى الفراق وقد راعنى
كان الدموع على خدها

وقلت :

فؤادى وألقت بين سمعى وناظرى
على الأرض أمثال البحور الزواخر^(٢)
جرى عندما من هجر ك المتواتر^(٣)

ومحجوبة مذ كلمتى كلمت
إلى أن رأتها مقلتى فاض دمعها
فقلت عقيماً ما أرى قلت بل دمي

(١) الجلنار: زهر الرمان. انظر: القاموس المحيط، مادة [جلن].

(٢) الزواخر: الفياضة. انظر: القاموس المحيط، مادة [زخر].

(٣) عقيماً: حجر كريم أحمر يعمل منه الفصوص. انظر: القاموس المحيط، مادة [عقق].

فصل

فى نفى كدر الهم والصدود باستجواب الأمانى والوعود والتعلل بالأمانى، والطمع فى التهانى

وهو أصل انقسمت فيه العشاق إلى قسمين:
قسم وفى له محبوبه وحصل له بعد الوعد مطلوبه، وهو العزيز النادر وغير
الوافى الوافر.

وقسم مات بغصته^(١)، وحالت المنية بينه وبين أمنيته وانتهاز فرصته، وأعجب
ما فيه أن الراضيين به مع العلم بزوره أكثر العشاق وأغلب من نودى عليه فى
هذه الأسواق وقد كشف عن غامض هذه الطريقة، واستثنى الرضا بزور هذه
الحقيقة الأستاذ رضى الله عنه.

فقال :

عدينى بوصل وأمطلى بنجازه فعندى إذ أصح الوفا حسن المطل^(٢)
وما الصد إلا الود ما لم يكن قلبى وأضعب شئ دون إعراضكم سهل
ثم تجرد من ثياب هذه الطريقة، وانغمس فى بحار الحقيقة، فانطوت نفسه
الأبية فى مطاوى الحقائق القدسية فقال :
إن لم يكن وصل لديك فعد به أملى وماطل إن وعدت ولا تفى
وأما المترسمة فقد أكثروا فى هذا الباب الأقوال واختلفوا باختلاف الأحوال.
قال بعضهم :

أعلل بالمنى قلبى لعلى أروح بالأمانى الهم عنى
واعلم أن وصلك لا يرجى ولكن لا أقل من التمنى

وقال آخر :

وما بلوغ الأمانى فى مواعدها إلا كأشعب يرجو وعد عرقوب

(١) الغصة: ما اعترض فى الحلق من طعام أو شراب . انظر: القاموس المحيط، مادة [غصص].

(٢) أمطلى : أجلى الوفاء بالوعد. انظر: القاموس المحيط، مادة [مطل].

ومن كلام أفلاطون: الأمانى حلم المستيقظ، وسلوة المحروم؟
وقال غيره: التمنى مؤنس إن لم ينفعك فقد أهلك.
قيل لأعرابي: ما أمتع لذات الدنيا؟ قال: مازحة الحبيب، ومحادثة الصديق،
وأمانى تقطع بها أيامك .

قال ياقوت الرومى^(١) :

لله أيام تقضت بكم
مرت فلم يبق لنا بعدها
وقال ابن الوردي^(٢) :

وشادن قلت له
فقال كم من عاشق
وقال الحسين بن الضحاك^(٣) :

وصف البدر حسن وجهك حتى
وإذا ما تنفس النرجس الغض
خدعات المنى تعلنى فيك
وقال ابن أبي حجلة^(٥) :

رقى لصب غدا مما يكابده
لم يبق فيه سوى روح يرددها
من دمه الصب يجرى فى مجاربه
لولا المنى مات يا أقصى أمانيه

(١) ياقوت الرومى ، هو : ابن عبد الله، مولى التاجر أبى منصور الجبلى، مهذب الدين، أبو الدر، أديب، شاعر، نشأ ببغداد وحفظ القرآن، انتشر نظمه بالعراق والشام، توفى سنة (٦٢٢هـ)، من آثاره: ديوان شعر صغير. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩٦/١٣)، معجم الأدباء (٣١١/٩).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الحسين بن الضحاك، هو: أبو على الباهلى، مولاهم البصرى، الشاعر المفلق، مدح الخلفاء وسار شعره، وعمر دهرًا، وكان ذا ظرف ومجون، وتفنن فى بديع النظم، شهر بالخليع لمجونه، توفى سنة (٢٥٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٩١/١٢)

(٤) الغض: اللين. الشذا: الرائحة العطرة. انظر: القاموس المحيط، مادة [غض]، [شذا].

(٥) تقدمت ترجمته.

وقلت :

عدى فتى شفت الأسقام مهجته بزورة منك يا أقصى قميه^(١)
فالهجر منك لكاس الموت يسلمه والوعد منك ولو بالزور يحيه
وقد ذم قوم الرضا بالوعد والأمانى، وعدوا ذلك جنوناً، ومشى على ذلك
جمع كثير:

وقال الخالدي^(٢):

ولاتكن عبد المنى فالمنى رؤوس أموال المفـاليس

وقال ابن المعتز^(٣):

لاتأسف من الدنيا على أمل فليس باقيه إلا مثل ماضيـه
قال على كرم الله وجهه: اجتنبوا المنى فإنها تذهب ما حوّلتم^(٤)، وتصغر
المواهب التى رزقتكم.

وقال رجل لابن سيرين^(٥): إنى رأيت كأنى أسبح فى غير ماء، وأطير بغير جناح.

فقال: أنت رجل تكثر الأمانى.

وسمع الحجاج ليلة لبانا يقول: أبيع اللبن بكذا، وأشترى بضاعة فأكسب فيها
كذا، فيكثر مالى، فأتزوج ابنة الحجاج، وتلد لى ولدًا وأمرها يوماً بشئ فلم تطع
فأرفسها هكذا، ورفع رجله فكب اللبن.

(١) شفت: أضمرته وجعلته نجيلاً. انظر: القاموس المحيط، مادة [شفف].

(٢) الخالدي، هو: سعيد بن هاشم بن سعيد وعك بن عوام بن عبد الله، أبو عثمان، شاعر،

أديب، أخبارى، من آثاره: ديوان شعر، اختيار شعر ابن الرومى. انظر: الوافى (٨٨/١٣)،

معجم المؤلفين (٧٧٠/١).

(٣) ابن المعتز، هو: عبد الله بن محمد بن المتوكل، جعفر بن المعتصم، البغدادي، أبو عباس،

أديب، شاعر، أخذ الأدب عن فصحاء العرب، وسموه بالأمير، توفى سنة (٢٩٦هـ) انظر:

سير أعلام النبلاء (١٤٨/٩)، معجم المؤلفين (٣٠٠/٢).

(٤) حوّلتم، من الحوّل: ما أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان من النعم. انظر: القاموس المحيط،

مادة [خلل].

(٥) تقدمت ترجمته.

فدخل الحجاج، فضربه خمسين سوطاً، وقال ألسنت تفجعني في ابنتي لو فعلت بها هذا .

وقال آخر :

لما بدا العارض في خده بشرت قلبي بالنعيم المقيم^(١)
وقلت هذا عارض ممطر فجاءني فيه العذاب الأليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب، والقناعة باليسير من المطلوب وإن طال الوعد وكثر الخضوع، وامتد البعد وانسكبت الدموع؛ فصفة العاشق القانع، الملقى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف، المشفق عليه من نحو التعنيف. وقد اتصف به جم غزير عدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير، وليس في هذا النمط ألطف من جميل في قوله: وإني لأرضى من بشينه... الأبيات السابقة في قصته.

وقوله :

ألسنت أرى النجم الذي هو طالع عليها فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقى في الأفق طرفي وطرفها فيجمعنا إذ ليس في الأرض جامع
وقال بعض الأعراب :

أليس الليل يجمع أم عمرو وأبانا فذاك لنا تدانى
نعم وأرى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علانى
وقال بعضهم :

إلى الطائر النسر انظري كل ليلة فإني إليه بالعشية ناظر
عسى يلتقى طرفي وطرفك عنده فنشكو إليه ما تكن الضمائر
وقال بعض الأعراب :

وما نلت منها وصلها غير أنى إذا هي بالت بليت حيث تبول
وقال بعضهم :

وكن قنوعاً فقد جرى مثل إن فاتك اللحم فاشرب المرقعة

(١) العارض : صفحة الخد . انظر : القاموس المحيط ، مادة [عرض].

هذه إشارة إلى مثل يضرب للقناعة باليسير، وأصله: أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أنت في ضيافتى بجميع عسكريك في جزيرة كذا، فلما حضروا أخذ جرادة ورمى بها في البحر، وقال: يا نبي الله من فاته اللحم فليشرب المرق، فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك إذا ذكره.

وعكس هؤلاء من مد إلى المحبوب باعه، وأوسع آماله وأطماعه، فلم يرض إلا بامتزاج الأشباح فضلاً عن الأرواح، والتأليف الذي لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحداً في العين الأحوال الذي يرى الشيء اثنين .

قال بعضهم :

وكدت وهو ضجيعي أن أقول له من شدة الحب قد ابعدت فاقرب

وقال ابن الرومي^(١):

أعانقه والنفس بعد مشوقة إليه وهل يعد العناق تدانى

وأثم فاه كي تزول حرارتي فيشتد ما ألقى من الهيماني^(٢)

كان فزادى ليس يشفى غليله تشفيه مما ترشف الشفتان

ولم يشف مقدار الذي بي من الجوى سوى أن ترى الروحان يمتزجان

وقال خالد الكاتب :

كأني عانقت ريجانة تنفست في ليلها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسد واحد

وقال نبطويه النحوي^(٣):

ولما التقينا بعد بعد بمجلس نغازل فيه أعين النرجس الفضى

جعلت اعتمادى ضمه وعناقه فلم نفرق حتى توهمته بعضى

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الهيمان: شدة الوجد. انظر: القاموس المحيط، مادة [هام].

(٣) نبطويه النحوي، هو: إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، الأزدي، الواسطي، أبو عبد

الله، عالم بالعربية، واللغة، والحديث، ولد بواسط، وسكن بغداد، توفي سنة (٣٢٣هـ) من

آثاره: غريب القرآن، المنع في النحو. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/١٠)، معجم المؤلفين

(٦٧/١).

وقال أبو بكر الإربلي^(١):

هم الرقيب ليسعى في تفرقنا
عانقته فاتحدنا والرقيب أتى

وقال أبو الفضل^(٢):

سقيا لعيش مضى والدهر يجمعنا
فصرت إذا علقنت كفى حباتكم

وقال ابن سناء الملك^(٣):

وليلة بتنا بعد سكرى وسكره
وبتنا كجسم واحد في عناقنا

قيل: اعترض على هذا بكون العروضيين تعد الحرف المشدد حرفين، فلو قال:
في الخط، لحسن مطلوبه .

واجتمع ابن الجهم وابن عروس في سفينة، فتذاكرا الشعر.

فقال ابن الجهم: أنا أشعر منك حيث أقول:

الأرب ليل ضمنا بعد هجعة
وبتنا جميعًا لو تراق زجاجة
وأدنى فؤادًا من فؤاد معذب^(٤)
من الخمر فيما بيننا لم تشرب

فقال: أحسنت، ولكني أشعر منك حيث أقول:

لا والمنازل من نجد وليتنا
كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه
بعيد اذ جسدانا بيننا جسد
نوما فما انفك لاخذ ولا عضد^(٥)

(١) أبو بكر الإربلي، هو: ابن محمد بن إبراهيم، شاعر، توفي سنة (٦٧٩هـ)، من آثاره: المنظومة الألفية في الألفاظ الخفية. انظر: كشف الظنون (١٥٧)، معجم المؤلفين (٤٤٣/١).

(٢) أبو الفضل، هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، النيسابوري، أديب، نحوي، لغوي، توفي سنة (٥١٨هـ) من آثاره: شرح المفضليات، بجمع الأمثال. انظر: سير أعلام النبلاء (١١٣/١٢)، معجم الأدباء (٤٥/٥).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الأرب: البغية والأمنية. هجعة: النومة الخفيفة من أول الليل انظر: القاموس المحيط، مادة [أرب]، [هجع].

(٥) الكرى: النعاس. انظر: القاموس المحيط، مادة [كرا].

وقال بشار بن برد :

ومرتجة الأعطاف مهضومة الحشا تمور بسحري عينها وتدور^(١)
إذا نظرت صبت عليك صباية وكادت قلوب العاشقين تطير
خلوت بها لا يخلص الماء بيننا إلى الصبح دوني حاجب وستور

وكلام بشار وإن كان في الحقيقة أصلاً للبيتين، إلا أن ابن الجهم تطف حيث أبدل الماء بالخمير؛ لأنه أشد نفوذاً .

وأما ابن عروس فلا أطف منه إذ لا شيء أشد سرياناً من النوم؛ وحاصله أنه يمكن الجمع بين أهل القناعة باليسير من المحبوب، ومن لا يقف على غاية في المطلوب باختلاف الأمكنة، وصفاء الأيام، والخلو من نحو واش ونمام ومجالس الورد والنمام فإن من الحزم انتهاز الفرص، ومن الحمق الوقوع في ضيق القفص، ومن صفا له الزمان فجن عن مطلوبه، فهو زاهد في محبوبه، ومن رأى العوائق دون مرامه فالحزم تقييد غرامه.

قلت من الأول :

لقد صار يشفيني الهواء لزوجه بأنفاسها مع أن دائي من الهوى
ويفرحني ما جد في الصبح والمساء لأنني وإياها بمدركة سوا

ومن الثاني :

رب ليل ضممتها فيه حتى لو فرقنا كنا هيولى وصورة^(٢)
مع أني سألتها القرب مني بخضوع وإن تمن بزورة

وهو معنى فوق ما قصد من لطف الخمر والكري؛ إذا لا يتصور افتراق الهيولى والصورة بوجه، وقد جعلت ذلك كالحال وقت الفرقة فلا أبلغ منه .

(١) تمور: تتحرك وتضطرب. انظر: القاموس المحيط، مادة [مور].

(٢) هيولى: مادة الشيء التي يصنع منها. انظر: القاموس المحيط، مادة [هال].

فصل

فى ذكر مكابدة الأمور الصعاب عند طلب رضا الأحاباب و خوض
الأهوال واستهلال قضاء الآجال فضلاً عن بذل الأموال ليحصل
من محبوبه على مطلوبه ويرضى باليسير كما سلف
ولو كان ذلك يفضى إلى التلف

وقد فتح للفريقين هذا المجال ونسج على هذا المنوال من شيد هذه الشريعة
كلامه، وصار بدر سمائها بل شمس آفاقها، نظامه سيدى عمر بن الفارض نفعنا
الله ببركاته وهدانا إلى إدراك دقائق نفعاته.

فقال :

ونافس ببذل النفس فيها أخوا الهوى فإن قبلتها منك يا حباذا البذل
ومن لم يجد فى حب نعم بنفسه وإن جاد بالدنيا إليه انتهى البخل

فانظر كيف أضرب عن ذكر ما سوى النفس، وإن عز وأمر ببذلها من بادئ
الرأى، فكم طوى فى ذلك من المراتب، وهذا فى الحقيقة إجمال بالنسبة إلى قوله:
بكل قيل كم قيل بها قضى أسى لم يفز يوماً إليها بنظرة

فإنه أشار إلى قطع كل رتبة بحيث ينتهى السالك إلى ذهاب النفس، وليس
ذلك بشئ إذ قال: إنه لم يفز ولا بنظرة مع ذهاب نفسه، وشرح ذلك واضحاً قوله:
بمى ترى إن لا ترى ما عدته وإن الذى أعدته غير عدة

فإنه يقول: إن هذا المرام لا يعظم عنده شئ، ومتى عد الشخص بذلاً لنحو
نفس فقد جعل له شيئاً بالنسبة إلى المحبوب، وهو خلاف المطلوب، ودقائقه فى هذا
الباب معجوز عن حصرها كما تشهد به أولو الأبواب فلنرجع إلى كلام المترسمة .

قال الطغرائى^(١) :

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت برشقة من نبال الأعين النجل^(٢)
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدنى باللمح من خلل الأستار والكلل

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) النجل: المتسعة. انظر: القاموس المحيط، مادة [نجل].

وقال ابن خفاجة^(١):

وليل طرقت المالكية تحته
فخالطت أطراف الأسنة أنجما
أجد على حكم الشباب مزارا
ودست بهالات البدور ديارا

ابن بسام^(٢):

لقد صبرت على المكروه أسمعه
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم
من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

وقال آخر:

يغوص البحر من طلب الآلى
تروم المجد ثم تنام عنه
ومن طلب العلا سهر الليالى
لقد أطمعت نفسك بالخيال

وأعظم من ذلك؛ الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء، وتلف النفس، وشدة الابتلاء، وإمام هذا الشأن والمنفرد بالسبق فى هذا الميدان الطغرائى. قيل: إنه علق مملوكاً لمؤيد الدين كان يهواه، فحين بلغه نقم على الطغرائى، فأراد قتله وأشهر شفقة على المملوك من الألسنة أن الطغرائى ملحد، فشده إلى شجرة، وأمر أن تفوق إليه السهام، وأن لا يرموا حتى يأمرهم المملوك أمام الكل، ثم أمر رجلاً يسمع ما يقول الطغرائى وهو لا يشعر.

فإذا هو يقول :

ولقد أقول لمن يسدد سهمه
والموت فى لحظات أحور طرفه
نحوى وأطراف النية شرع
دونى وقلبى دونه يتقطع
فيه لغير هوى الأجابة موضع
عهد الحبيب وسره المستودع
بالله فتش فى فؤادى هل ترى
أهون به لو لم يكن فى طيه

فأطلقه ورفع شأنه.

(١) ابن خفاجة، هو: إبراهيم بن أبى الفتح بن عبد الله، الأندلسى، أبو اسحاق، شاعر، ولد وتوفى بجزيرة شقر، له ديوان شعر ومصنفات لغوية، توفى سنة (٥٣٣هـ). انظر: وفيات الأعيان (١٧/١)، معجم المؤلفين (٥١/١).

(٢) ابن بسام، هو: على بن محمد بن نصر بن منصور، البغدادي، أبو الحسن، أديب، كاتب، شاعر، أخبارى، توفى سنة (٣٠٢هـ) من آثاره: أخبار عمر بن أبى ربيعة، كتاب المعاقرين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦٨/٩)، معجم المؤلفين (٥٢٨/٢).

أبو عطاء السندی :

وقد نهلت منى المثقفة السمير
بنا فتكت تلك اللواحظ أم سحر

ذكرتك والخطى يحظر بيننا
فو الله ما أدري وإنى لصادق

وقال عنزة العبسي :

منى وبيض الهند تقطر من دمي
لمعت كبارق ثغرك المبتسم

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
فوددت تقبيل السيوف لأنها

وقال الطغرائي:

منى فأشرق بالزلال البارد
قبل الممات ولو بيوم واحد

إنى لأذكركم وقد بلغ الظما
وأقول لست أحبى عاينتهم

وقال بعضهم :

بقلبي ساعة فارقتها^(١)
وقد ملن نحوى فعانقتها^(٢)

ذكرت سليمى وحر الوغى
فشبهت سمير القنا قدها

وقال ابن رشيق:

والجرح منغمس به المسبار^(٣)
ويمينه حذرًا على يسار^(٤)
ليضيق عن برحائها الأقطار^(٥)

ولقد ذكرتك والطيب معبس
وأديم وجهى قد فراه حديده
فشفلتى عما يليق وأنه

وقال الشريف البياضى^(٦) :

متوفع بتلاطم الأمواج^(٧)

ولد ذكرتك فى السفينة والردى

(١) الوغى: الحرب. انظر: القاموس المحيط، مادة [وغى].

(٢) القنا، جمع القناة: الرمح. انظر: القاموس المحيط، مادة [قنا].

(٣) المسبار: ما يعرف به غور الجرح. انظر: القاموس المحيط، مادة [سبر].

(٤) فراه: شقه وقطعه. انظر: القاموس المحيط، مادة [فرى].

(٥) برحائها: شرها وأذاها. انظر: القاموس المحيط، مادة [برح].

(٦) الشريف البياضى، هو: مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن، أبو جعفر، شاعر

هاشمى، من أهل بغداد، له ديوان شعر صغير، شعره فى غاية الرقة والحسن، توفى سنة

(٤٦٨هـ) انظر: الأعلام (٢١٨/٧)، الوفيات (٩٢/٢).

(٧) الردى: الهلاك. انظر: القاموس المحيط، مادة [ردى].

والليل مسود الذوائب داجي
يتوقعون لفارة وهياج
وأنا وذكرك في الذنتاج

والموت يرقب تحت حصن المرقب
حسنا ترفل في رداء مذهب^(٢)
للسمع مسترقاً رماه بكوكب
يلهو بطيب ذكرك المستعذب

مطل الغنى وسوء عيش المعسر^(٤)
مناوبين معفر في معفر^(٥)
بضياء وجهك أو مساء مقمر
فتقت لنا أرض الجلال بعنبر

ملائكة ذكراك حين تلوته
إذا فرغت آجالهم ما نسيت

والجو يهطل والرياح عواطف
وعلى السواحل الأعادي عسكر
وعلت لأصحاب السفينة ضجة

وقال أبو الثناء محمود^(١) :
ولقد ذكرك والسيوف لوامع
والحصن في شفق الدروع تخاله
سامى السماء فمن تطاول نحوه
والموت يلمع بالنفوس خاطرى

وقال الصفي الحلبي^(٣) :
ولقد ذكرك والعجاج كأنه
والشوس بين مجدل في جنجل
فظننت أنى في صباح مسفر
وتعطرت أرض الكفاح كأنما
وقلت :

لقد رد روحى عندما رام نزعها
فلو لم يكن موت البرية لازماً

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ترفل: تبختر. انظر: القاموس المحيط، مادة [رفل].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) العجاج: الغبار. انظر: القاموس المحيط، مادة [عج].

(٥) الشوس، جمع أشوس: من كان جريئاً في القتال. معفر: من عفر الشيء: مرغه في التراب.

انظر: القاموس المحيط، مادة [شاس]، [عفر].

تقمة:

تشتمل على ذكر مقاطيع فائقة وأبيات رائقة يشير مجموعها إلى جميع الأصول السابقة وترجم عندهم بالغزل، والنسيب؛ لأعراب مضمونها عن نحو محاسن الحبيب، وتهيجها الأشواق المستقرة حيث يذكر الشعر والطرة^(١)، وتفصيلها لتلك الجملة من حيث وصف الحاجب والمقلة، وإثارة ما قر من البلبال عند ذكر الوجنة والخال واستمالتها نفوس الأحباب عند ذكر الثغر والرضاب، وإتيانها بأعذب الموارد بعد ما حال الصدر إذا ذكر النهد والصدر، ونشر مطاوى الأشواق إذا سمع مدح الخللخال والساق إلى غير ذلك مما اقترحت أفكارهم الدقيقة اللطيفة، وتخبرته في هذا الباب أذهانهم الشريفة وبها نختم هذا المورد اللطيف وما يتعلق بالعشق من هذا التأليف (ذكروا) أن أغزل بيت للمتأخرين.

قول بشار:

أنا والله أشهى سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

وقال شمس الدين بن العفيف:

يحكى الغزال مقلّة ولفّة من ذا رآه مقبلاً ولا افتتن
أحسن خلق الله وجهها وفما إن لم يكن أحق بالحسن فمن
فى ثغره وشكله وخده الماء والخضرة والوجه الحسن

ولما وصلت هذه الأبيات إلى القاهرة والشاعر المشهور (الحلى) يومئذ بها اقترح عليه بعض أعيان الدولة محاكاتها.

فقال :

كم قد سفكنا من دموع ودماء على ربوع للديار ودمن
وكم قضينا للبكاء منسكاً لما تذكرنا بهن من سكن
وكم اقمنا بالبكاء مأتماً إذ بعثهم روحى بغير ما ثمن

فاستحسن الجل أبيات (الحلى) ، ودامت الناس مدة طويلة مفترقين فى ذلك. والغزل كما سمعت كثير الفنون والشعب وقد توسعت فيه أهل الأدب.

(١) الطرة: الجبهة. انظر: القاموس المحيط، مادة [طرّ].

فمن الأول قول ابن نباتة:

من غدا في صفاته القلب ذائب
إن في الليل والنهار عجائب

أيها العاذل الغبي تأمل
وتعجب لطرة وجبين

وله أيضاً:

وفوقه ليل دلال قد سجا^(١)
طرة صبح تحت أذيال الدجى^(٢)

قلت وقد أبدى جبيناً واضحاً
أفدى الذى جبينه وشعره

وقال ابن مطران :

كما قد أعارتها العيون الجآذر^(٣)
مواطئ من أقدامهن الغدائر

ظباء أعارتها المها حسن مشيها
فمن حسن ذاك الشئ جاءت وقبلت

وقال اسماعيل السكندرى :

ليلاً على صبح نهار عسعا
يفتح ورداً ويفض نرجسنا

لم أر قبل شعره وجهه
والسكر فى وجنته وطرفه

وقال حسام الدين الجابرى :

تغدوا الورى فى ظلمة وضياء
كحل الشقيق بنقطة سوداء

ومهفف من شعره وجبينه
لاتنكروا الخال الذى فى خده

وقال ابن الصائغ:

كحظى حين أطلب منه وصلا
فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

مشى غصناً ومد عليه فرعا
وبلبله على الأرداف منه

وقال السراج الوراق:

وظلعة يعيد هارب القلق
أما ترى الماء طفى ثم احترق

ذو طرة يعيد هارب الدجى
الماء والنار معاً فى خده

(١) سجا الليل: سكن. انظر: القاموس المحيط، مادة [سجا].

(٢) طرة الصبح: طلعتة. انظر: القاموس المحيط، مادة [طر].

(٣) الجآذر، جمع جؤذر: ولد البقرة الوحشية. انظر: القاموس المحيط، مادة [جذر].

وقال شمس الدين بن العفيف:

بدا وجهه من فوق اسمر قد
فقلت عجيبًا كيف لم يظهر الدجى

وقال المتنبي:

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها
واستقبلت قمر السماء بوجهها

وقال آخر:

برزت فقابل ناظري من وجهها

وقال ابن المعتز:

سقتني في ليل شبيه بشعرها
فأمسيت في ليلين للشعر والدجى

وقال البجلي:

رقت محاسنها ورق أديمها
تندى بماء الورد مسبل شعرها

وقال الخيزراني:

رأيت الهلال ووجهه الحبيب
فلم أدر من حيرتى منهما
فلولا التورد في الوجنتين
لكنت أظن الهلال الحبيب

وقال التهامي^(٢):

وفي كتابك فاعذر من يهيم به
الطرس كالحد والنونات دائرة

وقد لاح من سود الذوائب في جنح
وقد طلعت شمس النهار على رمح

في ليلة فأرت ليالي أربعًا
فأرتني القمرين في وقت معًا

مرآة حسن بالجمال صقيل

شبيهة خديها بغير رقيب
وشمسين من خمر وخذ حبيب

فتكاد تبصر باطنًا من ظاهر
كالطل يسقط من جناح الطائر^(١)

فكانا هلالين عند النظر
هلال الدجى من هلال البشر
وما راعنى من سود الشعر
وكنت أظن الحبيب القمر

من المحاسن ما فى أجهل الصور
مثل الحواجب والسينات كالطرر

(١) الطل: الندى: انظر: القاموس المحيط، مادة [طلل].

(٢) التهامي، هو: على بن محمد بن فهد، أبو الحسن، شاعر وقته، ورع عن الهجاء، ولد باليمن، و قدم الشام و العراق، و امتدح ابن عباد و مات مقتولاً فى سجن القاهرة سرًا سنة (٤١٦هـ). من آثاره: ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٨/١٧)، معجم المؤلفين (٥١٧/٢).

وقال آخر :

وكيف نجاتي بين سهم وعقرب
على وجنتيها والبنان المخضب

أرى سهم لحظ تحت عقرب سالف
واللحظ ما طلته باللحظ من دمي

وقلت :

لولا له لم تر موجودًا من البشر
للشمس في نحو نضج الحب والثمر
من المتاعب أبدى مسبل الشعر

لله بالناس لطف في معاشهم
إذ كف شعرك عنهم يوم حاجتهم
وعند حاجة ليل يسكنون به

ومن الثاني قول ابن نباتة:

وأسهرت الأجنان أجفانه الوسنى^(١)
تري السحر منه قاب قوسين أو أدنى

وأغيد جارت في القلوب لحاظه
أجل نظرًا في حاجيه وطرفه

وقال الوأواء الدمشقي:

ومن هو الخمر في أفعال مقلته
والسيف ما فخره إلا بذرقته^(٢)
جارت سباحته في بحر دمعته

يا من هو الماء في تكوين خلقتة
ومن بذرقه سيف اللحظ ظل دمي
علمت إنسان عيني أن يعوم فقد

وقال علاء الدين الوداعي:

فصامتي ولم تبطنني
سهم الليل لا تحظني

رمتني سود عيني
وما في ذاك من بدع

وقال الصلاح الصفدي:

فذبت من هجره وبينه
لأنه قاتلي بعينه

بسهم أجفانه رمياني
إن مت مالي سواه خصم

وقال ابن نباتة :

للبدر ينسب لا بليت بينه
وإذا رنا فهو الغزال بعينه

نسبوه حسنًا للهلال وحسنه
فإذا بدا فإلى هلال أصله

(١) أغيد، من غيد: مال و لانت أعطافه. الوسنى: النوم الثقيل. انظر: القاموس المحيط،

مادة [غيد]، [وسنى].

(٢) ظلّ الدم: أهدره. انظر: القاموس المحيط، مادة [طلل].

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي^(١):

بأبي سلطان حسن حسنه
صال في العشاق منه ناظر
لقتال القلب في الحب النوى
هو والسيف على حد سوا

وقال ابن نباتة :

ويح قلبي من كاسر الطرف أضحى
قد حى لعره بعينه عنى
فيه قلبي كما ترى مكسورا
وكذاك السيوف تحمى الثغورا

وقال الصلاح الصفدي:

سيوف الحاظه المرضى سفكن دمي
لولا السقام الذي فيها لما فتكت
ولم يطق دفعها حولي ولا حيلي^(٢)
وربما صحت الأجسام بالعلل

وقال الفرزدق^(٣) :

ومقله شادان أودت بنفسى
يسل اللحظ منها مشرفيا
كأن السقم لي ولها لباس
لقتلى ثم يغمده النعاس

وقال بدر الدين بن حبيب^(٤) :

عيناها قد شهدت بانى مخطى
ياحاكم الحب اتد في قتلتى
وأنت بخط عذاره تذكارا
فاخط زورو الشهود سكارى^(٥)

(١) برهان الدين القيراطي، هو: إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد، شاعر، وله ديوان شعر سماه (مطلع النيرين)، توفي سنة (٧٨١هـ). انظر: حسن المحاضرة (١٠/٢٧٤)، معجم المؤلفين (١/٣١).

(٢) الحول: القدرة على التصرف. انظر: القاموس المحيط، مادة [حال].

(٣) الفرزدق، هو: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد ابن دارم التميمي، أبو فراس، شاعر مشهور، من أهل البصرة، له مكانة عالية في اللغة والأخبار، وكانت منزلته كبيرة عند الخلفاء والأمراء، فكان لا ينشد إلا قاعداً. من آثاره: ديوان شعر. توفي سنة (١١٠هـ). انظر: الأغاني (٩/٣٢٤)، معجم المؤلفين (٤/٦٥).

(٤) بدر الدين بن الحبيب، هو: الحسن بن عمر بن الحسن، الدمشقي، أبو محمد، عالم مشارك في أنواع العلوم، من آثاره: مقامة الوحوش، أخبار الدول، توفي سنة (٧٧٩هـ). انظر: الدرر الكامنة (٢/٩٢)، شذرات الذهب (٦/٢٦٢).

(٥) اتد: تمهل وتأنى. انظر: القاموس المحيط، مادة [وَأَد].

وقال جلال الدين بن خطيب دارياً^(١) :

شهدت جفون معذبي بملاله
لكنني لم أنا عنه لأنه

منى وإن ودادة تكليف

خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقال أمين الدين كاتم سر الشام :

إن كان قيد هواك أطلق أدمعي

أو كان منك الطرف أسهر ناظري

فوكيل شوقي عاجز عن حبسه

فلكل شئ آفة من جنسه

وقال الصلاح الصفدى :

غزال من الأتراك ما ضاق لحظه

كان الحشا طير وكاسر لحظه

لحظى إلا كى تضيق مذاهبي

تصيدها من جفنه بالمخالب

وقال ابن أسد الدين^(٢) :

إلى الله أشكو حب أهيف فاتن

جرحت بلحظى خده وهو جارح

وقعت فمالي من يديه خلاص

بلحظيه قلبى والجروح قصاص

وقلت :

يقولون إن الشمس تحرق كل ما

فهاخذها المريخ مع شمس وجهها

نعم قضيالى بالشقاوة منهما

تجاسده من كانسات الكواكب^(٣)

قد اقتزنا فى سمت قوس الحواجب^(٤)

بسهم لحاظ عاقنى عن مطالبى

(١) جلال الدين بن خطيب دارياً، هو: محمد بن أحمد بن سليمان ابن على بن سلامة بن عساكر الأنصارى، الدمشقى، الشافعى، أبو عبد الله، أديب، مشارك فى النحو و اللغة و التاريخ وغير ذلك. من آثاره: شرح ألفية ابن مالك، محبوب القلوب، توفى سنة (٨١١هـ). انظر: بغية الوعاة (١٠/١١)، معجم المؤلفين (٦٧/٣).

(٢) ابن أسد الدين، هو: أحمد ابن عبد الواحد بن أحمد الأسيوطى الأصل، السكندرى، القاهرى، شهاب الدين، أبو العباس، شاعر، مشارك فى بعض العلوم. من آثاره: أرجوزة الذيل المترف، شرح حرز الأمانى. توفى سنة (٨٨٢هـ). انظر: الضوء اللامع (٢٢٧١)، المعجم المؤلفين (١٠٢/١).

(٣) تجاسد: لامس أو لاصق. كانسات الكواكب: النجوم. انظر: القاموس المحيط، مادة [جسد]، [كنس].

(٤) السميت: الهيئة. انظر: القاموس المحيط، مادة [سميت].

ومن الثالث قول ابن قلاقس^(١) :

فـوق خـديـك دليـل
ما اخـفـى الرمان إلا
وقال الصنوبري:

ذات خـد يكاد يدميه وهم
فـى بيـاض وحمرة فكان قد
وقال محمد بن ياقوت :

ما لي بجور الحبيب من قبل
حمرة خديـه من دمى صبغت
وقال علاء الدين المدني :

يا حسن ورد طفا في ماء وجنته
وراح يجنى ثمار الوصل عاشقه
وقال آخر :

و أغيد تدمى وجنتاه من الملح
غدا قاتلي إن ظلت أجرح خده
وقال كمال الدين بن النبيه:

صنعة الكيمياء صحبت لعيني
فإذا ما ألقيت إكسير لحظي
وقال مظفر الأعمى^(٢) :

قبلته فتلظى جمر وجنته
و حال بينهما ماء ومن عجب

إن نهديـك ثمـار

وتبـدى الجـنـار

من مشير بالجد أو بالمزاح

صـيغ حسناً من ماء مزن وراح

هل حاكم عادل فيحكم لي

ويدعى أنها من الخجل

فزاد أهل الهوى في حبه شففا

لما تمكن من خديـه واقتظفا

تخلق إلا من صدودي بالشرح

متى صار بالقتل القصاص من الجرح

حين يزداد أدير أنى احرار

في لجين الخدود عاد نضارا

وفاح من عارضيه العنبر العبق^(٣)

لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

(١) ابن قلاقس، هو: نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي اللخمي، الأزهرى، الأسكندري، القاضي، أبو الفتوح، أديب، شاعر، كاتب، توفي سنة (٥٦٧هـ) من آثاره: روضة الأزهار، الزهر الباسم في أوصاف القاسم. انظر: الأعلام (٣٤٤/٨)، معجم المؤلفين (٢٧/٤).

(٢) مظفر الأعمى، هو: ابن إبراهيم بن جماعة بن علي العيلاني، أبو العز، موفق الدين، شاعر مصر، أديب، ولد وتوفي بالقاهرة سنة (٦٢٣هـ) من آثاره: له ديوان شعر، مختصر في العروض. انظر: الأعلام (٢٥٥/٧)، شذرات الذهب (١١٠/٥).

(٣) تلظى: تلهب. انظر: القاموس المحيط، مادة [لظى].

وقال بعضهم :

فتنت بركي حماني عناقه
الم تراني كلما رمت لثمه

وقال عز الدين الموصلی^(١) :

كالزرد المنظوم أصداغنه
بالغت في اللثم وقبلكه

وقال ابن الوردی :

قال من أهواه صف صدغي بما
قلت إن الصدغ لام قد كوى

وقال برهان الدين القيراطی :

عنقود صدغ الذي أهواه يتمنى
إن كان في الصدغ عنقود فتنت به

وقال آخر :

وبين الخد والشفتين خال
يحير في الرياض فليس يدري

وقال الصلاح الصفدي^(٤) :

بروضة خده الحمير أضححت
كأن الحسن يعشقه قديماً

عقارب صدغيه على خده صرعى
تخيل لي من سحرها أنها تسمى

وخده كالورد لما ورد^(٢)
في الخد تقيلاً يفك الزرد

فيه توجيه وحيبه إلى
نصبها قلبي فهذي لام كي

وقال لي ريقه لما رأى وصبي
فإن في الخمر معنى ليس في العنب

كزنجي أتى روضاً صباحاً
أجنى الورد أم يجنى الأقاحا^(٣)

عليه شامة شرط الحبه^(٥)
فقطه بدينار وحبه

(١) عز الدين الموصلی، هو: علي بن الحسين بن علي، من الشعراء الأدباء، أقام في حلب، وسكن دمشق، وتوفي بها سنة (٧٨٩هـ) من آثاره: التوصل بالبديع إلى التوصل بالشفيع، وله ديوان شعر. انظر: الدرر الكامنة (٤٣/٣)، الأعلام (٢٨٠/٤).

(٢) الزرد: حلق المغفر والدرع. انظر: القاموس المحيط، مادة [زرد].

(٣) الأقاح، جمع أقحوان: نبت زهره أصفر أو أبيض. انظر لسان العرب، مادة [أقح].

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الشامة: الخال. انظر: القاموس المحيط، مادة [شوم].

وهذا ما عوذ كما ذكره ابن حجة^(١) من قول ابن نباته :

بروحى فاتر الأحساظ الملى له خال على دينار خمد
 وقال العفيف التلمساني^(٢) :

أدنته لى سنة الكرى فثمته ما راعنى إلا بلال الخال من
 وقال شهاب الدين الخيمى^(٣) :

وعذولى لى فى عذلى إذ لو رأى وجه حيبى عاذلى
 وقال شمس الدين الصائغ:

بروحى أفدى خاله فوق خده تبارك من أخلى من الشعر خده
 وقال جمال الدين بن نباتة:

لله خال على خد الحبيب له اورثته حبة القلب القليل به
 وقال الصلاح الصفدى^(٤) :

أفدى حيباً له فى كل جارحة تقول وجنته من تحت شامته

ملى الحسن حالى الوجنتين تباع له القلوب بجهنين
 حتى تبدل بالشقيق السوسن خديه فى صبح الجبين يؤذن
 لم ير الخال على الخد الأسيل لتفارقنا على وجه جميل
 وما أنا ذو مال فأفديه بالمال وأسكن كل الحسن فى ذلك
 بالعاشقين كما شاء الهوى عبث وكان عهدى بأن الخال لا يرث
 منى جراح بسيف اللحظ والمقل لى أسوه بانحطاط الشمس عن زحل

(١) ابن حجة، هو: أبو بكر بن على بن عبد الله التقى الحموى الحنفى، ولد ونشأ بحماة، أديب، شاعر، توفى سنة (٨٣٧هـ) من آثاره: ثمرات الأوراق، كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام. انظر: كشف الظنون (١٦٦)، معجم المؤلفين (٤٦٥/٢).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) شهاب الدين الخيمى، هو: محمد بن عبد المنعم بن يوسف بن أحمد الأنصارى، أبو عبد الله، من أحد شعراء وأدباء عصره، يمانى الأصل، ولد وتوفى بمصر سنة (٦٨٥هـ) من آثاره: ديوان شعر. انظر: ابن الفرات (٤٢/٨)، الأعلام (٢٥٠/٦).

(٤) تقدمت ترجمته.

وقال ابن الوردي^(١) :

لحيبي شامة في خده رب عين دهشت منه فقد
لا علا شان حسود شأنها نسيت في خده إنسانها
وقال آخر :

ياسالبا قمر السماء جماله أشعلت قلبي فارتمى بشرارة
البيستي في الحزن ثوب سمائه علقت بخدك فانطفت في مائه
وقال ابن تميم^(٢) :

رأيت حبة قلبي حين لاح لها ثم استجارت بخد منه فهي به
محبوبها نفرت من حر أفكاري كالمستجير من الرمضاء بالنار^(٣)
وقال بعضهم :

له على حاجبه شامة مثل طواشي زاد في حمقه
تنزهت في الحسن عن عائب يعلو على الناظر والحاجب^(٤)
وقال تقي الدين بن حجة^(٥) :

قلبت للخال إذ بدا فزت يا عبد قال لي
في قنا جيده السعيد أنا مجبد لكل جيد
وقال آخر :

غدا خاله رب الجمال لأنه وأرسل في الأصدغ رسلاً أعزة
على عرش كرسی الحدود قد استوى على فتره تدعو القلوب إلى الهوى
وقال آخر :

يريك بوجنتيه الورد غضاً تأمل منه تحت الصدغ خالاً
ونور الأقحوان من الثايبا لتعلم كم خبايبا في الزوايبا

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ابن تميم، هو: محمد بن يعقوب بن علي، مجير الدين، الحموي شاعر من الأمراء، دمشق، استوطن حماة وخدم صاحبها الملك المنصور. من آثاره: ديوان شعر. انظر: البداية والنهاية (٣٠٧/١٣)، الأعلام (١٤٥/٧).

(٣) الرمضاء: شدة الحر. انظر: القاموس المحيط، مادة [رمض].

(٤) الطواشي: الخصى. انظر: القاموس المحيط، مادة [طوشي].

(٥) تقدمت ترجمته.

وقال آخر :

أبو طالب فى كفه وبخده
وبنتا شعيب مقلتاه وخاله

وقال آخر :

لهيب الخد حين رآه طرفى
فأحرقه فصار عليه خالا

وقال القيراطى^(١) :

انظر إلى سطر عذار بدت
صحت به نسخة حسن وكم

وقال آخر :

ومهفف يحمى ورود رضابه
كتب العذار بليقة مسكية

وقال أبو غالب :

سأصنع فى ذم العذار بدائعها
إلا أنه كاللام واللام شأنها

وقال البدر الدمامينى^(٣) :

تحدث ليل عارضه بأنى
فقال جينه لما تبدى

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) العذار : الحياء. بليقة: صوفية الدواة إذا بلت. انظر: لسان العرب، مادة [عذر]، [بلق].

(٣) البدر الدمامينى، هو: محمد بن أبى بكر بن عمر بن محمد بن سليمان بن جعفر، القرشى، المخزومى، الإسكندرى، المالكى، برع فى مجال الأدب نثرًا ونظمًا، نحوى، فقيه، عروضى، مشارك فى بعض العلوم، توفى سنة (٨٢٧هـ) من آثاره: جواهر البحور، الفواكه البدرية. انظر: الأعلام (٢٨٢/٦)، معجم المؤلفين (١٧٠/٣).

(٤) ينصرم: ينقطع. انظر: لسان العرب، مادة [صرم].

وقال سيدى أبو الفضل بن وفاء :

ترى لعيون الناس فيها تزاها
فيا حسن ريحان العذار حتى هما

على وجنتيه جنة ذات بهجة
حتى ورد خديه حماة عذارة
وقال ابن النبيه^(١) :

فتسلت بمدامع الأجفان
فعجبت للجنات فى النيران

جنت بمنظره البديع عيوننا
واخضر فوق الخد آس عذاره
وقال تاج الدين اليماني^(٢) :

برموزها ورموزهن سلام
يخشى العذار لأنه غمام^(٣)

بخلت لواحظ من رآنى مقبلاً
فعدرت نرجس مقلتيه لأنه
وقال الصلاح الصفدى:

يحاكيهما الآس والنرجس
فهذا يدب وذا ينعس

عذارك والطرف يا قاتلى
وقد صار بينهما نسبة
وقال الطنبغا الجاولى:

جميع الذى فيهما يرمز
وهذا ينم وذا يغمز

عذارك والطرف قد أظهرنا
وأنى يسان الهوى عنهما
وله أيضاً :

أحبتته شعراً به ما أنصفا
فرأى تلهب خده فتوقفا

من قال عما قد بدا فى خد من
فذاك نمل رام شهبه ريقه
وقال محمد بن الرعاد :

حماه الله من ريب المنون
أراك خيال أهذاب الجفون

أعد نظراً فما فى الخد نبت
ولكن رق ماء الخد حتى

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تاج الدين اليماني، هو: زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث الكندى، البغدادي، الحنفي، مقرئ، نحوي، أديب، شاعر، لغوي، حافظ، محدث، توفي بدمشق سنة (٦١٣هـ) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٤/١٣)، معجم المؤلفين (٧٣٩/١).

(٣) غمام: يكشف مالا يريد إظهاره. انظر: لسان العرب، مادة [نم].

وقال عز الدين الموصلي:

لقد كنت لي وحدي ووجهك جنتي
فعارضني في ورد خدك عارض

وقال ابن نباتة:

وأحر يا من هوى رشيق
عذاره لا يجيب دمعي

وقال الشهاب الحجازي^(١)

سال العذار بخده فإذا
ولسان حال الخد ينشدها

وقال الزين المصري :

إن ماس فالغصن بالأوراق مستر
عذراه بسواد القلب منتفش

وقلت :

يا وجنة من تحت أصدائها
وهاجة كاد سنا برقها
أهل المجسطى لو رأوها قضوا

وقلت :

يا عجباً للخال في خدها
نحسان دلا في اقتران علي
يا مطلب طلسمه مانع

وكننا وكنا للزمان مواهب
وزاحمني في ورد ريقك شارب

معتدل كالقضب مائل
وسائل لا يجيب سائل

المبيض في خديه سود
هل بالطلول لسائل رد^(٢)

أو لاح فالبدر بالأنواء محتجب
وخده بدم العشاق مختضب

لأنفس العشاق كم تجذبي
يذهب الأبصار لم يجيب
بشرف المريخ في العقرب

كيوان بالمريخ يستمسك
أن دم الصب هنا يسفك
هل مطلب الإله مهلك

(١) الشهاب الحجازي، هو: أحمد بن محمد بن علي بن حن بن إبراهيم الأنصاري، الخزرجي، السعدي، العبادي، الشافعي، أبو العباس، أبو الطيب، زكي الدين، أديب وشاعر، ولد بالقاهرة وتوفي سنة (٨٧٥هـ). من آثاره: التذكرة، قلائد النجوم. انظر: شذرات الذهب (٣١٩/٧)، معجم المؤلفين (٢٧٩/١).

(٢) الطلول، جمع الطلل: الموضع المرتفع. انظر: القاموس المحيط، مادة [طلل].

وقلت :

ففى وجنتيها وحمرة
قالت وراية نصره

سألها عن بيضا
إذا طرقت اجتماع
وقلت فى العذار :

إلى أنه مسك على الورد منشور
غدا مصلحاً للورد إذ فيه كافور

جرى الخلف فى نبت العذار فذهب
ومن قائل آس فقلت كلاهما
ولبعضهم :

يتيه بها المحبوب نقصاً ولا خلل
من الدر والياقوت والخمر والعسل

ولا تحسبن الخال فى الشفة التى
ولكنه ختم على ما بثغره
ومن الرابع قول بعضهم :

فقال ثغرى لم يجز لثمه
ما قارب الشىء له حكمه

سألته فى ثغره قبله
فهاكها فى الخد واقنع بها
وقال آخر :

أرشمها من مبسمه
يوعى لكون بقمه

وموعى بى قبله
سوف بى ولم ينزل
وقال آخر :

بشرب راح معطر
فالشىء بالشىء بذكر

ذكرت ريق حيسى
وليس ذا بعجيب
جمال الدين بن نباتة :

وفى وفى أعطافه نشوة السكر^(١)
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

و أغيده فى فيه المدام ولحظه
تداويت من الحاظه برضابه
وقال آخر :

من قهوة مزجت بماء الكوثر
يرويه حقاً عن صحاح الجوهرى

نقل ألا رآك بأن ريقه ثغره
قد صح ما نقل ألا رآك لأنه

(١) المدام: المطر الدائم. انظر: القاموس المحيط، مادة [دام].

وقال الصلاح الصفدى^(١):

تضى غير الأنجم الغمر^(٢)

فهو عن الضحك والزهرى

بأنغره ليس الشايبا التى

فليقل المسواك ما عنده

وقال ابن قلاقس^(٣):

عبقا فى نسق يسبى الحدق^(٤)

شفقاً فى فلق تحت غسق

جمعت نكهته فى ثغره

وبدت خجلته فى خده

وقال آخر:

بمبدع الحسن قد تفرد

وذاك يروى عن المبرد

خدد وثغر فجعل رب

فذا عن الواقدى يروى

وقال شمس الدين بن الصائغ^(٥):

وولى منامى فهو كالوصل شارد

وحتام يحمى ريقه وهو بارد

بروحى من ولى فولى بمهجتى

حمى ثغره عنى بسيف لحاظه

وقال الصلاح الصفدى:

فلسم يكن لى صبر

وأول الغيث قطر

رشفت ريقك حلوا

وسوف أحظى بوصل

وقال إبراهيم بن المعمار^(٦):

بأنوار آيات الضحى حين أقبل

بدأت بيسم الله فى النظم أولا

عزمت على رقا محاسن وجهه

فلما بدا يفر عن نظم ثغره

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الغرّ، جمع الأغرّ: الحسن والبياض من كل شيء. انظر: لسان العرب، مادة [غرر].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) العبق: الذى تفوح منه الرائحة الطيبة. يسبى: يؤسر. انظر: القاموس المحيط، مادة [عبق]،

[سبا].

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

وقال الصلاح الصفدى^(١) :

أحبته كالغصن كم شاعر
وثغره الصادى من حسنه

وقال يوسف بن مسعود^(٢) :

رأى ثغر من أهوى عذولى فلا منى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه

وقال النواجى^(٣) :

لله ثغر للحبيب تجمعت
فيه الرحيق وخاله المسك الختام

وقال الصلاح الصفدى :

قد شبه الخال على ثغره
بسبحة من جوهر أودعت

وقال ابن ريان :

لاحت على مبسمه المشتهى
لا تعجبوا إن كثرت حولنه

وقال ابن الوليد :

أريقاً من رضاك أم رحيقاً
وللصهباء أسماء ولكن

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) يوسف بن مسعود، هو: ابن محمد بن على بن إبراهيم العبادى، ثم الدمشقى العقيلى، السرمدى، جمال الدين، أبو المظفر، محدث، حافظ، فقيه، نحوى، ناظم، مشارك فى بعض العلوم، توفى سنة (٧٧٦هـ) من مصنفاته: شرح اللؤلؤة، صحاح الأحكام. انظر: الدرر الكامنة (٤٧٣)، معجم المؤلفين (١٨١/٤).

(٣) النواجى، هو: محمد بن حسن بن على بن عثمان، شمس الدين، أديب، وشاعر، ولد بالقاهرة، ورحل إلى الحجاز حاجاً، وطاف البلدان، توفى سنة (٨٥٩هـ). من آثاره: روضة المجالسة، مراتع الغزلان. انظر: البدر الطالع (١٥٦/٢)، معجم المؤلفين (٢٢٦/٣).

(٤) الحق: الشئ المنحوت من الخشب والعاج. انظر: لسان العرب، مادة [حقق].

(٥) الصهباء: الخمر. انظر: لسان العرب، مادة [صهب].

وقال شيخ الشيوخ بحماسة :

سأله من ريقه شربة

فقال أخشى يا شديد الظمأ

وقال الحريري :

نفسى القداء لثغر راق مبسمه

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد

وقال ابن عنين^(١) :

ياغزلاً أرى الغوايبة رشداً

ما رأينا قبل ابتسامك بدر التم

وقال ابن سنا الملك :

له فم يمنع ضيقه

ولفظه سكران من ريقه

ما فمه ميم ولكنه

وقال آخر :

كان على أنيابها الخرمجه

وماذقتة إلا بعيني تفرساً

وقال ابن الرئيس :

لئن كان من لؤلؤ ثغرها

وإن كان من أقحوان النبات

وقال أبو العشائر :

ثغر كلمع البرق حسن بريقه

قد بت أثمه وأرتشف المنى

أشفى بها من كبدى حره

أن تتبع الشربة بالجرة

وزانه شنب ناهيك من شنب

وعن أقاح وعن طلع وعن حجب

فى هواه وأحسب الرشداً غيا

يفتر عن نجوم الثريا

أن يخرج اللفظ بتقويم

فهو هذا غير مفهوم

علامة الجزم على الميم

بماء الندى فى آخر الليل عابق

كما شيم من أعلى السحابة بارق^(٢)

فإن له صدفاً من عقيق

فإن مشاربه من رحيق

يشفى فؤاد المستهام بريقه^(٣)

من دره ورحيقه وعقيقه

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) شيم: نظر إلى السحاب أين يقصد وأين يمطر. انظر: لسان العرب، مادة [شام].

(٣) المستهام، من الهيام: شدة الحب. انظر: لسان العرب، مادة [هام].

وقال آخر :

بأبى فم شهد الضمير له قبل المذاق بأنه عذب

كشهادتى الله خالصة قبل العيان بأنه رب

والعين لا تعباً بنظرتها حتى يكون دليلها القلب

وقال أبو عبادة^(١) ويعزى إلى يزيد بن معاوية وهو الصحيح

واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

وهو من قصيدة كلها ملح وعيون وسأذكرها فى الغزل المطلق، وأما بيت أبى

عبادة الذى بنى عليه الحريرى المقامة الحلوانية فهو :

كأنما تبسم عن لؤلؤ منضداً وبرد أو أقحاح^(٢)

وقال الحريرى^(٣) :

سألها حين زارت نضو برقها القانى وإيداع سمعى أطيب الخبر

فزحزحت شفقاً غشى سنا القمر وساقطت لؤلؤاً من حد عطر

وأقبلت يوم جد البين فى حلل سود تعض بنان النادم الحصر

وقلت :

أقول لمن بالطب أصبح جاهلاً مقالاً صحيحاً فيما غير ذى عوج

يرى ثغرها خصرأ على ذى حرارة لأن به شهداً مع الخمرة امتزج

أعرق أن الخمر إن مدجتها بشهد أتت بالحرفى رابع الدرج

أما اعتدلت إذ جاورت برداً به تنضد والجريال فى ذلك الفلج^(٤)

وهبك جهلت الطبع ماذا تقول فى عقيق وبلور فيه قد نتج

وبينهما خلف طويل مفصل بكتب أرسطو والذى قبله درج

(١) أبو عبادة، هو: الوليد بن عبيد بن يحيى ابن جشم الطائى، البحرى، من كبار الأدباء، ومن أفضل الشعراء، ذو بلاغة وفصاحة عالية، مدح كبار الرؤساء، من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٢٨٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١١٥/٩)، معجم المؤلفين (٧٧/٤).

(٢) منضداً: متراكم بجوار بعضه. انظر: لسان العرب، مادة [نضد].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الفلج: تباعد بين الأسنان. انظر: لسان العرب، مادة [فلج].

وقلت :

أرى ريقها عند الشفاء لكل ما
عليك به فهو النجاة لشارب
فهذي إشارات كفت كل عاقل
تعذر من داء عن البراء أو فسد
وإن جاوز القانون فيه أو اقتصد
وإن قيل شئ غيرها ليس يعقد

وقلت :

عجبت من المسواك يرشف ريقها
ويبقى جماداً كيف لم يحيى بالحيا
رضاب يقوم الميت إن شم عرفه
فقال خشيت الهجر منها فعاقني
بنفسي ثغر قلت إذ لاح نوره
وبرد رضاب قلت عند وداعه
مدى الدهر لا يحميه من ذاك مانع
وتفى الليالي وهو أخضر يانع
ولو قطعت أوصاله وإلا ضالع^(١)
فحسبك عذر في جوابي قاطع
أبرق بدا من جانب الغور لامع^(٢)
زمان اللقا بالخيف هل أنت راجع^(٣)

وقد أكثروا من هذا النمط؛ أعنى التشبيب بالوجه ، وأعضائه البسيطة
والمركبة؛ لكونه أشرف، وأبهج، وأعلى، وألطف، وأما ما عداه فنادر إن تيسر
لشاعر بيت أو بيتان أو أكثر في عضو بعينه أما في ضمن غيره فكثير سنورد منه
ماتيسر حسبما شرطنا.

وأما مطلق القامة بما فيها، فأكثر من أن يحصى ما فيه، وما قيل من أن أول
من وصف الثدى عمرو بن كلثوم^(٤).

وثدى مثل حق العاج رخص
مصان عن أكف اللامسينا

(١) العرف: الرائحة. ضالع: معوج لا خلقة. انظر: لسان العرب، مادة [عرف]، [ضلع].

(٢) الغور: الكهف. انظر: لسان العرب، مادة [غار].

(٣) الخيف: كل هبوط وارتقاء في سطح الجبل. انظر: القاموس المحيط، مادة [خيف].

(٤) عمرو بن كلثوم، هو: ابن مالك بن عتاب بن ربيعة ابن غنم بن تغلب، أبو عباد، أحد شعراء
العصر الجاهلي كان من أعز الناس نفساً، وأكثرهم شجاعة، ساد قومه وهو فتى، من آثاره:
معلقة ، توفي سنة (٤٠ ق.هـ). انظر: معجم الشعراء (١٥٥)، معجم المؤلفين (٥٨٥/٢).

فأمر يحتاج إلى مزيد استقصاء و إحاطة؛ لأن العرب تغزلت [به] كثيراً، غاية الأمر أن المتأخرين ألطف، فمن وصفهم الجيد فى ضمن غيره قول بعضهم :
 لها جيد أم الخشف ريعت فأقبلت ووجه كقرص الشمس ريان مشرق^(١)
 وعين كعين الظبي فيها ملاحه هى السحر أو أدهى التباساً وأعلق
 وقال دعبل^(٢):

أتاح لك الهوى بيض حسان سلبك بالعيون وبالنحور
 نظرت إلى النحور فكدت تقضى فأولى فأولى لو نظرت إلى الخصور
 وقال ابن الرومى^(٣):

صدور فوقهن حقاق عاج وحلى ذات حسن اتساق
 يقول الناظرون إذا رأوها أهذا الحلى من هذا الحقاق
 وما تلك الحقاق سوى ثدى قدرن من الحق على وفاق
 نواهد ليس يعدوهن عيب سوى منع المحب عن العناق
 وقال المهلبى^(٤):

أقاتلتى بفتور الجفون ورملتين على معصر
 كحقين من لب كافورة برأسيهما نقطتا عنبر
 وقال الرفاء^(٥):

ومن وراء سجوف الحى شمس ضحى تجول فى جنح ليل مظلم داجى^(٦)
 مقدودة حفظت أيدى الشباب لها حقين دون مجال العقد من عاج

(١) الخشف: ولد الظبى أول ما يولد. انظر: لسان العرب، مادة [خشف].
 (٢) دعبل، هو: ابن على بن رزين الخزاعى، أبو على، شاعر هجاء مشهور، أصله من الكوفة وأقام ببغداد، يتصف شعره بالجودة وحسن النظم، من آثاره: ديوان شعر. توفى سنة (٢٤٦هـ) انظر: تاريخ بغداد (٣٨٢/٨)، الأعلام (٣٣٩/٢).

(٣) تقدمت ترجمته.
 (٤) المهلبى، هو: أحمد بن على بن الحسن بن الحسين، الأزدي، أبو العباس، أحد أدباء وشعراء عصره، ولد بجمص وقرأ بها العربية، ورحل إلى بغداد وقرأ بها النحو، من آثاره: ديوان شعر. انظر: معجم المؤلفين (٢٠١/١).

(٥) تقدمت ترجمته.
 (٦) سجوف، جمع سحف: الستر المرخى على الدار. انظر: لسان العرب، مادة [سحف].

وقال الثعالبي^(١):

قد حجبت وجهها عن النظر
كانه والعيون ترمقه
بمعصم حل عقد مصطبري
عمود صبح في داره القمر

وقال بعضهم :

كان التدايا إذا ما بدت
حقاق من الدر مخروطة
وزين منها النهود الصدورا
يسعن من المسك شيئاً يسيرا

وقال أبو الحسن بن هانئ^(٢):

بأبي غادة تيمس بقـ
لمست صدرها فباهت وقالت
تشى فتخجل الأغصانا^(٣)
غصن قدى قد أثمر الرمانا

وقلت :

أذاب لبيب الخد منها بناره
وذاك برأى العين أما بلمس
لجينا فمناه صيغ منبسط الصدر
فلين حرير والنهود من الدر
ومن أوصافهم في الأرداف والخصور بالضميمة كما سبق .

قول عبد الوهاب السندوبي:

قام فكادت لي أعطافه
فكيف يرجو الغير إنصافه
تقصها الأرداف من نهضه
وبعضه جار على بعضه

(١) الثعالبي، هو: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، النيسابوري، أبو منظور، من كبار الأدباء؛ ناظم، لغوى، إخبارى. من آثاره: تحفة الوزراء، طبقات الملوك، توفى سنة (٤٢٩). انظر: وفيات الأعيان (٣٦٥/١)، معجم المؤلفين (٣٢١/٢).

(٢) أبو الحسن بن هانئ، هو: محمد بن سعدون المهدي، الأزدي، الأندلسي، أبو القاسم، أديب وشاعر، ولروعة شعره قال المعز لدين الله الفاطمي عند سماعه بمقتله: (لقد كنا نريد أن نفاخر به شعراء الشرق ولم يقدر لنا). توفى سنة (٣٦٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧٧/١٠)، معجم المؤلفين (٧٥٧/١).

(٣) تيمس: تتبختر في مشيتها. انظر: القاموس المحيط، مادة [ميس].

وقال ابن قزل^(١):

وأهيف القد بت أشكو
فمال عطفاً ورق خصراً

وقال آخر :

يا خصره كم جفاه
يا ردفه ملت عنى

وقال ابن مكناس^(٣):

كسملت أرداف جى
أيها المحبوب فارحم

وقال الصلاح الصفدى:

أقول له قد رق عيشى والصبأ
وقال الذى أهواه خصرى نسيته

وقال سيف الدين المشد:

مهفهف القد نجيل الحشا
تلاعب الشعر على ردفه

وقال ابن سنا الملك:

تلاعب الشعر على ردفه
ياردفه جرت على خصره

(١) ابن قزل، هو: على بن عمر بن جلدك التركمانى، المشدّ، سيف الدين، أبو الحسن، من الأمراء والشعراء، ولد بمصر، وتوفى بدمشق سنة (٦٥٦هـ). انظر: البداية والنهاية (١٩٧/٣)، معجم المؤلفين (٤٨١/٢).

(٢) تلافى: هلاكى. انظر: لسان العرب، مادة [تلف].

(٣) ابن مكناس، هو: عبد الرحمن بن عبد الرازق القبطى، فخر الدين، أبو الفرج، أديب، شاعر، تولى مناصب عالية، من بينها وزير دمشق، وناظر الدولة بمصر، من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٧٩٤هـ). انظر: الأعلام (٨٢/٤)، معجم المؤلفين (٩٢/٢).

وقال ابن الوردي:

إذا قيل ما ردفي وشعري أجبتـه
وإن قيل هل ترعى عذارى موريا
وقال الصلاح الصفدي :

لولا شفاعه شعره في صبه
لكن تنازل في الشفاعه عنده
وقال البهاء زهير وهو مما شاع ولم نره في ديوانه :

حبذا نفحة ريح
ضربت ثوب فتاة
فأريت البطن والسرة
وقال الباخريزي^(١) فيما يكتب على التكه :

لم لا أتبعه ومضجعي
وإذا نسجت فإنني
ولقد نشأت صفيرة
وقال بشار^(٤):

نظرت في القصر عيني
سرت لما أن رأتنني
نظراً وافق حيني
دوننه بالراحتين

(١) الباخريزي، هو: علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب، السختي، الشافعي، أبو الحسن، أديب، ناثر، ناظم، محدث، اشتغل في شبابه بالفقه، ثم غلب عليه الأدب، من آثاره: دمية القصر وعصرة أهل العصر، توفي سنة (٤٦٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١١/٢٢٩)، معجم الأدباء (٣٣/١٣).

(٢) الترائب، جمع ترب: أعلى الصدر. انظر: لسان العرب، مادة [ترب].

(٣) الخدور، جمع الخد: ما يلارد للجارية من السكن. انظر: لسان العرب، مادة [خدر].

(٤) تقدمت ترجمته.

فضلت منه فضول تحت طي العكتين^(١)
ليتبي كنت عليه ساعة أو ساعتين

ولها حكاية حاصلها أن المهدي^(٢) دخل على بعض جواريه وهي مجردة فلما استترت منه بيديها فاض عنهما فأنشد : نظرت في القصر عيني... وارتج عليه فاستدعى بشاراً، فقال له: أجز . وأنشد الأبيات .

وقال العباس بن الأحنف^(٣) :

ومثلك لم أر في العالمين نصفاً قضيماً ونصفاً كئيباً
وأنت إذا ما وطنت التراب ب كأن ترابك للناس طيباً

وقال أبو الحسين الجزار^(٤) :

وكم ليلة أستغفر الله بها بخد وثغر بين ورد وجريال^(٥)
سرت راحتى غورا ونجدا إلى وما ذاك إلا في خصور وأكفال

وقال الصفي الحلبي :

إذا تثبت بأعطاف يجاذبها مدار غصن من الكشان ممطور^(٦)
رأيت أمواج أرداف إذا التظمت في لج بحر بماء الحسن مسجور^(٧)

(١) العكتين: مثني العكنة. ما تثني وانطوى من لحم البطن. انظر: القاموس المحيط، مادة [عكن].
(٢) المهدي، هو: العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو الفضل، الهاشمي، من الأمراء، وأخو المنصور والسفاح، ولآه المنصور دمشق، بلاد الشام، توفي سنة (١٨٦هـ). انظر: تاريخ بغداد (٩٥/١)، الأعلام (٢٦٤/٣).
(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أبو الحسين الجزار، هو: ابن عبد العظيم بن محمد، جمال الدين، شاعر مصري، أوصله شعره إلى السلاطين والملوك، وكانت بينه وبين السراج وغيره مداعبات. انظر: شذرات الذهب (٣٦٤/٥)، الأعلام (١٥٣/٨).

(٥) الجريال: الخمر. انظر: لسان العرب، مادة [جرل].

(٦) الكشان: نوع من أنواع النبات. ممطور: تعرض للمطر. انظر: لسان العرب، مادة [كش]، [مطر].

(٧) مسجور: ملىء بالماء. انظر: لسان العرب، مادة [سجر].

وقال آخر :

وإذا السوالف بالبنفسج
وتموجت كتب الرواد
شاهدت في أيدي الظبا
جاورت ورد الخدود
فتحت أغصان القدود
ء قياد أعناق الأسود

وقال ابن نباتة :

سألت التقا وألبان أن يحكما لنا
فقال كئيب الرمل ما أنا حملها
وقال الصلاح الصفدى :

أقول وقد نامت على حر وجهها
وإن الكئيب الفرد من جانب الحمى
وقال ابن أبي حجلة:

مالت كفصن مع الأرواح مياس
ما جن ليلة وأمسى حليها قلعا
ولا بد أردفها الراسى إذا قعدت
مصرية الحللى تبدو لى بمقياس
إلا وثار بها جنسى ووسواسى
إلا وباتت يدي منه على رأسى

شمس الدين بن جابر النحوى^(١)، وهو الشهير بالأعمى والبصير فى شرح
(الألفية)، يعنى: باعتبار البصر فى الأول، والبصيرة فى الثانى، وبالعميان فى
(البديعية) يعنى أنه مفرد ناب عن جمع، فلا يغتر بقول ابن حجة: والعميان لم
ينظموا ولم يقولوا، وأمثال ذلك مما يدل على الجمع وطالما كلفت بمعرفة هذا،
وسألت عنه فلم أظفر بمن يشفى العلة حتى رأيت فى كلام العلامة السيوطى رحمه
الله تعالى :

مقدمة الأرداف ركب فوقها
مقدمة الخصر الذى هو ذابل

(١) شمس الدين بن جابر، هو: محمد بن على، الأندلسى، الهوارى، المالكى، أبو عبد الله، عالم
وأديب، ومشارك فى أكثر من علوم القرآن، برع فى دراسة النحو والفقہ والحديث، من
آثاره: ديوان شعر، منحة الإعراب وسنحة الآداب. انظر: شذرات الذهب (٢٦٨/٦)، معجم
المؤلفين (٨٣/٣).

وجاء على النظم الذى هو كامل
بوجه ولم يوجد من الناس عادل

من ردها سبب ثقيل ظاهر
إلا لأن الحسن فيها وافر

ثلث الجمال وقد وقته أجمعان
وفى حواشيه للصدغين ريجان
توقيع مدمعى المنشور برهان
ذاك الجبين فلايسلوه إنسان
ما مر بالبال يوماً عنك سلوان^(١)
حساب شوق له فى القلب ديوان

أطمع فى نظرة أرددها
فى حسن أعراضها وتحسدها^(٢)
يكاد عند القيام يقدها^(٣)

قمر الأفق فيه نقطة ليل
كلما قد ذكرته تحت ذيل

أو زهر بان فى الكتيب الأמיד
ولحدها والقذ والردف أقصد

فتم قياس الحسن لما تركبا
فانتج حسناً لم يلم فيه عاشق
وله أيضاً :

سبب خفيف خصرها ووراءه
لم يجمع النوعان فى تركيبها
وله أيضاً :

تعليق ردفك بالخصر الخفيف له
خد عليه رياض الحسن قد خلعت
محقق نسخ صبرى فى هواه ومن
يا حسن ما قلم الأشعار خط على
أقسمت بالمصحف السامى وأحرفه
ولا غبار على جى فعندك لى
وله أيضاً :

وقفت يوم الوداع ملتفتاً
فأعرضت والطباء تغبطها
وكلفت لذن خصرها كفلا
وقال وله أيضاً :

رقم الخال خدها فى إناء
قلت ابن الكتيب والغصن قالت
وقال وله أيضاً :

إن شئت ظيباً أو هلالاً أو دجى
فللحظها ولوجهها ولشعرها

(١) السلوان : النسيان والزهد فى الشيء . انظر : القاموس المحيط ، مادة [سلوا].

(٢) غبط : عظم الشيء فى عينه وتمنى مثل حاله دون أن يريد زواله . انظر : لسان العرب ، مادة [غبط].

(٣) الكفل : الردف . انظر : القاموس المحيط ، مادة [كفل].

وله أيضاً :

أقبلت فى لازوردى على
والحلى والوجه والثغر ومسا
أنجما حفت بيدى فى دجى

وقال ابن نباتة :

أفدى التى تشكى فى مشيها ولها
تدعو على الكتب والأغصان لاعنة

وقال الشهاب الحجازى:

قصدت رؤية خصر مذ سمعت به
انظر إلى الردف تستغنى به وأنا

وقلت :

ما أخطأ الفيلسوف فيما
ها خصرها قد علا لما قد
ودونه الردف حط وصفا

وقلت :

قد غرت عشاقها
فى خصرها وشبوا
قلت إلى كم تلهجوا

ناعم أبيض لادن معجب
لبست والعطف والردف حبى
فى سماء فوق بان الكتب

بالردف والخصر ثقيل وتخفيف
فالكتب مهتوكة والغصن مقصوف

فقال لى بلسان الحال ينشدنى
مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

قرر من رفعة اللطافة
حواه فى الظروف والتزافة
مذ كان فى غاية الكثافة

وتركهم للفزل
بردفها والكففل
بسافل لا بعلى

وأما الأغزال المطلقة التنصيص العامة من غير تخصيص فكثيرة لا تحصى وغزيرة
لا تستقصى، فلنورد منها ما حسن وقعه فى الأسماع وجلب القلوب السليمة
الأذواق عند السماع قال شمس الدين بن العفيف :

قف واستمع سيرة الصب الذى
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا
فراح فى حبه لم يبلغ الغرضا
فسام صبوا فاعيا نيله فقضى

وقال آخر :

لو كان مالك عالماً بذوى الهوى
ما عذب العشاق إلا باهوى
ومحله من أضلع العشاق
وإن استغاثوا غاثهم بفراق

وقال المظفر الأمدى :

قل للذين جفوني إذا لهجت بهم
أحبكم وهلاكى فى محبتكم
دون الأنام وخير القول أصدقه
كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال ابن الوردى^(١) :

دهرنا أضحى ضيننا
ياللى الوصل عودى
باللقاء حتى ضيننا
واجمعيننا أجمعيننا

وقال ابن نباتة :

أهلاً لسائرة الصبا من نحوكم
أملت على الدهر المقطب ذكركم
وبما عهدنا من تعاهد طولها
حتى تبسم ضاحكا من قولها

وقال الصفى الحلى^(٢) :

لا غرو أن يصلى الفؤاد بجمكم
قلبي إذا غبتم يصور شخصكم
نار توججها يد التذكار
فيه وكل مصور فى النار

وقال آخر :

صلوا مدنفاً قد واصل السقم جسمه
بأحشائه نار يهب ضرامها
ومن يعدكم طيب الرقاد فقد^(٣)
ومن لى بإطفاء الغرام وقد^(٤)

وقال الأرجانى^(٥) :

تمتتما يامقلتى بنظرة
أعينى كفا عن فؤادى فإنه
وأوردتما قلبي أمر الموارد
من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) مدنفاً: مريضاً أثقله المرض. انظر: لسان العرب، مادة [دنف].

(٤) الضرام: اشتعال النار. انظر: لسان العرب، مادة [ضرم].

(٥) الأرجانى، هو: أحمد بن الحسين، أبو بكر، ناصح الدين، شاعر، يتسم شعره بالبرقة والحكمة،

ولى القضاء بتستر وعسكر مكرم، من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٥٤٤هـ). انظر:

الوفيات (٤٧/١) الأعلام (٢١٥/١).

وقال الملك الصالح داود^(١) :

عيون عن السحر المبين تبين
إذا أبصرت قلباً خلياً من الهوى
ها عند تحريك الجفون سكون
تقول له كن مغرمًا فيكون

وقال ابن إسرائيل :

وقلت شهودي في هواك كثيرة
فقال شهود ليس يقبل قولها
وأصدقها قلبي ودمعي مسفوح
فدمعك مقذوف وقلبك مجروح

وقال القيراطي :

لما حدا بالركب حاديهم
أطاعني دمع جرى نهره
وأسمع الداني والقاصي
فدمعي الطالع كالعاصي

وقال ابن لؤلؤ^(٢) :

وارفتي خيال من حبيب
فمن سهري يلهم فلا أراه
تناءت داره لما أتاني
ومن سقمي يطوف فلا يراني

وقال آخر :

قد كان لي فيما مضى خـ
وزاد بي السقم فلزوج بي
فرق جسمي فتمنطقت به^(٣)
في مقلّة النائم لم ينتبه^(٤)

(١) الملك الصالح داود، هو: ابن عيسى الأيوبي، الملك الناصر، صاحب الكرك، أحد الأدباء الشعراء، ولد ونشأ بدمشق، وملكها بعد أبيه، من آثاره ديوان شعر، والفوائد الجليلة في الفرائد الناصرية، توفي سنة (٦٥٦هـ). انظر: الأعلام (١٠/٣)، معجم المؤلفين (٧٠٢/١).
(٢) ابن لؤلؤ الذهبي، هو: يوسف بن عبد الله، الدمشقي، بدر الدين، أحد شعراء الدولة الناصرية بدمشق، من آثاره: ديوان شعر، توفي سنة (٦٨٠هـ). انظر: كشف الظنون (٧٦٨)، معجم المؤلفين (١٧٨/٤).

(٣) تمنطق: شد وسطه بنطاق. انظر: القاموس المحيط، مادة [نطق].

(٤) زجّ: قذف ورمى. انظر: لسان العرب، مادة [زجّ].

وقال شمس الدين بن العفيف^(١) :

وكم يتحالي ريقه وهو بارد
تفسر للعشاق منها مواعيد

فكم يتجافى خصره وهو ناحل
وكم يدعى صوناً وهذى جفونه
وله أيضاً :

معاطفه هاننا لا يحل^(٢)
يرى لعذاره دور ونزل^(٣)

إذا ما رمت حل البند قالت
وإن جليت بوجنتيه مدام
وقال آخر :

هيفى قلت يا رشيق القوام
لغنت عليه ورق الحمام

قال لي أهيف المعاطف صف لي
لك قد لولا جوارح لحظيك
وقال ابن خفاجة^(٤) :

كالغصن يخطر إن خطر
وإذا سقى وإذا سفر
والغمامة والقمر

مهفف طاوى الحشا
فإذا رنا وإذا شدا
فضح الغزالة والحمامة
وقال ابن أبي الحديد^(٥) :

فلقد قنعت من الوصال بذاكا^(٦)
تهوى حديثك مثل ما تهواكا

بالله ضع قدميك فوق محاجرى
وأطل محادثتى فإن مسامعى

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) البند: القيد. انظر: لسان العرب، مادة [بند].

(٣) المدام: المطر الدائم. انظر: لسان العرب، مادة [دام].

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) ابن أبي الحديد، هو: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني، أبو حامد، عز الدين، أحد شعراء عصره، وأديب وكاتب، شارك في بعض العلوم، من آثاره: ديوان شعر، نظم الفصيح، توفي سنة (٦٥٥هـ). انظر: البداية والنهاية (١٣/١٩٩)، معجم المؤلفين (٦٦/٢).

(٦) المحاجر، جمع الحجر: ما دار بالعين. انظر: لسان العرب، مادة [حجر].

وقال ابن المستوفى (١) :

ليالى وصلنا بالرقمقي
رايت بعينها ورات بعيني

رات قمر السماء فأذكرتني
كلانا ناظر قمرأ ولكن
وقال ابن نباتة :

تجنى على طرف الحب وقلبه
فعدت مطوقة بما بخلت به

علقتها هيفاء حالية الطلى
بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لائم
وقال الدمياطى :

أهيم بها شوقاً إذ هى أعرضت
لتشفى قلباً بالإعادة أمرضت

وفتاة الأحاظ معسولة اللوى
تصامت لما أن سمعت كلامها
وقال الوداعى (٢) :

يوم زارت وسلمت مختالة
فقد سلمت علينا الغزالة

قلت للعاذل المنفد فيها
قم بنا ندعى النبوة فى العشق
وقال ياقوت (٣) :

وأنت فى النهار تسحب ذيلاً (٤)
صدقته أن ترى الشمس ليلاً

وعدت أن تزور ليلاً فألوت
قلت هل صدقت فى الوعد قالت
وقال آخر :

فأرخت عليه من ذوائبها سجفاً (٥)
فأجرى عليه من مدامعه وقففاً

تجلى محياها فخافت رقيبها
محيا رآه الصب للحسن جامعاً

(١) ابن المستوفى، هو: المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي، الأربلى، شرف الدين، أبو البركات، من كبار العلماء، اهتم بالنظم والنثر، وأحد الأدباء الذين شاركوا فى بعض العلوم مثل التاريخ والحساب والحديث، من آثاره: تاريخ إربل، ديوان شعر. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣١/١٣)، معجم المؤلفين (١١/٣).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ألوت: أكثرتم التمنى. انظر: القاموس المحيط، مادة [لوو].

(٥) ذوائب، جمع ذؤابة: الشعر المصفور من شعر الرأس. انظر: القاموس المحيط، مادة [ذأب].

وقال ابن الرومي (١):

نظرت فأقصدت الفؤاد بسهمها
ويلاه إن نظرت وإن هي أقبلت

وقال شمس الدين (٢):

حتى إذا طاش عنها المرط من دهش
تبسمت فأضاء الجو فالتقطت

وقال ابن الساعاتي (٤):

قبلتها ورشفت حمرة ريقها
ودخلت جنة وجهها فأبا حتى

وقال الأرجاني (٥):

وفتانة صاغت سلاسل صدغها
تبسم عن در تنظم مثله

وقال آخر:

نظرت إليها نظرة فتحيرت
وأوحى إليها الوهم إنى أحبها

وقال ابن مكانس (٦):

علقتها معشوقة خالها
يا وصلها الغالى ويا جسمها

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) المرط: كساء من صوف ونحوه يؤتزر به. انظر: لسان العرب، مادة [مرط].

(٤) ابن الساعاتي، هو: علي بن رستم بن هردوز، بهاء الدين، أبو الحسن، شاعر، من آثاره:
ديوان شعر، توفي سنة (٦٠٤هـ). انظر: شذرات الذهب (١٣/٥)، معجم المؤلفين

(٤٤١/٢).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) تقدمت ترجمته.

وقال أمين الدين السيماني^(١):

أضاف الدجى معنى إلى لون شعرها
وحاجبها نون الوقاية ما وقت
وقال ابن الوردي^(٢) :

ردفها والخصر منها
نهدها يطفى هيبى
وقال أبو الحسين الجزار^(٣):

تكلف بدر السما إذ حكى
وقام بعذرى فيك العذار
وله أيضًا :

حمت خدها والثغر عن هائم شج
وكم هام قلبى لارتشاف رضاها
وقال ابن النقيب:

يا مالكى ولديك ذلى شافعى
فوخدك النعمان أن بليتى
وقال شيخ الشيوخ بحماسة:

لنا من ربة الخالين جاره
تعاملنى بما يحبى سلوى
وله أيضًا :

حروف غرامى كلها حرف إغراء

فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
على شرطها فعل الجفون من الكسر

جل من ربي ودقق
فهو رمان محقق

محيك لو لم يشنه الكلف^(٤)
فأجرى دموعى لما وقف

له أمل فى مورد ومورد^(٥)
فأعرض عن تفصيل نحو المبرد

مالي سألت فما أجبت سؤالي
وشكايتى من جفئك الغزالي

تواصل تارة وتصد تارة
ولكن ليس فى جوفى مرارة

على أن سقمى بعض أفعال أسماء

(١) أمين الدين السيماني.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الكلف: السواد فى الصفرة . انظر: القاموس المحيط، مادة [كلف].

(٥) شجّ: قطع . انظر: لسان العرب، مادة [شجج].

وله أيضاً :

وبدر دجى لم ينتقل كسميه
يلوح لعينى ماشقاً نون صدغه

وله أيضاً :

قلت وقد عقرب صدغاً له
قدست يارب الجمال الذى

وله أيضاً :

سبحان مورثه من حسن يوسف ما
أقام للشعراء العذر عارضه

وله أيضاً :

يانظرة ما جلتي لى حسن طلعتيه
عابت انسان عينى فى تسرعه

وقال مجير الدين الدمشقى^(٢) :

لما لبست لبعده ثوب الضنا
أجريت واقف مدمعى من بعده

وقال ابن لؤلؤ الذهبى:

رفقاً بصعب مغرم
وافاك سائل دمعنه

(١) النون: النقرة فى الخد. انظر: القاموس المحيط، مادة [نون].

(٢) مجير الدين الدمشقى، هو: محمد بن يعقوب بن على، أبو عبد الله، شاعر، من أمراء الجند، استوطن حماة، وخدم صاحبها الملك المنصور، كان من العقلاء الفضلاء، تميز شعره بالجودة و حسن التأليف، توفي سنة (٦٨٤هـ). انظر: الأعلام (١٤٥/٧)، شذرات الذهب (٢٨٩/٥).

(٣) الضنا: المرض والهزال. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضنن].

وقال ابن قرناص^(١):

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها
كان موسى كليم الله أقبسها
وله أيضاً:

إن الذين ترحلوا
أنزلتهم فى مقلتى
وقال شمس الدين بن العفيف:

ايصعدنى يا طلعة البدر طالع
ولو أن قسا واصف منك وجنة
وقال أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة مُضْمَنًا فقال:

تطاولت الأغصان تحكى قوامه
واعيا فصيح الوقت نبت عذاره
وله أيضاً:

وافى بوجه كالهلال مركب
وبمقلة خفق الفؤاد وقد رنت
وله أيضاً:

أسكرنى باللفظ والمقلبة
ساق يرينى قلبه قسوة
وله أيضاً:

بأبى شادنا غدا الوجه منه
سلب القضيبي لينها فهى غيظاً
يخجل النيرين فى الإشراق^(٤)
واقفات تشكوه بالأوراق

(١) ابن قرناص، هو: إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن أحمد، الخزاعى الحموى، من الأدباء الشعراء
وله ديوان شعر، توفى سنة (٦٧١هـ). انظر: كشف الظنون (٧٦٧)، معجم المؤلفين (٧١/١).

(٢) باقل: أنبت بقله. انظر: القاموس المحيط، مادة [بقل].

(٣) الفهاهة: الوهن والتعب. انظر: لسان العرب، مادة [فهة].

(٤) النيرين: الشمس والقمر. انظر: لسان العرب، مادة [نير].

وله أيضاً :

لو لم تكن ابنه العنقود فى فمه
تبت يدا عاذلى فيه فوجنته
وقال سيف الدين بن المشد^(١) :

مسكية الأنفاس تملى الصبا
جننت أن سرى عرفها
وله أيضاً :

وشادن أوردنى هجره
أصبحت حران إلى ريقه
وقال علاء الدين الوادعى^(٣) :

يفتن بالفاتر من طرفه
وله أيضاً :

أحاطه وهى السيوف كليله
وله أيضاً :

ما كنت أول مغرم محروم
وله أيضاً :

فديت من مسمه
فصدغه مطوق
وله أيضاً :

وذى دلال أهيف أحور
طاف على القوم بكاساته

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) المنديل: العود الطيب الرائحة. انظر: القاموس المحيط، مادة [ندل].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الكليله: التى لا تقطع. انظر: القاموس المحيط، مادة [كل].

(٥) أحور: من الحور فى العين: شدة يياض يياضها وشدة سواد سوادها. انظر: القاموس المحيط، مادة [حور].

وقال ابن نباتة :

بروحى مشروط على الخد أسمر
وقال على اللثيم اشرفنا فلا تزدد
وله أيضاً :

وضعت سلاح الصبر عنه فما له
وسال عذار فوق خديه جائر
وله أيضاً :

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا
لك عين وقامة فى البرايا
وله أيضاً :

بروحى معسول اللمى متحجب
وإن ذقت منا من حلاوة ريقه
وله أيضاً :

بأبى نائم على الطرق راحت
فاتح فى الكرى فما سكرها
وله أيضاً :

ومن الشقا أن الجفا وتشوقى
ما مال غصن قوامه عن فكرتى
وقال الصلاح الصفدى:

وظبى معانيه بيان بديعها
قرأت مقامات الحريرى كلها
وله أيضاً :

قلت وقد مادت كغصن النقا
فقلت منهوم الهوى لم يكن
وقال ابن الوردى :

ومليح إذا النحاة رأوه
برضاب عن المبرد يروى

دنا وفى بعد التجنب والسخط
فقبلته ألفاً على ذلك الشرط

يقاتل بالألحاظ من لا يقاتله
على مهجتى فليثق الله سائله

يا كثير المحاسن المختالمة
تلك غزالة وذى قتالمة

إذا لم يزر لم يهن عيش ولا إذا
أتانا رقيب يتبع المن بالأذى

فى هواه وليس يعلم روحى
يال له من مسكر مفتوح

لا ينتهى هذا وذاك إلى الطرف
يوماً ولا دينار وجنته انصرف

له حار فكرى إذ رأى كل معجز
على خده مشروحة للمطرزى

أسرفت فى العشق بلا فائدة
يشبع إن مدت له المائدة

فضلوه على بديع الزمان
ونهود تروى عن الرمان

وله أيضاً :

بديعة الحسن إلا أنها ابتدعت
السحور وهذى الشمس قد طلعت

عجبت في رمضان من مسحرة
جاءت تسحرنا ليلاً فقلت لها كيف

وله أيضاً :

أنحل الله خصرها
ضاعف الله كسرهما

أنحلتنى حبيبة
كسرتنى جفونهما

وله أيضاً :

كبيان القصور على الثلوج
فقد عزم الغريب على الخروج

مليح ردفه والساق منه
خذوا من خده القانى نصيباً

وله أيضاً :

در يقصر دونه التقويم
والثغر يضحك منك وهو يقيم

تقويم ثغرك صح يا من ثغره
إنى لا أبكى من جفاك ولى أب

وله أيضاً :

فعدت مسلوب الفؤاد مشتتاً
فى الرسائل وفكرة فى أهل أتى

وعدت أمس بأن تزور فلم تزر
لى مهجة فى النازعات وعبرة

وقال ابن الصائغ^(١) :

وقبيح إن لم يك حسنا
ينبغى أن تطيب فى الدهر معنى

يامليحارووا لنا عنة حسنا
طبت لفظاً مع الرواة ولكن

وقال ابن مكانس^(٢) :

برت وكانت قبل عقت
وقطعتها من حيث رقت

بأبى عقيقة مرشفت
فلثمتها ورشفت

وقال والده :

ومنا كم المطلب قلت لهم منى
يحاكى إذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

يقولون هل من الحبيب بزورة
فقالوا لنا غوصوا على دره وما

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

وله أيضًا :

ومتعه كما يهوى بأنسك
بيومك رحمت تهجره بأمسك

بحق الله دع ظلم المعنى
وكف الصد يامولاي عمّن

وله أيضًا :

أصداغه سلبت أهل الهوى وسبت
آس العوارض في وجناته ونبت^(١)

يالائى إذا فقدت الصبر فى قمر
نبت سيف اصطبارى عنه حين بدا

وقال سيدى أبو الفضل ابن وفاء^(٢) :

إلا أغن غضيض الطرف مكحول^(٣)
كأنه منهل بالراح معلول^(٤)

ما خادم واسمه فى در مبسمه
وريقه مع ثناياه التى انتظمت

وقال البدر الدمامينى^(٥) :

فأبدت صفات أبداع الحسن كونها
فما أنا بالسالى صفاها ولونها

وبى وجنة حمراء زاد صفاؤها
فدع لائى ينهى عن الحب جهده

وله أيضًا :

ينفى عن القلب جميع الكرب
يطيب للصب ارتشاف الضرب

تناسيت أوصاف من وصله
فى الخد تسهيل ومن ثغره

وله أيضًا :

قلب المحب الصب فى الحين
ففيك قد هام بلا مين

لا ما عذاريك هما أوقعا
فجد له بالوصل واسمح به

(١) نبت: كلت وارتدت. انظر: القاموس المحيط، مادة [نبو].

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أغن: ذو صوت رحيم. غضيض الطرف: مسترخى الأجناف. انظر: لسان العرب، مادة [غنن]، [غضض].

(٤) الراح: الخمر، وسميت كذلك لأن صاحبها يرتاح بعد شربها. انظر: القاموس المحيط، مادة [راح].

(٥) تقدمت ترجمته.

وله أيضاً :

محمودة الصبر لا يستطاب
ذبت وما أحسن هذا الشراب

قلت لعطار به صبوتى
اسبقيتنى كأس غرام به

وقال الحافظ ابن حجر^(١) :

قمر بباد سنا^(٢)
قلت لا بل شفتاه

سألوا عن عاشق فى
أسقمته مقلتاه

وله أيضاً :

رفق وهن واخضع تفر برضانا
فصار عزيزاً حين ذاق هوانا

رسول أتى ممن أحب فقال لى
فكم عاشق قاسى الهوان بجنا

وله أيضاً :

وعاد إلى الجفاء فعاد مابى
فها أنا ذبت من رد الجواب

ضيت جوى فواصلنى حيبى
فقلت أعد وصالى قال كلا

وله أيضاً :

والهائم عنى تشتت
لما دننت وتفتت

محبوتى واصلتنى
وذاب قلب حسودى

وله أيضاً :

ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ونزهنى عن جفوة وملالى

وأهيف حياتى بطيب وصاله
أدار لى الكاسين خمراً وريقه

وله أيضاً :

يلوم وأظهر الحسد المكتم
له كالحز قلت نعم وأنعم

تجرد من أحب فقال لى من
أجاد لك الحبيب بلثم جسم

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) السنا: الضياء. انظر: القاموس المحيط، مادة [سنا].

وقال التلعفري^(١) من قصيدة :

وجسمى كلا أراه عليلا
ماحكمته لوناً وخصراً نجيلا
ف له في سعوته إكليلا
ظل فيه من الدليل ذليلا
لأنذار عاشقيه رسولا

رشاً عهدته وجفناه والخصر
اشبهته البدر ونوراً ولكن
قمر جاعل من القلب والطر
كلما ضل عن طريق جفاه
بعث الصدغ منه فزة الجفن
وله أيضاً من قصيدة :

أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله
صب يطيع هوى ويعصى عدله

هذا العذول عليكم مالى وله
شروط المحبة إن كل متيم
وقال يزيد بن معاوية^(٢) :

وبدر بدا أم وجهك المشرق السعد
وتفاحة ذاك المضرج أم خد^(٣)
أبينى لنا أم لؤلؤ ضمه العقد
بصدرك أم ثديان هذان أم نهدي
وكثبان رمل فى الغلائل أم قد^(٤)
لقلت جنون ثابت بك أم وجد
تضوع من أرجائه المسك والند^(٥)

أيل دجا أم شعرك الفاحم الجعد
ونرجسة هاتيك أم هى مقلنة
نقا برد فى فيك هذا منضد
وحقان من عاج لطيفان ركبا
ودعصان إذ وليت أم كفل يرى
وإنك لو عاينت ما بى من الأسى
إذا ما أتى من نحو أرضك مخبر

(١) التلعفري، هو: محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني، شهاب الدين، أبو المكارم، أديب، شاعر، كان من شعراء الملك الأشرف موسى الأيوبي صاحب دمشق، من آثاره: ديوان شعر، توفى سنة (٦٧٥هـ) انظر: النجوم الزاهرة (٢٥٥/٧)، البداية والنهاية (٢٧٢/١٣)، معجم المؤلفين (٧٨٩/٣).

(٢) تقدمت ترجمته

(٣) المضرج: المصبوغ بالحمرة. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضرج].

(٤) دعص: كثيب الرمل المجتمع. انظر: لسان العرب، مادة [دعص].

(٥) تضوع المسك: انتشرت رائحته. الند: عود يتبخر به. انظر: القاموس المحيط، مادة [ضاع]، [ندد].

وقفت فأضجرت الرسولاً مسائلاً
وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني
وله من قصيدة سلف صدرها في الغيرة :

خذوا بدمي ذات الوشاح فإبني
ولا تقتلوها إن ظفـ بقتلها
وقولوا لها يامنية النفس أننى
لها حكم لقمان وصورة يوسف
ولى حزن يعقوب ووحشة يونس
ولما تلاقينا وجدت بنانها
فقلت خضبت الكف بعدى وهكذا
فقلت وأبدت فى الحشى حرق الجوى
وعيشك ما هذا خضابا عرفته
ولكننى لـأرأيتك نائباً
بكيته دماً يوم النوى فمسجته
ولو قبل مبكاهها بكيته صباية
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا
خفاجية الألحاظ مهضومة الحشى
منعمة الأعطاف يجرى وشاحها
ومشوطه بالمسك قد فاح نشرها
وله أيضاً من قصيدة طويلة :

نالت على يدها ما لم تنله يدي
كأن طرق نمل فى أناملها

وأشدته بيتاً له المثل الفرد
شجوناً فزدنى من حديثك يا سعد

رأيت بعينى فى أناملها دمي
بل خبروها بعد موتى بمأثي
قتيل الهوى والعشق لو كنت تعلمى
ونعمة داود وعفة مريم
وآلام أيوب وحسرة آدم
مخضبة تحكى عصارة عندهم^(١)
يكون جزاء المستهام التيم
مقالة من فى القول لم يتبرم^(٢)
فلاتك بالبهتان والزور متهمى
وقد كنت لى كفى وزندى ومعصمى
بكفى وهذا الأثر من ذلك الدم
بسعدى شفيت النفس قبل التدم
بكاهها فكان الفضل للمتقدم
هلالية العينين طائفة الفم
على كشح مرتج الروادف أهضم
بتغر كأن الدر فيه منظم
نقش على معصم أوهت به جلدى
أو روضة رصعتها السحب بالبرد

(١) العندم: خشب نبات يصبغ به. انظر: القاموس المحيط، مادة [عند].

(٢) يتبرم: يتضجر. انظر: القاموس المحيط، مادة [برم].

مليحة لو رأتها الشمس ما طلعت
سألها الوصل قالت لاتكن عبثا
واسرجت سألت عنى فقبل لها
واستمطرت البيت السابق فى الثغر .
وقال البهاء زهير^(١) :

رقت شمائله فقلت شمول
ودنا فما للبين فيه مطمع
أهواه أما خصره فمخفف
ريان من ماء الشباب مهفهفا
حلو التشى والثنايا لم يزل
أحببنا إن الوشاة كثيرة
أبخاف قلبى غدركم مع أنه
فأصد حتى لا يقال متيم
وله أيضا :

رعى الله من لم يرع لى حق صحبتى
وفى ذمة الرحمن من ذم صحبتى
وإنى على صبرى على فرط هجره
يحاول طرفى لحظه فى خياله
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا
شكوت الذى ألقى فظل مقابلا
فمارق من شكواى غير حدوده
وله أيضا :

كلمنى والمدام فى فمه

من بعد رؤيتها يوماً على أحد
من رام منا وصالا مات بالكمد
ما فيه من رمق دقت يدا بيد

وحوى الجمال فقلت ثم جميل
ونأى فما للقرب فيه سبيل
طاو وأما ردفه فثقل
أرأيت غصن البان كيف يعيل
لى منهما العسال والمعسول
فيكم وإن تصبرى لقليل
جار أقام لديكم ونزير
وأزور حتى لا يقال ملول

وسلم من لم يسع لى بسلامه
ولم أك يوماً ناقصاً لذمامه
وقرب مغانيه وبعد مرامه^(٢)
ويشتاق سمعى لطفه فى كلامه
بوجه يحاكى البدر عند تمامه
بكائى وشكوى حالتى بابتسامه
ولا لان من نجواى غير قوامه

قد عبقت من حباب ميسمة^(٣)

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) مغانى، جمع مغنى: المنزل. انظر: القاموس المحيط، مادة [غنى].

(٣) الحباب: الفقاقيع التى تعلو الماء أو الخمر. انظر: انظر: القاموس المحيط، مادة [حبيب].

وراح كالراح فى تمايله
 بالله يا برق هل تحدثه
 وهل نسيم سرى يبلغه
 عجت من بخله على وما
 هم علموه فصار يهجرنى
 وله أيضًا :

يا من لعبت به شمول
 نشوان يهزه دلال
 لا يمكنه السلام لكن
 ما أطيب وقتنا وأهنى
 عشق ومسرة وسكر
 كالبدري يلوح فى قناع
 والورد على الحدود غصن
 والعيش كما أحب صاف
 مولاي يحق لى بأنى
 لى فىك وقد علمت عشق
 فى حبك قد بذلت روحى
 لى عندك حاجة فقل لى
 فى وجهك للرضا دليل
 ما أطلب فى الهوى شفيعا
 ذا العام مضى وليت شعرى
 ها عندك واقف ذليل
 من وصلك بالقليل يرضى

سكران يشتط فى تحكمه^(١)
 عن نار وجدى وعن تضرمه^(٢)
 رسالة من فمى إلى فمه
 يذكره الناس من تكرمه
 رب خذ الحق من معلمه

ما أطف هذه الشمائل
 كالغصن مع النسيم مائل
 قد حمل طرفه رسائل
 والعاذل غائب وغافل
 العقل ببعض ذاك زائل
 والغصن يميل فى غلائل
 والنرجس فى الجفون ذابل
 والأنس بمن أحب كامل
 عن مثلك فى الهوى أقاتل
 لا يفهم سره الأوائل
 إن كنت لما بذلت قابل
 هل أنت إذا سئلت باذل
 ما تكذب هذه المخايل
 لى فىك غنى عن الوسائل
 هل يحصل لى رضاء قابل
 بالباب يمد كف سائل
 الطل من الحبيب وابل^(٣)

(١) يشتط: تباعد عن الحق. انظر: لسان العرب، مادة [شطط].

(٢) التضرُّم: الاشتعال. انظر: لسان العرب، مادة [ضررم].

(٣) الطل: المطر الخفيف. وابل: المطر الشديد. انظر: القاموس المحيط، مادة [طلل]، [وبل].

وينعم دهرى بالذى أنا آمل
ويا نفس جدى إن دهرك هازل

لئن لم تزرنى أو تمن بنظرة
فيا موت زر إن الحياة ذميمة
وقلت :

وقد أذيب القلب من صدها
إذ ليس يحلو العيش من بعدها
ما بفؤادى من جوى بعدها
تشرب بالماءين من شهدها
هو الشفا لو كان من عندها
يجنى وماء الورد من خدها

أفدى فتاة فنتت مهجتى
مالي وللدينا إذا لم تزر
يقول لى الآسى وقد راعه
خذ ماء ورد ولسان معا
قد صدق الآسى هذا الدوا
بأن يكون الشهد من ثغرها
وقلت وفيه نكتة حكيمية :

منها كئار فى فؤاد مسعره^(١)
أفنى الرطوبة محرق ما أضمره
قطرته أجفانى وخدك همره
فيه الحرارة باعتدال مزهره

نار بوجنتك التى حرق الورى
لكن يقول الفيلسوف الحر إن
فلذاك أحرق مهجتى تصعيد ما
إذ فيه ماء حيا لعشاق غدت

انتهى ما أردنا إيرادها من لطائف الغزل؛ الخاصة، والعامّة فى الذاتيات،
والأعراض اللازمة، وقد تغزل العشاق فى الأعراض المفارقة نحو الزينة والوظائف،
ببديع النكت واللطائف فلنورد منها ما لطف .

قال بعضهم فى النقش :

شباك مسك على كف من البرد
كان الأمان لعينيه من الرمذ
مفوفة أثمارهن عقيق^(٣)
سرى حيث لم يعلم إليه طريق

كأن خضرة نقش فوق معصهما
فمن ملامقليه من محاسنها
وقال ابن المعتز^(٢) فى الحناء :
أشرن على خوف بأغصان فضة
سلام كإسقاط الندى تحت ليلة

(١) الورى: الجار. مُسعره: مشتعلة. انظر: القاموس المحيط، مادة [ورى]، [سعر].

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) مفوفة: رقيقة. انظر: القاموس المحيط، مادة [فوف]

وقال ابن نباتة :

خضبت بأحمر كالنضار معاصماً
واها هن معاصماً مخضوبة

وقال الشريف المقدسي :

تقمعت بسويداء قلب عاشقها
في كل أغللة ليل به شفق

وقال الشواء :

محببة لها خال كمسك
بدت والنقش يحكي في يديها

وقال علي بن العباس الرومي :

سقى الله قصرا بالرصافة شاقني
أشار بقضبان من الدر قمعت

وقال الصنوبري^(٣)

بسطة أنامل لؤلؤ أطرافها
وتقمعت لك بالدجى فوق الضحى

وقال محمد بن عياض :

علقتها فتانة أعطافها
من للغزاة والغزال بحسنها
خضبت أناملها السواد وقلمها

(١) تختضب: تتلون. انظر: القاموس المحيط، مادة [خضب].

(٢) أشف: أرق. انظر: لسان العرب، مادة [شف].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تطاريف: من طرفت المرأة أناملها، خضبتها بالحناء وزيتها. انظر: القاموس المحيط، مادة [طرف].

(٥) شقائق النعمان: جنس نبات عشبي من فصيلة الحوذانيات. انظر: القاموس المحيط، مادة [شقق].

(٦) المياد: كثير الاهتزاز والتمايل. انظر: القاموس المحيط، مادة [ميد].

وقال ابن الوردى^(١):

مصريّة كأنهـا
تلقنت مكرراً ولا
وله أيضاً :

يألتنى حاشية زركشت
قد أصبحت فى الحسن سلطنة
وله أيضاً :

عوادة عوادة
قلت لنا أوتارها
وقال الشهاب الحجازى^(٣):

بوجنة حمراء كالجمر
لاتنكروا سكرى من الخمر
وقال ابن تميم^(٤):

جاءت بعود كلما لعبت به
غنت فجاوبها ولم يك قبلها
وقال الصلاح الصفدى^(٧):

أتنا بعود حركته أنامل
يكاد وقد جست ملاوية يكتسى

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) عوادة: الضاربة بالعود. انظر: لسان العرب، مادة [عود].

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) التبريح: توهج الشوق. انظر: القاموس المحيط، مادة [برح].

(٦) شجر الأراك: شجر ذو شوك، طويل الساق، كثير الورق والأغصان، تتخذ منه المساويك.

انظر: لسان العرب، مادة [أرك].

(٧) تقدمت ترجمته.

ومما يلحق بهذا الفصل التلميح :

وهو نوع لطيف جليل المقدار فى البديع، عظيم الفائدة فى الإيصال إلى المطلوب من نحو نكاية الخصم، وبلوغ الأرب من ذوى الفهم، ولم تدر الأغبياء وجل علماء المعانى على أن التلميح يرادفه، والصحيح أنه أخص. فمن طريق ما حكى فيه أن أبا العلاء المعرى حضر مجلس الشريف الموسوى، فقال من المتنبى، وكان أبو العلاء ينتصر له، فقال للشريف: لو لم يكن من شعره إلا قوله:

لك يا منازل فى القلوب منازل

لكفاه، فأمر به فسحب على وجهه وعوتب الشريف فى ذلك فقال: إنما قصد قوله فى القصيدة :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بآنى كامل
وأثنى سيف الدولة يوماً على المتنبى فبالغ وكان الرفاء حاضرًا، فقال: أشتهى أن تنتخب قصيدة من كلامه وتأمرنى بمعارضتها لتعلم إنك أركبته فى غير سرجه، فقال: بديهة عارض قوله:

لعينك ما يلقى الفؤاد وما لقى

قال الرفاء: فتصفححتها فلم أجدها كبير أمر، فعلمت أن هناك نكتة فأعملت الذهن فى إخراجها فإذا أنا به قد أراد قوله :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق
أراه غبارى ثم قال له الحق
وحكى أن ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم كانت من أطرف نساء زمنها
وكان لها بعد أن قعد بها الدهر ولوع بالوزير أبى الوليد، فكتبت إليه وقد غضبت منه.

إن ابن زيدون على فضله
يلهج بى شتماً ولا ذنب لى
يلحظنى شزرا إذا جتته
كأننى جنت لأخصى على
أشارت بذلك إلى عبد للوزير، كان متهمًا به، ودعت امرأة للرشيد يوماً
فقال: أتم الله أمرك وفرحك بما آتاك، وزادك رفعة، لقد عدلت فأقسطت.

فقال لجلسائه: ما أرادت هذه .

قالوا: خيراً .

قال: إنها تدعو عليّ ، فإن قولها أتم الله أمرك تريد قول الشاعر :

إذا تم أمر بـدا نقصه ترقب زوالاً إذا قيل تم

وقولها : فرحك الله بما آتاك: تريد قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا

أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]

وقولها: وزادك رفعة: تريد قول الشاعر:

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وقولها: لقد عدلت فأقسطت: تريد قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا

لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] .

ثم استقرها فأقرت .

فقال: وما ذنبي إليك .

قالت: قتلت رجالي، وأخذت أموالى .

فقال: ممن أنت؟

قالت: من بنى برمك .

فقال: أما الرجال ففاتوا، وأما المال فيأتيك، ورده إليها.

وسأل أحد الظرفاء امرأة ملفوفة في بكساء فقال: من أنت؟

قالت: أنا السادس فى السابع تريد قول ابن سكرة^(١) :

جاء الشتاء وعندى من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجتنا حيسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا مع الكباب وكس ناعم وكسا^(٢)

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الكن: البيت. الطلا: الخمر. انظر: القاموس المحيط، مادة [كنن]، [طلا].

ومثله ما حكاه ابن الجوزي^(١) قال: التقى رجل وامرأة على جسر بغداد، فقال الرجل: رحم الله ابن الجهم.

فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعري، وافتقرا، فتبعها رجل فقال لها: أقسمت عليك إلا أما أخبرتني ما أراد وأردت فقالت: أراد بابن الجهم قوله: عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري وأردت بأبي العلاء قوله:

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومن دقيق الإشارات: أن المتنبي مدح بعض أعداء مَلِكِهِ فغضب عليه، وهم أن يفتك به فهرب، فأمر الملك بعد مدة كاتبه أن يلطف له القول ليأتي فيخدعه وكان الكاتب يحب المتنبي ولم تسعه المخالفة فكتب في آخر الكتاب قد عفونا إن شاء الله وشدد النون فلما وقف عليه الرجل^(٢) أرسل إلى الكاتب الكتاب وقد زاد ألفاً بعد النون المشددة وهذه من ألطف الإشارات فإن الكاتب أراد بـ "إن" قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُتَمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠] وأراد المتنبي بزيادة الألف قوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ [المائدة: ٢٤]؟.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الرجل: المقصود به المتنبي.

ومما ينسج في هذا النمط ما سمته العرب بالملحن

قال العلامة السيوطي عن ابن دريد: إنه مشتق من اللحن يعنى الفطنة، وإن فائدتها التخلص من أنشطة التعسف مع الأمن من المؤاخذة عند الإلجاء .

قيل: أسر شخص من تميم عند بكر بن وائل أو سعد بن ضبيعة وعزموا على غزو، قومه، فطلب من يرسله إلى أهله لحاجة، فقالوا: ليكن بحضرتنا لئلا تنفرهم^(١).

قال : لكم ذلك . فجأؤوه بمولد ، فقال: أخاف أن يكون أحق. فقال الرسول: ما أنا أحق وإنى لمبلغ ما تقول، فقبض من الرمل قبضة.

فقال له: كم هذه؟

قال: لا أدري وإنما كثيرة.

فقال له: النيران أكبر أم الكواكب.

قال: الكواكب وكلٌّ كبير.

فأوماً إلى الشمس فقال: ما هذه؟

قال: الشمس.

فقال: إنك عاقل بلغ قومي التحية، وأن يكرموا الأسير فإن قومه يكرموننى، وأن يعرفوا ناقتى الحمراء فقد أطلوا ركوبها، ويركبوا جملى الأصهب، وقل لهم: قد أربى العرفج واشتكت النساء بآية ما أكلت معكم الحيس وأسألوا الحارث عن خبرى فلما وقفوا على الكلام قالوا قد جن الأعور بعدنا إذ لم نعرف له ناقة ولا جمل وصرفوا الرسول ودعوا الحارث فلما قصوا عليه القول قال أنذركم فقوله أكرموا الأسير يعنى استكثروا من الزاد ومن علف الدواب وتهيؤا للرحيل فإنهم عازمون على أن يدهموكم بخيل ورجل ، والرمل عدد القوم الذين يغزونكم

(١) تنفرهم : نفر الشيء وعلى الشيء وبالشيء : غلبه عليه . اللسان ، مادة [نفر] والمقصود لئلا يستفزه للقتال .

منهم وإن ذلك واضح كالشمس ، والناقة الحمراء الدهناء ، والجمل الأصهب الصمان يقول اعدلوا عن السهل إلى الجبل وأرسي العرفج ، يعنى لبس الرجال السلاح، واشتكت النساء؟ حملت الشكاء وهى قرب صغار يحمل فيها المسافرون الماء، والحيس كناية عن أخلاط الرجال ، فعملوا بقوله فنجوا.

ومن ذلك أمثلة ينتفع بها فى التورية عند الحاجة، كقولك: ما سألت فلاناً حاجة، ضرب من شجر شائك، ولا رأيتك؛ أى ضربت رئتك، ولا كلمته؛ أى جرحته، ولا أعلمته؛ أى شققت شفته العليا، ولا أخذت له شعيرة؛ أى رأس مسمار فضة، ولا ثوباً أى؛ قطعة من أقط، ولا كسرت له سناً؛ أى قطعة عشب، ولا ضرباً؛ أى قطعة من المطر، ولا لبست له جبة؛ شئ يستر به السنان، ولا أخذت له حماراً ولا أتاناً؛ صخرتان معروفتان، ولا عنزة؛ أكمة سوداء، ولا دجاجة؛ كبة من غزل؛ ولا فروجا، مدرعة، ولا جحشة؛ صوف كالحلقة، ولا ظلمته؛ أى ماسقيته لبناً، ولا جلست له على حصير؛ لحمة فى جنب الفرس، ولا أخذت له جراباً؛ ما حول البئر، ولا بيضة يعنى الخوذة، ولا فرخاً؛ هامة الدماغ، ولا فروة؛ جلدة الرأس، ولا إبرة؛ عظم المرفق، ولا فأساً؛ عظم القفا، ولا كتبت؛ جمعت، ولا لى هنا خط؛ سيف البحر، ولا وطئت له أرضاً؛ باطن حافر الفرس، ولا لعبت؛ سال لعابى، ولا رويت الحديث؛ شدته بالرواء وهو الجبل، ولا رأيت بطناً ولا فخذاً؛ قبائل، ولا ساقاً؛ ذكر الحمام، ولا رجلاً؛ قطعة الجراد، ولا وجهها؛ أى قصداً، ولا أبصرته؛ أى رأيت قشراً على الجلد.



الخاتمة

تشتمل على لطائف متفرقة تروق بها بالمسامع وتزين بها المجامع.
 حكى ولد الفرزدق، قال: اجتمع أبى وجميل وجرير وكثير ونصيب^(١)
 بالموسم، فقال بعضهم لبعض: لا تجتمعوا مثل هذه، فهلّموا نفعل شيئاً نذكر به
 فى الزمان.
 فقال جرير: هل لكم أن نسلم على سكينه بنت الحسين^(٢) فلعلها أن تكون
 سبباً لما أردتم.

فقالوا: نعم الرأى، وانطلقوا، فطرقوا الباب، فخرجت جارية ظريفة فبلغها
 كل السلام، فدخلت ثم عادت، فقالت: أيكم القائل:

سرت الهموم فبتن غير نيام	وأخو الهموم يروم كل مرام
درست معالمها الرواسم بعدنا	وسجال كل مجلجل سجام ^(٣)
ذم المنازل بعد منزلة اللوى	والعيش بعد أولئك الأيام
طرتك صائدة القلوب وليس ذا	حين الزيارة فارجمى بسلام
يجرى السواك على أغر كأنه	برد تحدر من متون غمام ^(٤)
لو كنت صادقة بما حدثنا	لوصلت ذاك وكان غير تمام

قال جرير: أنا قلته.

قالت: فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم، لا ستر الله
 عليك كما هتكت سترك وسترها، ما أنت بكلف ولا شريف حين رددتها وقد

(١) نصيب، هو: ابن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر، فحل، مقدم فى
 النسب والمدائح. كان عبداً أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة، وأنشد أبياتاً بين يدي عبد
 العزيز بن مروان، فاشتراه، وأعتقه. توفى سنة (١٠٨هـ). انظر: الأغاني (٣٢٤/١)، الشعر
 والشعراء (١٥٣)، الأعلام (٢١/٨).

(٢) تقدمت ترجمتها.

(٣) المجلجل: السحاب الراعد، المطبق بالمطر. سجام: إذا سال وانصب بشدة انظر: لسان العرب،
 مادة [جلجل]، [سجم].

(٤) متون: إذا صلب واشتد. انظر: القاموس المحيط، مادة [متن].

تجشمت إليك هول الليل، هلا قلت :

طرقك صائدة القلوب فمرحبا نفسي فذاك فادخلي بسلام

خذ هذه الخمسائة درهم فاستعن بها في سفرك، ثم انصرفت إلى مولاتها وقد
أفحمتنا وكل من الباقيين يتوقع ما ينجله، ثم خرجت، فقالت: أيكم القائل :
الا حبذا البيت الذي أنا هاجره فلا أنا ناسيه ولا أنا ذاكره
فبورك من بيت وطال نعيمه ولا زال مغشياً وخلد عامره
هو البيت بيت الطول والفضل دائماً واسعد ربي جد من هو حاذره
به كل موشى الذراعين يرتعى أصول الخزامى ما ينفر طائره
هما دلياني من ثمانين قامة كما أنقض باز أقمم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالت أحى يرجى أم قيل نحاذره
فأصبحت في أهلي وأصبح قصرها مغلقة أبوابه ودساكره^(١)
قال أبي، يعني الفرزدق: أنا قلته.

فقالت: ما وفقت ولا أصبت، أما أيسر بتعريضك من عودة صدق محمودة،
خذ هذه الستمائة درهم فاستعن بها، ثم انصرفت إلى مولاتها ثم عادت، فقالت:
أيكم القائل :

فلولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب: أنا قلته.

فقالت: أغزلت وأحسننت، وكرمت إلا أنك صبوت إلى الصغار وتركت
الناهضات باحمالها، خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها، ثم انصرفت إلى
مولاتها، ثم عادت فقالت: أيكم القائل :

وأعجبنى يا عز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع
دنوك جثى يذكر الجاهل الصبا ومدك أسباب الهوى حين يطمع^(٢)

(١) دساكر، مفردة دسكرة: وهو بيت كالقصر. انظر: لسان العرب، مادة [دسك].

(٢) جثى: إذا جلس على ركبتيه. انظر: القاموس المحيط، مادة [جثا].

وانك لا تدري غريمًا مطلقه
وانك إن واصلت أعلمت بالذي
أيشتهد أن لاقاك أو يتضرع
لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع
قال كثير: أنا قتلته.

قالت: أغزلت وأحسنت، ونخذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها، ثم انصرفت
إلى مولاتها ثم خرجت، فقالت: أيكم القائل :

لكل حديث بينهن بشاشة
يقولون جاهد يا جميل بغزوة
وأفضل أيامي وأفضل مشهدي
فقال جميل: أنا قتلته.

قالت: أغزلت وأحسنت وكرمت وعففت، ادخل، فلما دخلت سلمت،
فقالت سكينه: أنت الذي جعلت قتلنا شهيداً، وحديثنا بشاشة، وأفضل أيامك
يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك إلى قبيح، خذ هذه الألف درهم وابسط لنا
العدر أنت أشعرهم . وهذه الحكاية هي التي سبقت الإشارة إليها في فصل
الخيال من الباب الخامس .

اجتمع كثير وجميل وعمر بن أبي ربيعة^(١) عند عبد الملك، فقال: أنشدوني
أرق بيت قلتم.

فأنشد جميل :

حلفت يمينا يا بثينة صادقاً
فلو أن جلدًا غير جلدك مسني
ولو أن راقى الموت يرقى جنازتي
وأنشد كثير :

فان كنت فيها كاذباً فعميت
وباشرنى دون الشعار شريت^(٢)
يمنطقها فى الناطقين حيت
طبى العدو لها فغير حالها

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الشعار: هو ما دون الدثار من اللباس، أى ما يلي شعر الجسد. شريت: من شرى الرجل، إذا
غضب. انظر: لسان العرب، مادة [شعر]، [شرى].

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى
وسعى إلى بصرم عزة نسوة
وأنشد ابن أبي ربيعة :

ألا ليت قبرى يوم تقضى منيتى
وليت طهورى كان ريقك كله
ألا ليت أم الفضل كانت قرينتى
هنا أو هنا فى جنة أو جهنم

فقال: اعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم.

وسمع الحسن جارية تنشد وهى طائفة بالبيت :

لا يقبل الله من معشوقة عملاً
وليس يأجرها فى قتل عاشقها
فقال لها: أفى هذا المكان يقال هذا؟
قالت: أليس ظريفاً.

قال: بلى.

قالت: هل تروى الشعر.

قال: نعم.

قالت: أما سمعت قولهم :

بيض غرائر ما همهن بريبة
يحسبن من لين الكلام زوانيا
كظباء مكة صيدهن حرام
ويصدهن عن الخنا الإسلام^(١)
واستحضر الرشيد الرقاشى^(٢) ومصعباً^(٣) وأبا نواس^(٤)، فقال أجزوا كلام

(١) الخنا: الفحش فى الكلام. انظر: القاموس المحيط، مادة [خنا].

(٢) الرقاشى، هو: الفضل بن عبد الصمد بن الفضل، البصرى، أبو العباس، شاعر مجيد، من أهل البصرة، فارسى الأصل. انتقل إلى بغداد، ومدح الخلفاء، وكانت بينه وبين أبى نواس

مهاجاة. توفى سنة (٢٠٠هـ). انظر: تاريخ بغداد (٣٤٥/١٢)، الأعلام (١٥٠/٥).

(٣) مصعب، هو: ابن الحسين البصرى، أبو الحسن، المعروف بمصعب الماجن. من أهل البصرة،

شاعر وراقاً. توفى سنة (٢٥٠هـ) انظر: الأعلام (٢٤٧/٧).

(٤) تقدمت ترجمته.

الليل يحويه النهار البيت الذي قالته الجارية التي لقيها بعد غضبه عليها، فسألها
الوصل، فوعدهته إلى وقت فلما جاء أنشدته المصراع المذكور، فقال الرقاشي
ومصعب أبياتاً لم تناسب المقام، وأنشد أبو نواس :

وليلة أقلت في القصر سكرى ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الردا عن منكبها من التخميش والنحل الازار
وهز الريح اردافنا ثقالاً وغصناً فيه رمان صفار
فقلت الوعد سيدتي فقالت كلام الليل يحويه النهار

فقال له: كأنك كنت حاضرًا معنا وأمر له بعشرة آلاف درهم ولكل من
الآخرين بخمسة و أرق الرشيد ليلة، فقام يمشى في المقاصير، فرأى جارية لطيفة
الشكل بديعة المنظر فأيقظها فقالت وقد علمت به :يا أمين الله ما هذا الخبر.

فقال :

هو ضيف طارق حكيم يرتجى المأوى إلى وقت السحر
فقالت :

بسرور سيدي اخدمه إن رضى بي وبسمعي والبصر
فلما أصبح، أحضر أبا نواس، وقال له: أجز يا أمين الله ما هذا الخبر.
فأنشد :

طال ليلي حين وافاني السهر فتفكرت فأحسننت الفكر
قمت أمشي في مكاني ساعة ثم أخرى في مقاصير الحجر
وإذا وجهه جميل حسن زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موقظاً فرنت نحوى ومدت لي البصر
وأشارت وهي لي قائللة يا أمين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق حكيم يرتجى المأوى إلى وقت السحر
فأجابت بسرور سيدي أخدم الضيف بسمعي والبصر

فقال له: أكنت معنا؟

قال: لا ، ولكن أجانى الشعر إلى ذلك، فأحسن صلته .

فصل

في النوادر والحكم الفادرة

قال إسحاق^(١) : غنيت الرشيد ليلة حتى نام، فجلست أنتظر انتباهه والعود في يدي وإذا بشاب على أجمال ما يكون من الهيات قد دخل على فأصلح العود بعد ما شرب وأنشد :

الا غنيا لي قبل أن نتفرقا وهات اسقني صرفا شرابا مروقا

فقد كاد ضوء الصبح أن يفضح . وكاد قميص الليل أن يتمزقا

ثم قال: هكذا غنى الخلفاء، وغاب وقد ذهب عقلي من حسن غنائه، فلما أفاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيتها الصوت، فأحسن صلتى وقال: ليته متعنا بغنائه ولم يرنا شخصه.

قال إسحاق: فذكرت بهذه ما حكاها لي أبي أنه استوهب الخليفة يوماً يخلو به مع أهله، فوهبه السبت لأنه كان يستثقله، فخلا إبراهيم يوماً وقد زين بيته وحرمه وأتقن طعاماً وشراباً وأوصى بحفظ الأبواب خوفاً من أحد يدخل، فبينما هو جالس على أحسن ما يكون إذا بشيخ عليه قلنسوة وثياب ناعمة وبيده عكازه وقد عبقت رائحة الطيب منه، فسلم بلطف ثم جلس.

قال إبراهيم^(٢): فكدت أقضى فروضت نفسي فذاكرني الأدب وأيام العرب حتى ظننت أن غلماني حبوني به لما رأوا من ظرفه، ثم قال بعد ما أوى من الطعام وأخذ شيئاً من الشراب: هل لك أن تغني شيئاً مما ألفت به فتشجمت المشقة

(١) إسحاق، هو: ابن إبراهيم بن ميمون التميمي، الموصلية، أبو محمد، من أشهر ندماء الخلفاء. تفرد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى، راوية للشعر، حافظ للأخبار. من تصانيفه: كتاب أغانيه، أغاني معبد، أخبار عزة الميلاء. توفي سنة (٢٣٥هـ) انظر: الأغاني (٢٦٨/٥)، وفيات الأعيان (٦٥/١)، الأعلام (٩٢/١).

(٢) إبراهيم، هو: ابن ماهان، أو ميمون، بن بهمن، الموصلية، التميمي، أبو إسحاق. أوحى زمانه في الغناء واختراع الألحان، شاعراً، من ندماء الخلفاء، فارسي الأصل. توفي سنة (١٨٨هـ). انظر: الأغاني (١٥٤/٥)، تاريخ بغداد (١٧٥/٦)، الأعلام (٥٨/١).

المشقة وغنيت، فقال: أحسنت يا إبراهيم، فزاد غضبي ثم استأذني في الغناء، فأذنت له متعجباً من تجرئه بحضرتي فأصلح العود وأنشد:

ولي كبد مقروحة من يبعني بها كبدًا ليست بذات قروح
أبأها على الناس أن يشرونها ومن يشري ذا علة بصحيح
أئن من الشوق الذي في جواحي أنين غصيص بالشراب جريح
ثم غير الصوت وغنى :

إلا يا حمامات اللوى عدن عودة فإني إلى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدت يمتني وكدت بأسراري هن أبين
دعون برداد الهدير كأنما شربن هميًا أو بهن جنون
فلم ترعيني مثلهن هائمًا بكين ولم تدمع هن عيون

فوالله ما سمعت بأحسن منه ولقد خلت أن العود والجدار ينطلقان معه ثم غاب، فخرجت مغضباً وسألت عن الشيخ، فقالوا: نعيذك بالله لم يدخل أحد، فرجعت وإذا بهاتف من جانب البيت يقول: لا بأس عليك ما كان ضيفك إلا إبليس، فركبت إلى الرشيد فحدثته بالقصة وأخبرته أن الشيخ أخبرني أني أحكمت الغناء وغنيته كما سمعت فأحسن صلتى.

وحكى عنه في الأصل أيضاً وفي غيره عن ولده إسحق، قال: أصبحت في يوم مطير أيقنت فيه أن لا يأتيني أحد، فصنعت لنفسى ما شئت من طعام وشراب وجلست في سرور حتى ولي النهار فذكرت جارية أهواها، فقلت: لو كانت عندي لكمل سروري، فما أكملت القول حتى جاءني غلام، فقال: فلانة بالباب، فوثبت لم أملك نفسي فإذا بغرس التمني قد أثمر، فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ما عليها وألبستها بدلة تليق بها، وجئت بماء ساخن وغسلت رجليها بيدي، وقلت: ما الذي جاء بك في هذا الوقت.

قالت: جاءني رسولك مرتين يخبرني أنك تشكو الحرقه، فكرهت أن أقول ما أرسلت أحداً، فجلست وأخذت العود فغنيت :

توسدها كفى وبت ضجيعها وقلت لليلي طل فقد رقد الفجر
بوجه إذا ما غاب عنى حكاها لي وإن لم يكن في حسن صورته البدر
فلما أضاء الصبح فرق بيننا فلها نعيم لا يكدره الدهر

فبينما نحن كذلك دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا، فقالت: هذا رسولك إليّ، فأنكرت إذ لم أعرفه وعجبت من دخوله لأن المفاتيح عندي، هكذا في الأصل، وفي غيره أن الجارية حين استقر بها الجلوس، قالت: أريد من يغني.
قال إسحق: أنا.

قالت: لا أنت ولا أنا ولكن اخرج فالتمس لنا أحداً، فخرجت طاعة لها، فإذا أنا بشيخ أعمى وهو يقول: لا جزى الله من كنت عندهم خيراً إن غنيت لم يسمعوني وإن سكت استخفوا بي، فقلت له: هل تكون عندنا ليلتك.
فقال: خذ بيدي إن شئت، فلما دخلنا؛ قال لي: غنّ، فحين غنيت.
قال: قاربت أن تكون مغنياً، فكدت أن أموت، ثم سألت الجارية فغنيت.
فقال: ما جئت بشيء. فقالت: هذا ما عندنا، فهات ما عندك، فطلب عوداً جديداً فأصلحه وكانت الجارية حين طرق الباب قالت:
أيدخل محبوب على الباب واقف

فأنشد الشيخ:

سرى يجبط الظلماء والليل عاكف حبيب بأوقات الزيارة عارف
وما راعنى إلا السلام وقولها أيدخل محبوب على الباب واقف
فحين سمعت ذلك الجارية، قالت: قد ضاق صدرك بكلمة؛ فلم أزل أترضاها
وأحلف أنى لم أقل وأتقرب إليها بالتقبيل ودغدغة الثديين حتى ضحكت، فغنى
الشيخ:

ألا ربما زرت الملامح وطالما لمسكت بكفى البنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم أزل أعضض تفاح الحدود المكتبا
فقلت لها: أنا أعلمته بذلك، فإطمأنت، ثم قام إلى الخلاء وأبطأ، فطلبناه فلم
نجده، فعلمت أنه أبو مرة^(١)، فتمثلت بقول أبي نواس:
عجبت من إبليس فى كبره وخبث ما أظهر من نيته
أبى على آدم فى سجدة وصار قواداً لذريته
قال بعض الأدباء:

كان أبو نواس أول من فتح هذا الباب على إبليس فكثرت فيه الأقوال من الشعراء.

(١) أبو مرة: كنية إبليس لعنه الله.

فصل لطيفة ووصية

قال بعض الحكماء لولده، ونقله في الإحياء: لا تتزوج حنانة: يعنى إلى ولدها الذى من الزوج السابق، ولا منانة: يعنى ذات المال تعطى الزوج شيئاً ثم تمن به عليه، ولا أنانة: يعنى على زوجها الأول.

وعليها نقل في تحفة العروس: أن الغدور بنت قيس بن خالد لما تزوج بها عمرو بن الجون بعد لقيط بن زرارة لم تنزل تظهر الأسف على لقيط، فحنق عمرو وقال لها: ويلك إنه لم يجيء من بعض عبيدى فصفى لى بعض ما رأيت من حسنه، قالت: تطيب يوماً وجلس يتناول الشراب ولم يوقظنى شفقة حتى انتبهت فأركبني وخرج إلى الصيد والزهو فلاحت غابة فيها أسدان فشد حتى قتل واحداً ورجع إلى فضمنى ضمة وددت لو مت فيها، ففعل عمرو ذلك وضمها، قال: أين أنا من لقيط. فقالت: ماء ولا كصداء^(١) ومرعى ولا كالسعدان^(٢)، وهو مثل سبق تقريره .

وعن بعضهم: كن فوق المرأة بالسن والمال والحسب وإلا احتقرتك، ولتكن هى فوقك بالصبر والجمال والآداب وإلا احتقرتها .

عجيبه:

قيل: أعظم الولائم الإسلامية اثنتان:

إحداهما: وليمة زفاف الرشيد على زبيدة^(٣) كانت الهبات فيها غير محصورة حتى أنهم كانوا يهبون أوانى الذهب مملوءة بالفضة وأوانى الفضة مملوءة بالدنانير ونوافج^(٤) المسك وقطع العنبر، جلبت فى درع من الدر لم يقدر أحد على تقويمه، وضبط ما خرج فكان خمسة وخمسين ألف ألف.

(١) الصداء: العطش الشديد. انظر: القاموس المحيط، مادة [صدى].

(٢) السعدان: نبات له شوك، وهو من أفضل ما ترعاه الإبل. انظر: القاموس المحيط، مادة [سعد].

(٣) زبيدة، هى: بنت جعفر بن المنصور، سيدة جليلة ذات يد طولى فى العلم والأدب والحضارة. وهى زوج الرشيد، وأم المأمون. توفيت سنة (٢١٦هـ). انظر: تاريخ بغداد، تاريخ الطبرى، أعلام النساء (١٧/٢).

(٤) نوافج المسك، مفرد نافجة: وعاء المسك. انظر: لسان العرب، مادة [نفج].

وثانيتها: وليمة بوران^(١) على المأمون، فرش فيها حصير منسوج بالذهب ونثر عليها من اللآلئ ما أغنى خلقاً كثيراً.

قال شارح المقامات: تقرر ما خرج من بيت المال فكان أربعين ألف ألف. وقال غيره: عن زبيدة سبعة وثلاثين وأوقد فيها شمعة من العنبر زنتها ثمانون رطلاً وكتب رقاعاً بأسماء ضيع ورساتيق^(٢) وصلات وجعلها في بنادق^(٣) المسك في النثار^(٤) فكان الذي يلتقط شيئاً منها يجلس عليه وقيل كان الحطب الذي أوقد فيها قد نقل بأربعة آلاف بغل أربعة أشهر فلم يكف حتى أوقد الكتان .

فائدة:

في الحديث الشريف عن النبي «ثلاث من العجز في الرجل: أن يلقى من يجب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه، وأن يكرمه أخوه فيرد عليه كرامته، وأن يقارب المرأة فيصيبها قبل أن يحادثها ويؤانسها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه».

وبهذا وافقت الحكمة السنة، فإن أبقراط^(٥) يقول: أكثر آفات قلة الولادة من عدم الموافقة فمن لم يدركها بالمعرفة فعليه بالملاعبة . ويكره الجماع في المحاق^(٦) وأول الشهر ما عدا رمضان، قيل: وليلة النصف .

لطيفة ووصية :

قال بعض الحكماء: خير النساء ما عفت وكفت ورضيت باليسير و أكثر التزين ولم تظهره لسوى زوجها.

(١) بوران، هي: بنت الحسن بن سهل، زوج المأمون، من أكمل النساء أدباً وأخلاقاً. توفيت سنة (٢٧١هـ). انظر: تاريخ ابن خلكان، تاريخ الطبرى، أعلام النساء (١/١٥٩).

(٢) رساتيق: الرستاق البيوك المجتمعة . انظر لسان العرب، مادة [رستق] .

(٣) بنادق، مفردة بندقة: هو كل ما يرمى به من رصاص أو غيره. انظر: لسان العرب، مادة [بندق].

(٤) النثار، من نثر، وهو ما تناثر مما نثر. انظر: لسان العرب، مادة [نثر].

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) المحاق : آخر الشهر إذا مُحق الهلال فلم ير، انظر: لسان العرب، مادة [محق] .

وخير الرجال الذى لم يكل المرأة إلى طلب شىء ولم يعصها فى الخلوة ولم يطعها فى شهوة .

قال بعض من شرح هذا الكلام: المراد بعفت: يعنى حصنت الزوج من حسنها أن يطمح إلى غيرها، وكفت لسانها عن الأذى، وبالتزین مطلق التلطف ولو بالكلام المضحك المطفئ للغضب، فإن غاية النساء السكون إليهن من الوصب، وبقوله لم يطعها فى الشهوة: يعنى المفضية إلى تبذرها كالخروج ورفع الصوت لا فيما تشتهيه من مأكّل وملبس فإن قطع ذلك عنها إعانة لها على الفساد.

وزاد بعضهم: أن لا يذكر الرجل محاسن المرأة لأحد فإن ذلك يؤول إلى نزعها منه . وعلى ذكر التحبب ولو بالكلام.

نقل ابن الجوزى عن بعضهم قال: قلت لجاريتى: ألا تلبسين الحلى، قالت: لا، لأنه يستر المحاسن كما يستر القبائح، وقلت لها: اجلسى بنا فى القمر، فقالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر وكسفت الشمس يوماً فقالت: ما كسفت إلا حياء منى .

لطيفة :

اللذات أربع: لذة ساعة وهى الجماع، ولذة يوم وهى الحمام، ولذة جمعة وهو النورة^(١)، ولذة حول وهى تزويج البكر .

نادرة :

جاءت امرأة إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل، وكررت ذلك وعمر يقول كل مرة: جزاك الله خيراً من مثنية على بعلها، فقال كعب: إنها يا أمير المؤمنين تطلبه بحق الفراش، فقال: حيث فهمت ذلك، فاقض بينهما، فأحضر الزوج وقال: إن امرأتك تشكو، فقال: لم أقصر فى شىء.

(١) النورة: الحجر الذى يحرق ويسوى منه الكس ويحلق به شعر العانة . انظر :

القاموس المحيط، مادة [نور] .

فأنشدت :

يا أيها القاضي الحكيم رشده
نهارة وليله ما يريد
زهده في مضجعي تعبده
أهلي خليلي عن فراشي مسجده
فلست في حكم النساء أحمده
فاقض القضايا كعب لا تردده

فقال زوجها :

زهدني في فرشها وفي الحجل
في سورة النمل وفي السبع الطول
اني امرؤ وأذهلني ما قد نزل^(١)
وفي كتاب الله تخويف جلال

فقال كعب:

إن لها حقاً عليك يا رجل
قضية من ربنا عز وجل
فإن خير القاضيين من عدل
ثم قال له: الله قد أحل لك أربع نساء، فاجعل لها ليلة من أربع؛ فقال
عمر : لا أدري أعجب من حلمك أم من فهمك، وولاه البصرة .

وصية:

قيل: كانت العرب توصي بناتها بما يوجب الألفة، فتقول للواحدة: كوني له
أرضاً يكن لك سماء، وكوني مهاداً يكن عماداً، وأمة يكن عبداً، وفراشاً يكن
معاشاً، ولا تقربى فيملك، ولا تبعدى فينسأك، ولا تعاصيه شهوته، وعليك
بالنظافة، ولا يرى منك إلا حسناً، ولا يشم إلا طيباً، ولا يسمع إلا ما يرضى
ولا تفشى سره فتسقطى من عينه، ولا تفرحى إذا غضب ولا تغضبى إذا فرح .

لطيفة:

قال أبو العلاء^(٢) أغزل بيت قول الأعشى^(٣) :

غراء فرعاء مصقول عوارضها
تمشى الهويينا كما يمشى الونى الرجل^(٤)

(١) الحجل، هو: ستر يضرب للعروس في جوف البيت . انظر: لسان العرب، مادة [حجل].

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الأعشى، هو: ميمون بن قيس بن جندل بن شرحبيل بن عوف بن سعد، الأعشى، أبو نصر.
من شعراء الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، ولد في قرية منفوخة باليمامة، ومدح الملوك،
وخاصة ملوك فارس. من آثاره: ديوان شعر. توفي سنة (٧هـ). انظر: الأغاني (١٠٨/٩)،
معجم الشعراء (٤٠١/١٢)، معجم المؤلفين (٩٤٩/٣) .

(٤) فرعاء: كثيرة الشعر. عوارض: مفردة العارض: وهو السن الذي يبدو من الفم انظر: لسان
العرب، مادة [فرع]، [عرض].

وأشجع بيت قوله :

قالوا الطعان فقلت الكل عادتنا أو تنزلون فأننا معشر نزل

أخرى:

قيل: تزوج اليزيد بن عبد الملك بالحرباء فحين زفت إليه، دخلت القهرمانة لتصلح من شأنها فلطمتها وأسالت دمها، فقالت له: أترسلنى إلى مجنونة، فدخل عليها .

فقال: لأى شىء فعلت بالمرأة ما فعلت؟

قالت: أحببت أن لا ينظرنى غيرك فإن رأيت حسناً كنت أول من نشره أو قبيحاً كنت أول من ستره، فعظمت عنده .

نادرة:

قيل: جلس المنصور فى قصره وقت ظهيرة، فأشرف على رجل يتردد فى الطريق وعليه أمانة الكرب، فأحضره وسأله عن حاله، فقال: يا أمير المؤمنين أنا تاجر أملك ألف دينار وقد أحضرتها بالأمس إلى زوجتى وطلبتها اليوم فلم تجدها.

فقال: هل تعلم على امرأتك شيئاً.

قال: لا ، فاستدعى الخليفة بقارورة طيب كان يصنع له بالخصوص فدفعها إلى الرجل وقال له: اجعلها عند زوجتك وأعلمها أنى حبوتك بها وعاونى ففعل، وأمر المنصور حراس الأبواب أن يأتوه بمن يشمون منه رائحة هذا الطيب، فما كان بأقرب من أن جاؤوه بشخص، فهدده وقال: لئن لم تأتنى بالألف دينار التى أخذتها من موضع كذا لأضربن عنقك، فجاء بها وأحضر الخليفة التاجر وقال له: هذا مالك .

قال: نعم، وقبل الأرض، فدفعه له، وحكمه فى زوجته .

فصل في المجون

قيل: حضرت سوق عكاظ امرأة بنحيين، أعنى ظرفين من عسل، فأتاها
خوات بن جبير وكان فاتكاً في الجاهلية فحل أحدهما وذاقه وأعادته فمسكته
بإحدى يديها، وفعل بالآخر كذلك ثم أمسك رجلها وقضى وطره، فحين فرغ
قالت: لا هنت .

قال: بل هنت.

وأنشد:

وشدت على النحين كفى ضينة واعجلتها والفتك من فعلاتي

وبهما ضرب المثل، فقالوا: أشغل من ذات النحين، و أظلم من خوات.

قال الأصمعي: بينما نحن بطريق مكة إذا بأعرابي يقول: من أحس بعيرا بعنقه

علاط، وبأنفه خزامة^(١) يتبعه بكرتان سمران عهد العاهد به عند البئر .

فقال جويرية على حوض: اغرب يا فاسق لا رد الله عليك ضالتك .

فقلنا: مالك ولمن ينشد ضالته.

قالت: إنما ينشد أميره ... قوله علاط بالمهملة: حبل يجعل في عنق البعير،

وسمران يريد اللون المعروف، ويحتمل أنه تشبيه سمراء يعنى الناقة، وحيء لابن

أبي مساحق بابن أخته وقد أحبل جارية فقال له: هبك ابتليت بالفاحشة فهلا عزلت.

فقال: جعلت فداءك، بلغني أن العزل مكروه.

فقال: وما بلغك أن الزنا حرام.

وكان بمكة رجل تجتمع الرجال والنساء عنده للفساد، فشكوه فنفاه الوالى إلى عرفات.

فقال لأصحابه يوماً: ما يمنعكم أن تأتوا إلى على العادة.

فقالوا: كيف لنا بذلك؟

فقال: حمار بدرهمين وقد صرتم إلى الأمن والنزهة.

(١) خزامة: خزام الدابة معروف وخزام الفرس أى شد خزاق. اللسان، مادة [خزق].

فقالوا: صدقت، وفعلوا، فعاد أمره أعظم، فرفعوه إلى الوالى.

فقال: ألم أنهك؟

فقال: أصلحك الله إنهم يكذبون علىّ.

فقالوا للوالى: اجمع حمير مكة وأرسلها فإن لم تأت بيته فنحن كاذبون عليه،

ففعل فمضوا إلى بيته فجرده ليضربه.

فقال: أو ضاربي أنت؟

قال: نعم.

فقال: افعل، فوالله ما بى إلا قول أهل العراق أن أهل مكة يحكمون بشهادة

الحمير، فضحك وخلقى سبيله.

وفى منازل الأحباب قال غلام: جئت حياً قد أزمعوا الرحيل وامرأة على

أحسن ما يكون من الحسن والهيئة والثياب قد تخلفت تهىء أمرها، فماجنتها يسيراً.

فقالت: أيما أحسن عارياً الرجل أم المرأة؟

فقلت: الرجل.

قالت: بل المرأة، وإن شئت علمت ذلك بأن أتجرد وأمشى إلى تلك الأكمة

وأعود وتعاهدنى إن تفعل كذلك، فعاهدتها وكنت حين بقل وجهى وأنا على

أجمل ما يكون، فتجردت عن محاسن تسر القلب وتملأ العين وتمشت كما

ذكرت، وعادت وسألتنى الوفاء، ففعلت فلم أمش المسافة حتى تدرعت ثيابى

واعتقلت سيفى واستوت على جملى ومضت فلم أجد حيلة إلا أخذ ثيابها

وجملها كذلك، فكنت أستحى أن ألحق القوم وهم يصرخون على حتى جاءت

جارية، فجذبت زمام البعير حتى أوصلتنى إليهم، فجاءت أمها فقالت: أى بنية

أتعبتنا فى هذه الليلة، وأدخلتنى، فلما عرفونى واستخبرونى عن القصة أخبرتهم

بها، فقالت لى أمها: إنها ذهبت إلى صاحب لها، وهذا وقت زفافها على رجل به

لوثة تعنى خبالاً فى عقله فهل لك أن تكون مكانها ساعة ولك عندى اليد

البيضاء، فأجبت إلى ذلك فحين دخلت عليه مانعته ساعة وأتت المرأة، فخرجت.

اشترى بعضهم عجلًا فكان كلما ركبهُ يصرعه وهو يحسبه مهرًا حتى نجمت
قرناه.

وفى الحلية عن الشافعي قال: قيل للحطيئة وقد حضرته الوفاة: بم توصى
للمساكين.

قال: بالمسألة.

قيل: في مالك.

قال: للذكور دون الإناث، فقالوا: ما قال الله هذا.

فقال: لكني أقوله، ثم احمولوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم.

وتزوج رجل اسمه حمار بامرأة من ولد ذارا فأعجب بها فأمرته بتغيير اسمه

فسمى نفسه بغلاً، فقالت: هو خير لكنك لم تخرج من الاصطبل بعد.

وأتى كفيف نخاسًا فقال له: اطلب لي حمارًا ليس بالصغير المحقر ولا الكبير

المشتهر، إن خلى الطريق تدفق وإن كثر الزحام ترفق لا يصادم بي السواري، ولا

يدخلني تحت البواري، إن أقلت علفه صبر، وإن أكثرته شكر، وإن ركبته هام،

وإن ركبته غيري نام.

فقال له النخاس: اصبر، فإن مسخ الله القاضي حمارًا قضيت حاجتك.

وشدد عمر بن عبد العزيز^(١) في النهي عن المعاصي كشرب الخمر، فقال

لصاحبي عسسه وخبره: إذا رأيتما سكران فأتيانى به، فطافا إلى آخر الليل، فإذا

هما بشيخ حسن الهيئة بهي المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول:

سقوني وقالوا ألا تغنى ولو سقوا جبال حنين ما سقوني لغنت

فقال له: أما تستحي وأنت بهذه الحالة.

فقال: ارفقاً بي فقد شربت مع إخوان أحداث فحين أخذ الشراب مني أخرجوني.

فقال صاحب العسس لصاحب الخبر: اكنم على وأنا أطلقه.

قال: قد فعلت.

فقال له: اذهب يا شيخ ولا تعد.

(١) تقدمت ترجمته.

قال: نعم وأنا تائب، فلما كان في الليلة الآتية رأياه كما ذكر وهو يغنى:

إنما هيـج البلى حين عرض السـفر جلا
فرمـاني وقـال لي كـن بعينـي مبتلى
ولقد قام لحظه لي على القلب بالقلبي

فقالا له: أين التوبة.

فقال: إن إخواني الذين ذكرتهم لكما البارحة عدوا علي وحلفوا ألا يخرجوني إلا إذا عمل بي الشراب، فغلب علي وعليهم، فخرجت، فأطلقاه، فلما كان الثالثة رأياه علي تلك الحالة وهو يغنى:

أرض عنى فطالما قد سخطت أنت ما زلت جافيا مذ عرفت
أنت ما زلت قاطعا لا وصولاً بل بهذا فدتك نفسى ألفت
ما كذا تفعل الكرام بنو الناس بأحبابهم فلم كنت أنت

فقالا له: هذه ثالثة ولا عفو.

فقال: أخطأتما.

قالا: ولم ذلك؟ قال رسول الله من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فإن تاب تاب الله عليه، فإن شربها الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، فإن تاب تاب الله عليه، فإن شربها الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، فإن تاب تاب الله عليه، فإن شربها الرابعة لم تقبل صلاة أربعين ليلة، فإن تاب لم يتب الله عليه وكان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار، فقالا له: اذهب، فلما كانت الرابعة، رأياه على الحكم وهو ينشد:

قد كنت أبكى وما حنت لهم أبل فما أقول إذا ما حمل الثقل
كأنى بك نضو الأحراك به تدعى وأنت عن الداعين مشتغل
فقلوبك بأيديهم هناك وقد سارت بأمالك المهربة الذلل
حتى إذا استياسوا من أن تجيبهم عضوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

فقالا له: لم يبق عفو.

فقال: افعل ما بدا لكما، فحملاه إلى عمر، فاستنكهه فوجد الرائحة، فحبسه حتى أفاق وجلده ثمانين، ثم قال له: لا تعد.

فقال: قد ظلمتني يا أمير المؤمنين لأنى عبد وقد جلدتني جلد الأحرار.

فقال: أخطأت إذ لم تعرفني، وغم عمر.

فقال له الشيخ: لا تحزن يا أمير المؤمنين، واجعل الأربعين سلفاً عندك، فضحك حتى استلقى على ظهره، ثم قال لصاحب العسس: إذا رأيت مثل هذا فارفعه إلى.

واجتمع قوم عند بصيص^(١)، جارية ابن نفيس، وكانت أعجوبة وقتها في الحسن والغناء يتمنى كل واحد رؤيتها ولو بذهاب نفسه، فتذاكروا بخل مزيد.

فقالت: أنا آخذ منه درهماً.

فقال مولاها: إن فعلت جعلتك حرة، وكسوتك ثوب وشى، وأولت لك يوماً بالعقيق.

فقالت: ارفع الغيرة.

فقال: ولو رفع رجلك لم أقل شيئاً، فخرج ابن مصعب فرآه فى مسجد المدينة.

فقال له: يا أبا إسحق أما تحب أن ترى بصيص جارية ابن نفيس؟

فقال: امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً على فيها، وإن لم أكن أسأله أن يرنيها منذ سنة فما يفعل.

فقلت له: اليوم إذا صليت العصر فوافنى ههنا.

قال امرأته طالق: إن برحت من ههنا حتى تجىء صلاة العصر.

قال: فتصرفت فى حوائجى حتى كان العصر، فدخلت المسجد فوجدته فيه، فأخذت بيده وأتيتهم به، فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا فأقبلت بصيص على مزيد، فقالت: يا أبا إسحق كأن نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة:

لقد حثوا الجمال ليهربوا منا فلم ينلوا

فقال: امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ، قال: فغنته، ثم

(١) بصيص، هى: مولدة من مولدات المدينة، كانت حلوة الوجه، حسنة الغناء، من الطبقة الأولى من المغنيين. انظر: الأغاني، أعلام النبلاء (١/١٣٣).

سكتت ساعة، وقالت: يا أبا إسحق كأن نفسك تشتهى أن تقوم فتجلس إلى
جانبي وتقرصني قرصات وأغنيك :

قالت وأبشتها وجدى فبحت به قد كنت عندى تحب السر فاستر
أست تبصر من حولى فقلت لها غطى هواك وما ألقى على بصرى
فقال: امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام، وما تكسب الأنفس
غدا، وبأى أرض تموت، فغنته.

ثم قالت: برح الخفاء أنا أعلم أنك تشتهى أن تقبلنى شوق البين وأغنيك
هزجاً :

أنا أبصرت بالليل غلاماً حسن السدل
كفصصن البنان قد أصبح مسقياً من الطل
فقال: أنت نبيه مرسله، فقبلها وغنته.

ثم قالت: يا أبا إسحق أرأيت أسقط من هؤلاء يدعونك ويخرجوننى إليك
ولا يشترون ریحاناً بدرهم ، فيا أبا إسحق هلم درهماً أشتريه ریحاناً، فوثب
وصاح: واحرباه أى زانية، أخطأت استك الحفرة، انقطع والله عنك الوحى
الذى كان يوحى إليك، وعطعت^(١) القوم وعلموا أن حيلتها لم تنفذ فيه، ثم
خرج ولم يعد إليهم وأعاد القوم مجلسهم فكان أكثر شغلهم فيه حديث مزيد
والضحك منه .

وحكى أبو يعقوب^(٢) قال: حضرت مجلس حماد عجرد ومعنا غلام جميل
فجعل يرمقه حتى حزر^(٣) المكان الذى ينام فيه فلما هجع الناس وقد اختلف

(١) عطعت: إذا تتابعت أصواتهم واختلطت. انظر: لسان العرب، مادة [عط].

(٢) حماد عجرد، هو: ابن عمر بن يونس بن كليب السوائى، المعروف بعجرد، أبو عمرو، شاعر،
من الموالى، من أهل الكوفة، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، خادم الوليد بن يزيد.
كانت بينه وبين بشار مهاجاة. قتل غيلة سنة (١٦١هـ) انظر: تاريخ بغداد (١٤٨/٨)، الشعر
والشعراء (٣٠٢)، الأعلام (٢٧٢/٢).

(٣) حزر: حزر الشئ يحزره حزار: قدوه بالحلس .

النوام فكنت موضع الغلام، قام حماد فذب على، فأخذت يده وجعلتها على عيني العوراء، فلما عرف ولي، وهو يقول: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ٢٧] وروى أن نصرانياً وجد مع مسلمة آخر يوم صومه، فأكره على الإسلام فأسلم، وضرب مائة سوط، وأخذ منه مائة دينار، وكان أول يوم من رمضان فصام مع الناس.

ف قيل له بعد أيام: كيف حالك.

فقال: كيف حال من صام خمسين. وأتبعها بثلاثين، وضرب مائة ووزن مائة، وخرج من ملة إلى أخرى، وزوج فاجرة.

وسأل رجل عالماً، فقال: أفطرت يوماً من رمضان سهواً.

قال: صم عوضه قال صمت عوضه وأتيت أهلي وعندهم طعام، فسبقتني يدي إليه فأكلت منه.

قال: تقضى يوماً آخر.

قال: قضيته وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة، فأكلت ساهياً، فما ترى؟

قال: أرى أن لا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك.

ودخل رجل على الشعبي وعنده امرأة.

فقال: أيكما الشعبي.

فقال: هذه.

واشترى جحاً يوماً دقيقاً وأعطاه لحمال فلما دخلوا في الزحام هرب الحمال بالدقيق فرآه جحاً بعد أيام فتواري منه، فقيل له: لم ذلك؟

فقال: أخاف أن يطالبني بالأجرة.

وقدم إلى أبي حازم القاضي^(١) سكران ليمتحنه، فقال له: من ربك.

فقال: أصلحك الله، ليس هذا من مسائل القضاة، إنما هو من مسائل منكر

ونكير، فضحك وخلي سبيله.

(١) أبو حازم القاضي، هو: سلمة بن دينار المخزومي، الأعرج. عالم المدينة وقاضيهما وشيخها.

فارسي الأصل، كان من العباد الزهاد، ذوى الحكمة والصلاح. توفى سنة (١٤٠هـ). انظر:

حلية الأولياء (٢٢٩/٣)، الأعلام (١١٣/٢).

وولى رجل تفرقة مال على العميان والأيتام والقواعد من النساء، فدخل عليه رجل ومعه ولده، فقال: أثبتنى فى القواعد .
فقال: ويلىك إنهن نساء لا أزواج لهن وأنت رجل.
فقال: أثبتنى فى العميان.

قال: صدقت فإن الله تعالى يقول ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] .
وقال: وأثبت ولدى أيضاً فى الأيتام.

فقال: أفعل ذلك لأن من أنت أبوه فهو يتيم.
دخل جحا على المهدي يوماً، فقال له: كم عيالك؟
قال: ثمانية، فأمر له بثمانية آلاف درهم، فأخذها وخرج، فلما بلغ الباب رجع، وقال: نسيت واحداً من عيالى.

قال: من هو؟

قال: أنا . فضحك المهدي وأمر له بمثل ذلك.
مر يهودى فى سوق وكان كاتباً، فصاح به صبي: يا عم قف حتى أصفعك.
فالتفت إليه وقال: أنا مستعجل اصفع أخى عنى.
وقال بعض السوقة: هذا النعل فى قفاك.
فقال له: إذا كان فى رجل أختك.

ومثل ذلك رجل، قال لامرأة فى يدها خف: ليته على كتفى .
فقالت: بشرط أن يكون فارغاً.

وقال رجل لآخر: إنى أعرف صناعة الفضة، وأريد أن أعلمك، ولكن أحتاج إلى ألف درهم للآلات، فأعطاه فمضى ولم يعد، فقيل له: قد خدعك وكذب عليك.

قال: لا، لأنه علمنى كيف صناعة الفضة أى أخذها، وكيفية الحيلة فإن شئت أن أفعل مثله فعلت .

فصل

في ذكر نبذة من لطائف

الأشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب

وفي غضون الحكايات قد سلكنا طريقتنا المعروفة من نحو حذف المكرر وانتفاء المستلطف .

قال بعض الأعراب :

سقيت الغواصي من حمام ومن شعب
اصاحت لخفض من غنائك أو نصب^(١)
يقم قلبي المحزون في منزل الراكب

ألا يا حمام الشعب شعب مؤنش
سقيت الغواصي رب خود خريدة
فان يرتحل صحبي بجثمان أعظمي

وقال ابن المرزبان^(٢) :

أخو زفرات والفؤاد كئيب
وقد مرضت من مقلتيك قلوب
ولكن بقاء العاشقين عجيب

لئن كنت لا أشكو هواك فإني
فان كان قلبي فيك يضني صباة
فما عجت موت المحبين في الهوى

وقال أبو عكرمة الضبي^(٣) :

وبالريح لم يسمع هن هبوب
ذكرتك لم تكتب على ذنوب
حديداً إذا ظل الحديد يذوب

فلو أن ما بي بالحصا قلق الحصا
ولو أننى استغفر الله كلما
ولو أن أنفاسي أصابت بجرها

وقال صاحب الأصل :

ملاح البرايا من غضيض وغضة
زمردة خضراء في وسط فضة

وروض أتيناها عشية أقبلت
حكى لونه والبيض محذقة به

(١) الخود: المرأة الشابة. أصاحت: إذا استمع له. خفض: الخفض من الغناء والكلام: اللين المنخفض الصوت. انظر: لسان العرب، مادة [خود]، [صخ]، [خفض].

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أبو عكرمة الضبي، هو: عامر بن عمران بن زياد الضبي، أبو عكرمة. لغوي، نحوي، راوية، من أهل سامراء، أخذ عن ابن الأعرابي. من آثاره: كتاب الخيل، الأمثال. توفي سنة (٢٥٠هـ). انظر: معجم الأدباء (٣٩/١٢)، الوافي (١٤١/١٤)، معجم المؤلفين (٢٨/٢)

وقال محمد بن وهيب^(١):

فدام لعيني ما حيتت اختلاجها
فأشربها ألا ودمعي مزاجها

إذا اختلجت عيني رأت من تجبه
وما ذقت كاساً مذ تعلقني الهوى

وقال صاحب الأصل:

وبنت الكرم واسطة العقود
فهل لك أن تكون من الشهود

أخا الكاسات إنى فى انتظام
وقد رمنا تزوجها ابن مزن

وله أيضاً:

على نيل مصر والسفين بنا تجرى
من الفضة البيضاء فى لجة البحر

ولما رأيت البدر ألقى شعاعه
تخيلته نسرًا يسير بسيرنا

وله أيضاً:

ونحن بوسط البحر فى النيل من مصر
قصور نضار والقصور بما تجرى

ولما رأيت الشمس عند طلوعها
تخيلت هاتيك القلوع وسفنها

ولبعضهم:

كلامًا تكلمنا بأعيننا شذراً
إلينا ونبدى ظاهراً بيننا هجرًا
تصافح أو ثغر أقر عنابه ثغراً^(٢)
من الضر والبلوى إذا قذفت جمرًا

إذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق
نصد إذا ما كاشح مال طرفه
فإن غفلوا عنا رأيت حدودنا
ولو قذفت أجسادنا ما تضمنت

وقال صاحب أصل الأصل:

أرى قومه لا يطلبون بشأره
أخا لوعة لم يستفق من حماره
لناه وعيناه وخط عذاره^(٣)
فيا ليته لم يحكه فى نفااره

لحى الله يوم البين كم مات عاشق
وعاذلة أضحت تلوم على الهوى
وأغيد فى جيش من الحسن يفتدى
حكى الظبي ظبي الرمل جيداً ومقله

(١) محمد بن وهيب، هو: الحميرى، أبو جعفر، شاعر، من شعراء الدولة العباسية. أصله من البصرة، عاش فى بغداد، وكان يتكسب من مدح الخلفاء، مدح المأمون والمعتصم، واختص بالحسن بن سهل، توفى سنة (٢٢٥هـ). انظر: الأغاني (١٤٢/١٧)، الأعلام (١٢٤/٧).
(٢) أقر: أقامه به وثبته فيه. انظر: لسان العرب، مادة [قر].
(٣) لماه: سمرة أو سواد يكون فى باطن الشفة، مستحسن. انظر: لسان العرب، مادة [لمى].

وقال أبو العلاء الرقى^(١):

أحبك يا سلمى على غير ريبة
فقد مات قلبي أول الحب فانقضى

وقال عبد الرحمن العقيلي:

هذي الحدود وهذه الحدق
لو أنهم عشقوا لما عدلوا
عنفوا على بلومهم سفهاً
ليس الفؤاد معى فأعلم ما
ما الحب إلا مسلك خطر
فليدن من بفؤاده يثق
لكنهم عدلوا وما عشقوا
لو جرعوا كأس الهوى رفقوا
قد نال منه الشوق والقلق
عسر النجاة وموطىء زلق

وقال أحمد بن يحيى:

إذا أنت رافقت الرجال فكن فتى
وكن مثل طعم الماء عذباً بارداً
كأنك مملوك لكل رفيق
على الكبد الحر لكل صديق

وقال صاحب أصل الأصل:

إذا كنت من أسر الهوى غير منفك
إلا قاتل الله الرقيب وموقفاً
وغرب غربان النوى حين بشرت
فيا ويح ذى العشاق أمست دماؤهم
فدع جسدى يضى ودع مقلتي تبكى
بكيها به والبين يفر بالضحك
نعيباً من البين المفرق بالوشك
تطل غراماً وهى هينة السفك

وقال بعضهم:

وما الحب إلا شعلة قدحت بها
ونار الهوى تخفى وفى القلب فعلها
عيون المها باللحظ بين الجوانح
كفعل الذى جادت به كف قاذح

(١) أبو العلاء الرقى، هو: ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيذار، الأسدي، أبو ثابت. شاعر غزل
مقدم. كان ضريباً. عاصر المهدي ومدحه، وكان من شعراء الرشيد. كان أغزل من أبي
نواس، ولكن لم يشتهر مثل غيره. توفي سنة (١٩٨هـ). انظر: الأغاني (٣٧/١٥)، الأعلام
(١٦/٣).

وقال آخر:

يقول أناس لو نعت لنا الهوى
فليس لشيء منه حد أحده
ووالله ما أذرى لهم كيف أنعت
وليس لشيء منه وقت مؤقت

وقال آخر:

لى فى محبته شهود أربع
فخفقان قلبى وارتعاد مفاصلى
وشهود كل قضية اثنان
وصفار لونى واعتقال لسانى

وقال آخر:

فسألها بإشارة عن حالها
فتفتت صعدا وقالت ما الهوى
وعلى فيها للوشاة عيون
إلا الهوان أزيل عنه لنون

وقال ذو النون المصرى^(١):

شوق أضرب بمهجة المشتاق
لعبت يد العبرات فى وجناته
و أنشد ابن دريد^(٢) وقد أورده فى الباب الثانى فى قصة رملة مستشهداً به
على الفرقة:

أقول لورقاوين فى فرع أيقة
وقد بسطت هذى لتلك جناحها
لينهكما أن لم تراعا بفرقة
فلم أر مثلى قطع الهجر قلبه
وقد طفل إلا مساء أوجنح العصر
ومر على هاتيك من هذه النحر
ولا دب فى تشتيت شملكما الدهر
على أنه يحكى قساوته الصخر

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ابن دريد، هو: محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي، البصرى، أبو بكر. شاعر، أديب، نسابة، لغوى، نحوى. رأى أهل زمانه فى العلم والأدب واللغة وأيام العرب وأشعارها أخذ العلم من أعلام العلم المشهورين. من تصانيفه: أى الاشتقاق، الأمالى، تقويم اللسان. توفى سنة (٣٢١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/١٠)، معجم الأدباء (١٢٧/١٨)، معجم المؤلفين (٢١٧/٣).

وقال آخر :

وروعة البين تأبى أن أمد يدا
من لم يمّت يوم بين لم يمّت أبداً

قالت ومدت يداً نحوى تودعنى
أميت أنت أم حى فقلت لها
وقال الشهاب محمود^(١) :

بى الدار من بعد الديار رجوع
يكون لها بعد المغيب طلوع
فؤاد إذا حان الفراق يطيع
تروق بكم أن النوى سرور

أحبابنا هل لى إليكم وقد نأت
وهل شمس هذا الأنس بعد فراقنا
وهل لى ولا الله ماذاك ممكن
وقد كنت أدرى والحياة شهية
وقال العباس بن الأحنف^(٢) :

مفرداً بيكى على شجته
زادت الأسقام فى بدنه
كلنا بيكى على سكنه

يا بعيد الدار عن وطنه
كلما جد النحيب به
شاقه ما شاقنى فبكى
وله ايضاً :

جرى وفاضت له من مقلتي غروب
يمر بواد أنت منه قريب
إليكم تلقى طيكم فيطيب
إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ
وما ذاك إلا حين أخبرت أنه
يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى
أيا ساكني أكناف دجلة كلكم
وقال الشريف الرضى^(٣) :

واعلاق وجدى باقيات كما هيا
فلا بد أن يلقى بشيراً وناعيًا

ومن حذرى لا أسأل الركب عنهم
ومن يسأل الركبان عن كل غائب

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الشريف الرضى، هو: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن على الموسوى، أبو الحسن، الشريف الرضى، عالم، أديب، شاعر، ولد ببغداد، وتولى نقابة الطالبين بها، من آثاره: ديوان شعر، طيف الخيال، الأثر النبوية. توفى سنة (٤٠٦ هـ) انظر: سير أعلام النبلاء (٦٤/١١)، معجم المؤلفين (٢٦٣/٣).

وقال آخر :

أيا ظبية الوادى التى سفكت دمي
لى أن أبث إليك ما ألقاه من
وقال أبو نواس^(٢) :

يا نظرة ساقى إلى ناظرى
من حسن ظبى حسن دله
فى البدر من صفحته لمحمة
مقاتل الأنفس من ثغره
وقال سعيد بن الدهان^(٣) :

قل للبخيلة بالسلام تورعًا
هل تسمحين ببذل أيسر نائل
وقال أبو الحسن السلامي^(٤) :

ظبى إذا لاح فى عشيرته
سهام الحاظه مفوقه
بدائع الحسن فيه مفترقه
قد كتب الحسن فوق عارضه
يطرق باهم قلب من طرقه
فلكل من رام وصله رشفة
وأنفس العاشقين متفقه
هذا مليح وحق من خلقه

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) سعيد بن الدهان، هو: ابن المبارك بن على بن عبد الله بن سعيد بن الفضل بن ظفر الأنصارى، البغدادي، المعروف بابن الدهان، تاج الدين، أبو محمد. نحوى، أديب، ناثر، ناظم. ولد ببغداد وسمع الحديث. من تصانيفه: ديوان شعر، ديوان رسائل، كتاب الأضداد، توفى سنة (٥٦٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٣/١٢)، معجم الأدباء (٢١٩/١١)، معجم المؤلفين (٨٦٨/١).

(٤) أبو الحسن السلامي، هو: عبد الله بن موسى بن الحسن بن إبراهيم السلامي، أبو الحسن. محدث، أديب، شاعر، مؤرخ، كثير الحفظ للحكايات والنوادر، رحل فى طلب العلم. من تصانيفه: نوادر الحكام، ديوان شعر. توفى سنة (٣٧٤هـ) انظر: تاريخ بغداد (١٤٨/١٠)، لسان الميزان (٣٦٨/٣) معجم المؤلفين (٣٠٢/٢).

وقال محمد بن موسى^(١) :

لذة النوم والرقاد جفون
سلطتها على القلوب العيون

يا جفونا سواهاً اعدمتها
إن لله فى العباد سهاماً

وقال الحسين بن الضحاك^(٢) :

وأخذك من مشموله بنصيب
وبذلة معشوق ونوم رقيب

ألا إنما الدنيا وصال حبيب
ولم أر فى الدنيا كخلوة عاشق

وقال آخر :

كانت عقوبته فى أفة النار
أو يستقر ومن يهواه فى النار

ليس المحب الذى يخشى العقاب ولو
بل أن المحب الذى لا شىء ينفعه

وقال آخر :

فما أنصفتنى فى المحبة منصف
وفى أصبعها أسمر اللون أهيف
ينال جسميات العلا وهو أعجف
يقوم تحريف العباد محرف

أرأنى منحت الحب من ليس يعرف
وزادت لدينا حظوة يوم أعرضت
أصم سمع ساكن متحرك
عجيب له انى ودهرك معجب

وقال بشار بن برد^(٣) :

يا قوم ما أعجب هذا الضرير
فقلت والدمع بعينى غزير
فإنها قد صورت فى الضمير

وكعاب قالت لأتراها
هل يعشق الإنسان ما لا يرى
إن كان عينى لا ترى وجهها

(١) محمد بن موسى، هو: ابن على بن عبد الصمد بن محمد بن عبد الله، المراكشى الأصل،
المكى، الشافعى، ويعرف بابن موسى، جمال الدين، أبو البركات. محدث مشارك فى الفقه
والحديث والأدب والبيان والعروض والمعانى. من آثاره: الأربعون فى الحديث، كتاب فى
تاريخ المدينة، توفى سنة (٨٢٣هـ). انظر: الضوء اللامع (٥٦/١٠)، الأعلام (٣٤١/٧)،
معجم المؤلفين (٧٤٣/٣).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

ابن أبي الدنيا^(١) :

إذا المرء لم ينصف أخاه ولم يكن
له غائباً يوماً كما هو شاهد
فلا خير فيه فالتمس غيره أخاً
كرماً على فضل الكريم يعاهد
وإن غبت يوماً أو حضرت فوجهه
على كل حال أينما كنت شاهد

(١) ابن أبي الدنيا، هو: عبد الله بن محمد بن عبيد، بن سفيان بن قيس القرشي، الأموي، البغدادي، المعروف بابن أبي الدنيا، محدث، حافظ، شارك في أنواع العلوم. من تصانيفه: الفرج بعد الشدة، مكارم الأخلاق، أخبار الخلفاء. توفي سنة (٢٨١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٩٣/٩)، تاريخ بغداد (٨٩/١٠)، معجم المؤلفين (٢٨٦/٢).

لطيفة وخاتمة :

تشتمل على لطائف ما نقش على الخواتم والتكك وغيرهما.

وجد على إكليل برأس جارية:

والله يا طرفى الجانى على كبدى
بالله تطمع أن أبكى أسى وجوى
ولعلى عود :

يا أيها الزاعم الذى زعما
لو أن ما بى بك الغداة لما
وعلى ميل^(٢) :

لو كان يدري ما الذى
وما ألقى من أليم الهوى
وعلى كأس :

الحمد لله على ما قضى
ما تحمل الأرض على ظهرها
فبينما يمشى على ممر
وعلى أترجة :

يا لك أترجة مطيبة
لو أن أترجة بكت لبكت
وعلى تكة^(٣) :

إن العيون التى فى طرفها حور
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به

(١) الوسن: ثقلة النوم. انظر: لسان العرب، مادة [وسن].

(٢) الميل: ما يجعل به الكحل فى العين. انظر: القاموس المحيط، مادة [ميل].

(٣) التكة: رباط السراويل. انظر: القاموس المحيط، مادة [تك].

وعلى خاتم :

قلبان في حد الهوى جمعا فارغم الله أنف من قطعنا

وعلى آخر :

تميت القيامة ليس إلا لألقى من هويت على الصراط

وعلى آخر:

الموت في الحب جميل.

ونقش ابن داود على خاتم سطرين، أحدهما ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢] والثاني ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨]. وكان يرمى به إلى من ينظر إلى حدث.

وكان سمنون^(١) يعارضه فيما يفعل، فقال له يوماً: أتعارض هذا؟

قال: نعم، وجاء بعد قليل، وقد نقش على خاتم سطرين، أحدهما ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠] وعلى الثاني ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم: ١٢] ومما ينخرط في هذا السلك ما يكتب على الكتب.

قيل: إن صاحب المصارع كتب على أول جزء منها :

هذا كتاب مصارع العشاق صرعتهم يوم النوى بفراق

وتطلب الراقى فعز الراقى

أسرى هوى أسوا من الأطلاق

وعلى الثاني :

مصارع العاشقين صرعتهم

تصنيف من صده تصونه

فهو يسر الهوى ويكتمه

وعلى الثالث :

مصارع العشاق مجموعة

فيها لمن يقرأها عبره

(١) سمنون، هو: ابن حمزة الخواص، أبو الحسن. من كبار مشايخ العراق، من العباد الناسكين، صوفى، زاهد. سكن العراق، وتوفى بها قبل الجنيد سنة (٢٩٠هـ). انظر: الحلية (٣٠٩/١٠)، الأعلام (١٤٠/٣)، تاريخ بغداد (٢٣٤/٩).

جمع عفيف الحب يطوى الهوى
غرامه ناء مقيم وإن
وعلى الرابع :

لو لم تكن تنشره العبره
أعدمه يوم النوى صبره

كتاب مصارع أهل الهوى
تكلف تصنيفه عاشق
أضل برمى اللوى قلبه
وعلى الخامس :

ومن فتكت فيه أيدي النوى
عفيف الضمائر جم الجوى
ناشد قلبه باللوى

مصارع قتلى من العاشقين
تكلف جمع أحاديثهم
سقاها الهوى صرف صهبائه
وعلى السادس :

ما لدمائهم طالب
عفيف هوى وجده غالب
فأصبح سكراناً الشارب^(١)

كتاب صرعى الهوى وقتلاه
تصنيف من كاد أن يشاركهم
فضم مما منوا به طرفاً
وعلى السابع :

ومن صحا منهم وسكره
لكن وقاه بفضل الله
يعجب قاريه حين يقراه

مصارع من جارت يد البين والنوى
دماؤهم مطلولة قد أباحها
تدرعت من نيل الهوى الصبر جنة
وعلى الثامن :

عليهم فأضحوا فى ديارهم صرعى
لأحبابهم شرع الهوى حبذا شرعاً^(٢)
فجاءت سهام منه أنفذت الدرعا

كتاب مصارع قوم سقوا
شكوا صرفها طالبين المزاج
جمعنا أحاديث صرعاهم

كؤس الهوى مترعات دهاقاً^(٣)
فشيت على الرغم منهم فراقاً
وسكراهم فيه لا من أفاقاً

(١) صهبائه، مفردة صهباء: الخمر. انظر: لسان العرب، مادة [صهب].

(٢) مطلولة: الدم المطلول: المهذور. انظر: القاموس المحيط، مادة [طلل].

(٣) مترعات: ممتلئة. انظر: القاموس المحيط، مادة [ترع].

وعلى التاسع :

تجرع من راح الهوى ما تجرعا
المشيب منيخاً والمفارق أقلعاً^(١)
مفارقة ينعى الشباب المودعا

مصارع أبناء الهوى جمع عاشق
فلما رأى الفودين قد حل فيها
وأضحى مصيخاً للنذير الذى علا

وعلى العاشر :

عليه صرفاً ليس فيها مزاج
مرضى ينادون الأمن علاج
فليته مما لقي اليوم ناج

كتاب من دارت كؤوس الهوى
فصرعتهم إذ حسوها فهم
تصنيف من شاركهم فى الهوى

وعلى الحادى عشر :

ضفت عليهم كل يجرها
ومما فاتته مكدرها
العين فى فيضهن تشورها

مصارع اللابسين قمص الهوى
تصنيف من ذاق من سلافته الصفو
يطوى أحاديث وجده ودموع

وعلى الثانى عشر :

أطاع الهوى وعصى العذلا
أعاد حلاوته حنظلاً
سلا العاشقون وما قد سلا

كتاب تضمن أخبار من
فلما تمكن من قلبه
تكلف تصنيفه عاشق

وعلى الثالث عشر :

كؤوس هوى ممزوجة بفراق
إلى حين شمل جامع وتلاقى
تجف له بعد الفراق أماقى

مصارع أقوام توالى عليهم
فمالوا سكارى ما لهم من إفاقة
فرق لهم مما لقوا عاشق أبت

وعلى الرابع عشر :

بظلم إليه النوى جندها
أفأويق لم نستطع ردها
به فجعات النوى حدها

كتاب مصارع جهزت
جمعناه لما سقينا الهوى
وسقنا أحاديث من جاوزت

(١) منيخاً: إذا سار سيراً سريعاً. انظر: القاموس المحيط، مادة [نخخ].

وعلى الخامس عشر :

من عرب ومن عجم
لقوا شكراً على النعم
مصنون غير متهم

كتاب مصارع العشاق
ليعتبر الخلقى بما
مصنفه عفيف هوى

وعلى السادس عشر :

رماه الهوى عن قوسه فأصاباه
فالف فيما قد لقوه كتاباً
أحاديث مثل الروض جيد سحاباً

مصارع أبناء الهوى كل عاشق
رثى لهم من خاف يلقي الذى لقو
وجمع من أخبارهم فى هواهم

وعلى السابع عشر :

مصارع قتلى من العاشقين
هواهم فمالوا به خاضعين
ب فيه وتلحى القلوب العيون

كتاب تضمن أبوابه
سقام سلافته مازجاً
غرام تلوم العيون القلوب

وعلى الثامن عشر :

مصارع من قتل الحب صبوا
من الحب أخلص لله شكراً
خبرناه ملنا من الحب سكرنا

كتاب جمعنا به عانين
إذا ما تصفحه سالم
جمعناه صاحين حتى إذا

وعلى التاسع عشر :

لعينيك ما كان من حالهم
وكيف تفانوا بأجالهم
لكنك لحقت بأمشالهم

مصارع قتلى الهوى مثبت
تضمن من كل أعجوبة
فلو ذقت ما ذاق أهل الهوى

وعلى العشرين :

تفرق من قصص العاشقين
فصرت لهم أحد العاذرين
وقد غرد الحاديان المنون

كتاب جمعت به كل ما
وكنيت ألومهم عاذلاً
فكم عاشق ذاق يوم النوى

وعلى الحادى والعشرين :

مصارع قتلاء الهوى صرعتهم
فمنهم عفيف ظل يكتم وجده
جمعت كتاباً فى مصارعهم إذا
سلافته يسقونها صافياً صرفاً
فمن عليه ماء أجنانه وكفا
تصفحه ذو اللب رق تالفاً

وعلى الثانى والعشرين :

قد صنف الناس حقاً فى الهوى كتباً
وأكثر وأغيراتى قد جمعت لهم
ذكرت فيه بإسناد مصارعهم
فيمن صحا بعد سكر منه أو عطبا
وما اختصرت كتاباً رائعاً عجبا
عجماً وجدتهم فى الناس أو عرباً

ونظائر ذلك كثيرة لا مطمع فى استقصائها ولا قدرة على إحصائها فلنختتم الكلام الذى اقتطفناه من هذه الأزهار وارتضيناه ومن هذه الأثمار جنيناه مستغفرين الله مما جنيناه إذ هو أكرم كريم يقبل التائب وألطف لطيف يؤوب إليه الآيب قائلاً :

كبت وقد أيقنت أن جوارحى
فإن كان خيراً سوف أهد غبه
فاستغفر الله العظيم من الذى
فيا رب بالهادى النبى محمد
وبالآل والأصحاب ترحم عاجزاً
أتى تائباً من غفلة اللهو قائلاً
ولم لا وجل المرقد فات وانقضى
تفضل عليه وارحم الآن ذله
ستبلى ويبقى كل ما أنا عامله
وإن كان شراً أوبقتنى غوائله
كبت ومما قلت أو أنا قائله
نبى على كل الورى فاض نائله^(١)
كليلاً من الذنب الذى هو حامله
صحبا القلب عن سلمى وأقصر باطله
وعرى أفراس الصابور واحله
وتختم بخير كل ما هو فاعله

فهذا أقصى ما أوردنا تحريره وأنهى نهاية ما أوردنا تسطيره معتذرين عن التقصير بما أسلفنا فى صدر الكتاب تقريره، فليثق الناظر فيه بأننا لم ندع من أصله شيئاً يعتد به إلا وقد أودعناه فى مطاويه، اللهم إلا أن يأتى غبى يتكل على

(١) النائلة: العطية والمعروف. انظر: القاموس المحيط، مادة [نول].

المباني دون المعاني ويؤثر التصريح في كل المواطن على التلويح ويقيس الأبواب
الأصلية على تقاسيمنا الكلية فيضل ويتهم ويخطيء، وما علم. ولو سلكنا ذلك
لتركنا الكتاب بحاله ولم يظهر تميز بين أفعالنا وأفعاله ولم يتيسر أن يكون كتابنا
بالنسبة إلى أصله كنصفه مع احتوائه على زيادات مثل ضعفه.

فالحمد لله على إتمامه، والشكر له على جزيل إنعامه، وعلى خاصته من خلقه
محمد وآله وأصحابه صلواته وسلامه.

قال (مؤلفه) رحمه الله تعالى وقد وافق ختامي له يوم الأربعاء خامس عشر
شوال وأيار الموافق عشرين بشنس وخامسة الجوزاء شمس من شهر سنة اثنتين
وسبعين وتسعمائة هجرية نبوية مصطفىوية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام
والتحية .

مَشَتْ

فهرس محتويات الجزء الثانى الموضوع

الصفحة

٥	الباب الثالث: فى ذكر عشاق الغلمان
٧	القسم الأول: فىمن استلب الهوى والعشق نفسه حتى أسلمه رسمه وهو نوعان:
٧	النوع الأول: فىمن عرف اسمه واشتهر فى العشاق رسمه
٧	أخبار محمد بن داود وصاحبه محمد الصيدلانى
١١	فصل: أخبار القاضى شمس الدين بن خلكان وصاحبه المظفرى
١٣	فصل: أخبار أحمد بن كليب وصاحبه أسلم
١٥	فصل: أخبار مدرك وصاحبه عمرو
٢٨	النوع الثانى: فى ذكر من جهل حاله وكان إلى الموت فى الحب مآله
٢٨	منهم: سعيد الوراق
٢٩	ومنهم: شرف العلاء
٢٩	ومنهم: ما أخرجه ابن الجوزى
٣٠	ومنهم: ما حكاه الثورى
٣٠	ومنهم: ما حكى فى ديوان الصباية
٣٣	القسم الثانى: فىمن اشتهر فى العشق حاله ولم يدر مآله
٣٣	منهم: ما حكاه من له اعتناء بظرائف الأخبار
٣٣	منهم: ما حكاه بعضهم
٣٣	منهم: ما حكاه الأصمعى
٣٣	منهم: رجل بإفريقية
٣٥	القسم الثالث: فى ذكر من ساعده الزمان فى المراد حتى بلغه ما أراد
٣٥	منهم: حكاية رجل صوفى
٣٥	منهم: البحرى المشهور
٣٦	منهم: الصاحب بدر الدين وزير اليمن
٣٧	ومنهم: الشيخ مهذب الدين بن منير
٤٣	القسم الرابع: فى ذكر من منعه الزهد والعبادة أن يقضى من محبوبه مراده

- ٤٣ النوع الأول: فيمن سلم من القضاء الجارى فعصم عن الجوارى
- ٤٨ النوع الثانى: فى ذكر من بلغه زهده الأمان فعصمه عن الغلمان
- ٥١ خاتمة: فى ذكر ما عولج به العشق من الدوا وقصد به السلو عن الهوى
- ٥٤ فصل: ومن السلو عن الهوى استعمال الحساب والخوض فى المشاجرات
- ٥٩ الباب الرابع: فى ذكر ما سوى البشر وما لقوا من العبر
- ٥٩ النوع الأول: فى الجنة
- ٦٠ النوع الثانى: فى ذكر من كلف وهو غير مكلف
- ٦١ الصنف الأول: فى الطيور
- ٦٤ الصنف الثانى: فى ذكر بعض ما وقع للحيوان
- ٦٦ الصنف الثالث: فى ذكر ما جرى من القوة العاشقية والمعشوقية بين الأنفس النباتية
- ٦٧ الصنف الرابع: فيما بث من أسرار بين أصناف الأحجار
- ٦٨ الصنف الخامس: فيما بث من الأسرار الملكية بين الأجسام والأجرام الفلكية
- ٧١ تتمات يفتقر إليها الناظر فى هذا الكتاب ويحسن موقعها عند أولى الأبواب
- ٧٦ فصل: فى خفقان القلب والتلوين عند اجتماع المحبين
- ٨٢ فصل: فى مراتب الغيرة وما توقعه بالحب من الخيرة
- ٨٤ فصل: فى أحكام أسرار المحبة وما فيها من اختلاف آراء الأجلة
- ٨٧ فصل: فى ذكر المغالطة والاستعطاف واستدراك ما صدر عن المحبوب من الانحراف
- ٨٩ فصل: فى ذكر الرسل والرسائل وتلطف الأحباب بالوسائل
- ٩٢ فصل: فى ذكر الاحتيال على طيف الخيال
- فصل: فى أحكام الليل والنهار وذم قصرهما عند الوصل وطولها عند الهجر والنفار
- ٩٨ وتمنى طول زمن الوصل والرضا
- فصل: فيمن ذكر واشتهر على ألسنتهم من لوم العذول وسوء عقله الذى أوقعه فى
- ١٠٢ الفضول
- ١٠٧ فصل: فى أحكام الزيارة وما جاء فى فضلها من البراعة والعبارة وزيارة الحبيب
- ١١٨ فصل: فى ما يلحق بالعتاب ويصلح أن يكون معه فى باب

١١٩	القسم الأول: هجر الدلال
١٢١	القسم الثاني: هجر الملل
١٢٢	القسم الثالث: الهجر المعروف بهجر الجزاء والمعاقبة
١٢٣	القسم الرابع: الهجر الخلقى
١٣٠	فصل: فى نفى كدر الهم والصدود باستجواب الأمانى والوعود
١٣٧	فصل: فى ذكر مكابدة الأمور الصعاب عند طلب رضا الأحباب
١٤١	تتمة
١٩٧	الخاتمة: تشتمل على لطائف متفرقة تروق بها المسامع وتزين بها الجماع
٢٠٢	فصل: فى النوادر والحكم النادرة
٢٠٥	فصل: لطيفة ووصية
٢١٠	فصل: فى المجون
٢١٨	فصل: فى ذكر نبذة من لطائف الأشعار ملتقطة مما ختم به الكتاب
٢٢٦	لطيفة وخاتمة



- ۱ - فہرس الآیات.
- ۲ - فہرس الأطراف.
- ۳ - فہرس الأعلام.
- ۴ - فہرس القبائل.
- ۵ - فہرس الكتب.

فهرس الآيات

رقم السورة	الآية	الصفحة
	سورة آل عمران	
ج ١٣٣ / ٨٤	﴿ وسارعوا إلى مغفرة ربكم ﴾	
ج ١٨٥ / ١٨٥	﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾	
	سورة المائدة	
ج ٢٤ / ١٩١	﴿ إنا لن ندخلها ما داموا فيها ﴾	
ج ٢٢ / ٢٣٠	﴿ ومن أحيائها فكأنما أحييا الناس جميعاً ﴾	
	سورة الأنعام	
ج ٤٤ / ١٩٠	﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ﴾	
	سورة الأنفال	
ج ٦٣ / ٢٣	﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ﴾	
	سورة الحجر	
ج ٨٥ / ١١٦	﴿ فأصفح الصفح الجميل ﴾	
	سورة الكهف	
ج ٩٤ / ٥	﴿ إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ﴾	
	سورة الأنبياء	
ج ٨٣ / ٧٧	﴿ إني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾	
	سورة الحج	
ج ٤٦ / ٢١٧	﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴾	
	سورة الفرقان	
ج ٢٣ / ٩١	﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ﴾	
	سورة القصص	
ج ٢٠ / ١٩١	﴿ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ﴾	
	سورة فاطر	
ج ٣٥ / ٧٣	﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ﴾	
ج ٢٧ / ٩٢	﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾	
	سورة الصافات	
ج ٢٧ / ٢١٦	﴿ فديناه بذبح عظيم ﴾	
	سورة غافر	
ج ١٨ / ٨٩	﴿ وانذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾	
	سورة الدخان	
ج ٤٠ / ٩٥	﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتاً ﴾	
	سورة الصف	
ج ٣ / ٢٠٦	﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾	
	سورة الجن	
ج ١٥ / ١٩٠	﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾	

فهرس الأطراف

الصفحة	الطرف
ج ٦٥/٢	أتعرفون شجرة هى كالرجل المسلم
ج ١٢٣/٢، ٧٨/١	الأرواح جنود مجندة
ج ٢٣/١	أقبل
ج ٦٥/٢	أكرموا عماتكم النخلة
ج ٢٧/١	إن الله ليعجب من شاب لا صبوة له
ج ٧٠/٢	ألا وإن فى الجسد مضغة
ج ٧٣/٢	إن الله جميل يحب الجمال
ج ٤٣/٢	بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم
ج ٢٦/٢	ثلاث من العجز فى الرجل
ج ٦٠/١	حبك للشىء يعمى ويصم
ج ٧٦/١	فبى يسمع وبى يبصر
ج ٣٦/١	من عشق فعف فمات
ج ٩٣/١	من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله
ج ٩٤/١	والذى نفسى بيده إن الرجل ليجىء يوم القيامة بعمل

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
ج ١٢٦ / ١	إبراهيم عليه السلام
ج ٨٣ / ١	إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد، أبو اسحاق العجلي
ج ١٤٨، ١٤٥ / ٢	إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد، برهان الدين القيراطي
١٦٩، ١٥١	
ج ١٧٠، ١٣٨ / ٢	إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله الأندلسي، أبو اسحاق، ابن خفاجة
ج ٢٩٠ / ١	إبراهيم بن علي بن إبراهيم العمري، الموصللي، أبو اسحاق
ج ٧١ / ١	إبراهيم بن علي بن تميم القيرواني، أبو اسحاق، الحصري
ج ١٠٥ / ١	إبراهيم بن محمد
ج ١٣٤ / ٢	إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان الأزدي، الواسطي، أبو عبد الله، نبطويه
ج ١٧٥ / ٢	إبراهيم بن محمد بن هبة الله الخزاعي، الحموي، ابن قرناص
ج ١٥٥، ١٢٨ / ٢	إبراهيم بن المعمار
ج ٣١٥ / ١	إبراهيم بن المقتدر
ج ٣٢٩، ٢٨٤ / ١	إبراهيم بن المهدي
ج ٣٢ / ١، ج ٢٠٢، ٢٠٣ / ٢	إبراهيم بن ميمون بن بهمن الموصللي، أبو اسحاق
ج ٢٦١ / ١	أبرويز بن كسرى
ج ٣٥٥ / ١	أبرويز بن هرمز
ج ٢٨١ / ١	الأبلي
ج ٢٠٦ / ٢	أبقراط
ج ١٩٢ / ١	أثالة بن سعيد بن مالك
ج ٢٠١ / ١	ابن الأثير
	أحمد بن أسد الدين بن عبد الواحد بن أحمد الأسيوطي، شهاب الدين،
ج ١٨٨، ١٤٦ / ٢	أبو العباس
ج ١٢٧، ١١٠، ١٠٠، ٩٦، ٧٧ / ١	أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي،
١٩١، ١٨٩، ١٤٣	الكوفي، المتنبي، أبو الطيب

الصفحة

العلم

ج ٦٢ / ٢	أحمد بن أبي داود بن حريز، الإيادي، أبو عبد الله
ج ٧٨، ٧١ / ١	أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق، أبو نعيم، المهراني، الأصبهاني
ج ٢٨ / ٢	أحمد بن عبد الله سليمان بن الحارث بن لبيعة التنوخي، المعري
ج ١١٧ / ٢	أحمد بن عبد الله بن غالب المخزومي، الأندلسي، القرطبي، أبو الوليد، ابن زيدون
ج ١٦٠ / ٢	أحمد بن علي بن الحسن بن الحسين الأزدي، أبو العباس، المهلبی
ج ٨٨ / ١	أحمد بن عيسى الجزار البغدادي، أبو سعيد
ج ١٣ / ٢	أحمد بن قزمان (ابن كليب)
ج ١٣٥ / ٢	أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، النيسابوري، أبو الفضل
ج ١٧٣، ١١١، ٩٢ / ٢	أحمد بن محمد البغدادي، الشهرستاني، ابن النقيب
ج ١٨٧، ١٤٧، ٢٨ / ٢	أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد، الصنوبري، الضبي
ج ١٧٢، ١٦٨، ١١١، ٩٩، ٩٠ / ٢	أحمد بن محمد بن الحسين، ناصح الدين، الأرجاني، أبو بكر
ج ١٦٧، ١٥٣ / ٢	أحمد بن محمد بن علي بن حسن الأنصاري، الشهاب الحجازي، أبو العباس
ج ١١ / ٢	أبو الطيب، زكي الدين
ج ٢٢٠ / ٢	أحمد بن مسعود بن الملك المظفر
ج ٦٦ / ٢	أحمد بن يحيى
	الحنف العبكري
	الأحوص = عبد الله بن محمد ابن عاصم، الأنصاري
	الأخفش = سعيد بن مسعدة
	الإربلي = أبو بكر بن محمد بن إبراهيم
	الأرجاني = أحمد بن محمد بن الحسين، ناصح الدين، أبو بكر
ج ٣٥٤، ٣٥٣ / ١	أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك
ج ٣٢٨، ٣٢٧ / ١	إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي، الموصلي، أبو محمد بن النديم
ج ٢٠٤، ٢٠٢ / ٢	
	الأسدي = أبو بكر بن سالم بن عياش
	الإسكندري = محمد بن علي بن عثمان العوفي، شمس الدين، أبو الفتح صالح المزني

الصفحة	العلم
ج ٢ / ٣	أسلم بن سعيد بن خلف
ج ١ / ٢٢٢، ٢٢٣	أسماء بنت عوف بن سعد بن مالك
ج ١ / ٢٠٥	أسماء النهشلية
ج ١ / ٣٠٣	إسماعيل بن جامع
ج ٢ / ١٤٢	إسماعيل السكندري
ج ٢ / ١١١	إسماعيل بن عباد بن العباس بن إدريس الطالقاني، الصاحب، أبو القاسم
ج ١ / ٣١٣	إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد، المؤيد
ج ١ / ١٠٥، ١٣٦، ١٥٢، ٢٠٩	إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون، القالي، أبو علي
	أبو الأسود = ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، الكتاني، الدؤلي
	الإشيلي = عبد الصمد المغربي، المعذل
ج ١ / ٢٤٣	ابن الإصبع
	الأصبهاني = أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، المهراني، أبو نعيم
ج ١ / ٢٢٩، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٦٦ - ج ٢ / ٣٣، ٢١٠	الأصمعي
ج ١ / ١٨٠، ٢٨٣	ابن الأعرابي
	الأعرج = سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم
ج ١ / ٣٢٣	أعشى بن قيس
	الأعشى = ميمون بن قيس بن جندل، أبو نصر
	الأفريقي = محمد بن عبد الله بن محمد الحنفي، الفريابي، أبو عبد الرحمن
ج ٢ / ١٣١	أفلاطون
	أبو أمامة = زياد بن معاوية بن ضباب، النابغة الذبياني، الغطفاني
ج ١ / ١٠٨، ١٣٣، ١٦٠، ج ٢ / ٩٩	امرؤ القيس بن حجر الكندي
ج ٢ / ٢٦	إمليخا
ج ٢ / ١٧٣	أمين الدين السيماني
ج ٢ / ١٤٦	أمين الدين "كاتم سر الشام"
ج ١ / ١٠٥	ابن الأنباري

الصفحة

العلم

ج ٢٢٢ / ١	الأندلسي = إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله، أبو إسحاق، ابن خفاجة أنس بن سعد بن مالك
ج ١١٠ / ١	الباهلي = الحسين بن الضحاك، أبو علي
ج ١٤٣ / ٢	بثينة بنت جبا العذرية ج ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٦، ٢٤٧
ج ١١٠ / ١	ج ١٣٣ / ٢
ج ١٤٣ / ٢	بثينة بنت يحيى بن ثعلب البعجلي
ج ٢٥ / ٢ - ج ٣٤١ / ١	البحترى = الوليد بن عبيد بن يحيى بن جشم الطائي، أبو عبادة بختنصر
	البدر الدماميني = محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد، القرشي، المخزومي
	بدر الدين = الحسن بن عمر بن الحسن الدمشقي، أبو محمد، ابن الحبيب
	بدر الدين = يوسف بن عبد الله، الدمشقي، ابن لؤلؤ الذهبي
	ابن بربر = العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة
	أبو البركات = المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي، الأربلي، شرف الدين، ابن المستوفى
	أبو البركات = محمد بن عوف بن علي المراكشي، جمال الدين
	البرمكي = جعفر بن يحيى بن خالد، أبو الفضل
	برهان الدين = إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد، القيراطي
ج ١٠٥ / ١	بريرة (مولاة عائشة)
	ابن بسام = علي بن محمد بن نصر بن منصور، البغدادي أبو الحسن
	البسطامي = طيفور بن عيسى بن شروسان، أبو يزيد
ج ٢ / ١٠٩، ١٣٦، ١٤١، ١٦٣، ٢٢٤	بشار بن برد العقيلي أبو معاذ
ج ٤٦، ٤٥ / ٢	بشر الأسدي
ج ٢٧٠ / ١	بشر بن حضرم الكلاعي
ج ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٧ / ١	بشير الأشتر

	البصرى = جرير بن عطية بن الخطفي التميمي، أبو خرزة
	البصرى = عبد الواحد بن زيد، أبو عبدة
ج ٢ / ٢١٤	بصيص "جارية ابن نفيس"
ج ٢ / ٢٧	بطرس
	البغدادى = أحمد بن عيسى الجزار، أبو سعيد
	أبو بكر = أحمد بن محمد بن الحسين، الأرصاني، ناصح الدين
ج ١ / ٧٧	أبو بكر الأزدي
	أبو بكر = دلف بن جحدر البغدادى، الشيلي
	أبو بكر بن سالم بن عياش الأسدي ج ١ / ١٢٣، ٢٥٧، ٢٨٠
ج ١ / ٣٠٥	أبو الصديق <small>رضي الله عنه</small>
٢٣، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٥	أبو بكر بن علي بن عبد الله التقى، الحموى، ابن حجة
ج ٢ / ١٣٥	أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الإربلى
	أبو بكر = محمد بن الحسن بن دريد، الأزدي، البصرى
	أبو بكر = محمد بن داود بن علي بن خلف، الطاهري
ج ٢ / ١٩٢	بكر بن وائل
	البكرى = شمس الدين بن أبي السرور بن محمد بن علي بن عبد الرحمن، الصديقي، الشافعي
	البكرى = عمرو بن قمئة بن ذريح بن سعد بن مالك، الوائلي، النزارى
ج ١ / ١٢٨، ٣٤٤	أم البنين بنت عبد العزيز
	بهاء الدين = زهير بن محمد بن علي بن عاصم الأزدي، المهلبى، العتكى، أبو العلاء، أبو الفضل
	بهاء الدين = علي بن رستم بن هردوز، أبو الحسن، ابن الساعاتى
	البهزى = نصر بن حجاج بن علاط السلمى
ج ٢ / ٢٠٦	بوران بنت الحسن بن سهل
ج ٢ / ٢٣، ٢٥، ٢٩	بولس
ج ٢ / ٥٤	البونى
ج ١ / ٢٣٦، ٢٣٧	بيا

الصفحة

العلم

البياض = مسعود بن عبد العزيز بن المحسن، الشريف، أبو جعفر

ج ٢٩٥ / ١

البيدق

تاج الدين = سعيد بن الدهان بن المبارك بن علي الأنصاري، البغدادي، أبو محمد

تاج الدين = زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة، اليماني

ج ٢٥٤ / ١

التبريزي

ج ٢٦ / ٢

تبيائل

التستري = سهل بن عبد الله بن يونس، أبو محمد

التغلبى = الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيري، أبو مالك

التلعفري = محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، شهاب الدين، أبو المكارم

أبو تمام = حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي

ابن تميم = محمد بن يعقوب بن علي، مجير الدين، الحموي

التميمي = جرير بن عطية بن الخطفي البصري، أبو خرزة

ج ٣٠٣، ٢٢٠ / ١

التنوخى

التهامي = علي بن محمد بن فهد، أبو الحسن

ج ٢٥٦، ٢٥٢، ٢٥١، ٢٤٨، ٢٤٧ / ١

توبة بن حمير بن أسيد الخفاجي

ج ٢٤٣، ٢٢٠ / ١

التوزي

ج ٩١ / ١

ثابت البناني

الثعالبي = عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، النيسابوري، أبو منظور

ج ١٦٢ / ١

الثقفي

أبو الثناء = الشهاب محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي الحلبي

ج ٧٣، ٨٠، ٩٦٢ - ج ٢٢١ / ٢

ثوبان بن إبراهيم ذي النون المصري

الثوري = سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن منقذ بن ثور

ج ٨ / ٢

ابن جامع

ج ٢١٧، ٢١٦ / ٢

جحا

ج ١٠٨ / ١

أم جحدر

الصفحة	العلم
ج ٢٦ / ٢	جزجس
ج ١٩٧، ٩٥ / ٢ - ج ٢٦٣، ٢٩٤ / ١	جرير
ج ١٩١ / ١	جرير بن عطية بن الخطفي التميمي البصري، أبو خرزة
ج ٢٢٠ / ١	ابن الجزار
	الجزار = أحمد بن عيسى البغدادي، أبو سعيد
	الجزار = أبو الحسين بن عبد العظيم بن محمد جمال الدين
ج ٣١٥ / ١	جعدي بن مهجع العذري
ج ٣٥٠ / ١	جعفر بن سليمان
	أبو جعفر = عبد الله بن محمد بن علي المنصور
ج ٣٥٩ / ١	جعفر بن أبي علي بن ربيعة الجارحي، أبو عارم
	أبو جعفر = عمر بن عبد العزيز الشطرنجي، أبو حفص
	أبو جعفر = محمد بن عائشة
ج ٣١٤، ٣١١، ٣١٠ / ١	جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، المتوكل، أبو الفضل
	أبو جعفر = محمد بن وهيب الحميري
	أبو جعفر = مسعود بن عبد العزيز بن المحسن، الشريف البياض
ج ٣٢٨، ٣٢٧ / ١	جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل
	الجعفي = أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، الكوفي، المستيني، أبو الطيب
	الجعفي = الحارث بن معاوية، مرثد بن أبي حمران
	جمال الدين = أبو الحسين بن عبد العظيم بن محمد الجزار
	جمال الدين = محمد بن موسى بن علي المراكشي، أبو البركات
	الشيخ جمال الدين بن نباتة ج ١٧٥، ١٥٤، ١٤٩، ١٠٣، ١٠٢ / ٢
	جمال الدين = يوسف بن مسعود بن محمد بن علي العبادي، الدمشقي، العقيلي، السرمدي،
	أبو المظفر
ج ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١١٨، ١١٦، ١١٥، ١١٤، ١١٠ / ١	جميل بثينة
ج ١٩٩، ١٩٧، ١٣٣، ٨٧ / ٢ - ج ٣٦٣، ٣٠١، ٢٥٧، ٢٤٨، ١٣٦، ١٢٧	

الصفحة

العلم

ج ٢٩٢ / ١	جميلة السلمية
ج ٢٥٧، ٢٥٦ / ١	جميلة بنت وائلة بن راشد
ج ٢١٢ / ١	جنوب بنت قيس بن أصبغ بن محصن بن أعرش
ج ١٢٣ / ٢ - ج ١٠٥، ٨٧، ٨٦، ٧٢ / ١	الجنيد بن محمد النهاوندي القواريري، البغدادي
ج ٢٠٧، ١٩١، ٢٩ / ٢ - ج ٣٣٣، ٣٠٣، ٢٧٠، ١٧١ / ١	ابن الجوزي
ج ٢٢١ / ١	ابن الجوهري
ج ٣٠ / ١	جويرية بن أسماء
	جلال الدين = عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الخضري، السيوطي
	جلال الدين = محمد بن أحمد بن سليمان الأنصاري، ابن حبيب داريا، أبو عبد الله
ج ٢٣٨، ٢٣٧ / ١	جيداء
ج ٢٤٦ / ١	الطائي
ج ١١٥ / ٢	الحارث بن سعيد بن حمدان، الحمداني، العدوي، التغلبي، أبو فراس
٣٣٠	الحارث بن سليمان
٢٧١	الحارث بن الفرند
٢٤٤، ٢٤٣	الحارث بن كلدة
ج ٣٤٠، ٣٣٩ / ١	الحارث بن معاوية الجعفي، مرثد بن أبي حمران
	أبو حازم = مسلمة بن دينار المخزومي الأعرج
ج ٣٠٤، ٢٧٥، ١٤٦، ١٣٦، ١٢٢، ١١٠، ٩٧، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩١ / ١	الحافظ مغلطاي
	أبو حامد = عبد الحميد بن وهبة الله بن محمد بن الحسين المدائني
ج ٩٣ / ١	حامد الفاخوري
ج ١٣٨ / ١	ابن الحباب
ج ٢٩٩، ٢٩٨، ٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١ / ١	حباية "جارية الأحوص"
ج ٣٤٣ / ١	حبوبة بنت حباب الطابخي
ج ٨٣ / ٢	حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي، أبو تمام
	ابن الحبيب = الحسن بن عمر بن الحسن الدمشقي، أبو محمد، بدر الدين

الصفحة	العلم
ج ١ / ١٠٩	حبيبة الحضرية
ج ١ / ٢١٥، ٢١٧	حبيش بنت سعد بن أسلم
ج ٢ / ٤٥، ٥٣، ١٣٢، ١٣٣ - ج ١ / ٢٥٣	الحجاج الثقفي
ج ٢ / ٤٥، ١٨٠	ابن حجر العسقلاني
ج ٢ / ٨٧، ١٠٥، ١٠٩، ١١١، ١٣١، ١٦٥	ابن أبي حجلة
	ابن حجة = أبو بكر بن علي بن عبد الهه الثقفي، الحموي، الحنفي
	ابن الحدادية = قيس بن منقذ بن مالك الكناني
	ابن أبي الحديد = عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني، أبو حامد، عز الدين
ج ١ / ٧٢	الحدين البحراني
ج ١ / ٢٤٧	حذيفة بن شداد بن كعب
ج ٢ / ٢٠٩	الهرباء "زوجة اليزيد بن عبد الملك"
ج ١ / ٢٢٢	حرملة بن سعد بن مالك
ج ٢ / ١٥٧، ١٥٨	الحريري
	الحزامي = يحيى بن شرف بن مري بن حسن الشافعي النووي، أبو زكريا
ج ٢ / ١٤٢	حسام الدين الجابري
ج ١ / ٣٧٦	الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الهاشمي
	أبو الحسن = ابن سمنون بن حمزة الخواص
	أبو الحسن = عبد الله بن موسى بن الحسن السلامي
	الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حبان بن صدقة بن زياد، الضبي، أبو محمد،
ج ٢ / ١٠٣، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٨	ابن وكيع
	أبو الحسن = علي بن رستم بن هردوز، بهاء الدين، ابن الساعاتي
ج ٢ / ٣٦	الحسن بن علي بن رسول الصاحب بدر الدين
	أبو الحسن = علي بن عمر بن جلدك التركماني المشد، ابن قزل
	أبو الحسن = علي بن محمد بن فهد، التهامي

الصفحة

العلم

	أبو الحسن = علي بن محمد بن نصر بن منصور البغدادي، ابن يسام
	أبو الحسن = علي بن مقلد بن نصر، الكنانى، ابن منقذ
ج ١٤٥ / ٢	الحسن بن عمر بن الحسن الدمشقى، أبو محمد، بدر الدين بن الحبيب
ج ١٣٩، ١٠٠ / ١	الحسن القيروانى، ابن رشيق، أبو علي - ج ٢٠٢، ١
	أبو الحسن = محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمى، البغدادي، ابن سكرة
	أبو الحسن = محمد بن سعدون بن المهدي، الأزدي، ابن هانى، أبو القاسم
	أبو الحسن = مصعب بن الحسين البصرى، الماجن
ج ٢٨٠ / ١	أبو الحسن المؤدب
ج ٢٤٢، ١٣١٣ / ٢	الحسين بن الضحاك أبو علي الباهلي
ج ١٧٣، ١٦٤ / ٢	أبو الحسين بن عبد العظيم بن محمد جمال الدين الجزار
	الحسين بن علي بن أبي طالب ج ١ / ١٠٦، ١٣٨، ١٣٩، ٣٠٦
	الحسين بن علي بن عبد الصمد الأصبهاني، الليثى، الطغراني، مؤيد الدين، أبو إسماعيل
ج ١١٠ / ٢	
	الحصرى = إبراهيم بن علي بن تميم القيروانى، أبو إسحاق
ج ٢١٢ / ٢	الخطيئة
	أبو حفص = عمر بن عبد العزيز، الشطرنجى، أبو جعفر
	أبو حفص = عمر بن محمد بن حسن، الوراق، سراج الدين
ج ٢٤٤ / ١	الحكم بن عبد المطلب المخزومى
ج ١١٥ / ٢	الحكم بن قنبر بن معمر الحضرى
	الحلي = عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن العريض "السنيسى" صفى الدين
ج ٢١٥ / ٢ - ج ١٢٩ / ١	حماد
	الحمدانى = الحارث بن سعيد بن حمدان العدوى، التغلبى أبو فراس
ج ٣١٤ / ١	حمدونية بنت عيسى بن موسى
ج ٢٨٤ / ١	حمزة الشاعر

الصفحة

العلم

ج ٢٧٦/١

حمزة بن عبد الله بن الزبير

أبو حمزة = محمد بن إبراهيم البغدادي، الصوفي

الحموي = إبراهيم بن محمد بن هبة الله، الخزاعي، ابن قرناص

الحموي = محمد بن يعقوب بن علي، مجير الدين، ابن تميم

ج ٨٣/١

حميد بن جابر

الحنبلي = الشهاب محمود بن سلمان بن فهد بن محمود، الحلبي، أبو الثناء

الحنظلي = عبد الله بن واضح، ابن المبارك، الخوارزمي، أبو عبد الرحمن

الحواري = محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن الأنصاري، الكوفي، شرف الدين، أبو المحاسن، ابن عنين

ج ٣٧٣/٢

حوط بن الخشرم بن كرز، القضاعي

ج ٣٥٤/١

أبو حيان

ج ٨٥/١

حيان القيس

ج ٣١٣/١

خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد، القسري، أبو الهيثم

ج ١٦٦/١

خالد بن كلثوم

ج ٢١٥/١

خالد بن الوليد

ج ١٣٤، ٢

خالد بن يزيد، الكاتب، أبو القاسم ج ١/٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٣ -

الخالدي = سعيد بن هاشم بن سعيد وعك بن عوام بن عبد الله، أبو عثمان

أبو خثعم = كعب بن مالك

الخدري = سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، الخزرجي، أبو سعيد

أبو خرزة = جرير بن عطية بن الخطفي التميمي البصري

الخزاعي = إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص الحموي

الخزاعي = دعبل بن علي بن رزين، أبو علي

الخنزري = الحكم بن قنبر بن معمر

الخنزري = عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي، جلال الدين

ج ١٤/٢

ابن خطاب

الصفحة

العلم

الخطيب

ج ٧٠٥ / ٢

ابن خطيب داريا = محمد بن أحمد بن سليمان، الأنصاري، جلال الدين، أبو عبد الله

ابن خفاجة = إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله، الأندلسي، أبو

إسحاق

ج ٢٢٠ / ١

ابن خلف

خليل بن أبيك بن عبد الله، الصلاح الصفدي، أبو الصفاء ج ٣١٢ / ١ - ج ٨٩ / ٢،

١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٧، ١٨٨

ج ٧٤ / ٢

خليل بن شاهين الشينخي، الصفدي، الشاهيني، علاء الدين

ج ٣٧٢، ٣٧٠ / ١

الخنساء

ج ٢١٠ / ٢

خوات بن جبير

الخواص = سحنون بن حمزة، أبو الحسن

ج ١٦٥ / ١

خويلد بن خالد الهذلي، أبو ذؤيب

ج ١٤٣ / ٢

الخيزراني

ج ٣٢٠ / ١

ابن دأب

ج ٢٧ / ٢

ج ٣٤٢، ٣٤١ / ١ -

دانيال عليه السلام

ج ١٦٩ / ٢

داود بن عيسى الأيوبي، الملك الصالح

أبو الدر = ياقوت عبد الله الرومي، مهذب الدين

ابن دريد = محمد بن الحسن الأزدي، البصري، أبو بكر

ج ١٦٠ / ٢

دعبل بن علي بن رزين الخزاعي أبو علي

ج ٢٥٧ / ١

الدقاق

ج ٨٨، ٨٧، ٨٣ / ١

دلف بن جحدر البغدادي الشبلي، أبو بكر

الدمشقي = الحسن بن عمر بن الحسن أبو محمد، بدر الدين بن الحبيب

الدمشقي = يوسف بن مسعود بن محمد بن علي، العبادي، العقيلي، السرمدي، جمال الدين، أبو المظفر

ج ١٧١ / ٢

الدمياطي

ج ١٤٩ / ١

ابن الدمينة

الصفحة

العلم

	ابن أبي الدنيا = عبد عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، الأموي
ج ١ / ٣٤٥	أبو دهبيل
ج ١ / ٣٤٨	دلال
	ديك الجن = عبد السلام بن رغبان الكلبي
	الذبياني = زياد بن معاوية بن ضباب النابغة، الغطفاني، أبو أمانة
ج ١ / ٢٤١	ذرة بن خالد العذري
ج ١ / ١٧٥، ١٩٧	الذهبي
	ذو الرمة = غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة المصري
	ذو النون = ثوبان بن إبراهيم، المصري
	أبو ذؤيب = حويلد بن خالد الهذلي
ج ٢ / ١٥٧	ابن الرئيس
ج ١ / ١٠٠	رابعة العدوية
ج ١ / ٢٤٤	راشد بن صفوان الهذلي
ج ١ / ٢١٨	راشد بن عبد العزى
ج ١ / ١٩٣	رباح بن راشد أبو كحلأ
ج ١ / ١٦٥	رباح بن سعد بن أثالة
ج ١ / ١٦٧	رباح بن عامر
ج ١ / ١٧٠	رباح بن مالك
٢٩٢ / ٢٩١	ربيحة بنت عبد الله بن جعفر
ج ١ / ٢٨٨	علم الربيع
ج ١ / ٣٣٢	الربيع بن عبد الجبار بن كامل، أبو محمد المرادي
ج ٢ / ٥٨	الربيع بنت معوذ بن عفراء
ج ٢ / ٢٢٠	ربيعة بن ثابت بن العيذار، الأسدي، أبو ثابت، أبو العلاء الرقي
٣٧٩	الرشيد ج ١ / ٢٦٤، ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٢٧، ٣٢٩

الصفحة

العلم

	ابن الرشيق = الحسن القيرواني، أبو علي
	الرقاشي = الفضل بن عبد الصمد بن الفضل البصري، أبو العباس
ج ٢٦ / ٢	روبيل
ج ١٧٢ ، ١٣٤ / ٢	ابن الرومي
ج ١٠٨ / ١	الرماح بن مالك بن ابرد بن ميادة
ج ٢٣٩ / ١	رملة بنت أثيلة بن مصقع
ج ٢٢٦ / ١	ريا بنت الغطريف السلمي
ج ٢٣٠ ، ٢٢٩ / ١	ريا بنت مسعود بن رقاش
ج ٩٠ / ١	رياح بن عمرو القيسي أبو المهاجر
	الرياشي = العباس بن فرج بن علي بن عبد الله البصري
ج ١٥٦ / ٢	ابن ريان
ج ٢٠٦ ، ٢٠٥ / ٢	زبيدة بنت جعفر بن المنصور
ج ٢٨٧ / ١	الزبير بن بكار بن أبي بكر أبو عبد الله
ج ٣٠٦ / ١	الزبير بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو عبد الله
ج ٢٧٩ / ١	الزجاج
ج ٣٥٠ / ١	الزرقاء "جارية ابن رامي"
	أبو زكريا = يحيى بن شرف بن مري بن حسن الخزامي الشافعي، النوى
	زكى الدين أحمد بن محمد بن علي بن حسن الأنصاري، الشهاب الحجازي، أبو العباس، أبو الطيب
ج ٩٢ ، ٩١ / ١	أبو زهير
ج ١١٠ / ١	زهير بن أبي سلمى
	زهير بن محمد بن علي بن عاصم الأزدي، المهلبى، العتكي، بهاء الدين، أبو العلاء، أبو الفضل
ج ١٨٣ ، ١٦٣ ، ١١٩ ، ١١١ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ٨٠ / ٢	
	الزوزنى = فضل الله بن عبد الحميد، الفاضل
ج ٢٨١ / ١	ابن الزيات

الصفحة

العلم

ج ١٠٧/١	زياد بن عطفان
ج ١٦٨، ١٧٤ / ١	زياد بن كعب
ج ٣٤٦ / ١	زياد بن معاوية بن ضباب النابغة الذبياني الغطفاني، أبو امامة
ج ٣٧٣ / ١	زيادة بن اليزيد الذبياني
ج ١٥٢ / ٢	زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة، تاج الدين اليماني
ج ١٥٣ / ٢	ابن زيدون = أحمد بن عبد الله بن غالب المخزومي، الأندلسي، القرطبي، أبو الوليد
ج ٢٢٠، ٢١٨ / ١	الزین المصري
ج ٣٥٤ / ١	زينب بنت صفوان بن غازي
ج ٢٧٧ / ١	الساظرون "ملك برستجار"
ج ٢٢٧ / ٢ - ٨٦ / ١	ابن الساعاتي = علي بن رستم بن هردوز، بهاء الدين، أبو الحسن
ج ٣٤٥ / ١	الساعدي = سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، الأنصاري
ج ٧٧ / ١	السامري
ج ٢٢٧ / ٢ - ٨٦ / ١	سحنون بن حمزة الخواص أبو الحسن
ج ٣٤٥ / ١	سحيم الحبشي
ج ٧٧ / ١	السراج
ج ١٠٩، ١٤٢، ٨٠ / ٢	سراج الدين = عمر بن محمد بن حسن الوراق، أبو حفص
ج ٩٣، ٩٢ / ٢	السراج الوراق
ج ١٨٩، ١٦٠، ١٢٨ / ٢	ابن السروجي
ج ١٩٢ / ٢	السري الرفاء
ج ٥ / ٢	سعد بن ضبيعة
ج ٥٨ / ٢	سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، الخزرجي، الخدري، أبو سعيد
ج ٨١ / ١	سعد بن أبي وقاص
ج ٢٩٢، ٢٩١، ٢٥٩ / ١	سعدون
ج ٢٩٢، ٢٩١، ٢٥٩ / ١	سعدى بنت عبد الله بن عثمان
ج ٢٩٢، ٢٩١، ٢٥٩ / ١	السعدى = علي بن محمد بن عبد الله بن نشوان الجذامي، المصري، علاء الدين، ابن عبد
	الظاهر

الصفحة

العلم

السعدى = محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الله، البغدادي

أبو سعيد = أحمد بن عيسى الجزار البغدادي

ابن سعيد التيمي

ج ٩٠/١

سعيد بن خالد

ج ٣٣٠/١

ج ٢٢٣/٢

سعيد بن الدهان بن المبارك بن علي، الأنصاري، البغدادي، تاج الدين، أبو محمد

أبو سعيد = سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، الخزرجي، الخدري

ج ١١٤/٢

سعيد بن سعيد، أبو عثمان، الكاتب

ج ٣٧٣/١

سعيد بن العاص

ج ٩٥/١

أبو سعيد القطان

ج ٢٥٨، ٢٥٧/١

سعيد بن مسعدة الأخفش

ج ٢٧٥/١

سعيد بن ميسرة

ج ١٣٢/٢

سعيد بن هاشم بن سعيد وعك بن عوام بن عبد الله، الخالدي، أبو عثمان

ج ٣٠٣/١ - ج ٣٠٥/٢

سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن منقذ بن ثور، الثوري

ج ٧٣/٢

سقراط

ابن سكرة = محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي البغدادي، أبو الحسن

ج ١٢٨/١

سكينة بنت الحسين

ج ٣٧٣/١

سلمى بنت خشرم بن كرز، القضاعي

ج ٣٧٠/١

السلمي = صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد

ج ٢١٦/٢

سلمى بنت عوف بن ربيعة بن حارث، الرياحي

سلمة بن دينار المخزومي الأعرج، أبو حازم

ج ١٣٤/٢

السلمي = نصر بن حجاج بن علاط، البهزي

سليمان ^{عليه السلام}

ج ٨٢/١

أبو سليمان

ج ٣٤٩، ٣٤٨، ٣٤٧، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٠٢، ٢٩٦، ٢١٩/١

سليمان بن عبد الملك

ج ٩٤/١

ابن السماك

ج ٢٧/٢

سمعان

الصفحة	العلم
ج ٢٦٤ / ١	السميدع بن عمرو الكلابي
ج ٣٤٩ / ١	سمير الأيلي
ج ١٦٢، ١٥٧، ١٣٥، ١١٤، ٩٠، ٨٧، ٨١ / ٢	ابن سنا الملك
ج ٣٤٩، ٣٤٧ / ١	سنان الكلبي
	السنبسي = عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن العريض، الحلبي، صفى الدين
ج ١٢٤ / ١	سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، الساعدي الأنصاري
ج ٨٥ / ١	سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد
ج ٢٧٥ / ١	سهل بن المرزبان، أبو نصر
	السوائي = حماد عجرد بن عمر بن يونس بن كليب، أبو عمرو
ج ٣٤٢، ٣٤١ / ١	سوسن
ج ٢٩٩، ٢٩٨، ٢٩٤، ٢٩٣، ٢٩٢ / ١	سلامة
	السلامي = عبد الله بن موسى بن الحسن، أبو الحسن
ج ١٣٢ / ٢	ابن سيرين
	سيف الدين = علي بن عمر بن جلدك التركماني المشد، أبو الحسن
	السيوطي = عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الخضري، جلال الدين
	الشاب الظريف = محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله، ابن العفيف، شمس الدين، أبو عبد الله
	الشافعي = محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله
ج ١٢٩ / ١	أبو شامة
	الشاهيني = خليل بن شاهين الشينخي، الصفدي علاء الدين
ج ٣١٣ / ١	الشبلي = دلف بن جحدر، البغدادي، أبو بكر
ج ٢٤٢ / ١	الشحمي
	أبو شراعة
	شرف الدين = المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي، الأربلي، أبو البركات، ابن المستوفى
	شرف الدين = محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن الأنصاري، الكوفي، الجورائي، أبو المحاسن
ج ٨ / ٢	ابن شريح الشافعي

الصفحة	العلم
ج ٣٠٢ / ١	الشريف البياض
ج ٢٢٢ / ٢	الشريف الرضى
ج ١٨٧ / ٢	الشريف = محمد بن صالح بن حمزة العباسي، ابن الهبارية، أبو يعلى
ج ١٨٩ / ٢	الشريف المقدسي
ج ٣١٠ / ١	الشريف الموسوي
ج ٢١٦ / ٢	الشطرنجي = عمر بن عبد العزيز، أبو جعفر، أبو حفص
ج ٢٧، ٢٤ / ٢	شعانين
ج ١٣٣ / ١	الشعبي
ج ١١٩ / ٢	شعيا اليهودي
ج ١٧٨، ١٥٥، ١٤٩، ١٤٢ / ٢	شمس الدين بن خلكان
	شمس الدين بن أبي السرور بن محمد بن علي، البكري، الصديقي، الشافعي
	شمس الدين بن الصائغ
	شمس الدين = محمد بن حسن بن علي بن عثمان، النواجي
	شمس الدين = محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله، الشاب الظريف، ابن العفيف، أبو عبد الله
	شمس الدين = محمد بن علي الأندلسي، الهواري، أبو عبد الله
	شمس الدين = محمد بن علي بن عثمان، العوفي، الإسكندري، أبو الفتح، صالح المزى
ج ٢٧، ٢٦، ٢٣ / ٢	شمعون
ج ٥٢ / ٢	شميلة (خضراء) بنت أبي حياء بن أبي بهر
	الشهاب الحجازي = أحمد بن محمد بن علي بن حسن، الأنصاري، أبو العباس، أبو الطيب، زكي الدين
	شهاب الدين = أحمد بن أسد الدين بن عبد الواحد بن أحمد الأسيوطي، أبو العباس
	شهاب الدين = محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، التلعفري أبو المكارم
ج ١٢٧، ١١٢ / ١	شهاب محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي، الحلبي، أبو الثناء
ج ٢٢٠، ١٤٠، ١١١ / ٢ - ٢٦٦، ١٩٦، ١٤٩	
	الشهرستاني = أحمد بن محمد، البغدادي، ابن النقيب
ج ١٨٧ / ٢	الشواء
	الشيباني = مدرك بن محمد بن علي، أبو القاسم

الصفحة

العلم

ج ١ / ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦ - ج ٢ / ٤٧

الشيرزى

الصاحب = إسماعيل بن عباد بن العباس ابن إدريس الطالقاني، أبو القاسم

الصاحب بدر الدين = الحسن بن علي بن رسول

صاحب الدمية = علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخري

ج ١ / ٣٧٠

صخر بن عمرو بن الحارث بن الثريد، السلمى

صدر الدين = محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المصرى العثماني، ابن

الوكيل، ابن المرحل، أبو عبد الله

الصدىقى = شمس الدين بن أبى السرور بن محمد بن علي بن عبد الرحمن الشافعى البكرى

أبو الصفاء = خليل بن أيك بن عبد الله الصلاح الصفدى

الصفدى = خليل بن شاهين الشىخى، الشاهينى، علاء الدين

صفى الدين = عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن العريض،

السنبسى، الحلى

الصلاح = خليل بن أيك بن عبد الله، الصفدى، أبو الصفاء

ج ١ / ٢٢٩

الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاشى القشبرى التغلبى، أبو مالك

الصنوبرى = أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد، الضبى

ج ٢ / ٩٠

صلاح الدين الأيوبى

ج ١ / ٣٥٩

صيفى بن سعيد الباهلى

الضبى = الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حبان بن صدقة بن زياد، ابن وكيع، أبو محمد

ابن الضحاك = الحسين، أبو علي الباهلى

الضنى = عروة بن حزام بن مهاجر

الطائى = حبيب بن أوس بن الحارس بن قيس، أبو تمام

الطائى = الوليد بن عبيد بن يحيى بن جشم، البحرى، أبو عبادة

الطالقانى = إسماعيل بن عباد بن العباس بن إدريس، الصاحب، أبو القاسم

ج ١ / ٢٣٩ ، ٢٨٧

ابن طاهر

ج ١ / ٢٠٧

طرفة بن العيد

الصفحة	العلم
ج ٢٠٧ / ١	طريف بن غطفان
ج ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩ / ٢	الطغرائي
ج ٣٧٦ / ١	طلحة بن عمرو بن مرة، الجهني
ج ١٥٢ / ٢	الطنبغا الجاولي
ج ٣٤٨ / ١	طويس
	أبو الطيب = أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، الكوفي، المتنبى
	أبو الطيب = أحمد بن محمد بن علي بن حسن الأنصاري، الشهاب الحجازي، أبو العباس، زكي الدين
ج ٧٢ / ١	طيفور بن عيسى بن شروسان أبو يزيد، البسطامي
ج ٣٦١ / ١	ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، الكناني، أبو الأسود الدؤلي
	الظاهري = محمد بن داود بن علي بن خلف، أبو بكر
ج ٣٠١ / ١	ظريف بن نعيم الغفاري
ج ٢٤١ / ١	ظريفة بنت صفوان بن وائلة العذري
ج ٣٤٩ / ١	ظل الشجر
	ابن عائشة = محمد، أبو جعفر
ج ١١٥ / ١	عائشة بنت طلحة
ج ٣٠٥ / ١	عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية
ج ٤٧ / ٢	ابن عاصم
ج ٩٤ / ١	عاصم البصري
ج ٢٥٧، ٢٥٦ / ١	عامر بن سعيد بن راشد
ج ٢١٨ / ٢	عامر بن عمران بن زياد الضبي، أبو عكرمة
ج ١٦٥، ١٥٤ / ١	عامر بن ملوح بن مزاحم
ج ٣٤٢ / ١	عباد "المخنت"
ج ٢٨٣ / ١	ابن عباد
	ابن عباد = إسماعيل بن العباس بن إدريس الطالقاني، الصاحب، أبو القاسم
	أبو عباد = عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب
	أبو عباد = معبد بن وهب المدني
	أبو عبادة = الوليد بن عبيد بن يحيى بن حشم الطائي، البحري

العلم

الصفحة

- العبادي = يوسف بن مسعود بن محمد بن علي، الدمشقي، العقيلي، السرمدي، جمال الدين، أبو المظفر
- أبو العباس = أحمد بن أسد الدين بن عبد الواحد بن أحمد الأسيوطي شهاب الدين
- أبو العباس = أحمد بن علي بن الحسن بن الحسين الأزدي، المهلبى
- أبو العباس = أحمد بن محمد بن علي بن حسن، الأنصاري، أبو الطيب، زكى الدين
- العباس بن الأحنف ج ٢/٨٧، ١٦٤، ٢٢٢
- أبو العباس = عبد الله بن محمد بن المتوكل، ابن المعتز، جعفر بن المعتصم، البغدادي
- العباس بن فرج بن علي بن عبد الله، البصرى، الرياشى ج ١/٢٦٩، ٣١٩، ٣٦٨
- أبو العباس = الفضل بن عبد الصمد بن الفضل البصرى، الرقاشى
- العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة، ابن بربر ج ١/٣١٢
- العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو الفضل، المهدي ج ٢/١٦٤
- العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو الفضل، المهدي ج ٢/١٦٤
- العباس بن وكيع ج ٢/٢٩
- عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائنى، أبو حامد، عز الدين، ابن أبى الحديد
- ج ١/٨٣، ١٧٠ - ج ٢/٧٨
- ابن عبد ربه ج ١/٢١٤
- عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال، وضاح اليمن ج ١/٣٤٤
- عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد الخضرى، السيوطى، جلال الدين ج ١/١٠٦، ١٣٨
- ١٣٩، ٢٤٤، ٣٧٥ - ج ٢/١٦٥، ١٩٢
- عبد الرحمن بن حسان ج ١/٣٧٥
- عبد الرحمن الصوفى ج ١/٩١
- عبد الرحمن العقيلي ج ٢/٢٢٠
- عبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطى، ابن مكانس، فخر الدين، أبو الفرج ج ٢/١٦٢، ١٧٢، ١٧٨
- أبو عبد الرحمن = محمد بن عبد الله بن محمد العتقى الأفريقى، الفريابى
- أبو عبد الرحمن = معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب
- أبو عبد الرحمن = يونس بن حبيب النحوى
- عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل، الفاروقى أبو يحيى، ابن نباتة ج ٢/٩٢، ١٤٢، ١٤٤
- ١٤٥، ١٥٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١، ١٧٧، ١٨٧

الصفحة

العلم

- عبد السلام بن رغبان الكلبي، ديك الجن ج ٣٥٢ / ١
- عبد الصمد بن منصور المغربي الإشبيلي، المعدل ج ٩٢ / ١
- عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك، أبو القاسم، ج ٩٣ / ٢
- ابن عبد الظاهر = علي بن محمد بن عبد الله بن نشولن، الجذامي، المصري، السعدي علاء الدين
- عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن العريض السنبي، الحلبي، صفى الدين ج ١٠٨، ١٤٠، ١٤١، ١٦٤، ١٦٨ / ٢
- عبد العزيز بن علي الطحان ج ٧٧ / ١
- عبد العزيز بن مروان ج ٢١٨ / ١
- أبو عبد الله = إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، الأزدي، الواسطي، نبطويه
- عبد الله بن أبي بكر الصديق ج ٣٠٥ / ١
- عبد الله بن جعفر ج ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١، ٣١٩، ٣٠٤ / ١
- أبو عبد الله الخبشاني ج ٣٠٠ / ١
- عبد الله بن أبي بن رباح بن ضمرة ج ٢٣٢ / ١
- أبو عبد الله = الزبير بن بكار بن أبي بكر
- أبو عبد الله = الزبير بن خويلد بن أسد بن عبد العزى
- عبد الله بن سبرة ج ٣٦٠ / ١
- عبد الله بن عباس ج ١٠٥، ١١٨، ١٤٦، ١٩٣ - ج ٤٥ / ٢
- عبد الله بن عجلان بن عبد الأصب بن عامر بن كعب ج ٢٠٥، ٢٠٣، ٢٠٢ / ١
- عبد الله بن علقمة بن زرارة ج ٢١٧، ٢١٥ / ١
- عبد الله بن عمر ج ٣٠٦، ٩٤ / ١
- عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص ج ٣٧٧ / ١
- أبو عبد الله = محمد بن أحمد بن سليمان، الأنصاري، جلال الدين بن خطيب دارياً
- أبو عبد الله = محمد بن إدريس بن العباس، الشافعي
- أبو عبد الله = محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله، الشاب الظريف، ابن العفيف، شمس الدين
- عبد الله بن محمد بن عاصم، الأحوص، الأنصاري ج ١٠٦، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٨ / ١
- عبد الله بن محمد بن عبيد، القرشي، الأموي، ابن أبي الدنيا ج ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩١ / ١
- ج ٢٢٥ / ٢

الصفحة

العلم

- أبو عبد الله = محمد بن علي الأندلسي، الهواري، شمس الدين بن جابر
 ج ١ / ٢٩٩ عبد الله بن محمد بن علي، المنصور، أبو جعفر
 أبو عبد الله = محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المصري، العثماني،
 ابن الوكيل، ابن المرحل، صدر الدين
 عبد الله بن محمد بن المتوكل، ابن المعتز، جعفر بن المعتصم، البغدادي، أبو العباس
 ج ٢ / ٩٥، ٩٦، ١٠٨، ١١٦، ١٣٢، ١٤٣
 أبو عبد الله = محمد بن يعقوب بن علي، مجير الدين
 ج ١ / ٢٢٦ عبد الله بن معمر القيسي
 ج ٢ / ٢٢٣ عبد الله بن موسى بن الحسن، السلامي، أبو الحسن
 ج ١ / ٣٣٥ عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي المأمون
 ج ١ / ٧٩، ٨٠، ٨٢ عبد الله بن واضح الخنظلي، ابن المبارك، الخوارزمي، أبو عبد الرحمن
 ج ٢ / ٤٧ عبد المسيح
 ج ٢ / ١٦١ عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، الثعالبي، أبو منظور
 ج ١ / ١١٣، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٣، ١٧٥، ٢٥٦، ٣٠٢ عبد الملك بن مروان
 ج ٢ / ٤٥، ١٩٩ أبو عبد الملك = مروان بن الحكم بن أبي العاص بن عبد شمس
 ج ٢ / ١٦١ عبد الوهاب السندوبي
 ج ١ / ٧٨، ٨٨، ٨٩، ٩٩ عبد الواحد بن زيد، أبو عبيدة، البصري
 ج ١ / ٩٠ عبد الوارث أبو عبيدة العيزي
 ج ١ / ٣٥٠ عبود
 ج ١ / ٢٦٧ عبيد النعالي
 أبو عبيدة = عبد الواحد بن زيد، البصري
 أبو عبيدة = عبد الوارث العيزي
 ج ١ / ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨ عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري
 ج ١ / ٨٤، ٨٥، ٨٨ عتبة الغلام بن أبان البصري
 ج ١ / ٢٤٤ عتبة بن المطلب المخزومي
 ج ١ / ٢٢٠، ٢٦٦ العتبي

الصفحة

العلم

ج ١ / ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٢٠	العتقى = محمد بن عبد الله بن محمد، الأفريقي، الفريابي، أبو عبد الرحمن
ج ١ / ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٣٤٥	ابن أبي عتيق أبو عثمان = سعيد بن سعيد، الكاتب أبو عثمان = سعيد بن هاشم بن سعيد وعك بن عوام بن عبد الله، الخالدي
ج ٢ / ٥٣	عثمان بن أبي العاص
ج ١ / ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٣٤٥	عثمان بن عفان
ج ١ / ٣٤٣	العجلى = إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد، أبو إسحاق
ج ٢ / ١٣٦	عدى بن أوس (رئيس بنى كلب)
ج ١ / ١٧٤ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢	ابن عروس عروة بن حزام بن مالك العنزي
ج ١ / ١٥٩ ، ٢٣٣	عروة بن حزام بن مهاجر الضنى
ج ١ / ١٠٦ ، ١١٢	عروة بن قيس
	عز الدين = عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني، أبو حامد، ابن أبي الحديد
	عز الدين = علي بن الحسين بن علي الموصلي
ج ١ / ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦	أبو العز = مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي الغيلاني، موفق الدين
ج ١ / ١٣٨ ، ١٩٣ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ ، ٣٧٥	عزة بنت جميل بن حفص بن إياس
ج ٢ / ١٥٧	ابن عساكر
ج ١ / ٧٧	أبو العشائر
ج ٢ / ١٣٩	ابن عطاء
ج ١ / ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦	أبو عطاء السعدي
ج ١ / ٢٧١	عفراء بنت هصر بن مالك
ج ٢ / ١٤٩	عفراء بنت الأحمر
	العفيف التلمساني
ج ١ / ٢٠٨	ابن العفيف = محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله، الشاب الظريف، شمس الدين، أبو عبد الله
ج ١ / ٢٦١	عقبة بن مالك الفزاري
	العقيلة بنت أبو النجاد
	أبو عكرمة = عامر بن عمران بن زياد الضبي

الصفحة	العلم
ج ۱ / ۱۳۳	عكرمة "مولى ابن عباس"
ج ۲ / ۱۰۸	العكوك
ج ۲ / ۱۹۱، ۱۳۵، ۷۹	أبو علي = اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون القالي
ج ۲ / ۱۶۳، ۱۱۲	علي بن الجهم
ج ۲ / ۱۵۳، ۱۴۸، ۶	علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخريزي
ج ۲ / ۱۷۲	أبو علي = الحسن القيرواني، ابن رشيق
ج ۱ / ۷۸	أبو علي = الحسين بن الضحاك الباهلي
ج ۱ / ۸۴	علي بن الحسين بن علي، عز الدين، الموصلي
ج ۱ / ۱۳۲، ۷۶، ۳۱۹، ۳۰۶ - ج ۲ / ۱۳۲	أبو علي = دعبل بن علي بن رزين الخزاعي
ج ۲ / ۱۸۷	علي بن رستم بن هردوز، بهاء الدين، أبو الحسن، ابن الساعاتي
ج ۲ / ۱۷۶، ۱۶۲	علي بن سعيد العطار
ج ۱ / ۱۲۷، ۱۰۴	علي بن سلمان
ج ۲ / ۱۴۳	علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small>
ج ۲ / ۱۳۸، ۹۸	علي بن العباس الرومي
ج ۲ / ۷۷	علي بن عمر بن جلدك التركماني، المشد، سيف الدين، أبو الحسن، ابن قزل
ج ۱ / ۳۲۱	علي بن محمد بن عبد الله بن نشوان الجذامي، المصري، السعدي، علاء الدين، ابن عبد الظاهر
ج ۱ / ۳۵۹، ۳۵۷، ۳۰۶، ۱۹۶، ۱۹۵، ۱۹۴	علي بن محمد بن فهد، التهامي، أبو الحسن
ج ۲ / ۲۰۷، ۵۳، ۵۲، ۵۱	علي بن محمد بن نصر بن منصور، البغدادي، ابن بسام، أبو الحسن
ج ۱ / ۲۰۰، ۱۹۹	علي بن مقلد بن نصر، الكناني، أبو الحسن، ابن منقذ
ج ۱ / ۲۹۶ - ج ۲ / ۲۱۴، ۲۱۳، ۲۱۲، ۴۵، ۴۴	عماد الدين
ج ۲ / ۸۵، ۷۹	عمارة (جارية ابن جعفر)
ج ۱ / ۳۱۵، ۱۱۸، ۱۱۶، ۱۱۵ - ج ۲ / ۱۹۹، ۲۰۰	عمر بن الخطاب
ج ۱ / ۲۹۶ - ج ۲ / ۲۱۴، ۲۱۳، ۲۱۲، ۴۵، ۴۴	عمر بن أبي ربيعة
ج ۲ / ۸۵، ۷۹	عمر بن عبد العزيز
	عمر بن عبد العزيز، أبو جعفر الشطرنجي، أبو حفص

الصفحة

العلم

ج ١ / ٣٣٩ - ج ٢ / ٩٢، ١٠٧، ١١٧، ١٢٢	عمر بن الفارض
ج ١ / ٢٧٧	عمر بن محمد بن حسن الوراق، أبو حفص سراج الدين
ج ١ / ٣٢٠	عمر بن موسى بن عبيد الله، ابن معمر
ج ٢ / ٢٠٥	عمرو بن الجون
	أبو عمرو = حماد عجرد بن عمر بن يونس بن كليب السوائي
ج ١ / ٢٣٢	أم عمرو بنت أبي بن رباح
ج ١ / ١٢٦	عمرو بن ربيعة
ج ١ / ٢٢٣، ٢٢٢	عمرو بن سعد بن مالك بن قيس بن ثعلبة، المرقشي
ج ١ / ١٩٤	عمرو بن العاص
ج ١ / ٢٥٧	أبو عمرو بن العلاء
ج ١ / ٢٣٧، ٢٣٦	عمرو بن عوف
ج ١ / ٣٣٩	عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك البكري، الوائلي، التزاري
ج ١ / ٢٦٣، ٢٦١	عمرو بن كعب بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء
ج ٢ / ١٥٩	عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب أبو عباد
ج ٢ / ١٥	عمرو بن يوحنا، النصراني
	العمري = إبراهيم بن علي بن إبراهيم الموصلي، أبو إسحاق
ج ٢ / ١٣٩	عنزة العبسي
	ابن عنين = محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن الأنصاري، الكوفي، شرف الدين، أبو المحاسن
ج ١ / ٣٤٨	عوان (جارية)
ج ١ / ٢٩٣، ٢٩٢	أم عوف (المغنية)
	العوفي = محمد بن علي بن عثمان، الإسكندري، شمس الدين، أبو الفتح، صالح المزى
	علاء الدين = خليل بن شاهين الشبخي، الصفدي، الشاهيني
	علاء الدين = علي بن محمد بن عبد الله ابن نشوان الجذامي، المصري، السعدي، ابن عبد الظاهر
ج ٢ / ١٤٧	علاء الدين المدني
	أبو العلاء = ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيذار الأسدي، أبو ثابت الرقي
ج ٢ / ٢٠٨، ١٩١، ١٨٩، ٩٦، ٨٤	أبو العلاء المعري
	ابن عياش = أبو بكر بن سالم، الأسدي

الصفحة

العلم

ج ٢٧١/١

ج ٦٤/٢

ج ٢٥،٢٣/٢

ج ١٩١/١

ج ١٥٣،١٤٨،٦/١

ج ١٧٢/٢

ج ٨٧/١

ج ٨٤/١

ج ١٣٢/٢ - ج ٣٠٦،٣١٩،٧٦/١

ج ١٨٧/٢

ج ١٧٦،١٦٢/٢

ج ١٢٧،١٠٤/٢

ج ١٤٣/٢

ج ١٣٨/٢

ج ٩٨/٢

ج ٧٧/٢

ج ٣٢١/١

ج ٢٠٧،٥٣،٥٢،٥١/٢، ج ٣٥٩،٣٥٧،٣٠٦،١٩٦،١٩٥،١٩٤/١

ج ٢٠٠،١٩٩/٢، ج ٣١٥،١١٨،١١٦،١١٥،١

ج ٢١٤،٢١٣،٢١٢،٤٥،٤٤/٢، ج ٢٩٦/١

ج ٨٥،٧٩/٢

ج ١٢٢،١١٧،١٠٧،٩٢/٢، ج ٣٣٩/١

ج ٢٧٧/١

ج ٣٢٠/١

ج ٢٠٥/٢

عياش الكنانى

أبو العيرانة

العيزى = عبد الوارث، أبو عبيدة

عيسى عليه السلام

أبو عيينة

على بن الحسين بن على، عز الدين الموصلى

أبو على = دعبل بن على بن رزين الخزاعى

على بن رستم بن هردوس، بهاء الدين، أبو الحسن، ابن الساعاتى

على بن سعيد العطار

على بن سلمان

على ابن أبى طالب عليه السلام

على بن العباس الرومى

على بن عمر بن جلدك، التركمانى، المشد، سيف الدين، أبو الحسن، ابن قزل

على بن محمد بن عبد الله ابن نشوان الجذامى، علاء الدين ابن عبد الظاهر

على بن محمد بن فهد التهامى، أبو الحسن

على بن محمد بن نصر بن منصور، البغدادى، ابن بسام، أبو الحسن

على بن مقلد بن نصر الكنانى، أبو الحسن، ابن منقذ

عماد الدين

عمارة (جارية ابن جعفر)

عمر بن الخطاب

عمر بن أبى ربيعة

عمر بن عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز، أبو جعفر الشطرنجى، أبو حفص

عمر بن الفارض

عمر بن محمد بن حسن الوراق، سراج الدين

عمر بن موسى بن عبيد الله

عمر بن الجون

أبو عمرو = حماد عمرد بن عمر بن يونس بن كليب السوائى

الصفحة	العلم
ج ٣٨٧/١	غادر (جارية المهدي)
ج ١٥١/٢	أبو غالب
ج ٢٢٩/١	غاوى بن رشيد بن طلابة المدحجي
ج ٢٢٠٥/٢	الغدور بنت قيس بن خالد
ج ٣٧٧/١	غسان بن جهضم
ج ٢٨٠/١	ابن غنيم
ج ٢١٤، ٢٠٨، ٢٠٧، ١٣٤، ١٢٧/١	غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة المصري، ذو الرمة
ج ٢١٩/١	ابن فاتك
ج ٣٧٦/١	الفاروقي = عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل، أبو يحيى، ابن نباتة
ج ٤٤/٢	الفاضل = فضل الله بن عبد الحميد، الزوزني
ج ٣٧٦/١	فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب
ج ٨١/١	فاطمة بنت عبد الله
ج ١١٠، ١٠٧/١	فاطمة بنت القاسم بن جعفر بن أبي طالب
ج ٩٣/١	أبو الفتح بن سحنون
	أبو الفتح = محمد بن علي بن عثمان العوفي الإسكندري، شمس الدين صالح، المزني
	أبو الفتح = محمود بن الحسين السندي بن شاهيك، كشاجم، أبو النصر
	أبو الفتوح = نصر الله بن عبد الله بن مخلوف اللخمي، الأزهرى، ابن قلاقس
	ابن الفرات = محمد بن عبد الرحيم بن علي المصري، الحنفى
	أبو فراس = الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني، العدوي، التغلبي
	أبو الفرج الأصفهاني
	أبو الفرج الصوفي
	أبو الفرج = عبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطي، فخر الدين
	الفرزدق = همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية، التميمي، أبو فراس
ج ٣٦٠/١	الفريابي = محمد بن عبد الله بن محمد العتقى الأفريقى، أبو عبد الرحمن
ج ٥٣/٢	الفريص
	فريعة بنت همام، المتمنية

الصفحة

العلم

أبو الفضل = أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، النيسابوري
 أبو الفضل = جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، المتوكل
 أبو الفضل = جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي
 أبو الفضل = العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المهدي
 الفضل بن عبد الصمد بن الفضل، البصري، أبو العباس، الرقاشي

ج ٢/٢٠٠، ٢٠١

ج ٢/٩٩

ج ٢/١٥٢، ١٧٩

ج ١/٣٤٩

ج ١/٢٢٩

ج ١/٢٨١

ج ٢/١٠٤

فضل الله بن عبد الحميد الزوزني، الفاضل

أبو الفضل بن وفاء

ابن الفؤاد

ابن الفوار

الفويرك

قابوس

أبو القاسم = اسماعيل بن عباد بن العباس ابن إدريس الطالقاني، الصاحب

أبو القاسم = خالد بن يزيد الكاتب

ج ١/٩٣

القاسم الشركسي

أبو القاسم = عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك

أبو القاسم = محمد بن سعدون بن المهدي الأزدي، أبو الحسن بن هاني

أبو القاسم = مدرك بن محمد بن علي، الشيباني

أبو القاسم = هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن علي البغدادي، ابن القطان

ج ٢/٩٠، ١٢٧

القاضي الفاضل، ابن عياض

ج ٢/٨٩

القاضي مجد الدين

القالبي = اسماعيل بن القاسم بن عيدون بن هارون، أبو علي

القرشي = محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد، المخزومي، البدر الدماميني

ابن قرناص = إبراهيم بن محمد بن هبة الله، الخزاعي، الحموي

ابن قزل = علي بن عمر بن جلدك التركماني المشد، سيف الدين، أبو الحسن

القسري = خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد، أبو الهيثم

القشيري = الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش، التغلبي، أبو مالك

الصفحة

العلم

- ابن القطان = هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن علي البغدادي، أبو القاسم
ج ٢٠٩/٢ القهرمانه
- القواريري = الجنيد بن محمد النهاوندي، البغدادي
- ابن قلاقس = نصر الله بن عبد الله بن مخلوف اللخمي، الأزهرى، أبو الفتوح
- القيراطي = إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد، برهان الدين
- قيس بن ذريح ج ١/١٣٨، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٧، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٢، ٣٠١، ٣٦٢
- قيس لبنى ج ١/١١٠، ١١٢، ٣٦٢
- قيس بن منقذ بن مالك الكنانى، ابن الحدادية ج ١/٢٤٦
- القيسى = رياح بن عمر، أبو المهاصر
- الكاتب = خالد بن يزيد، أبو القاسم
- الكاتب = سعيد بن سعيد، أبو عثمان
- الكاتب = يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار
- كامل بن الضين ج ١/٢٧٣
- ابن كثير ج ١/٧٧
- كثير بن الصلت ج ١/١٤٧
- كثير عزة ج ١/١١٠، ١١٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٦٣
- كسرى أبرويز ج ٢/١٩٧، ١٩٩
- كشاجم = محمود بن الحسين بن السندی بن شاهيك، أبو الفتوح، أبو النصر ج ١/٢٩٠
- كعب بن الأميل الطائي ج ١/٢٥٦
- كعب بن مالك، أبو خثعم ج ١/٢٣٢، ٢٣٣
- كعب بن مسعدة الغفارى ج ١/٣٦٤
- كعب بن معاوية ج ١/٢٤٧
- الكلبي ج ١/١٢٦
- الكندى = امرؤ القيس بن حجر بن الحارث
- لبنى بنت الحباب الكعبية ج ١/١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣
- اللخمي = المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب، الأربلى، شرف الدين، أبو البركات، ابن المستوفى

الصفحة

العلم

	اللخمي = نصر الله بن عبد الله بن مخلوف، الأزهرى، أبو الفتوح، ابن قلاقس
	اللخمي = النعمان بن النذر بن امرئ القيس بن عمرو
ج ٢٨٥/١	لطيفة
ج ٣٥١/١	لقمان بن عاد بن ملطاط
ج ٢٠٥/٢	لقيط بن زرارة
ج ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣/٢	لوقا
	ابن لؤلؤ الذهبي = يوسف بن عبد الله، الدمشقي، بدر الدين
ج ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٧، ١٨٢/١	ليلي الأخيلية
ج ١٦٣، ١٦٢، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٧، ١٥٥، ١٥٤/١	ليلي بنت مهدي بن سعد
١٨١، ١٧٨، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧١، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٦، ١٦٥	
ج ٢١٢/١	مالك بن الحرب بن الصمصامة بن أعرش الجعدى
ج ٩١/١	مالك بن دينار
	أبو مالك = الصمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش، القشيري، التغلبي
ج ٢٦٨/١	مالك العذرى
ج ٣٦٤/١	مالك بن غفيلة العذرى
	المأمون = عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي
	المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي، الأربلي، شرف الدين، أبو
ج ١٧١/١	البركات، ابن المستوفى
	ابن المبارك = عبد الله بن واضح الحنظلي، الخوارزمي، أبو عبد الرحمن
ج ٢٧٩، ٢٧٨/١	المبرد
ج ٣٤٦/١	المتجرودة (امرأة المنذر بن ماء السماء)
	التمنية = فريعة بنت همام
	المتنبي = أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكوفي، أبو الطيب
	المتوكل = جعفر بن محمد بن هارون الرشيد، أبو الفضل
ج ٥٣، ٥٢/٢	مجاشع بن مسعود السلمى
ج ١٧٥، ١٧٤، ١٧٠، ١٦٨، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٢، ١٦١، ١٦٠/١	مجنون ليلي
١٨٠، ١٧٨، ١٧٦، ٣٠١، ٢٠١، ١٩١، ١٨٢	

الصفحة

العلم

بحير الدين = محمد بن يعقوب بن علي، الحموي، ابن تميم
أبو المحاسن = محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن الأنصاري، الكوفي، شرف
الدين الحورائي، ابن عنين

محمد بن إبراهيم ج ٣٠٤/١

محمد بن إبراهيم البغدادي، الصوفي، أبو حمزة ج ٤٩/٢

محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد المخزومي، البدر الدماميني ج ١٧٩، ١٥١/٢

محمد بن أحمد بن سليمان، الأنصاري، جلال الدين بن خطيب داري، أبو عبد الله

ج ١٤٦/٢

محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الله، السعدي، البغدادي ج ٦١/٢

محمد بن أحمد الغساني، الوأواء دمشقي، أبو الفرج ج ١٤٤، ٨٩/٢

محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله، الشافعي ج ٣٣٢/١، ١٦٥/٢، ١٩٢

أبو محمد = اسحاق بن إبراهيم بن محمود، التميمي، الموصلی، ابن النديم

أبو محمد = اسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي، الموصلی

محمد بن أمية ج ١٦٢/١

محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، البصري، أبو بكر ج ١٢٩/١، ٢٢٩، ٢٦٢،

٢٦٧، ٢٢١/٢، ١٩٢

أبو محمد = الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حبان بن صدقة بن زياد، الضبي

محمد بن حسن بن علي بن عثمان، شمس الدين النواجي ج ١٥٦/٢

محمد بن رعاد ج ١٥٢/٢

محمد بن علي الأندلسي، الهواري، شمس الدين بن جابر، أبو عبد الله ج ١٦٥/٢

أبو محمد = الحسن بن عمر بن الحسن دمشقي، بدر الدين بن الحبيب

محمد بن خلكان، شمس الدين، أبو عبد الله ج ١١/٢

محمد بن داود بن خلف، الظاهري، أبو بكر ج ٨٠٧/٢

أبو محمد = الربيع بن عبد الجبار بن كامل، المرادي

محمد بن سعدون المهدي، الأزدي، أبو الحسن بن هانئ أبو القاسم ج ١٦١/٢

أبو محمد = سعيد بن الدهان بن المبارك بن علي الأنصاري، البغدادي، تاج الدين

محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله، الشاب الظريف، ابن العفيف، شمس الدين،

الصفحة	العلم
ج ۲/۹۴، ۱۰۹، ۱۱۱، ۱۲۳، ۱۴۳، ۱۷۰، ۱۷۲، ۱۷۵	أبو عبد الله
	أبو محمد = سهل بن عبد الله بن يونس، التستري
ج ۱/۱۰۳	محمد بن شرف الدين القيرواني
ج ۱/۹۵، ۹۹	محمد بن صالح بن حمزة العباس، الشريف ابن الهبارية، أبو يعلى
ج ۱/۳۱۴	محمد بن صالح العلوي
ج ۲/۷	محمد الصيدلاني
ج ۱/۲۶۹	محمد بن عائشة، أبو جعفر
ج ۱/۲۴۱	محمد بن عبد الرحيم بن علي المصري، الحتفي، ابن الفرات
	أبو محمد = عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب
	محمد بن عبد الله بن محمد العتقي، الأفريقي، الفريابي، أبو عبد الرحمن
ج ۱/۲۶۱، ۲۶۲	محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي، البغدادي، أبو الحسن، ابن سكرة
ج ۲/۱۰۹، ۱۹۰	
ج ۱/۲۸۲	محمد بن عبد الملك
	محمد بن علي بن عثمان العوفي، الإسكندري، شمس الدين، أبو الفتح، صالح المزى
ج ۱/۸۹، ۹۱، ۹۲	
	محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المصري، العثماني، ابن
ج ۲/۱۱۲	الوكيل، ابن المرحل، صدر الدين، أبو عبد الله
ج ۲/۱۸۷	محمد بن عياض
ج ۲/۵۰	محمد بن قطن الصوفي
	أبو محمد = ابن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي، المنزومي
ج ۲/۲۲۴	محمد بن موسى بن علي المراكشي، جمال الدين، أبو البركات
	أبو محمد = موسى شهوات بن يسار المدني
	محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن الأنصاري، الكوفي، الحورائي، شرف الدين،
ج ۲/۸۰، ۱۵۷	أبو المحاسن، ابن عنين
ج ۱/۱۷۵	محمد بن نوفل
ج ۱/۹۱	محمد بن واسع

الصفحة	العلم
ج ٢١٩/٢	محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر
ج ١٤٧/٢	محمد بن ياقوت
ج ١٨٨، ١٧٤، ١٥٠/٢	محمد بن يعقوب بن علي، مجير الدين، الحموي، ابن تميم
ج ١٨١/٢	محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، التلعفري، شهاب الدين، أبو المكارم
ج ٩٤/٢	محمود بن الحسين بن السندی بن شاهيك، كشاجم، أبو الفتح، أبو النصر
ج ١٠٥/٢	محي الدين البغدادي
	المخزومي ابن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي، أبو محمد
	المدائني = عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، أبو حامد، عز الدين، ابن أبي الحديد
ج ١٥/٢	مدرك بن محمد بن علي الشيباني، أبو القاسم
	المدني = معبد بن وهب، أبو عباد
	المرادي = الربيع بن عبد الجبار بن كامل، أبو محمد
	ابن المراغة = جرير
	ابن المرحل = محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المصري،
	العثماني، ابن الوكيل، صدر الدين، أبو عبد الله
ج ٢٧٥، ٢١٨/٢	ابن المرزبان
	المرقش = عمرو بن سعد بن مالك بن قيس
ج ٢٤/٢	مرقولا
ج ٣٠٩، ٣٠٨، ٣٠٦/١	مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو عبد الملك
ج ١١١/١	مروان بن هشام الحضرمي
ج ٢٧٣/١	مرة النهدي
ج ٢٥، ٢٣/٢	مريم عليها السلام
ج ٢١٥، ٢١٤/٢	مزيد، أبو اسحاق
	المزي = محمد بن علي بن عثمان العوفي، الإسكندري، شمس الدين، أبو الفتح
ج ٢١٠/٢	ابن أبي مساحق
ج ٢٠٥/١	مسافر بن عمرو بن عبد شمس
	ابن المستوفى = المبارك بن أحمد بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي، الأربلي،
	شرف الدين، أبو البركات

الصفحة	العلم
ج ۲۳۹/۱	مسعدة بن وائلة الصارمی
ج ۱۳۹/۲	مسعود بن عبد العزيز بن المحسن، الشريف البياضی، أبو جعفر
ج ۱۲۸/۲، ج ۳۶۲/۱	المسعودی (شارح المقامات)
ج ۵/۲	ابن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومی، القرشي، أبو محمد
ج ۳۵۱، ۳۵۰/۱	المسيح عليه السلام
	المصري = غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة، ذو الرمة
	المصري = محمد بن عبد الرحيم بن علي، الحنفي، ابن الفرات
ج ۲۱۴/۲	ابن مصعب
ج ۲۰۰/۲	مصعب بن الحسين البصري، أبو الحسن، الماجن
ج ۳۶۰/۱	مصعب بن الزبير
ج ۱۴۲/۲	ابن مطران
	ابن مطروح = يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين المصري، الصعيدي، جمال الدين
ج ۱۶۸/۲	المظفر الأمدی
ج ۱۴۷/۲	مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي الغبلائی، أبو العز، موفق الدين
	أبو المظفر = يوسف بن مسعود بن محمد بن علي العبادي، الدمشقي، العقيلي،
	السرمدی، جمال الدين
	أبو معاذ = بشار بن برد العقيلي
ج ۱۹۵، ۱۴۴/۱	معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب، أبو عبد الرحمن
ج ۳۷۳، ۳۴۵، ۳۲۱، ۳۰۹، ۳۰۸، ۲۵۶	
ج ۲۹۵/۱	معاوية بن عبد الله بن جعفر
ج ۳۰۸، ۳۰۷، ۲۹۴، ۲۹۳، ۲۹۲/۱	معبد (المغني)
ج ۱۲۲، ۱۲۱، ۱۲۰/۱	معبد بن وهب، أبو عباد المدني
	ابن المعتز = عبد الله بن محمد بن المتوكل، جعفر بن المعتصم، البغدادي، أبو العباس
	المعدل = عبد الصمد المغربي، الإشبيلي
ج ۲۸/۲	المعري = أحمد بن عبد الله بن سليمان ابن الحارث بن ربيعة، التنوخي
	ابن معمر = عمر بن موسى بن عبید الله
ج ۸۱/۲	معين الدين

الصفحة	العلم
ج ٥٣/٢	المغيرة بن شعبة
ج ٢١٧/١	المقدسى
	أبو المكارم = محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، التلعفري، شهاب الدين
	ابن مكانس = عبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطي، فخر الدين، أبو الفرج
	الملك الصالح = داود بن عيسى الأيوبي
ج ٣٢٣/١	ابن أبي مليكة
ج ٣٤٧/١	المنخل بن مسعود بن عامر
ج ٣٤٦، ٢٠٧/١	المنذر بن ماء السماء
ج ٧٧/١	المنذري
	المنصور = عبد الله بن محمد بن علي، أبو جعفر
ج ٩٨، ٩٦، ٩٥/١	منصور بن عمار
	ابن منقذ = علي بن مقلد بن نصر، الكنانى، أبو الحسن
	أبو منظور = عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابورى، الثعالبي
	أبو المهاصر = رياح بن عمرو القيسى
	المهدى = العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو الفضل
	مهدب الدين = ياقوت بن عبد الله الرومى، أبو الدر
	المهرانى = أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق، أبو نعيم، الأصبهاني
ج ٤٩/٢	المهرجان (صوفى)
ج ٣٧/٢	مهدب الدين بن منير الطرابلسى
	المهلبى = أحمد بن علي بن الحسن بن الحسين، الأزدي، أبو العباس
ج ٣٣٠/١	موسى شهوات بن يسار المدنى، أبو محمد
ج ٣٧٨/١	موسى بن محمد بن أبى جعفر المنصور، العباسى، الهادى
	موفق الدين = مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن علي العيلانى، أبو العز
	الموصلى = إبراهيم بن علي بن إبراهيم، العمرى، أبو اسحاق
	الموصلى = علي بن الحسين بن علي، عز الدين
	المؤيد = إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد
ج ٢٠٩، ٢٠٧/١	مى بنت صلابة بن قيس بن عاصم الغسانى

الصفحة

العلم

	ابن ميادة = الرماح بن مالك بن أبرد
	الميداني = أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، النيسابوري، أبو الفضل
ج ٢/٢٠٨، ٥٣	ميمون بن قيس بن جندل، الأعشى، أبو النصر
ج ١/٢٣٣، ٢٣٢	ميلاء بنت أبي بن رباح
	النابغة = زياد بن معاوية بن ضباب، الذبياني، الغطفاني، أبو أمامة
ج ٢/١٢٩	ابن الناشئ الأكبر
	ناصر الدين = أحمد بن محمد بن الحسين، الأرجاني، أبو بكر
ج ١/١٢٨	نافع بن الأزرق
	ابن نباتة = عبد الحليم بن محمد بن إسماعيل، الفاروقي، أبو يحيى
ج ٢/١٠٨، ١١٠، ١٤٧، ١٥٢	ابن النبيه
ج ١/٢٦١	أبو النجاد بن النعمان بن المنذر
ج ١/٢٢٥	ابن النحاس
	النحوي = يونس بن حبيب، أبو عبد الرحمن
ج ٢/٥	النخعي
	ابن النديم = اسحاق بن إبراهيم بن محمود التميمي، الموصلي، أبو محمد
	النزاري = عمرو بن قمیئة بن ذريح بن سعد بن مالك البكري، الوائلي
ج ٢/٢٧، ٢٣	نسطوريون
ج ١/٣٤٨	نسيم السحر
ج ١/١٧١	نسيم الصبا
ج ٢/٥٣، ٥٢، ٥١	نصر بن حجاج بن علاط السلمی، البهزی
	أبو النصر = سهل بن المرزبان
	نصر الله بن عبد الله بن مخلوف اللخمي، الأزهری، أبو الفتوح، ابن قلاص
ج ٢/١٥٥، ١٤٧	
	أبو النصر = محمود بن الحسين بن السندی بن شاهيك، كشاجم، أبو الفتح
	أبو نصر = ميمون بن قيس بن جندل، الأعشى
ج ٢/١٩٧	نصيب بن رباح، أبو محجن
ج ١/٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨	نصيب بن محجن الزنجي

العلم

الصفحة

- النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي ج ١/٢٠٥، ٢٦١، ٣٤٧
- نُعمى ج ١/٢٤٦
- أبو نعيم = أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق، المهراني، الأصبهاني
- نفظويه = إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، الأزدي، الواسطي، أبو عبد الله ج ٢/٢١٤
- ابن نفيس
- ابن النقيب = أحمد بن محمد، البغدادي، الشهرستاني
- نمير ج ١/٢٣٧
- النهاوندي = الجنيد بن محمد، القواريري، البغدادي
- النواجي = محمد بن حسن بن علي بن عثمان، شمس الدين
- أبو نواس ج ٢/٣٣، ٧٧، ١١٥، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٢٣
- نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مسور بن مخزومة ج ١/١٧٧، ١٧٥
- نومة الضحى ج ١/٣٤٨
- النووي = يحيى بن شرف بن مري بن حسن الخزامي، الشافعي، أبو زكريا
- النيسابوري = أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، أبو الفضل
- الهادي = موسى بن محمد بن أبي جعفر المنصور العباسي
- ابن الهبارية = محمد بن صالح بن حمزة العباسي، الشؤيف، أبو يعلى
- هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن علي البغدادي، أبو القاسم، ابن القطان ج ٢/٩٣
- هدبة بن الحشرم بن كرز القضاعي ج ١/١١٠، ٣٧٣
- الهدلي = خويلد بن خالد، أبو ذؤيب
- أبو الهديل
- ابن هشام
- هشام بن عبد الملك ج ١/٢٦٧، ١٠٩
- همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية، التميمي، الفرزدق، أبو فراس ج ١/٢٦٢، ٢٩٤ - ج ٢/١٤٥، ١٩٧، ١٩٨
- هند الجهنية ج ٢/٤٦، ٤٥
- هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن مناف ج ١/٢٠٥
- هند بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدي ج ١/٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥
- أبو الهيثم = خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري ج ١/٢٤٥
- هيفاء بنت عبد الله بن عامر

الصفحة

العلم

- أبو عبد الله = محمد بن علي الأندلسي، شمس الدين بن جابر، أبو عبد الله
 الوائلي = عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك البكري، الزازي
 الواسطي = إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، الأزدي، أبو عبد الله، نبطويه
 الوأواء دمشقي = محمد بن أحمد الغساني، أبو الفرج
 أبو وحشة ج ١/٣٠٣
 الوداعي ج ٢/١٠٤، ١٤٤، ١٧١، ١٧٦
 الوراق = عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين
 ابن الوردى ج ٢/١٣١، ١٥٠، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٨
 الوزير بن عيسى ج ٢/٨
 وضاح اليمن = عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال
 ابن وكيع = الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حبان بن صدقة بن زياد،
 الضبي، أبو محمد
 ابن الوكيل = محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المصري،
 العثماني، ابن المرحل، صدر الدين، أبو عبد الله
 ولادة بنت عبد الرحمن بن الحكم ج ٢/١٨٩
 ابن الوليد ج ٢/١٥٦
 أبو الوليد (الوزير) ج ٢/١٨٩
 أبو الوليد = أحمد بن عبد الله بن غالب المخزومي، الأندلسي، ابن زيدون
 الوليد بن عبد الملك بن مروان ج ١/٣٤٤
 الوليد بن عبيد بن يحيى بن جشم الطائي، البحري، أبو عبادة
 ج ١/٢٠٢ - ج ٢/٣٥، ٩٣، ١٥٨
 الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ج ١/٣١١
 ياقوت بن عبد الله الرومي، مهذب الدين، أبو الدر ج ٢/١٧١، ١٣١
 يحيى بن أكثم ج ٢/٦١
 يحيى بن زكريا عليه السلام ج ٢/٢٧، ٢٥
 يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي، الشافعي، النووي، أبو زكريا ج ٢/٥
 أبو يحيى = عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل، الفاروقي، ابن نباتة
 يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين المصري، الصعدي، جمال الدين، ابن مطروح ج ٢/١٠٤
 أبو يزيد = طيفور بن عيسى بن شروسان، البسطامي
 يزيد بن عبد الله ج ١/٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٥

الصفحة	العلم
ج ٢٩/٢	اليزيد بن عبد الملك
ج ٣٥٠/١	يزيد بن عون الصيرفي
ج ١٨١، ١٥٨، ٨٢/٢ - ج ٣٢٢، ٣٢١، ٢٢٣/١	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
ج ٢١٩/١	اليزيد بن الوليد
ج ٢١٥/٢	أبو يعقوب
	أبو يعلى = محمد بن صالح بن حمزة العباسي، الشريف ابن الهبارية
	اليمانى = زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة، تاج الدين
ج ٣٤١/١	يهوذا
ج ٣٤١/١	يواكيم
ج ٢٦، ٢٣/٢	يوحنا
ج ٣٥٤/١	يوسف عليه السلام
ج ٥٣/٢	يوسف الثقفي
ج ١٧٤، ١٦٩/٢	يوسف بن عبد الله الدمشقي، بدر الدين، ابن لؤلؤ الذهبي
جمال	يوسف بن مسعود بن محمد بن علي، العبادي، المشقي، العقيلي، السرمدي، جمال
ج ١٥٦/٢	الدين، أبو المظفر
ج ٢٦٩، ٢٦٨/١	يونس بن حبيب النحوي، أبو عبد الرحمن
ج ٢٦٩/١	يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، الكاتب

فهرس القبائل

الصفحة	القبيلة
ج ٢١٢/١	بنو الأخرش
ج ٢٤٧/١	بنو الأخيل
ج ١٢٦/١	الأزد
ج ٤٥/٢، ج ٣٠٨/١	بنو أسد
ج ٢٣٩/١	بنو باهلة
ج ١٩٠/٢	بنو برمك
ج ١٩٢/٢	بنو بكر بن وائل
ج ١٩٢/٢، ج ٢٨٩، ٢٥٧/١	تميم
ج ١٦٣/١	بنو ثقيف
ج ١٨١، ١٧٩، ١٦٨/١	بنو جعدة
ج ٢٨٥/١	بنو حران
ج ٢٠٢، ١٨١، ١٦٠/١	بنو الحريش
ج ٣٤٥/١	بنو الحسحاس
ج ٢٦٢/١	بنو حنيفة
ج ٢٧١، ٢٤٧، ٢٤٦، ١٣٨، ١٦٢/١	بنو خزاعة
ج ٢١٥/١	خزيمه
ج ٢٣٠، ٢٢٩، ١١٠/١	بنو ربيعة
ج ٢٦٥/١	بنو سحيم
ج ٢٠٢، ١٨١/١	بنو سعد
ج ١٥/٢	بنو شيان
ج ٢٥٧، ٢٢٢/١	طيء
ج ٢٠٤، ١٧٨، ١٧٥، ١٦٥، ١٦٠، ١٥٤/١	بنو عامر
ج ١٢٦/١	بنو عبد مناف

ج ١/١١١، ١٢٣، ٢٤٣، ٢٧٠، ٣٦٦، ٥٨/٢	بنو عذرة
ج ١/٢٤٧، ٣١٣	بنو فزارة
ج ١/١٤٤	قريش
ج ١/٢١٥، ٢٤٧، ٢٧١	قحطان
ج ١/٢٠٢، ٣١٧	بنو قضاة
ج ١/١٣٨	بنو كعب
ج ١/٣٤٣	كلب
ج ١/٢١٨، ٢٤٧	كنانة
ج ١/٢٤٣	بنو كندة
ج ١/١٧٩	بنو مرة
ج ١/٢٥٧	مزينة
ج ١/٣٠٤	نمير
ج ١/٣٠٤	بنو نهد
ج ١/٢٦٢	نهشل بن غالب
ج ١/٣٥٩، ٣٦٦	بنو هذيل
ج ١/٣٤٣	وبرة
ج ١/١٩٣	بنو يشكر

فهرس الكتب

ج ١٣/٢	الإحاطة بتاريخ غرناطة
ج ٢٠٥،١٤/٢	إحياء علوم الدين (الغزالي)
ج ٢٢٠/١	أخبار السودان (ابن الجوهري)
ج ٦٦/٢	اختصار الكائنات
ج ٤٥/٢	الإصابة (ابن حجر العسقلاني)
ج ٢٠١/١	أعمدة المعاني للمشور والمنظوم (ابن الأثير)
ج ٣٢٣،١٥٧،١٥٤/١	الأغاني (أبو الفرج الأصفهاني)
ج ٣٦٦،٣٦٢/١	اقتداح زناد الأشواق واسترجاع شوارد العشاق
ج ٢٧٩،١٠٦/١	الأمالي (القالبي)
ج ٢٨٢/١	امتزاج الأرواح
ج ٤٦/٢	امتزاج النفوس
ج ٢١٢،٢٠٢/١	الأنساب (السمعاني)
ج ٩٥،٩٤/١	أنيس الجليس
ج ١٥٣/١	البدور المسافرة
ج ٢٠٢/١	بلغة الإشفاق في ذكر أيام العشاق (ابن رشيق)
ج ٢٠٥/٢	تحفة العروس
ج ٢٣٩،٢٢٠،١٩٢،١٦٢/١	تسريح الناظر
ج ٢٣/٢	تقسيم الصفائح
ج ١١٠/١	تنزيه النفس
ج ٣٠٣/١	تنوير العيش
ج ٢٥٤/١	تهذيب الإصلاح (التبريزي)

ج ٩٣/٢	ثمرات الأوراق
ج ١٢٦/١	جمهرة النسب
ج ٢١٢/٢، ج ٩٤، ٧٨/١	حلية الأولياء
ج ٥٤/٢	خزائن الأسرار في علم الحروف والأصفار
ج ٣٥٦/١	درر الأفكار في التحريض على تزويج الأبيكار
ج ٩٥، ٣٠/٢	ديوان الصبابة
ج ٢٧٥/١	الدهول والنحول (ابن المرزبان)
ج ١٢٨/١	ذيل الأمالي
ج ١٢٩/١	روضة الدولتين (أبو شامة)
ج ٤٧/٢	روضة العشاق
ج ٣٠/٢، ج ٢٤٣، ٢٢٤/١	روضة القلوب
ج ٢٥١/١	الروض النضير
ج ٢٨٢/١	رياض اللطائف
ج ٨٠٧/٢	الزهرة
ج ٢٤٤/١	السماحة
ج ٢٦١/١	الشامات
ج ٢٧١/١	الشامل
ج ٧٢/١	شرح التائية
ج ١٠٩/١	شرح الدرديدية
ج ٣٧٦، ٣٧٥، ٢٤٥، ١٣٨، ١٠٦/١	شرح الشواهد (السيوطي)
ج ٣٥٥/١	الشهنامه
ج ٣٧/٢	الطبقات
ج ١٥٣/١	طوالع الأزهار
ج ٢٠٧، ٢٠٢/١	الظرائف
ج ٢١٥/١	ظرائف الأخبار

ج ٢٦٨، ٢٦١/١	عجيب الاتفاق فى تطابق أخبار العشاق (الفرىابى)
ج ٢٣٠، ٢٢٩/١	قوت القلوب فى أخبار الحب والمحوب
ج ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٠/٢	لطائف الأسرار وكيفية جريان الأقدار
ج ٢١٤/١	لطائف الفوائد وظرائف الشوارد (ابن عبد ربه)
ج ٣٥٤/١	محاسن البلدان ونزهة الأزمان
ج ٢١٩/١	محاسن العبيد (ابن فاتك)
ج ٢٤٤/١	مختصر الطبقات
ج ٣٣٥/١	المستجد
ج ٣١٠، ٢٧٠، ١٣٥، ١٤٩، ١٤٦، ١٣١، ١١٢/١	منازل الأحباب (الشهاب محمود)
ج ٢١١، ٩٣/٢	
ج ٣٤٢، ٣٣٥، ٢٥٧، ٢١٧، ١٦٧، ١٥٦/١	نديم المسامرة (المقدسى)
ج ١٥٧/١	نزهة العشاق
ج ١٧٥، ١٦٣، ١٥٥/١	نزهة المشتاق
ج ١١٠/١	نزهة النفوس
ج ١٨٢، ١٧٧، ١٧٤، ١٧١، ١٦٢، ١٥٥، ١٣٦، ١٣١/١	النزهة (ابن داود)
٢١٢، ٢٠٧، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ١٩٦، ١٩، ١٩٣، ١٨٦	
٢٤٦، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٣٦، ٢٢٣، ٢١٩، ٢١٥، ٢١٣	
٢٨٥، ٢٨٢، ٢٦٩، ٢٥٨، ٢٥٦، ٢٥٣، ٢٥٠، ٢٤٧	
٣٦٨، ٣٦٦، ٣٦٤، ٣٥٠، ٣٠١،	



طبع في مطابع دار الكتب العلمية

جسر المطار - سنتر الساحل التجاري

هاتف: ٨٤٨٤٨٧ - ٨٤٨٤٨٦ - ٩٦١١ +

بيروت - لبنان



